

الغدير

فِي
الْكَتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَدَبِ

تَأَلَّفَ

الْمُهَرِّرُ الْعَلِيمُ الْمَجِدُّ الْمُبَاحِثُ الْعَبِيدُ فِي
عَبْدِ الْحُسَيْنِ أَجْمَدَ الْأُمَمِ النَّجَافِي

الجزء السابع

مَوْسِمُ الْأَعْلَى لِلْمَطْبُوعَاتِ
بِكَلْبُوت - لَبَنَان

الغدير



الغستية

في
الكتاب والسنة والأدب

الْغُرُثُ الْكَلِيمَةُ

فِي

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَدَبِ

كتابٌ دينيٌّ . علميٌّ . فنيٌّ . تاريخيٌّ . أدبيٌّ . أخلاقيٌّ
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن هديّ الفديرة كتاباً وسنةً وأدباً
ويتضمن تراجم أئمة كبرية من رجال العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الإناء
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العالم المجتهد المصنفنا الأكبر الشيخ
عبد المحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء السابع

منشورات

مؤسسة الأعلی للطبوعات

بيروت - لبنان

ص. ب. : ٧١٢٠

الطبعة الأولى المميّزة
كافة حقوق الكتاب محفوظة لورثة المؤلف
وكافة حقوق الصف والإخراج محفوظة ومسجلة للناسر
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

وليس لأيّ جهة أو مؤسسة
في أي دولة كانت الحق باعادة طبع
هذا الكتاب وتلاحق قانونياً من قبل الأنترپول الدولي

PUBLISHED BY
Al Alami Library

BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

سّسة الأعلامي للمطبوعات :
بروت - شارع المطار - قرب كليّة الهندسة .

ن الأعلامي - ص.ب. ٧١٢٠ :
ف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أمل محقق وشكر متواصل

كنّا نأمل أن يكون نظر أعلام الأمة والأساتذة المثقفين في كتابنا هذا نظرة بسيطةً مجردةً عن عوامل النعمة ، معرّةً عن تحيّزات وانحيازات ، ليسهل التفاهم ويتسنى الوقوف على الحقيقة التي هي ضالّتنا المنشودة ، ويستتبع ذلك الوثام والسلام من أقرب طرقهما ، وأوصل الوسائل إليهما ؛ لأنّي لم أقصد (وشهيدى الله) غير الإصحاح بالحقّ والدّعوة إليه .

وما قد يحسبه القارئ شدّة في البيان (لعمرك الله) صراحةً في القول ، وقوّة في الحجّة ، لا قسوةً في الحجاج ، وقد عرف ذلك منّا شاعر الأهرام أستاذ الأدب وعلم الاجتماع بكلية - البوليس - الملكية بالقاهرة محمّد عبد الغني حسن المصري ، وأعرب عنه بقوله من قصيدة يطري بها الكتاب ويصف مؤلّفه :

يشتدُّ في سبب الخصومة لهجةً لكن يرقُّ خليقةً وطباعاً
وكذلك العلماء في أخلاقهم يتباعدون ويلتقون سراعاً

لقد حقّق الله سبحانه هذا الأمل فوجدنا قراءنا الأكارم في ظنّنا الحسن بهم وحسبّت أنهم وجدوني في ظنّهم الحسن بي - والله الحمد - فجاء رجالات الأمة حماة البيت الهاشمي الرفيع ، وأركان عرشه المعلى وفي مقدّمهم فخامة نوري باشا

السعيد ، وفخامة السيّد صالح جبر ، ومعالي السيّد نجيب الراوي - على ما بلغنا -
يدافعون عن الكتاب جلبة كل مغفل غير عارف بنفسيات المؤلف ، وما انحنت عليه
أضالعه من الصالح العام ، فشكراً لهم ثم شكراً .

وقد انهالت علينا كلمات الثناء وجمل التقرّيز والإطراء من شتى النواحي ،
وأقاصي البلاد وأدانيها ، ومن أناس مختلفين في الآراء والنزعات ، لكن ذلك
الخلاف لم يسفّ بهم إلى هوة العصبية ، ولم يزعمهم عن المصارحة بالحق ، والأخذ
بالجامعة الدينية ، والتآخي في الله وفي الدين - إنما المؤمنون إخوة - فنحن كما قال
شاعر الأهرام المذكور :

إنّا لتجمعنا العقيدة أمةً ويضمّنا دين الهدى أتباعا
ويؤلف الإسلام بين قلوبنا مهما ذهبنا في الهوى أشياعا

فمرحى بها من غرائز كريمة ، ونوايا حسنة ، ونفسيات نزيهة ، بعثتهم إلى
الألفة والإخاء ، وإن رغمت آناف دجالين يسرون على الأمة حسواً في ارتغاء .
وقد نشرنا في غير واحد من الأجزاء المتقدمة جملاً ذهبيةً ممّا وافانا عن
الملوك والساسة ، والحجج والآيات من العلماء الفطاحل ، والأساتذة النبلاء وصاغة
الشعر المقدّمين ، وهناك أناس لم تنشر كلماتهم ولم تُذكر أسمائهم لضيق في نطاق
الأجزاء فها نحن نوعز إليهم مشفوعاً ذلك بشكر متواصل وثناء جميل .

آية الله سيّدنا الحجّة السيّد محمّد الكوهكمري^(١) قم المشرفة
العلامة الشريف الحجّة الحاج السيّد جعفر آل بحر العلوم نجف الأشرف
صاحب المعالي السيّد عبد المهدي المتفكي^(٢) بغداد

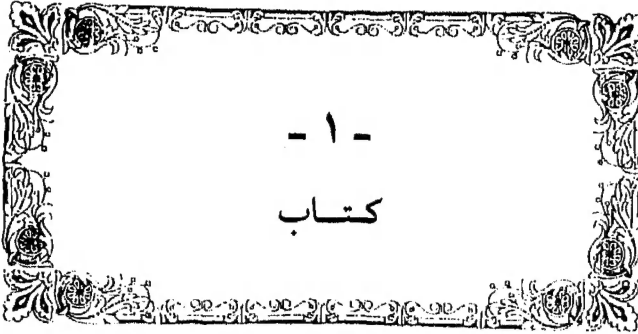
(١) توفي قدس سره يوم الإثنين ثالث جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ كان في الرعيل الأول من زعماء
الدين ومراجع المسلمين ، وله في إقامة حوزة العلم يقيم المشرفة أشواط بعيدة وخطوات واسعة
بالتدريس والتهديب والإصلاح ، وادار المعيشة وسدّ أعواز الطالبين ، وإقامة الامت
والعوج ، ولم يفتأ على وتيرة واحدة في السعي وراء صالح الأمة وتسديد خطة العلم
والعمل ، والسوق إلى الطريقة المثلى والسير بالأمة إليها في سبيلها الجدد ، كما أنّ له أياد
مشكورة على حوزة النجف الأشرف حتى لفظ نفسه الأخير سعيداً شكوراً .

(٢) تلقينا منه بعد كلمة تنشر في الجزء الثامن .

غازية . سوريا	العلامة الحجة الحاج السيد حسن اللواساني
مصر . القاهرة	البحثة الكبير الأستاذ السيد علي فكري صاحب تأليف قيمة ^(١)
بصرة	العلامة الشريف السيد محمد سعيد الحكيم
محمود آباد . الهند	البحثة الجليل السيد سبط الحسن صاحب تأليف ممتعة
قم المشرفة	العلامة الشهير السيد علي أكبر البرقي صاحب تأليف نفيسة ^(٢)
قم المشرفة	العلامة الشريف السيد محمد علي القاضي الطباطبائي
مصر . القاهرة	الأستاذ محمد عبد الغني حسن مؤلف (أعلام من الشرق)
بغداد . صبايغ الآل	الخطيب الشريف السيد صالح السيد عباس الموسوي
بصرة	الخطيب المفوه السيد عبود الحسيني
بغداد	الدكتور الشهير مصطفى جواد البغدادي
نجف الأشرف	العلامة الصالح الشيخ حسن الناصري
كاظمية	الخطيب المصقع الشيخ كاظم آل نوح مؤلف (محمد والقرآن)
طهران	الخطيب الأكبر المدره الحاج الشيخ محمد تقي الفلسفي
عاملة . نبطية	البحثة الكبير الشيخ سليمان ظاهر عضو المجمع العلمي
بغداد	الأستاذ القدير السيد شمس الدين الخطيب البغدادي
خضر . العراق	الشريف الفاضل السيد عبد الزهراء السيد حسين الخصري
قم المشرفة	العلامة الثقة ميرزا محمد علي الجرندي التبريزي
ديوانية . العراق	الأستاذ عبد الحمزة نصر الله فتحي

(١) توفي وكان مؤلفاً كثيراً نزيهاً .

(٢) مرت كلمتنا في الرجل في الجزء الرابع ص ٢١١ .



تفضل به الشريف المصلح الأكبر آية الله
السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي ،
وهو من عرفته الأمة فشكرته على أياديه
الواجبة ، ومساعيه المشكورة ، ودأبه
المتواصل على الإصلاح والدعوة الإلهية ،
والنظر في مناهج المسلمين ، والتفاني
دون الحق المتبع . فحيّاه الله وجزاه عن أمته
خيراً .

حجة الإسلام العلامة الثبت المجاهد (الأميني) أعزه الله وأعز به .
تحية طيبة وسلاماً كريماً .

أشعر أن لك عليّ واجباً يتجاوز حدود القول في تقرير (الغدير) موسوعتك
النادرة ، والثناء عليها بوصفها مجهوداً ثقافياً منقطع النظير .

فالقول في هذا ونحوه أدنى ما يُستقبل به جهادك ، وأقل ما يوزن به تتبّعك
واستيعابك ، أمّا الذي يعطيك كفاء حقك في هذه الموسوعة الفاضلة فتقدير يبلغ
الأمة أنك من أبطالها الأقلين ، ويدعوها من أجل هذا إلى شدّ أزرك وإرهاfk في
سبيلك النير الخير هذا ، إنصافاً للقيم التي توشك أن تضيع فتضيع ؛ ومتى ضاعت
وأضاعت فقد خسرت الحياة «مثلها الأعلى» وعادت بعده تافهة لأنها تخلو آنذاك من
حق وخير وجمال ، أي تخلو ممّا يحبّ الحياة ويرفعها ، ويدلّ على أقدارها .

موسوعتك (الغدير) في ميزان النقد وحكم الأدب عملٌ ضخمٌ دون ريب ،

فهي موسوعةٌ لو اصطُح على إبداعها عدَّةٌ من العلماء وتوافروا على إتقانها بمثل هذه الإجادة لكان عملهم مجتمعين فيها كبيراً حقاً .

ولكنني ما سقت كلمتي لأقول هذا ، وإنما سقتها لأشير إلى هذه الناحية الخطيرة من حياتنا المفككة داعياً إلى التشدُّد ، والإلتفات حول الحفنة الباقية من رجال الفكر الإسلامي ممَّن يجيلون أقلامهم في علومنا وآثارنا بفقه وحبّ .

فليس شيءٌ عندي أخطر على هذا الفكر الولود من التفرُّق عن رجاله ، لأنَّ التفرُّق عنهم نذيرٌ بعقم نتاجه ، وقطع حلقاته ، فالتفرُّق عنهم بمعناه تفرُّق للحواضر والبواعث التي تتصل بها حياة الحقِّ في طبائع الأشياء وظواهر السنن .

وليس أفجع لحضارة الشرق بل لحضارة الإنسان من عقم هذا النتاج وقطع هذه الحلقات .

فإذا دعونا إلى موازرتك والوقوف إلى جانبك في شقِّ الطريق بين يدي (غديرك) فإننا ندعو في واقع الأمر إلى خدمة فكرةٍ كَلِيَّةٍ ترتفع بها شخصيَّة الأُمَّة كاملة ، آمِلين أن يرى المفكِّرون بك مثلاً يشجعهم بحياة الأُمَّة حولك ، وحسن تقديرها لك ، أن يخدموا الحقَّ الذي خدمته لوجه الحقِّ خالص النية .

أقف هنا لأقول : إنَّ قَمَّةَ (الهرم) في عملك الجاهد القيم إنما هي حبُّك له حبّاً يدفعك فيه إلى الأمام في زحمة من العوائق والمثبِّطات ، وهي خصلةٌ في هذا العمل الكبير تُعيد إلى الذهن دأب أبطالنا من خدّام أهل البيت وناشري علومهم وآثارهم ، ذلك الدأب الذي أمتع الحياة بأفضل مبادئ الإنسانية من معارفهم النيرة .

أمَّا الجوانب الفنيَّة فقد نسجتها نسج صناع ، وهيآت لقلمك القوي فيها عناصر التجويد والإبداع في مادَّة الكتاب وصورته ، وفي أدواتهما المتوفرة على سعة باع ، وكثرة اطلاع ، وسلامة ذوق ، وقوَّة محاكمة ، أمامك ، حفظك الله وأعانك .

عبد الحسين شرف الدين
الموسوي



تفضل به سيدنا الشريف المبجل آية الله
السيد محسن الحكيم «وإنه لأريض للفضل»
حيّاه الله وبيّاه نذكر نصّ خطابه شكراً
لسماحته وإكباراً لمقامه الأسمى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله كما هو أهله ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين
الطاهرين وبعد : فإن من أعظم ما أنعم به الله جلّ وعزّ على هذه الفرقة المحقّقة
والطائفة الحقّة أن أتاح لها في كلّ عصر منها رجلاً لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
الجهاد في سبيلها والقيام بحقّها ، والعمل على إعلاء كلمتها ، ورفع مقامها ،
فحقّقوا حقائقها ، وبلغوا رسالتها ، وأقاموا الحجّة لها على غيرها ، كلّ ذلك بالرغم
مما مُنيت به من أشياء من شأنها أن تحول بينهم وبين ذلك كلّ لولا العناية
الربّانية .

وإنّ من فحول هذه الزمرة المجاهدة مؤلّف كتاب (الغدير) المحقّق الفدّ
العلامة الأوحد الأمين دامت تأييده وتسديده ، وقد سرحت النظر في أجزائه المتتابعة
فوجدته كما ينبغي أن يصدر من مؤلّفه المعظم ، وألفيته كتاباً لا يأتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه بتوفيق من عزيز عليم ، ولقد توفّق كلّ التوفيق في قوّة حجّته ،
وشدّة عارضته ، وروعة أسلوبه ، وجمال محاورته ، وقد ضمّ إلى حصافة الرأي
جودة السرد ، وإلى بداعة المعاني قوّة المباني ، وتفنّن في المواضيع المختلفة
فوردها سديداً وصدر عنها قوياً .

فجديرٌ بالمسلم المثقّف الذي يرتاد الحقيقة ويتطلّب الأمر الواقع أن يقرأه
ويستنير بضوئه ، وحقيقٌ بمؤلّفه الموفّق أن يشكر الله تعالى على توفيقه وعنايته
ورعايته ، وجزاه الله على عظيم خدمته خير جزاء المحسنين ، والسّلام عليه ورحمة
الله وبركاته .

محسن الطباطبائي الحكيم



أتانا من بحاثة المسيحيين ، القاضي
الحرّ ، والشاعر النبيل ، الأستاذ بولس
سلامة البيروتي صاحب الملحمة العربية
الفراء الخالد الذكر . فشكراً له ثم شكراً .

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني نفعا الله بعلمه .

أمين .

كان عليّ أن أكتب إلى فضيلتكم شاكراً يوم تسلّمت الجزء السادس من
(الغدير) وقد شرفتموني بإدراج رسالتي في المقدمة .

وقد اطلعت على هذا السفر النفيس فحسبت أنّ لآلئ البحار جميعاً قد اجتمعت
في غديركم هذا . أجل : يا صاحب الفضيلة ! إنّ هذا العمل العظيم الذي
تقومون به منفردين لعبء تنوء به الجماعة من العلماء ، فكيف استطعتم النهوض به
وحدكم ؟ .

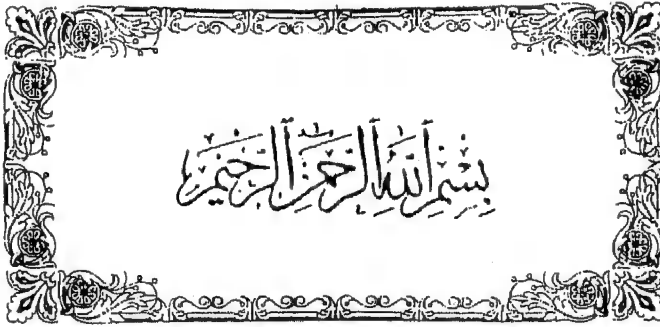
لا ريب أنّ تلك الروح القدسيّة روح الإمام العظيم عليه وعلى أحفاده الأطهار
أشرف السّلام هي التي ذلّلت المصاعب ، وفتحت بصيرتكم النيرة على كنوز
المعرفة ، تغترفون منها وتشرون ، فيبقى ذخراً للمؤرّخين ، ومرجعاً للعلماء ،
ومنهلاً للشعراء ، يسقون منه غراس الأدب كلما لفحها الهجير .

ولقد لفت نظري على الأخص ما ذكرتموه بشأن الخليفة الثاني فله دُرُكم ،
ما أقوى حجَّتكم ، وأسطح برهانكم ، فلو حاول بعد هذا مكابراً أن يردُّ تلك الحجج
المكيّنة لكان مثله مثل الوعل الذي ناطح الصخرة .

حفظكم الله يا صاحب الفضيلة ! منارة تبعث أضواءها من النجف الأشرف
فتنير البلاد العربيّة ، وإنّي أسأل الله سبحانه أن يطيل حياتكم الثمينة بشفاعه مولانا
أمير المؤمنين المرفوع اللواء في الدارين المخلّد الذكر إلى الأبد .

بيروت ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ .
المخلص
بولس سلامة

الجزء السابع
شعراء الغدير
في القرن التاسع
وهم ثلاثة حليون
وفي هذا الجزء من الدروس
العلمية الدينية التاريخية ما تدعم به
الحقائق ، ويحق للباحث
أن يكون به أعند



سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا
الْبَلَاغُ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ
نَفْسَهُ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ
مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ
وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ، يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ
يُنْكِرُونَهَا تُحَاجُّونَ فِيهَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ، لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا
مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً ، وَيُطِيعُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا
وَأَسِيرًا ، الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ
الْبَرِيَّةِ .

٧٢ - ابن العرندس الحلبي

قمرٌ إذا ما مرّ في قلبي حلا
فيها حرام السحر بان محللاً
عن خصره بند القباء محللاً
لما يريحان العذار تسلسلا
فلذا كبّت مقيّداً ومسلّلا
ولحاظه في القتل تحكي المنصلا
حوريّة تبسّي الغزال الأكحلا
وأحبّ جفنيها المراض الغزلا
فتكأ وعامل قدّه ما عدلا
أضحى لها الملك العزيز مدّلا
النعمان بالخال النجاشي خوّلا
نونني قسيّ الحاجبين ومثّلا
سهم السهام أصاب مني المقتلا
في جيم جمرة خدّه لن تشعلا
مني فذاب وعن هواه ما سلا
وأبيت مسروراً سعيداً مقبلا

أضحى يمس كغصن بانٍ في حُلّى
سلب العقول بناظرٍ في فترة
وانحلّ شدّ عزائمي لمّا غدا
وزهى بها كافور سالف خدّه
وتسلّلت عبثاً سلاسل صدغه
قمرٌ قويم قوامه كقناته
وجناته جوريّة وعيونه
أهوى فواترها المراض إذا رنت
جارت وما صفحت على عشاقه
ملكّت محاسنه ملوكاً طالما
كسرى بعينيه الصّحاح وخدّه
كتب العليّ على صحائف خدّه
فرمى بها في عين غنج عيونه
فاعجب لعين عيبر عنبر خاله
وسلا الفؤاد بحر نيران الجوى
فمتى بشير الوصل يأتي منجهاً

لجج الغرام معالجاً كرب البلا
 كدم الحسين على أراضى كربلا
 عَآمُ أفرس من على فرسٍ علا
 مختار في حرّ الهجير تظلاً
 وبفضله شرح الكتاب تفصلاً
 بالمجد تاج فخارها قد كلاً
 حسب شبيه الشمس زاهي المجتلى
 بط الشهيد المستضام المبتلى
 أسفاً وقلب الدهربات مقلقلاً
 والماء ينهل منه ذيبان الفلا
 عنه اللباس وصيروه مجدلاً
 بالخسف في طفلٍ وجلّ مؤثلاً^(١)
 قد حطموا السمر اللدان الذبلاً
 مزج البلاء به فأمسوا في البلا
 كرمأ وأوصلت الرؤوس الأرجلا
 دار المقامة في القيامة مؤثلاً
 شاكٍ إلى ربّ السموات العلى
 نهلاً يرى البيض الصوارم منهلاً
 كالبحر آخره يحاكي الأوّلاً
 فغدالهم لحم الفوارس مأكلاً
 وأبوه يسقي في المعاد السلسلاً
 ظمئت فأشربت الحمام دم الطلا^(٢)

ولقد برى مني السقام وبث في
 وجرت سحائب عبرتي في وجنتي
 الصائم القوام والمتصدق الط
 رجل بصيوان الغمامة جدّه ال
 وأبوه حيدرة الذي بعلمومه
 والأم فاطمة المطهرة التي
 نسب كمنبلج الصباح يزينه
 السيّد السند السعيد الساجد الس
 قمر بكت عين السماء لأجله
 تالّه لا أنساه فرداً ظامياً
 والسيّد العباس قد سلب العدى
 والطفل شمس حياته قد أصبحت
 وبنو أميّة في جُسوم صحابه
 شربوا بكاسات القنا خمر الفنا
 وتقاطعت أرحامهم وجسومهم
 وتوارثوا من بعد سلب نفوسهم
 والسبط شاك ماله من ناصر
 ظام إلى ماء الفرات فإن يرم
 والقوم محدقة عليه بجحفل
 متلاطم سغبت^(٢) به أسيا فهم
 ومن العجائب أنّه يشكو الظما
 حامت عليه للحمام كواسر

(١) الطفل من طفلت الشمس : دنت للغروب . المؤثّل : الدائم .

(٢) السغوب والسغب : الجوع .

(٣) الكواسر جمع الكاسرة مؤنث الكاسر : العقاب . الطلا : ولد الظبي ساعة يولد . الصغير من كل شيء .

أُمت به سمر الرّماح وزرقها
هاتيك بالدم قد صبغن وهذه
عقدت سنابك صافنات خيوله
ودجت عجاجته ومدّ سواده
وكأنّ مالع الصوارم تحته
جيش ملا فوه الفلا وأتى فلا
أبناء من جحد الوصي وكذب الـ
بذلوا النفوس وبذلوا من جهلهم
فمحلّل قد صيروه محرّماً
وتعمّدوا قتل الوصي وحرفوا
وأثوا إلى قتل الحسين وأججوا
فسطا عليهم بالنزال بعزيمة
من فوق طرف أعوجي سابح
فرس حوافره بغير جماجم الـ
أضحى بمبيض الصباح مجلّلاً
ويكفّه سيف جراز باتر
فقر الجماجم والطلا بغراره^(٥)
فكأنّه وجواده وحسامه^(٦)

حمرأ وشهب الخيل دهماً جفلاً^(١)
صُبغت بنقع صبغةً لن تنصلا
من فوق هامات الفوارس قسطلا^(٢)
حتّى أعاد الصبح ليلاً أليلاً
برق تالّق في غمام فانجلى
أمت سنابك خيله تفلي الفلا
هادي النبيّ وكان حقاً مرسلأ
ماليس في الإسلام كان مبدلاً
ومحرّم قد غادروه محلّلاً
ما كان أحمد في الكتاب له تلا
ناراً لهيب ضرامها لن يُصطلى
تذرّ الحسام المشرفي مفلاً
كالبرق يسبق في سُراه الشمالأ^(٣)
فرسان في يوم الوغى لن تنعلا
وغدا بمسودّ الظلام مسربلا
عضب يضمّ الغمد منه جدولا^(٤)
من كلّ كفّار وأبرى المفصلا
يا صاحبي لمن أراد تأملاً

(١) الشهب والشهباء : بياض يتخلله سواد . الدهمة : السواد . الجفل من جفل الشعر : شعث وثار .

(٢) السنبك : طرف الحافر . ج السنابك . الصافنات جمع الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم مطرفاً حافر الرابعة . القسطل : المنية . الغبار الساطع في الحرب .

(٣) الطرف من الخيل : الكريم الطرفين . السابح من سبح في الماء : عام وانبسط فيه ويستعار لمر النجوم وجري الفرس . الشمال : ربح الشمال .

(٤) الجراز بضم المعجمة : السيف القطاع . الباتر : السيف القاطع ج بواتر . العضب : السيف القاطع .

(٥) الفقر : الحز . الطلا بضم المهملة وكسرهما : قشرة الدم . الغرار : حد السيف .

(٦) سبقه إلى مثل هذه البداعة شيخنا علاء الدين الشفهيّ بما هو أوسع وأبلغ راجع ج ٦ =

شمسٌ على الفلك المدار بكفه
والخيّل محدقةٌ بجيم جماله
والسبط يخرق المواكب حاملاً
فبسين سمر الخط يطعن أنجلاً
فتخال طاء الطعن أنى أعجمت
حتى إذا ما السبط آن مماته
داروا به نفر الطغاة بنو الزنا
ورماه بعض المارقين بعيطل
وأتى بغى بني ضباب صائلاً
وجثا على صدر الحسين وقلبه
فبرى سيف البغي رأساً طالما
واسود قرص الشمس ساعة قتله
ونعاه جبريل وميكائيل وإسرا
والطير في الأغصان ناح مغرداً
وأتى الجواد ولا جواد فوقه
عالي الصهيل بمقلة إنسانها
فسمعن نسوان الحسين صهيله
ينثون من جّون العيون مدامعاً
حتى إذا قُتل الحسين وأصبحت
ومنازل التنزيل حلّ بها العزا

قمرٌ منازلَه الجماجم والطلا
وقلوبهم في الغلي تحكي المرجلا^(١)
بعزيمةٍ تردّي الخميس الجحفلا
وببء بيض الهند يضرب أهلاً^(٢)
نقطاً وضاد الضرب كيف تشكّلا
وعليه سلطان الحمام تنوكتلا
ت العاهرات وطبقوا رحب الفلا
سهماً فخرّ على الصعيد مجدلاً
بالقسّ تغميض القطامي الأجدلا
حقداً وعدواناً عليه قد امتلا
لثم النبيّ ثنيتيه وقبلاً
أسفاً وشهب الفلك أمست أقلا
فيلٌ والعرش المجيد تزلزلا
والسوحش في القيعان ناح وأعولا
متوجّعاً متفجّعاً متوجّلاً
بالّ يسحّ الدمع نقطاً مهملاً
فبرزن من خلل المضارب نكتلا
حمرأً على بيض السوالف هُطلا^(٣)
من بعده غرّ المدارس عُطلا
ومن الجليس أنيس مربعها خلا

= ص ٢٢٣

(١) المرجل : القدر .

(٢) الأنجل من نجل الرجل نجلاً : وسعت عينه وحسنت . الأهلل : المسترخي المشفر أو الشفة .

(٣) ينثون من نثى نثوا : فرق ونشر . الجون : الأبيض . الأسود . السوالف جمع السالفة صفحة العنق ، وسالفة الفرس : ما تقدم من عنقه . هطل المطر : نزل متتابعاً متفرقاً عظيم القطر فهو هاطل والجمع هُطل .

وبغت وحق لمن بغى أن يجهلا
 جهراً وأجرراً للمعاصي أذिला
 حسرى يلاحظهن الحاظ الملا
 حبر الأمين مقيداً ومغلاً
 متحرك فيه الأسى لن يرحلا
 صاد الصعيد وأنت كفاف الكلا
 أقوت^(٢) وكن بها الأحبة نزلاً
 لما شددن على المطي الأرحلا
 لما زمن جمالهن البزلاً^(٣)
 أموية تبغي العطاء الأجزلا
 جهلاً ويتحفها السؤال معجلاً
 حادي وما سرت الركائب قفلاً
 ويزيد هاربي عذاباً منزلاً
 ما ليس تفعله الجبابة الأولى
 قان أبلى به الصعيد الممحلا
 هام تسير به السحائب جفلاً^(٤)
 عالي البروق يسح دمعاً مسبلاً
 عذب له أرج يحاكي المنذلاً^(٥)
 نصبت له في (خم) رايات الولا

بغت البغاة جهالة سبي النسا
 نصبوا بمرفوع القناة كريمة^(١)
 وسروا بنسوته السراة بلاملاً
 وغدوا بزين العابدين الساجد ال
 وسكينة أمست وساكن قلبها
 وبدال دمع العين منها غرقت
 وديارهن الأنسات بلاقع
 والصبر عني ظاعن مترحل
 ومدامعي فوق الخدود نوازل
 تسري بهن إلى الشام عصابة
 تُرضي يزيد لكي يزيد لها العطا
 فلألعن بني أمية ما حدا ال
 ولألعن زيادها ويزيدها
 تبألهم فعلوا بال محمد
 ولأبكين على الحسين بمدمع
 ياطف طاف على ثراك من الحيا
 ذوهيدب متراكب متلاحم^(٥)
 يشفيك إذ يسقيك منه بوابل
 ثم السلام من السلام على الذي

(١) الكريمة : كل جارحة شريفة .

(٢) أقوت الدار : خلت من ساكنيها .

(٣) زعم الجمال : خطمها . بزل البعير : انشق نابه . فهو بازل ج بوازل وبزل .

(٤) الحيا : المطر . هام فاعل من همي يهمني همياً أي سال لا يشبه شيء . جفل ؛ أي أسرع . والجفيل : الكثير .

(٥) الهيدب من السحاب : المتدلي الذي يدنو من الأرض . المتلاحم : المتلاصق والمتلائم .

(٦) الوابل : المطر الشديد . الأرج : الرائحة الطيبة : المنديل بفتح الميم . العود الطيب الرائحة .

وأجلُّ من للمصطفى الهادي تلا
 نيا وقالها بنيران القلا
 رجلٌ بأثواب العفاف تسربلا
 وتراه يوم الحرب ليثاً مُشبلاً
 مدَّت على كيوان باعاً أطولاً (١)
 ت المشركات المعذرات لمن غلا
 نبأ تصير له البصائر دُهلاً
 أوصافها تُعيي الفصح المقولا
 وعلت فجاوزت السماك الأعزلا
 دون القرابة والصحابة أفضل
 ما كان منها مُجملاً ومفصلاً
 للدين والدنيا أتم وأكمل
 في خيبر صعب الفتوح تسهلاً
 ألقت على الكفار عبئاً مُثقالاً
 بدمائه فوق الرمال مُرملاً
 ضرباً بصارم عزمه لن يُفلاً
 حتى اجتباهه ربُّنا وتقبلاً
 والأرض بالطوفان مفعمة ملا
 برداً وقد أذكت حريقاً مُشعلاً
 حيّات سحر كُنَّ قدماً أحبالاً
 ميت الدفين به وقام من البلا

تالي كتاب الله أكرم من تلا
 زوج البتول أخ الرسول مطلق الدُّ
 رجلٌ تسربل بالعفاف وجبدا
 تلقاه يوم السلم غيثاً مُسبلاً
 ذوالراحة اليمنى التي حسنتها
 والمعجزات الباهرات النيرا
 منها رجوع الشمس بعد غروبها (٢)
 ولسيره فوق البساط فضيلة (٣)
 وخطاب أهل الكهف منقبة غلت
 وصعود غارب أحمدٍ فضل له
 هذا الذي حاز العلوم بأسرها
 هذا الذي بصلاته وصلاته
 هذا الذي بحسامه وقناته
 وأباد مرحب في النزال بضربة
 وكتائب الأحزاب صيّر عمروها
 وتبوك نازل شوسها فأبادهم
 وبه توسّل آدم لَمّا عصى
 وبه دعانوح فسارت فلكه
 وبه الخليل دعا فأضحت ناره
 وبه دعاموسى تلقفت العصا
 وبه دعاعيسى المسيح فأنطق آل

(١) كيوان : زحل تحيط به منطقة نيرة يضرب به المثل في العلو والبعد . الباع : قدر مد
 اليدين .

(٢) مر حديث رد الشمس في الجزء الثالث ص ١٦٥ - ١٨٢ ط ٢ .

(٣) أخرجهما الثعلبي والفقهاء المغازلي والقزويني عن ابن عباس وأنس بن مالك وستأتي بلفظها في
 محلها إن شاء الله تعالى .

ويختم وإخاه النبي محمداً
عذل النواصب في هواه وعنفوا
ومدحته رغماً على أنافهم
وتراب نعل أبي تراب كلما
فعليه أضعاف التحيّة ما سرى
سمعاً أمير المؤمنين قصائد
عربيّة نشأت بحلّة بابل
سادت فشادت للعرندس صالح
وسمت قلوب حواسدي وسمت على
وعلت بمدحك يا عليّ ووازنت

حقاً وذلك في الكتاب تنزلاً
فعصيتهم وأطعت فيه من غلا
مدحاً به ربّي صدا قلبي جلا
مسّ القذا عيني يكون لها جلا
سارٍ وما سحّ السحاب وأهملا
تزداد مامراً الزمان تجملاً
فغدت تُخجل بالفصاحة جرولا
مجداً على هام النجوم مؤثلاً
[ثمّ العذار بعارضيه وسلسلا] (١)
[لم أبك ربّاً لأحبة قد خلا] (٢)

ما يتبع الشعر :

ذكر شاعرنا ابن العرندس في قصيدته هذه جملة من مناقب مولانا أمير المؤمنين وقد مرّ تفصيل بعضها ، وستوافيك كلمتنا الضافية في بعضها الآخر ، ونقتصر في المقام على ما أشار إليه بقوله :

وصعود غارب أحمد فضل له دون القرابة والصّحابة أفضل

عن عليّ رضي الله عنه قال : انطلق بي رسول الله ﷺ إلى الأصنام فقال :
إجلس فجلست إلى جنب الكعبة ثمّ صعد رسول الله ﷺ على منكبّي ثمّ قال :
انهض بي إلى الصنم فنهضت به فلمّا رأى ضعفي تحته قال : إجلس فجلست
وأنزله عني وجلس لي رسول الله ﷺ ثمّ قال لي : يا عليّ : إصعد على منكبّي .
فصعدت على منكبّه ثمّ نهض بي رسول الله ﷺ فلمّا نهض بي خيل لي أنّي لو
شئت نلت أفق السّماء وصعدت على الكعبة وتنحّي رسول الله ﷺ فألقيت صنمهم
الأكبر صنم قريش وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي رسول

(١) مطلع قصيدة للشيخ علاء الدين الحلي المذكورة في الجزء السادس ص ٤٤٣

(٢) هي قصيدة جمال الدين الخليعي المترجم في الجزء السادس ص ٢٩ - ٣٦ والقصيدة في الإمام السبط الشهيد تقدّر ب ٧٥ بيتاً كما مرّ في ج ٦ ص ٣٥ .

الله ﷺ : عالجه فعالجته فما زلت أعالجه ورسول الله ﷺ يقول : إيه إيه إيه . فلم أزل أعالجه حتى استمكننت منه . فقال : دقه فدققته وكسرتة ونزلت .

وفي لفظ : قال رسول الله ﷺ : إقذف به . فقذفت به فتكسر كما تنكسر القوارير ثم نزلت . وفي لفظ : ونزوت من فوق الكعبة .

وعن جابر بن عبد الله قال : دخلنا مع النبي ﷺ مكة وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله ﷺ فألقيت كلها لوجوها وكان على البيت صنمٌ طويلٌ يُقال له : هبل . فنظر النبي ﷺ إلى عليّ وقال له : يا عليّ ! تركب عليّ أو أركب عليك لألقي هبل عن ظهر الكعبة ؟ قلت : يا رسول الله ! بل تركبني : فلما جلس على ظهري لم استطع حمله لثقل الرسالة قلت : يا رسول الله ! بل أركبك . فضحك ونزل وطأاً لي ظهره واستويت عليه فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أردت أن أمسك السماء لأمسكتها بيدي ، فألقيت هبل عن ظهر الكعبة فأنزل الله تعالى : ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ (١) .

وعن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ لعليّ : قم بنا إلى الصنم في أعلى الكعبة لنكسره فقاما جميعاً فلما أتياه قال له النبي ﷺ : قم على عاتقي حتى أرفعك عليه فأعطاه عليّ ثوبه فوضعه رسول الله ﷺ على عاتقه ثم رفعه حتى وضعه على البيت فأخذ عليّ الصنم وهو من نحاس ، فرمى به من فوق الكعبة كأنما كان له جناحان .

هذه الأثرية أخرجتها أمة من الحفاظ وأئمة الحديث والتاريخ ، وأخذها منهم رجال التأليف في القرون المتأخرة وذكروها في كتبهم مرسلين إياها إرسال المسلم من دون أي غمز في سندها . وإليك جملة منهم :

١ - اسباط بن محمد القرشي المتوفى سنة ٢٠٠ روى عنه أحمد في المسند .

٢ - الحافظ أبو بكر الصغاني المتوفى سنة ٢١١ حكاه عنه السيوطي .

- ٣ - الحافظ ابن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥ حكاه عنه الزرقاني والسيوطي .
- ٤ - إمام الحنابلة أحمد المتوفى سنة ٢٤١ في مسنده ج ١ ص ٨٤ بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات .
- ٥ - أبو علي أحمد المازني المتوفى سنة ٢٦٣ روى عنه النسائي .
- ٦ - الحافظ أبو بكر البزار المتوفى سنة ٢٩٢ كما في الينابيع .
- ٧ - الحافظ ابن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ في الخصائص ص ٣١ .
- ٨ - الحافظ أبو يعلى الموصلي المتوفى سنة ٣٠٧ في مسنده .
- ٩ - الحافظ أبو جعفر الطبري المتوفى سنة ٣١٠ كما في جمع الجوامع .
- ١٠ - الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ كما في تاريخ الخميس .
- ١١ - الحافظ الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ في المستدرک ج ٢ ص ٣٦٧ وصححه .
- ١٢ - الحافظ أبو بكر الشيرازي المتوفى سنة ٤٠٧/ ١٠ في نزول القرآن من طريق جابر .
- ١٣ - الحافظ أبو محمد أحمد بن محمد العاصمي في زين الفتى في شرح سورة هل أتى .
- ١٤ - الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفى سنة ٣٤٠ روى عنه الخطيب إملاء .
- ١٥ - الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ روى من طريقه الخوارزمي .
- ١٦ - الحافظ الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ في تاريخه ج ١٣ ص ٣٠٢ .

١٧ - الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي المتوفى سنة ٤٨٣ في مناقبه من طريق أبي هريرة .

١٨ - الحافظ أبو عبدالله الفراوي المتوفى سنة ٥٣٠ كما في كفاية الكنجي .

١٩ - أخطب خطباء خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ في المناقب ص ٧٣ من طريق الحافظين : البيهقي والحاكم .

٢٠ - الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ في صفة الصفوة ج ١ ص ١١٩ .

٢١ - الحافظ رضي الدين أبو الخير الحاكمي في أربعينه في فضائل عليّ عليه السلام .

٢٢ - الحافظ أبو عبد الله ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ كما في الكفاية .

٢٣ - أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ في مطالب السؤل ص ١٢ .

٢٤ - أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ في التذكرة ص ١٧ .

٢٥ - الحافظ أبو عبد الله الكنجي المتوفى سنة ٦٥٨ في الكفاية ص ١٢٨ .
وقال : رواه الحاكم والبيهقي ، وهو حديث حسن ثابت عند أهل النقل .

٢٦ - الحافظ الصالحاني كما في تاريخ الخميس .

٢٧ - الحافظ محب الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٠ نقلاً عن أحمد وابن الجوزي والحاكمي .

٢٨ - جمال الدين أبو عبد الله ابن النقيب المتوفى سنة ٦٩٨ في تفسيره والعبير .

٢٩ - شيخ الإسلام الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ في فرائد السمطين .

٣٠ - الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ في تلخيص المستدرک وقال : إسناده نظيف والمتن منكر . قال الأميني : لم يك يعرف أي حافظ هذه النكارة في تلك القرون الخالية إلى أن جاد الدهر بالذهبي ، وكوى الحديث بعينه ، فكواه نار حقه ، غير أن تلك النكارة الموهومة دفنت معه ولم يتبع أثره فيها أي محدث بعده .

٣١ - الحافظ الزرندي المتوفى بضع سنة و ٧٥٠ في نظم درر السمطين .

٣٢ - الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠٧ عن ابن أبي شيبة ، وعبد الرزاق ، وأحمد ، وابن جرير ، والخطيب ، والحاكم وقال : صححه . وذكره في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٦٤ .

٣٣ - الحافظ أبو العباس القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ في المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٠٤ نقلاً عن ابن النقيب .

٣٤ - القاضي الديار بكري المالكي المتوفى سنة ٨٢/٩٦٦ في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٥ نقلاً عن الطبراني والزرندي والصالحاني وابن النقيب المقدسي والمحب الطبري وصاحب شواهد النبوة فقال : ثم إن علياً أراد أن ينزل فألقى نفسه من صوب الميزاب تأدباً وشفقةً على النبي ﷺ ولما وقع على الأرض تبسم فسأله النبي ﷺ عن تبسمه ؟ قال : لأنني ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع وما أصابني ألم . قال : كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وأنزلك جبريل ؟ وقال الشاعر :

قيل لي : قل في عليّ مدحاً	ذكره يحمد ناراً موصده
قلت : لا أقدم في مدح امرئ	ضلّ ذواللبّ إلى أن عبده
والنبيّ المصطفى قال لنا :	ليلة المعراج لمّا صعده
وضع الّه بظهري يده	فأحسّ القلب أن قد برده
وعليّ واضعُ أقدامه	في محلّ وضع الله يده

٣٥ - نور الدين الحلبي الشافعي المتوفى سنة ١٠٤٤ في السيرة الحلبيّة ج ٣

٣٦ - أبو عبد الله الزرقاني المالكي المتوفى سنة ١١٢٢ في شرح المواهب ج ٢ ص ٣٣٦ عن ابن أبي شيبه والحاكم فقال : قد أجاد القائل :

ياربّ بالقدم التي أوطأتها من قاب قوسين المحلّ الأعظما
وبحرمة القدم التي جعلت لها كتف المؤيد بالرسالة سلّما
ثبّت على متن الصراط تكرّماً قدمي وكن لي منقذاً ومسّلاً
واجعلهم ذخري فمن كاناله ذخراً فليس يخاف قطّ جهنّما

٣٧ - السيّد أحمد زيني دحلان المكي المتوفى سنة ١٢٣٢ في السيرة النبويّة هامش الحليّة ج ٢ ص ٢٩٣ فقال : وقد أجاد القائل :

ياربّ بالقدم التي أوطأتها إلى آخر الأبيات المذكورة

٣٨ - شهاب الدين الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ في شرح العينّة ص ٧٥ وقد مرّت كلمته في ج ٦ ص ٣٩ .

٣٩ - خواجه كلان القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في ينباع المودّة ص ١٩٣ عن البزار وأبي يعلى الموصلي .

٤٠ - الشيخ أبو بكر بن محمّد الحنفي المتوفى سنة ١٢٧٠ في قرّة العيون المبصرة ج ١ ص ١٨٥ .

٤١ - السيّد محمود القراغولي الحنفي في جوهرة الكلام ص ٥٥ ، ٥٩ .

الشاعر

الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العرنديس الحلي الشهير بابن العرنديس ، أحد أعلام الشيعة ومن مؤلّفي علمائها في الفقه والأصول ، وله مدائح ومراثي لأئمة أهل البيت عليهم السلام تنم عن تفانيه في ولائهم ومناوئته لأعدائهم ، ذكر شطراً منها شيخنا الطريحي في «المنتخب» وجملته منها مبثوثة في المجاميع والموسوعات ، وعقد له العلامة السماوي في «الطليعة» ترجمة اطراه فيها بالعلم والفضل والتقى والنسك والمشاركة في العلوم . وأشفع ذلك الخطيب الفاضل اليعقوبي في «البابليات» ، وأثنى عليه ثناءً جميلاً ، وذكر في «الطليعة» أنه توفي حدود سنة ٨٤٠

بالحالة الفيحاء ودفن فيها وله قبر يُزار ويتبرك به .

كان ابن العرندس يحاول في شعره كثيراً الجناس على نمط الشيخ علاء الدين الشافهيني المترجم في الجزء السادس ص ٤١٦ وتعلوه القوة والمتانة ، ويُعرب عن تضلعه في العربية واللغة ، ولولا تهالكه على ما تجده في شعره من الجناس الكثير لكان ما ينظمه أبلغ وأبرع ممّا هو الآن .

ومن شعر شيخنا الصّالح رائيةً اشتهر بين الأصحاب ، أنها لم تقرأ في مجلس إلا وحضره الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه ، توجد برمتها في منتخب شيخنا الطريحي ج ٢ ص ٧٥ وهي :

طوايانظامي في الزّمان لها نشرُ	يعطرها من طيب ذكراكُم نشر
قصائدُ ما خابت لهنّ مقاصدُ	بواطنها حمداً ظواهرها شكر
مطالعها تحكي النجوم طوالعاً	فأخلاقها زهراً وأنوارها زهر
عرائس تجلى حين تجلى قلوبنا	أكاليلها درّ وتيجانها تبر
حسان لها حسان بالفضل شاهد	على وجهها تبر يُزان بها التبر
أنظّمها نظم اللّالي وأسهر الليالي	لي ليحيى لي بها وبكم ذكر
فيا ساكني أرض الطفوف عليكمُ	سلامٌ مُحبّ ماله عنكم صبر
نشرت دواوين الثنا بعد طيّها	وفي كلّ طرس من مديحي لكم سطر
فطابق شعري فيكم دمع ناظري	فمبيض ذا نظمٌ ومحمّرٌ ذا نشر
فلاتتهموني بالسّلو فإنّما	مواعيد سلواني وحقّكم الحشر
فذلّي بكم عزّ وفقرّي بكم غنى	وعسري بكم يسر وكسري بكم جبر
ترقّ بروق السحب لي من دياركم	فينهل من دمي لبارقها القطر
فعيناي كالخنساء ^(١) تجري دموعها	وقلبي شديدٌ في محبّتكم صخر
وقفت على الدّار التي كنتم بها	فمغناكم من بعد معناكم قفر
وقد درّست منها الدّروس وطالما	بها درس العلم الإلهيّ والذكر

(١) هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث شاعرة صحابية شهيرة لها شعر كثير في رثاء أخيها لأبيها صخر وقد قتله بنو أسد .

وسالت عليها من دموعي سحائب
فراق فراق الروح لي بعد بعدكم
وقد أفلعت عنها السحاب ولم يجد
إمام الهدى سبط النبوة والد الأئمة
إمام أبوه المرتضى علم الهدى
إمام بكته الإنس والجنّ والسما
له القبة البيضاء بالطف لم تزل^(١)
وفيه رسول الله قال وقوله
حبي بثلاث ما أحاط بمثلها
له تربة فيها الشفاء وقبة
وذرية ذرية منه تسعة
أيقتل ظمناً حسين بكربلا
ووالده السّاقى على الحوض في غد
فوالهف نفسي للحسين وما جنى
رماه بجيش كالظلام قسيه الـ
لراياتهم نصب وأسيافهم جزم
تجمع فيها من طغاة أمية
وأرسلها الطاغى يزيد ليملك الـ
وشدّ لهم أزرأ سليل زيادها
وأمر فيهم نجل سعد لنحسه
فلما التقى الجمعان في أرض كربلا
فحاطوا به في عشر شهر محرم
فقام الفتى لما تشاجرت القنا
وجال بطرف في المجال كأنه

إلى أن تروى البان بالدمع والسدر
ودار برسم الدّار في خاطري الفكر
ولا درّ من بعد الحسين لهادر
ة ربّ النهى مولى له الأمر
وصي رسول الله والصنوّ والصهر
ووحش الفلا والطيرو البر والبحر
تطوف بها طوعاً ملائكة غر
صحيح صريح ليس في ذلكم نكر
ولي فمن زيد هناك ومن عمرو؟
يجاب بها الداعي إذا مسّه الضر
أئمة حق لا ثمان ولا عشر
وفي كلّ عضو من أنامله بحر؟
وفاطمة ماء الفرات لها مهر
عليه غداة الطفّ في حربه الشمر
أهله والخرصان أنجمه الزهر
وللنّقع رفع والرّماح لها جر
عصابة غدر لا يقوم لها عذر
عراق وما أغتته شام ولا مصر
فحلّ به من شدّ أزرهم الوزر
فما طال في الريّ اللعين له عمر
تباعد فعل الخير واقترب الشر
وبيض المواضي في الأكفّ لها شمر
وصال وقد أودى بمهجته الحر
دجى الليل في لآلء غرّته الفجر

(١) تلك القبة المقدسة كانت بيضاء في تلكم القرون وأما اليوم فقد تغشتها صفائح النضار ، فهي صفراء لونها تسرّ الناظرين كما أن باطنها سرح ممرد من قوارير .

له أربع للريح فيهن أربع
ففرق جمع القوم حتى كأنهم
فأذكرهم ليل الهرير فأجمع الكلا
هناك فدته الصالحون بأنفس
وحادوا عن الكفار طوعاً لنصره
ومدّوا إليه ذُبلاً سمهريّة (٤)
فغادره في مارق الحرب مارق
فمالَ عن الطرف الجواد أخو الندى الـ
سنان سنانٍ خارقٍ منه في الحشا
تجرّ عليه العاصفات ذيولها
فرجّت له السبع الطباق وزلزلت
فيالك مقتولاً بكته السماء دماً
ملا بسه في الحرب حمراً من الدما
ولهفي لزين العابدين وقد سرى
وآل رسول الله تسبى نسائهم
سبايا بأكوار المطايا حواسراً

لقد زانه كرّ وما شانه الفر
طيور بُغاث (١) شتّ شملهم الصقر
ب على الليث الهزبرؤ وقد هروا (٢)
يُضاعف في يوم الحساب لها الأجر
وجاد له بالنفس من سَعده الحُر (٣)
لطول حياة السبط في مدّها جزر
بسهم لنحر السبط من وقعه نحر
جواد قتيلاً حوله يصهل المهر (٥)
وصارم شمّر في الوريد له شمّر (٦)
ومن نسج أيدي الصافنات له طمر (٧)
رواسي جبال الأرض والتطم البحر
فمغير وجه الأرض بالدم محمر
وهنّ غداة الحشر من سندس خضر
أسيراً عليلاً لا يفكُّ له أسر
ومن حولهنّ الستريهتك والخدر
يلاحظهنّ العبد في الناس والحر

(١) البغاث بتثليث الباء : طائر أبغث أصغر من الرخم بطيء الطيران ج بغثان .

(٢) ليلة الهرير من ليالي صفين قتل فيها ما يقرب من سبعين ألف قتيل ولمولانا أمير المؤمنين ولاصحابه في تلك الليلة موقف شجاعة يذكر مع الأبد . الهرير كأثير . هرير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد .

(٣) الحر بن يزيد الرياحي التميمي البربوعي كان سلام الله عليه شريف قومه جاهلية وإسلاماً كما قاله ابن الأثير .

(٤) الذبيل بضم المعجمة ثم الموحدة المفتوحة جمع الذابل : الرقيق . السمهري : الرمح الصلب .

(٥) الطرف كما مر من الخيل : الكريم الطرفين : الأب والأم . المهر : ولد الفرس .

(٦) الشمر بفتح المعجمة من شمر تشميراً : مر مسرعاً . وأشمره بالسيف : أدرجه .

(٧) العاصفات : الأرياح الشديدة . الصافنات : «راجع ص ١٩» الطمر : الثوب البالي .

ورملة^(١) في ظلّ القصور مصونة
 فويلّ يزيد من عذاب جهنّم
 ملابسها ثوب من السمّ أسودّ
 تنادي وأبصار الأنعام شوأخصّ
 وتشكو إلى الله العليّ وصوتها
 فلا ينطق الطاغى يزيد بما جنى
 فيؤخذ منه بالقصاص فيحرم النعم
 ويشدوله الشادي فيطر به الغنا
 فذاك الغنا في البعث تصحيفه العنا
 أيقرع جهلاً ثغر سبط محمّد
 فليس لأخذ الثار إلا خليفة
 تحفّ به الأملاك من كل جانب
 عوامله في الدارعين شوارع
 تظللّه حقاً عمامة جدّه
 محيط على علم النبوة صدره
 هو ابن الإمام العسكري محمّد الت
 سليل علي الهادي ونجل محمّد الج
 عليّ الرضا وهو ابن موسى الذي قضى
 وصادق وعيد أنّه نجل صادق
 وبهجة مولانا الإمام محمّد
 سلالة زين العابدين السذي بكى
 سليل حسين الفاطميّ وحيدر ال

يناط على أقراطها الدرّ والتبر
 إذا أقبلت في الحسر فاطمة الطهر
 وآخر قانٍ من دم السبط محمر
 وفي كلّ قلب من مهابتها دعر^(٢)
 عليّ ومولانا عليّ لها ظهر
 وأنى له عذر ومن شأنه الغدر ؟
 ويم ويخلي في الجحيم له قصر
 ويسكب في الكأس النّضار له خمر
 وتصحيف ذاك الخمر في قلبه الجمر
 وصاحب ذاك الثغر يحمي به الثغر ؟
 يكون لكسر الدين من عدله جبر
 ويقدمه الإقبال والعزّ والنصر
 وحاجبه عيسى وناظره الخضر
 إذا ما ملوك الصيد ظلّ لها الجبر
 فطوبى لعلم ضمّه ذلك الصدر
 حقّي النقي الطاهر العلم الحبر
 واد ومن في ارض طوس له قبر
 ففاح على بغداد من نشره عطر
 إمام به في العلم يفتخر الفخر
 إمام لعلم الأنبياء له بقر
 فمن دمعه يئس الأعاشيب مخضر
 وصي فمن طهر نمي ذلك الطهر

(١) رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، شبيب بها عبد الرّحمن بن حسنّ بأبيات أولها :

رمّل هل تذكرين يسوم غزال
 إذ قطعنّا مسيرنا بالتمني

ولهذا التشبيب قصة توجد في معاجم التراجم .

(٢) الشواخص من شخص البصر ، أي : فتح عينيه فلم يطرف . الذعر : الفرع والخوف .

له الحسن المسموم عمّ فحبّذا الـ
سمي رسول الله وارث علمه
هم النور نور الله جلّ جلاله
مهابط وحي الله خزّان علمه
وأسماءهم مكتوبة فوق عرشه
ولولا هم لم يخلق الله آدماء
ولا سطحت أرض ولا رفعت سما
ونوح به في الفلك لمّادعانجا
ولولا هم نار الخليل لما غدت
ولولا هم يعقوب ما زال حزنه
ولان لداود الحديد بسرهم
ولمّا سليمان البساط به سري
وسخّرت الريح الرّحاء بأمره
وهم سرّ موسى والعصا عندما عصى
ولولا هم ما كان عيسى بن مريم
سري سرهم في الكائنات وفضلهم
علا بهم قدر وفخري بهم غلا
مصابكم يا آل طه ! مصيبة
سأندبكم يا عدّتي عند شدّتي
وأبكيكم مادمت حيّاً فإن أمت
عرّائس فكر الصالح بن عرندس
وكيف يحيط الواصفون بمدحكم
ومولّدكم بطحاء مكّة والصفّا
جعلتكم يوم المعاد وسيلتي
سبيلي الجديدان الجديد وحبكم
عليكم سلام الله ما لاح بارق

إمام الذي عمّ الوري جوده الغمر
إمام على آبائه نزل الذّكر
هم التين والزيتون والشفع والوتر
ميامين في أبياتهم نزل الذّكر
ومكنونة من قبل أن يُخلق الذر
ولا كان زيد في الأنعام ولا عمرو
ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر
وغيض به طوفانه وقضى الأمر
سلاماً وبرداً وانطفئ ذلك الجمر
ولا كان عن أيّوب ينكشف الضر
فقدّر في سردي يحير به الفكر
أسيلت له عين فيفيض له القطر
فغدوتها شهر وروحته شهر
أوامره فرعون والتقف السّحر
لعاذر من طيّ اللحود له نشر
وكلّ نبيّ فيه من سرهم سر
ولولا هم ما كان في الناس لي ذكر
ورزء على الإسلام أحدثه الكفر
وأبكيكم حزناً إذا قبل العشر
ستبكيكم بعدي المراثي والشعر
قبولكم يا آل طه لها مهر
وفي مدح آيات الكتاب لكم ذكر ؟
وزمزم والبيت المحرّم والحجر
فطوبى لمن أمسى وأنتم له ذخّر
جديد بقلبي ليس يُخلقه الدّهر
وحلّت عقود المزن وانتشر القطر

وله من قصيدة يرثي بها الحسين عليه السلام :

بات العذول على الحبيب مسهدا	فأقام عذري في الغر
ورأى العذار بسالفه مُسلسلا	فأقام في سجن الغر
هذا الذي أمسى عذولي عاذري	فيه وراقد مقلتيه
ريم ^(١) رمى قلبي بسهم لحاظه	عن قوس حاجبه أصاب
قمر هلال الشمس فوق جبينه	عال تغار الشمس من
وقوامه كالغصن رنحه الصبا	فيه حمام الحي باء
فيذا أراد الفتك كان قوامه	لدنا وجردت اللحاء
تلغاه منعطفاً قضيماً أميداً	وتراه ملتفتاً غزلاً
في طاء طرته وجيم جبينه	ضدان شأنهما الضلال
ليلٌ وصبحٌ أسود في أبيض	هذا أضلّ العاشقين
لا تحسبوا داود قدّر سرده	في سين سالفه فبان
لكنما ياقوت خاء خدوده	نم ^(٣) العذار به فصار ذ
يا قاتل العشاق يا من طرفه	الرشاق يرشقن أسهاماً
قسماً بئاء الثغر منك لأنه	ثغر به جيم الجمال تن
وبراء ريتي كالمدام مزاجه	شهد به تروى القلوب م
إنني لقد أصبحت عبدك في الهوى	وغدوت في شرح المحر
فاعدل بعبدك لا تجروا سمح ولا	تبخل بقرب من وفاك
وابد الوفا ودع الجفا وذر العفا	فلقد غدوت أخاغرا

(١) الريم : الظبي الخالص البياض .

(٢) منعطفاً : منثياً . القضيبي : السيف القطاع . القوس عملت من قضيب مشقوق . الاميد من ماد يميد ميذاً : تحرك واضطرب . الأغيد من غيد يغ عنقه لانت أعطافه فهو أغيد وهي غيداء .

(٣) نم نمّاً : زين .

(٤) الرشق : الرمي . الردى : الهلاك .

(٥) الثغر : مقدم الأسنان . الجمال : اللؤلؤ .

فجعت أُمِّيَّةً بالحسين محمّداً
أهدى الأنام من الضلال وأرشداً
بحر الندى مروى الصدا مُردى العدا
وأجلّهم حسباً وأكرم محتداً
صبح أضاً . نجمٌ هدى . بدرٌ بدا
لـ الخافقين ندىً وأسمعهم يداً
في الكرب لا يلقي لماءٍ مورداً
النبويّ قد ملأ الفدافدُ فدداً^(١)
غصبت حقوق بني الوصيِّ وأحمداً
فحكى الخضمُّ المدلهمُ المزبداً
جزمت بها الأسماء من حرف النداء
ملّت فصيّرت الجماجم سجّداً
فيه فجسّدت النجيع وعسجداً
عقيان تخترق العجاج الأريداً
وغدا الجبان من الرواعد مُرعداً
لا يختشي من شرب كاسات الردى
وبغين غرب العضب يضرب أهوداً^(٢)
وثنى السنان من الطعان مقصّداً^(٣)
فتكات (حيدر) يوم أحد في العدى
غصبت فأغضبت العليَّ وأحمداً
هادي الوصيِّ ولم يخافوا الموعداً

وفجعت قلبي بالتفرُّق مثلما
سبط النبيّ المصطفى الهادي الذي
وهو ابن مولانا عليّ المرتضى
أسمى الورى نسباً وأشرفهم أباً
بحرٌ طما . ليثٌ حمى . غيثٌ همى
السيد السند الحسين أعمُّ أمه
لم أنسه في كربلا متلظياً
والمقنب الأمويّ حول خبائه
عصبٌ عصت غضّت بخيلهم الفضاً
حمّت كتائبه وثار عجاجه
للنصب فيه زماجرٌ مرفوعةٌ
صامت صوافنه ويبض صفاحه
نسج الغبار على الأسود مدارعاً
والخيل عابسةً الوجوه كأنها الـ
حتى إذا لمعت بروق صفاحها
صال الحسين على الطغاة بعزمه
وغدا بلام اللدن يطعن أنجلاً
فأعاد بالضرب الحسام مفلاً
فكأنما فتكاته في جيشهم
جيشٌ يریدرضى يزيد عصابةً
جحّدوا العليّ مع النبيّ وخالفوا الـ

(١) المقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة . الفدافد بفتح الفاء : الفلاة . فدغد بضم

الفاء : الجافي الكلام المرتفع الصوت .

(٢) الأنجل : الواسع الطويل العريض ، يُقال : طعنة نجلاء . أي واسعة . الأهود من الهوادة : اللين والرفق .

(٣) المقصّدة من القصّدة بالكسر : القطعة مما يكسر . يُقال رمح قصد وقصيد وأقصّاد : أي متكسر .

عمداً فلم يجدوا ولياً مُرشداً
تسري مُسلسلةً ولنْ تتقيّداً
وأبواه يسقي الناس سلسله غداً
خُرصان في ظُلل العجاج وقد بدا^(١)
قمرٌ يقابل في الظلام الفرقد^(٢)
عنه اللباس وصيروه مجرّداً
والماء تنهله الذئاب مُبرّداً
أمسى على ترب الصعيد مُبّداً
كلُّ لأحقاف^(٣) الرمال توسّداً
من ربّهم فمن اقتدى بهم اهتدى
حيران لا يلقي نصيراً مُسعداً
وحياته منها القريب تبعداً
من كلّ ذي نقص يزيد تمرّداً
من غير ما جرم جناهُ ولا اعتدى
سَبَّع الشّداد وكان يوماً أنكداً
أمسى له ججر النبوة مرقداً
والدهربات عليه مشقوق الرّداً
ف العلم مطروفاً^(٥) عليه أرمداً
والطير ناح على عزاه وعدّداً^(٦)

وغواهم شيطانهم فأضلّهم
ومن العجائب أن عذب فراتها
طام وقلب السبط ظام نحوه
وكأنه والطرف والبتار وال
شمس على فلك وطوع يمينه
والسيد العباس قد سلب العدى
وابن الحسين السبط ظمان الحشا
كالبدري مقطوع الوريد له دم
والسّادة الشهداء صرعى في الفلا
فأولئك القوم الذين على هدى
والسبط حرّان الحشا لمصائبهم
حتى إذا اقتربت أبا عيد الرّدى
دارت عليه علوج آل أميّة
فرموه عن صُفر القسيّ بأسهم^(٤)
فهوى الجواد عن الجواد فرجت الـ
واحتزّ منه الثمر رأساً طالماً
فبكته أملاك السّماوات العلى
وارتدّ كفّ الجود مكفوفاً وطر
والوحش صاح لما عراه من الأسى

(١) الطرف . راجع ص ١٩ البشار : السيف القاطع . الخرصان : جمع الخرص ، الرمح القصير السنان .

(٢) هذه البداعة مأخوذة من علاء الدين الشفهيّ كما مرّت في ج ٦ ص ٣٦٢ ومرّت لابن العرندس أيضاً في هذا الجزء ص ٥ .

(٣) الأحقاف جمع الحقف : ما اعوج من الرمح واستطال .

(٤) الصفر : الدائرة . القسيّ جمع القوس : آلة معروفة ترمى بها السهام .

(٥) المطروفة من العين : التي أصابها شيء فدمعت .

(٦) عدّد الميت : عد مناقبه ووصفها .

بأكي الحزين مُقيّداً ومُصفداً
فغدا بضامرها^(١) مُقيماً مُقعداً
فجري ووسط الخدم منها خدداً
سجعت فأخرست الفصيح المنشداً
حمر تطوّقت الظلام الأسودا
ردّي الجواب فجعت قلبي المكمداً
وأكفك حمر تحاكي العسجداً
ولهيب قلبي ناره لن تخمداً
جزمت به نوح النوائح سرمداً
لاقي النجاة بها وكنّت له الفدا
قأن مسحّت به يديّ تورداً
طوقاً بسين سواد قلبي أسوداً
ونجيع دمعي سائل لن يجمداً
وابك وكن لي في بكائي مُسعداً
حادٍ وما غار الحجيح وأنجداً^(٣)
ويزيد هاربي عذاباً سرمداً
حتى أوسد في التراب مُلحداً
من درّ ألفاظي حساناً خرداً
قُسا^(٤) وبات لها لبيد^(٥) مُبلداً
أضحى بها جيد الزمان مُقلداً
في الخلد مع حور الجنان تخلصداً

وسروا بزين العابدين الساجد الـ
وسكينة سكن الأسي في قلبها
وأسال قتل الطفّ مدمع زينب
ورأيت ساجعة تنوح بأيككة^(٢)
بيضاء كالصبح المضيء أكفها
ناشدتها يا ورق ! ما هذا البكا
والطوق فوق بياض عنقك أسود
لمّارات ولهي وتسألني لها
رفعت بمنصوب الغصون لها يداً
: قُتل الحسين بكر بلاياليته
فإذا تطوّق ذاك دمعي أحمر
ولبست فوق بياض عنقي من أسي
فالآن هاذي قصّتي يا سائلي
فاندب معي بتقرّح وتحرق
فلألعنن بني أمية ما حدا
ولألعنن يزيد لها وزيادها
ولأبكين عليك يا بن محمّد
ولأحلين على علاك مدائحاً
عرباً فصاحاً في الفصاحة جاوزت
قلدتها بقلائد من جودكم
يرجوها نجل العرندس صالح

(١) ضمير فهو ضامر : هزل ودقّ وقلّ لحمه .

(٢) الأيككة : الشجر الكثير الملتفّ .

(٣) غار الرجل : سار . انجد الرجل : أتى نجداً . قرب من أهله .

(٤) قس بن ساعدة الايادي خطيب العرب قاطبة والمضروب به المثل في البلاغة .

(٥) لبيد بن ربيعة العامري توفي في أول خلافة معاوية وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة .

وسقى الطفوف الهامرات من الحيا سُحِبَتْ سَحَابٌ عَيُونَهَا دَمْعُ النَّدى^(١)
ثمَّ السَّلام عليك يا ابن المرتضى ما ناح طيرٌ في الغصون وغردا
وله قصيدة تناهز ٥٦ بيتاً يرثي بها الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه
توجد في المنتخب لشيخنا الطريحي ج ٢ ص ١٩ ط بمبيء مطلعها :
نوحوا أياشيعة المولى أباحسن على الحسين غريب الدار والوطن

(١) الهامرات من همر الماء : انصب . والهمّار من السحاب : السيل . الحيا : المطر . سح الماء : صيد صيلاً متتابعاً غزيراً . الندى : المطر .

٧٣ - ابن داغر الحلي

يطوى له سهل الفلاو وهادها
يُبنى على هام السّمك عمادها
عند الإله مكرّم وفّادها
أهل الفتوة ربّهم مقتادها
والفاضلات طريفها وتلادها^(١)
وإمامها وهما مها وجوادها
والخيل قد نسج القتام طرادها
منه يحذر جمعها أحادها
جرد تجذ إلى القتال جياها^(٢)
زجل تنشرف في البلاد جرادها
وسيوفها قد كسرت أغمادها

حيّا الإله كتيبة مرتادها
قصدت أمير المؤمنين بقبة
وفدت على خير الأنام بحضرة
فيها الفتى وابن الفتى وأخو الفتى
فله الفخار قديمه وحديثه
مولى البرية بعد فقد نبيّها
وإذا القروم تصادمت في معرك
وترى القبائل عند مختلف القنا
والشوس تعثر في المجال وتحتها
فكأن منتشر الرعاع لدى الوغا
ورما هم قد شطّيت عيدانها^(٣)

(١) الطريف : المكتسب حديثاً . التلاد والتلبد : ما كان من قديم .

(٢) الشوس جمع أشوس : الشديد الجريء في القتال . تعثر يُقال : عثر الرجل عثوراً إذا هجم على أمر لم يهجم عليه غيره . المجال : محل الجولان أي الميدان . جرد جمع الأجرد : السباق من الخيل . يجذ من جذ في سيره : أسرع : الجياد جمع الجواد : السريع من الفرس .

(٣) شطى تشظية : فرق ، تشظى العود : تطاير شظايا . عيدان وأعود وأعواد جمع عود : الخشب .

والسمر تصعد في الرؤوس نصولها
وعليه من جهد البلاء جلادها
متصدّياً لكماتها يصطادها
حتى تقطّع في الوغا أعضادها
أبوابهم فتأحها سداً لها
عام الوداع وكلّهم أشهادها
بركاته ما تنتهي أعدادها
تخفي لآل محمّد أحقادها
أضغانها في ظلمها أجنادها
بصائر عميت وضلّ رشادها
فقضت وقد شاب الحياة نكادها^(١)
قتل الحسين وذبح أولادها
في أمة ضلّت وطال فسادها
في السالفين فراق لي إنشادها
وسيفه نصبت لكم أعوادها^(٢)
ساد البرية فضلها وسدادها !
خير الأنام وأنتم أمجادها
حكماءؤها عبّادها زهادها
أمّا الحروب فأنتم أسادها
نهج الهدى ومشت به عبّادها
بكرأى يقرّب فضلها حسّادها
بمحاسن من حسنكم تزدادها

والشهب تغمد في الرؤوس نصولها
فترى هناك أخا النبي محمّد
متردياً عند اللقا بحسامه
عضد النبي الهاشمي بسيفه
واخاه دونهم وسدّ دوينه
وجباه في (يوم الغدير) ولاية
فغدا به (يوم الغدير) مفضلاً
قبلت وصيّة أحمد وبصدرها
حتى إذا مات النبي فأظهرت
منعوا خلافة ربّها ووليّها
واعصو صبوا في منع فاطم حقّها
وتوفيت غصصاً وبعد وفاتها
وغدا يسبّ على المنابر بعلمها
ولقد وقفت على مقالة حاذق
[أعلى المنابر تعلنون بسبّه
يا آل بيت محمّد يا سادة
أنتم مصابيح الظلام وأنتم
فضلاؤها علماءؤها حلماءؤها
أمّا العباد فأنتم ساداتها
تلك المساعي للبرية أوضحت
وإليكم من شاردات (مغامس)
كملت بوزن كمالكم وتزيّنت

(١) الشهب جمع الشهاب : السنان . سمي به لما فيه من بريق . نصول جمع النصل : حديدة

الرمح والسهم . السمر : الرمح . صعاد جمع الصعدة : القناة المستوية .

(٢) اعصو صبوا : اجتمعوا وصاروا عصائب . شاب : خلط وغش . النكاد : الكدر .

(٣) هذا البيت من قصيدة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي الحلبي رحمه الله المتوفى سنة ٤٦٦ .

ناديتها صوتاً فمذاً سمعتها
نفقت لديّ لأنّها في مدحك
رحم الإله ممّداً أقلامه
فتشّف عواكبات أسلفتها
جرماً لو أنّ الراسيات حملنه
هيهات تُمنع عن شفاعته جدّكم
صلى الإله عليكم ما أرعدت
وله قوله من قصيدة تناهز الاثنين والتسعين بيتاً :

كيف السّلامة والخطوب تنوب
إنّ البقاء على اختلاف طبائع
العيش أهونه وما هو كائن
والدهر أطوارٌ وليس لأهله
ليس اللبيب من استغرب بعيشه
يا غافلاً ! والموت ليس بغافلٍ
أبدت لهوك إذ زمانك مقبل
فمن النصير على الخطوب إذا أتت
علل الفتى من علمه مكفوفة
وتراه يكدح في المعاش ورزقه
إنّ الليالي لا تزال مجدة
من سرّ فيها ساءه من صرفها
عصفت بخير الخلق آل محمّد
أمّا النبيّ فخانه من قومه
من بعد ما ردّوا عليه وصاته
ونسوار عاية حقّه في حيدر
فأقام فيهم برهة حتى قضى

ومصائب الدنيا الغرور تصوب ؟
ورجاء أن ينجو الفتى لعصيب
حتمّ وما هو واصل فقر يب
إن فكروا في حالتيه نصيب
إنّ المفكّر في الأمور لبيب
عش ما تشاء فإنّك المطلوب
زاهٍ وإذ غصّ الشباب رطيب
وعلا على شرخ الشباب مشيب
حتى الممات وعمره مكتوب
في الكائنات مقدّرٌ محسوب
في الخلق أحداثٌ لها وخطوب
ريبٌ له طول الزمان مريب
نكباء إعصار لها وهبوب^(١)
في أقربيه مجانبٌ وصحيب
حتى كأنّ مقالَه مكذوب
في «خَم» وهو وزيره المصحوب
في الغيظ وهو بغيظهم مغضوب

(١) الإعصار : ريح ترتفع بالتراب . الهبوب من الرياح : المثيرة للغبرة .

ومنها قوله في رثاء الإمام السبط عليه السلام :

بأبي الإمام المستظام بكر بلا
بأبي الوحيد وماله من راحم
بأبي الحبيب إلى النبي محمد
يا كربلاء أفيلك يقتل جهرة
ما أنت إلا كربة وبلية
لهفي عليه وقد هوى متعفراً
لهفي عليه بالطفوف مجدلاً
لهفي عليه والخيول ترضه
لهفي له والرأس منه مميز
لهفي عليه ودرعه مسلوكة
لهفي على حرم الحسين حواسراً
حتى إذا قطع الكريم بسيفه
لله كم لطمت خدوداً عنده
ما أنسى إن أنسى الزكية زينباً
تدعو وتندب والمصاب تكظها
أخي بعدك لا حيت بغبطة
أخي بعدك من يدافع جاهلاً
حزني تذوب له الجبال وعنده

الشاعر :

الشيخ مغامس بن داغر الحلبي : طفح بذكر المغامس في حب آل الله صلى

(١) الاوام : العطش . الفادح : الصعب المثل . اللغوب : المتعب المعني .

(٢) الخبيب من خب الفرس في عدوه : راوح بين يديه ورجليه أي قام على احدهما مرة وعلى الأخرى مرة .

(٣) لكظها من كظ الأمر كظاً : غم وبهظ . الطفوف جمع الطف : ما أشرف من الأرض .

الله عليهم غير واحد من المعاجم المتأخرة كالحصون المنيرة للعلامة الشيخ علي آل كاشف الغطاء ، والطليعة للعلامة السماوي ، والباليات للخطيب اليعقوبي ، وذكر شطراً من شعره شيخنا فخر الدين الطريحي في المنتخب ، والأديب الإصبهاني في التحفة الناصرية ، وتضمن غير واحد من المجاميع قريظه المتدفق بمدح أهل بيت الوحي أئمة الهدى وراثتهم صلوات الله عليهم حتى جمع منها الشيخ السماوي ديواناً باسم المترجم يربو على ألف وثلاثمائة وخمسين بيتاً ولعلّ التالف منها أكثر وأكثر .

فهو من شعراء أهل البيت المكثرين المتفانين في حبهم وولائهم غير أن الدهر أنسى ذكره الخالد ، ولعلّ هذا الإنقطاع عن غيرهم ^{عليهم} هو الذي قطع أطراد ذكره في جملة من الموسوعات أو المعاجم لمن لا يألّف إلى ودّهم كما فعلوا ذلك بالنسبة إلى كثيرين من أمثال المترجم فتركوا ذكره أو أثبتوه بصورة مصغرة ، وعندهم مكبرات لذكريات أناس هم دون أولئك في الفضيلة والأدب ، وكم للتاريخ من جنائيات في الخفض والرفع ؛ والجّر والنصب ؛ لا تستقصي ؟ .

كان الشيخ مغامس من إحدى القبائل العربية في ضواحي الحلة الفيحاء ، فهبطها للدراسة ، ولم يبارحها حتى قضى بها نحبه شاعراً خطيباً ، في أواسط القرن التاسع ويعرب شعره عن أنه كان له شوط في مضمار الخطابة كما كان يركض في كلّ حلبة من حلبات القريض قال :

فتارة أنظم الأشعار ممتدحاً وتارة أنثر الأقوال في الخطب

وكان أبوه داغر شاعراً موالياً وهو الذي علّمه قرض الشعر ومرّنه على ولاء العترة الطاهرة كما يأتي في قوله :

أعملت في مدحكم فكري فعلمني نظم المديح وأوصاني بذاك أبي

فحيى الله الوالد والولد . وإليك فهرست قصائده التي وقفنا عليها في

مجاميع الأدب :

عدد الأبيات

المطلع

عدد القصائد

١ محبّ الليالي في مساعيه متعب يساق إليه حتفه وهو يدأب ٩٣

- ٢ تذكّر ما أحصى الكتاب فتأبأ وحاذر من مسّ العذاب عقاباً ٩٢
 ٣ أصبحت للتقوى بجهلك تدّعي دعواك باطلة إذا لم تقلع ٨١
 ٤ هل حين عمّمه المشيب وقتّعنا؟ أترأه يصنع في الهداية مصنعا ٩٠؟
 ٥ أطلب دنياً بعد شيب قدال؟ (١) وتذكر أياماً مضت وليالي ٩٢؟

توجد جملة من هذه القصيدة في المنتخب ج ٢ ص ٤٥ ط بمبيء .

- ٦ فصلت صروف الحادثات مفاصلي وأصاب سهم النائبات مقاتلي
 قطع الزمان عرى قواي وكلمّا قطع الزمان فماله من واصل ٧٧

هذه القصيدة ذكرها شيخنا الطريحي في المنتخب ج ٢ ص ٣٦ .

- ٧ لغيرك يا دنيا نيت عناني وذاك لأمر عن غنالك عناني ٩٩
 توجد هذه القصيدة برمتها في المنتخب ج ٢ ص ٥٨ .

- ٨ لبني الهادي مناحي في غدوي ورواحي
 صاح ما قلبي بصاح ما لحزني من براح ١٠٥
 ٩ هجر الغمض وسادي وكوى الحزن فؤادي
 فحياتي في نكادي لقتيل ابن زياد ٦٢
 ١٠ ليتني كنت فداءً للحسين وهو بالطفّ قطيع الودجين
 ينظر الشمر بعينٍ وبعينٍ ينظر النسوة بين العسكرين ١٠٦
 ١١ بكيت وما الريعان الشباب ولا لدروس منزلة خراب
 ولا لفوات عيش مستطاب ولا لفراق زينب والرباب ٨٠
 ١٢ صحبتك لا أني بوذك مغرم فبيني فغيري في هواك المتيّم ٨٨
 ١٣ رحل الشباب وإنه لكريم وفراغه عند النفوس عظيم ٨١
 ١٤ أزال الشباب الغضّ عنك مزيل فهل أنت للبيض الحسان خليل ؟ ٧٥
 ١٥ يمدح بها النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله :

عرج على المصطفى ياسائق النجب عرج على خير مبعوث وخير نبي

عَرَّجَ عَلَى السَّيِّدِ الْمَبْعُوثِ مِنْ مُضَرٍ
عَرَّجَ عَلَى رَحْمَةِ الْبَارِي وَنِعْمَتِهِ
رَأَى آدَمَ نَوْرًا بَيْنَ أَرْبَعَةِ
فَقَالَ : يَا رَبِّ مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهُ
: هُمْ أَوْلِيَايَ وَهُمْ ذُرِّيَّةُ لَكُمْ
أَمَّا وَحَقُّهُمْ لَوْلَا مَكَانَهُمْ
كَأَنَّ لَا كَانَ مِنْ شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ
وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا شَجَرٍ
وَلَا جَنَانٍ وَلَا نَارٍ مُؤَجَّجَةٌ
وَقَالَ لِلْمَلَأِ الْأَعْلَى : أَلَا أَحَدُ
فَلَمْ يَجِيبُوا فَأَنْبَأَ آدَمَ بِهِمْ
فَقَالَ لِلْمَلَأِ الْأَعْلَى : اسْجُدُوا كَمَلًا
وَصَيَّرَ اللَّهُ ذَاكَ النُّورَ مَلْتَمَعًا
وَخَافَ نُوحٌ فَنَاجَى رَبَّهُ فَنَجَا
وَفِي الْجَحِيمِ دَعَا اللَّهَ الْخَلِيلُ بِهِمْ
وَقَدَّ دَعَا اللَّهَ مُوسَى إِذْ هَوَى صَعْقًا
فَظَلَّ مُنْتَقِلًا وَاللَّهُ حَافِظُهُ
حَتَّى تَقْسَمَ فِي عَبْدِ الْإِلَهِ مَعًا
فَأَوْدَعَ اللَّهُ ذَاكَ الْقِسْمَ أَمْنَةً
حَتَّى إِذَا وَضَعْتَهُ انْهَدَّ مِنْ فَرْعٍ
وَانْشَقَّ إِيَّوَانُ كَسْرَى وَانْطَفَتْ حَذْرًا
تَسَاقَطَتْ أَنْجُمُ الْأَمْلاكِ مُؤَذِّنَةً
حَتَّى إِذَا حَازَسْنَ الْارْبَعِينَ دَعَا
فَقَالَ : لَبَّيْكَ مِنْ دَاعٍ وَأَرْسَلَهُ
فَأَظْهَرَ الْمَعْجَزَاتِ الْوَاضِحَاتِ لَهُمْ

عَرَّجَ عَلَى الصَّادِقِ الْمَنْعُوتِ فِي الْكُتُبِ
عَرَّجَ عَلَى الْإِبْطَحِيِّ الطَّاهِرِ النَّسَبِ
لَأَلَا وَهَافُوقِ سَاقِ الْعَرْشِ مِنْ كُتُبِ
قَوْلِ الْمُحِبِّ وَمَا فِي الْقَوْلِ مِنْ رَيْبِ
فَقَرَّ عَيْنًا وَنَفْسًا فِيهِمْ وَطَبِ
مَنِّي لِمَادَارَاتِ الْأَفْلَاكِ بِالْقُطْبِ
وَلَا شَهَابٍ وَلَا أَفْقٍ وَلَا حُجْبِ
لِلنَّاسِ يَهْمِي ^(١) عَلَيْهِ وَكَافِ السَّحْبِ
جَعَلْتَ أَعْدَاءَهُمْ فِيهِمَا مِنَ الْحُطْبِ
يُنْبِي بِأَسْمَائِهِمْ صَدَقًا بِلَا كُذْبِ
لَهَا بِعِلْمٍ مِنَ الْجَبَّارِ مُكْتَسَبِ
لَأَدَمَ وَأَطِيعُوا وَاتَّقُوا غَضَبِي
فِي الْوَجْهِ مِنْهُ بِوَعْدِهِ مِنْهُ مَرْتَقِبِ
بِهِمْ عَلَى دَسْرِ الْأَلْوَاكِ وَالْخَشْبِ
فَأَخْمَدْتَ بَعْدَ ذَاكَ الْحَرَّ وَاللَّهْبِ
بِحَقِّهِمْ فَنَجَّاهُ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ
عَلَى تَنْقُلِهِ مِنْ حَادِثِ النُّوبِ
وَفِي أَبِي طَالِبٍ عَنْ عَبْدٍ مُطَّلَبِ
يَوْمًا إِلَى أَجْلِ الْحَمَلِ مُقْتَرَبِ
رُكْنَ الضَّلَالِ وَنَادَى الشَّرْكَ بِالْحَرْبِ
نِيرَانِهِمْ وَأَقْرَأَ الْكُفْرَ بِالْغَلْبِ
بِالرَّجْمِ فَاحْتَرَقَ الْأَصْنَامُ بِاللَّهْبِ
رَبِّي بِهِ فِي لِسَانِ الْوَحْيِ بِالْكِتَابِ
إِلَى الْبَرِيَّةِ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ
بِالْبَيِّنَاتِ وَلَمْ يَحْذَرْ وَلَمْ يَهَبِ

(١) همى الماء يهمي همياً : سال لا يشنيه شيء . الواكف : المطر المنهل .

ما بالهم خالفوا؟ من أعجب العجب
 فعاذ منهم رسول الله بالهرب
 على الفراش وفي يمناه ذو شطب^(٢)
 وأوغلوا الرسول الله في الطلب
 تسدي وتلحم في أبرادها القشب
 ذاك النجيب على المهرية النجب
 أعدائه قدماء القوم في صلب
 منه على عابدي الأوثان والصلب
 مشي العفرنة في غاب القنا السلب
 برائن^(٣) من رماح الخط والقضب
 معاقل القوم غير البيض واليلب^(٤)
 والشرك في ترح والكفر في نصب
 بهم وراحتهم في ذلك التعب
 فليس من بعده في العالمين نبي
 فأنت أولهم في أول الرتب
 خلت فما كنت فيما بينهم بغبي^(٥)
 تكون في باطل يوماً بمنجذب
 حباً ومن يدعه المحبوب يستجب
 وكان بعدك فيهم خير منتصب
 تخيروه وليس النبع كالغرب^(٦)

أراهم الآية الكبرى فواعجاً
 رامت بنوعمه تببيته سحراً
 وبات يفديه خير الخلق حيدر^(١)
 فأدبروا إذراً وأغير الذي طلبوا
 فراهم عنكب في الغار إذ جعلت
 حتى إذ اردتهم عنه الإله مضى
 فحل دار رجال بايعوه علي
 في كل يوم لمولى الخلق واقعة
 يمشي إلى حربهم والله ناصره
 في فتية كالأسود المحذرات لها
 عافوا المعاقل للبيض الحسان فما
 فالحق في فرح والدين في مَرَح
 حتى استراح نبي الله قاضية
 يامن به أنبياء الله قد ختموا
 إن كنت في درجات الوحي خاتمهم؟
 قد بشرت بك رسل الله في أمم
 شهدت أنك أحسنت البلاغ فما
 حتى دعاك إلهي فاستجبت له
 وقد نصبت لهم في دينهم خلفاً
 لكنهم خالفوه وابتغوا بدلاً

(١) مر حديث ليلة المبيت في الجزء الثاني ص ٦٦

(٢) الشطب جمع الشطبة بضم الأول وكسره . الخط في متن السيف .

(٣) البرثن من السباع والطير بمنزلة الاصبع من الإنسان جمع : برائن .

(٤) المعقل : الملجأ . البيض جمع بيضاء : السيف . اليلب : الترس أو الدروع اليمانية من الجلود . خالص الحديد .

(٥) المستور : المجهول .

(٦) النبع : خروج الماء من العين . الغرب : الماء المقطر من الدلو بين الحوض والبئر .

ويقول فيها :

إلى زيارة خير المعجم والعرب
ونلت إدراك ما في النفس من إرب
وسيد الخلق من ناءٍ ومُقْتَرِب
حتى كأنني ذاك اليوم لم أغيب
بها أحبة صبَّ دائم الوصب
وقل بدمع على الخدين مُنْسَكِب
وأطهر الخلق في أصل وفي نسب
كما تعلق في أسبابكم سببي
لأدان لم يدن من أحسابكم حسبي
مأعشت والظنُّ في معرفكم نشبي
فإن قلبي عنكم غير منقلب
وحبكم قد جرى في المخ والعصب
صدقي وحيي وفي مدحي لكم طربي
وتارة أنشر الأقوال في الخطب
إذ صغت فيكم قريض القول من ذهب
نظم المديح وأوصاني بذلك أبي
مما احتقت له في سائر الحقب ؟
تلك القوافي وأجر الله فاحتسب

ياراكب الهوجل المحبوك تحمله^(١)
إذا قضيت فروض الحجِّ مكتملاً
وزرت قبر رسول الله سيّدنا
قف موقفي ثم سلّم لي عليه معاً
واثن السّلام إلى أهل البقيع فلي
وبثهم صبوتي طول الزمان لهم
: يا قدوة الخلق في علم وفي عملٍ
وصلت جبل رجائي في حبائلكم
دنوت في الدين منكم والوداد فلو
مديحكم مكسي والدين مكتسبي
فإن عدتني اللبالي عن زيارتكم
قد سيط لحمي وعظمي في محبتكم
هجري وبغضي لمن عاداكم ولكم
فتارة أنظم الأشعار ممتدحاً
حتى جعلت مقال الضدّ من شبه
أعملت في مدحكم فكري فعلمني
فهل أنال مفازا في شفاعتكم
فيما مغامس ! إحبس في مدائحهم

(١) الهوجل : الناقة التي بها هوج من سرعتها . المحبوك : مشدود الوسط .

٧٤ - الحافظ البرسي الحلبي

هو المسك ؟ أم طيب الوصي يفوح ؟
 وآدم ؟ أم سرُّ المهيمن نوح ؟
 وهارون ؟ أم موسى العصا ومسيح ؟
 عليٌّ ؟ نماء هاشمٌ وذبيح
 وفلكٌ جمالٌ للأنام ويوح^(١)
 وجثمانٌ أمرٌ للخلائق روح
 من الله في الذكر الممين صريح
 فميزانه يوم المعاد رجيح
 لها بين كلِّ العالمين وضوح
 به النور باد واللسان فصيح
 تولَّى العدوَّ الجلد وهو طريح
 سلامٌ سليمٌ يغتدي ويروح

هو الشمس ؟ أم نور الضريح يلوح ؟
 وبحرٌ ندا ؟ أم روضة حوت الهدى ؟
 وداودُ هذا ؟ أم سليمانٌ بعده ؟
 وأحمدُ هذا المصطفى ؟ أم وصيه
 محيط سماء المجد بدر دجنة
 حبيب حبيب الله بل سرُّ سره
 له النصُّ في (يوم الغدير) ومدحه
 إمامٌ إذا ما المرء جاء بحبه
 له شيعَةٌ مثل النجوم زواهرُ
 إذا قاوت فالحقُّ فيمات قوله
 وإن جاوت أوجادت عن مرامها
 عليك سلام الله يا راية الهدى

وتأتي له قصيدة منها قوله :

خضعت لها الأعناق وهي طوايح

مولي له بغدير خم بيعة

(١) يوح : الشمس .

الشاعر :

الحافظ الشيخ رضي الدين رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلبي ، من عرفاء علماء الإمامية وفقهائها المشاركين في العلوم ، على فضله الواضح في فن الحديث ، وتقدمه في الأدب وقرض الشعر وإجادته ، وتضلعه في علم الحروف وأسرارها واستخراج فوائدها ، وبذلك كله تجد كتبه طافحة بالتحقيق ودقة النظر ، وله في العرفان والحروف مسالك خاصة ، كما أن له في ولاء أئمة الدين عليهم السلام آراء ونظريات لا يرتضيها لفيث من الناس ، ولذلك رموه بالغلو والإرتفاع ، غير أن الحق أن جميع ما يشبه المترجم لهم عليهم السلام من الشؤون هي دون مرتبة الغلو وغير درجة النبوة ، وقد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله : إياكم والغلو فينا ، قولوا : إنا عبيد مربوبون . وقولوا في فضلنا ما شئتم ^(١) وقال الإمام الصادق عليه السلام : إجعلوا لنا رباً نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم . وقال عليه السلام : اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا ^(٢) .

وأنى لنا البلاغ مدية ما منحهم المولى سبحانه من فضائل ومآثر ؟ وأنى لنا الوقوف على غاية ما شرفهم الله به من ملكات فاضلة ، ونفسيات نفيسة ؛ وروحيات قدسية ، وخلائق كريمة ، ومكارم ومحامد ؟ فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ؟ أو يمكنه اختياره ؟ هيهات هيهات ضلّت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وخسئت العيون ، وتصاغرت العظماء ، وتحيرت الحكماء ، وتقاصرت الحكماء ، وحصرت الخطباء ، وجهلت الالباء ، وكلت الشعراء ، وعجزت الأدباء ، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه ، وفضيلة من فضائله ، وأقرت بالعجز والتقصير ؛ وكيف يوصف بكلمة ؟ أو ينعت بكنهه ؟ أو يفهم شيء من أمره ؟ أو يوجد من يقوم مقامه ويغني عنه ؟ لا . كيف ؟ وأنى ؟ فهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين ، فأين الاختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ^(٣) ؟ .

(١) الخصال لشيخنا الصدوق .

(٢) بصائر الدرجات للصفار .

(٣) من قولنا : فمن ذا الذي يبلغ . إلى هنا مأخوذ من حديث رواه شيخنا الكليني ثقة الإسلام =

ولذلك تجد كثيراً من علمائنا المحققين في المعرفة بالأسرار يثبتون لأئمة الهدى صلوات الله عليهم كل هاتيك الشؤون وغيرها مما لا يتحمّله غيرهم ، وكان في علماء قم من يرمي بالغلو كل من روى شيئاً من تلكم الأسرار حتى قال قائلهم : إنَّ أول مراتب الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ إلى أن جاء بعدهم المحققون وعرفوا الحقيقة فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزناً ، وهذه بليّة مُني بها كثيرون من أهل الحقائق والعرفان ومنهم المترجم ، ولم تزل الفتان على طرفي نقیض ، وقد تقوم الحرب بينهما على أشدها ، والصلح خير .

وفذلكة المقام أنَّ النفوس تتفاوت حسب جبالاتها واستعداداتها في تلقي الحقائق الراهنة ، فمنها ما تبهّطه المعضلات والأسرار ، ومنها ما ينسط لها فيسقط إليها ذراعاً ويمدُّ لها باعاً ، وبطبع الحال إنَّ الفئة الأولى لا يسعها الرضوخ لما لا يعلمون ، كما أنَّ الآخرين لا تبيح لهم المعرفة أن يذروا ما حقّقوه في مدحرة البطلان ، فهناك تثور المنافرة ، وتحتدم الضغائن ، ونحن نقدر للفريقين مساعهم لما نعلم من نواياهم الحسنة وسلوكهم جدد السبيل في طلب الحق ونقول :

على المرء أن يسعى بمقدار جهده وليس عليه أن يكون موفّقاً

ألا إنَّ الناس لمعادن كمعادن الذهب والفضة^(١) وقد تواتر عن أئمة أهل البيت عليه السلام : أنَّ أمرنا ، أو حديثنا . صعب مستصعب لا يتحمّله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب ، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان^(٢) إذن فلا نتحرى وقیعة في علماء الدين ولا نمسُّ كرامة العارفين ، ولا ننقم من أحد عدم بلوغه إلى مرتبة من هو أرقى منه ، إذ لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها . وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : لو جلست أحدتكم ما سمعت من فم أبي القاسم عليه السلام لخرجتم من عندي وأنتم تقولون : إنَّ علياً من أكذب الكاذبين^(٣) .

= في أصول الكافي ص ٩٩ عن الإمام الرضا صلوات الله عليه .

(١) حديث ثابت عند الفريقين .

(٢) بصائر الدرجات للصفار ص ٦ ، أصول الكافي ص ٢١٦ .

(٣) منح المنة للشعراني ص ١٤ .

وقال إمامنا السيّد السّجّاد عليه السلام : لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ،
ولقد أخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فما ظنكم بسائر الخلق ^(١) وكلاً وعد الله الحسنى
وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً .

وإلى هذا يشير سيّدنا الإمام السّجّاد زين العابدين عليه السلام بقوله :

إنّي لأكتّم من علمي جواهره	كيلا يرى الحقّ ذو جهلٍ فيفتننا
وقد تقدّم في هذا أبو حسنٍ	إلى الحسين وأوصى قبله الحسننا
فرُبّ جوهر علمٍ لأبوح به	لقليل لي : أنت ممّن يعبد الوثننا
ولا استحِلّ رجالٌ مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسناً ^(٢)

ولسيّدنا الأمين في أعيان الشيعة ج ٣١ ص ١٩٣ - ٢٠٥ في ترجمة الرجل
كلمات لا تخرج عن حدود ما ذكرناه ومما نقم عليه به اعتماده على علم الحروف
والأعداد الذي لا تتمّ به برهنة ولا تقوم به حجة ، ونحن وإن صافقناه على ذلك إلّا
أنّ للمترجم له ومن حذا حذوه من العلماء كابن شهر آشوب ومن بعده عذراً في سرد
هاتيك المسائل فإنها أشبه شيء بالجدل تجاه من ارتكن إلى أمثالها في أبواب
أخرى من علماء الحروف من العامّة كقول العبيدي المالكي في عمدة التحقيق
ص ١٥٥ : قال بعض علماء الحروف : يؤخذ دوام ناموس آل الصديق وقيام عزّته
إلى انتهاء الدنيا من سرّ قوله تعالى : ﴿ في ذريّتي ﴾ . فإن عدّتها بالجمال الكبير
الف وأربعمائة وعشرة وهي مظنة تمام الدنيا كما ذكره بعضهم فلا يزالون ظاهرين
بالعزة والسيادة مدّة الدنيا ، وقد استنبط تلك المدّة عمدة أهل التحقيق مصطفى
لطف الله الرزنامجي بالديوان المصري من قوله تعالى : ﴿ لا يلبثون خلافاً لك إلّا قليلاً ﴾ ، قال ما لفظه : إذا أسقطنا مكرّرات الحروف كان الباقي (ل ا ي ب ث و ن
خ ف ك ق) أحد عشر حرفاً عددهم بالجمال الكبير ألف وثلاثمائة وتسعة وتسعين
زدنا عليه عدد الحروف وهو أحد عشر صار المجموع وهو ألف وأربعمائة وعشرة

(١) بصائر الدرجات للصّفا ص ٧ آخر الباب الحادي عشر من الجزء الأوّل . أصول الكافي لثقة
الإسلام الكليني ص ٢١٦ .

(٢) تفسير الألوسي ج ٦ ص ١٩٠ .

وهو مطابق لقوله تعالى : ﴿ذَرَيْتِي﴾ . وسمعت ختام الأعلام شيخنا الشيخ يوسف الفيشي رحمه الله يقول : قال محمد البكري الكبير : يجلس عقبا مع عيسى بن مريم على سجادة واحدة وهذا يقوي تصحيح ذلك الاستنباط . اهـ .

ونحن لا ندري ماذا يعني سيّدنا الأمين بقوله : وفي طبعه شذوذ وفي مؤلفاته خبطٌ وخطٌّ وشيءٌ من المغالاة لا موجب له ولا داعي إليه وفيه شيءٌ من الضرر وإن أمكن أن يكون له محل صحيح ؟ ليت السيّد يوعز إلى شيء من شذوذ طبع شاعرنا الفحل حتى لا يبقى قوله دعوى مجرّدة . وبعد اعترافه بإمكان محمل صحيح لما أتى به المترجم له فأَيّ داعٍ إلى حمله على الخطب والخط ، ونسيان حديث : ضع أمر أخيك على أحسنه ؟ وأَيّ ضرر فيه على ذلك التقدير ؟ على أنا سبرنا غير واحد من مؤلفات البرسي فلم نجد فيه شاهداً على ما يقول ، وستوافيك نبذة ممتعة من شعره الرائق في مدائح أهل البيت عليهم السلام ومراثيهم وليس فيها إلاّ إشادة إلى فضائلهم المسلّمة بين الفريقين أو ثناء جميل عليهم هو دون مقامهم الأسمى ، فأين يقع الإرتفاع الذي رماه به بعضهم ؟ وأين المغالاة التي رآها السيّد ؟ والبرسي لا يحذو في كتبه إلاّ حذو شعره المقبول ، فأين مقيل الخطب والضرر والغلو التي حسبها سيّد الأعيان ؟ .

وأما ما نقم به عليه من اختراع الصلوات والزيارة بقوله : (واختراع صلاة عليهم وزيارة لهم لا حاجة إليه بعدما ورد ما يغني عنه ولو سلّم أنّه في غاية الفصاحة كما يقول صاحب الرياض) فإنّنه لا مانع منه إلاّ ما يوهم المخترع أنّها مأثورة ، وأَيّ وازع من إبداء كلّ أحد تحيته بما يجريه الله تعالى على لسانه وهو لا يقصد وروداً ولا يريد تشريعاً ؟ وقد فعله فطاحل العلماء من الفريقين ممّن هو قبل المترجم وبعده ، ولا تسمع أذن الدنيا الغمز عليهم بذلك من أيّ أحد من أعلام الأُمّة .

وأما قول سيّدنا : «وإنّ مؤلفاته ليس فيها كثير نفع وفي بعضها ضررٌ والله في خلقه شؤون سامحه الله وإيانا» . فإنّنه من شطفة القلم صدر عن المشطف (١) سامحه الله وإيانا .

(١) المشطف كمنبر : من يعرض بالكلام على غير القصد .

تأليفه القيمة :

- ١ - مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين .
- ٢ - مشارق الأمان ولباب الإيمان ألفه سنة ٨١٣ .
- ٣ - رسالة في الصلوات على النبي وآله المعصومين .
- ٤ - رسالة في زيارة أمير المؤمنين طويلة قال شيخنا صاحب الرياض : في نهاية الحسن والجزالة واللطافة والفصاحة معروفة .
- ٥ - رسالة اللمعة من أسرار الأسماء والصفات والحروف والآيات والدعوات فيها فوائد ولا تخلو من غرابة كما قاله شيخنا صاحب الرياض .
- ٦ - الدر الثمين في خمسمائة آية نزلت في مولانا أمير المؤمنين باتفاق أكثر المفسرين من أهل الدين ، ينقل عنه المولى محمد تقي الزنجاني في كتابه : طريق النجاة .
- ٧ - أسرار النبي وفاطمة والأئمة عليهم السلام .
- ٨ - لوامع أنوار التمجيد وجوامع أسرار التوحيد في أصول العقائد .
- ٩ - تفسير سورة الإخلاص .
- ١٠ - رسالة مختصرة في التوحيد والصلوات على النبي وآله .
- ١١ - كتاب في مولد النبي وعلي وفاطمة وفضائلهم .
- ١٢ - كتاب في فضائل أمير المؤمنين غير المشارق .
- ١٣ - كتاب الألفين في وصف سادة الكونين .

شعره الرائق :

للحافظ البرسي شعرٌ رائعٌ وجلّه بل كلّه في مدائح النبي الأقدس وأهل بيته الطاهر صلوات الله عليهم ويتخلّص في شعره بـ (الحافظ) ومن شعره يمدح به النبي الأعظم عليه السلام قوله :

أضاء بك الأفق المشرق ودان لمنطقك المنطق
وكنْتَ ولا آدم كائناً لأنك من كونه أسبق

أشار بهذا البيت إلى ما جاء عنه عليه السلام من قوله : كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث .

أخرجه ابن سعد في الطبقات . والطبري في تفسيره ج ٢١ ص ٧٩ ، وأبو نعيم في الدلائل ج ١ ص ٦ وذكره ابن كثير في تأريخه ج ٢ ص ٣٠٧ ، والغزالي في المفضنون الصغير هامش الإنسان الكامل ج ٢ ص ٩٧ ، والسيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٣ ، والزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ١٦٤ .

وفي حديث الإسراء : إنك عبيد ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً^(١) وجاء عنه عليه السلام : أول ما خلق الله نوري^(٢) وتواتر عنه عليه السلام طرق صحيحة : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين . أو : بين الروح والجسد . أو : بين خلق آدم ونفخ الروح فيه .

ولولاك لم تخلق الكائنات ولا بان غرب ولا مشرق

أشار به إلى ما أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٦١٥ والبيهقي ، والطبراني ، والسبكي ، والقسطلاني ، والعزامي ، والبلقيني ، والزرقاني وغيرهم من طريق ابن عباس قال : أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمته أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت الجنة ولا النار .

ومن طريق عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله عليه السلام : لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله يا آدم ! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله :

(١) مجمع الزوائد ج ١ ص ٧١ .

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٥٩ .

صدق يا آدم ! إنه لأحب الخلق إليّ ادعني بحقه قد غفرت لك . ولولا محمد ما خلقتك .

فميك مفتاح كل الوجود وميك بالمتهى يغلق
تجلت يا خاتم المرسلين بشأ من الفضل لا يلحق
فأنت لنا أول آخر وباطن ظاهر الأسبق

في هذه الأبيات إشارة إلى أسمائه الشريفة : الفاتح ، الخاتم . الأول . الآخر . الظاهر . الباطن . راجع المواهب للزرقاني ج ٣ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

تعاليت عن صفة المادحين وإن أطنبوا فيك أو أغمقوا
فمعناك حول الوري دارة على غيب أسرارها تحق
وروحك من ملكوت السماء تنزل بالأمر ما يخلق
ونشرك يسري على الكائنات فكل على قدره يعبق
إليك قلوب جميع الأنام تحن وأعناقها تعنق
وفيض أياديك في العالمين بأنهار أسرارها يدفق
وآثار آياتك البيّنات على جبهات الوري تشرق
فموسى الكليم وتوراته يدلان عنك إذا استنطقوا
وعيسى وإنجيله بشرا بأنك أحمد من يخلق
فيارحمة الله في العالمين ومَن كان لولاه لم يخلقوا
لأنك وجه الجلال المنير ووجه الجمال الذي يشرق
وأنت الأمين وأنت الأمان وأنت ترتق ما يفتق
أتى رجب لك في عاتق ثقيل الذنوب . فهل تعتق؟

وله يمدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

العقل نور وأنت معناه والكون سر وأنت مبداه
والخلق في جمعهم إذا جمعوا الكل عبد وأنت مولاه
أنت الولي الذي مناقبه ما علاها في الخلق أشباه
يا آية الله في العباد ويا سر الذي لا إله إلا هو !

تناقض العالمون فيك وقد
فقال قوم : بأنه بشرٌ
يا صاحب الحشر والمعاد ومن
يا قاسم النار والجنان غداً
كيف يخاف البرسيُّ حرَّ لظي
لا يختشي النار عبد حيدرٍ

حاروا عن المهدي وقد تاهو
وقال قوم : بأنه الله
مولاه حكم العباد ولأه !
أنت ملاذ الراجي ومنجاء
وأنت عند الحساب غوثاه ؟
إذ ليس في النار من تولاه

وله في مدح مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه قوله :

أيها اللائم دعني
كلما ازددت مديحاً
وإذا أبصرت في الحد
آية الله التي في
كم إلى كم أيها العا
يا عدولي في غرامي
روح إلى من هو ناج
إن حبي لوصي آل
هو زادي في معادي
وبه إكمال ديني

واستمع من وصف حالي
فيه قالوا : لا تغال
تق يقيناً لا أبالي
وصفها القول حلال
ذل أكثر جدالي ؟
خلني عنك وحالي
وأطرحني وضلالي
مصطفى عين الكمال^(١)
ومعادي في مالي
وبه ختم مقالتي

ومن شعره يمدح أمير المؤمنين سلام الله عليه قوله :

بأسمائك الحسنی أروح خاطري
لئن سقمت نفسي فأنت طيبها
رضيت بأن ألقى القيامة خائفاً
أباحسن لو كان حبك مدخلي
وكيف يخاف النار من كان موقناً

إذا هب من قدس الجلال نسيمها
وإن شقيت يوماً فمنك نعيمها
دماء نفوس حاربتك جسموها
جحيماً لكان الفوز عندي جحيماً
بأنك مولاه وأنت قسيمها ؟

تضي عين الكمال [خ ل]

إن حبي لعللي المر

(١)

فوا عجباً من أمة كيف ترتجي من الله غفراناً وأنت خصيمها ؟
ووا عجباً إذ أخرت لك وقدّمت سواك بلا جرم وأنت زعيمها

وقال في مدح مولانا أبي السبطين سلام الله عليه :

تعالى عليّ في الجلال فرائدُ	يعود وفي كفيه منه فرائد
ووارد فضل منه يصدر عزلها	تضيّق بهامنه الها والوارد
تبارك موصولاً وبورك واصلأ	له صلة في كلّ نفس وعائد
روى فضله الحساد من عظم شأنه	وأعظم فضل جاء يرويه حاسد
محبّوه أخفوا فضله خيفة الهدى	وأخفاه بغضاً حاسداً ومعاند
فشاع له ما بين ذين مناقب	تجلّ بأن تُحصى إذا عدّ قاصد
إمام له في جبهة المجد أنجم	علت فعلت إن يدنّ منهنّ راصد
لها الفرق من فرع السماك منابر	وفي عنق الجوزاء منها قلائد
مناقب إذ جلّت جلت كلّ كربة	وطابت فطابت من شذاها المشاهد
إمام يحار الفكر فيه فعابد	له ومقرّ بالولاء وجاهد
إمام مبين كلّ أكرومة حوى	بمدحته التنزيل والذكر شاهد
عليه سلام الله ما ذكر اسمه	محبّ وفي البرسيّ ذلك خالد

وله في سيّد العترة أمير المؤمنين عليه وعليهم السّلام :

أبديت يارب الغريب	فقليل : يارب المرجب
أبديت للسّر المصو	ن المضمّر الخافي المغيب
وكشفت أستاراً وأسرا	رأعن الأشرار تحجب
حلّ الوري فإذا الظوا	هر فضة والبطن أسرب
إلا قليلاً من رجا	ل أصلهم زاك مهذب
وكتبت ما بالنور من	ه على خدود الحور يكتب
فلذاك أضحي الناس قد	باً من قوى الجهل المركّب
رجل يحبّ ومبغض	قال وحزب الله أغلب
وطويل أنف إن رأ	ني مقبلاً ولّي وقطب

في أمه شك بلا شك ولو صدقت لأنجب
يزور إن سمع الحديد ث إلى أمير النحل يُنسب
وتراه إن كررت ذك ر فضائل الكرّار يغضب

وله رائية غراء رنانة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام خمسها ابن السبعي ^(١)

نذكرها معه :

أعيت صفاتك أهل الرأي والنظر وأوردتهم حياض العجز والخطر
أنت الذي دق معناه لمعتبر يا آية الله بل يافتنة البشر
وحجة الله بل يا منتهى القدر

عن كشف معناه ذو الفكر الدقيق وهن وفيك رب العلى أهل العقول فتن
أنى بحدك يا نور الإله فطن ؟ يا من إليه إشارات العقول ومن

فيه الألباء تحت العجز والخطر

ففي حدوثك قوم في قواك غووا إن أبصروا منك أمراً معجزاً فغلوا
حيّرت أذهانهم يا ذا العلا فغلوا هيّمت أفكار ذي الأفكار حين رأوا

آيات شأنك في الأيام والعصر

أوضحت للناس أحكاماً محرّفةً كما أتيت أحاديثاً مصحّفةً
أنت المقدّم أسلافاً وسالفةً يا أولاً آخرّاً نوراً ومعرفة

يا ظاهراً باطناً في العين والأثر

يا مطعم القرص للعافي الأسيروما ذاق الطعام وأمسى صائماً كرمما
ومرجع القرص إذ بحر الظلام طما لك العبارة بالنطق البليغ كما

لك الإشارة في الآيات والسّور

أنوار فضلك لا تطفى لهنّ عدا ممّا يكتّمه أهل الضلال بدا
تخالفت فيك أفكار الورى أبدا كم خاض فيك أناس وانتهى فغدا

معناك محتجباً عن كلّ مقتدر ؟

(١) العلامة الحجة الشيخ فخر الدين أحمد بن محمد الاحسائي نزيل الهند والمتوفى بها من تلمذة ابن المتوج وقرناء ابن فهد الحلبي المتوفى سنة ٨٤١ .

لولاك ما أتسقت للطهر ملته كلاً ولا أتضحت للناس شرعته
ولا انتفت عن أسير الشك شبهته أنت الدليل لمن حارت بصيرته

في طيٍّ مشتبكات القول والعبير
أدركت مرتبة ما الوهم يدركها وخضت من غمرات الحرب مهلكها
مولاي يا مالك الدنيا وتاركها أنت السفينة من صدقاً تمسكها

نجا ومن حاد عنها خاض في الشرر
من نور فضلك ذوالأفكار مقتبس ومن معالم رب العلم مختلس
لولا بيانك أمر الكل ملتبس فليس قبلك لأفكار ملتبس

وليس بعدك تحقيق لمعتبر
جاءت بتأميرك الآيات والصحف فالبعض قد آمنوا والبعض قد وقفوا
لولاك ما اتفقوا يوماً ولا اختلفوا تفرق الناس إلا فيك واثلفوا

فالبعض في جنّة والبعض في سقر
خير الخليفة قوم نهجك أتبع وشرها من على تنقيصك اجتمعت
وفرقة أولت جهلاً لما سمعت فالناس فيك ثلاث فرقة رُفعت

وفرقة وقعت بالجهل والقذر
يا ويحها فرقة ما كان يمنعها لو أنها أتبع ما كان ينفعها
يا فرقة غيها بالشوم موقعها وفرقة وقعت لا النور يرفعها

ولا بصائرهما فيها بذى غور
بعظم شأنك كل الصحف تعترف ومن علومك رب العلم يقتترف
لولاك ما اصطلحوا يوماً وما اختلفوا تصالح الناس إلا فيك واختلفوا

إلا عليك وهذا موضع الخطر
جاءت بتعظيمك الآيات والسور فالبعض قد آمنوا والبعض قد كفروا
وبعض قد وقفوا جهلاً وما اختبروا وكم أشاروا ! وكم أبدوا ! وكم ستروا !

والحق يظهر من بادٍ ومستتر
أقسمت بالله باري خلقنا قسماً لولاك ما سمك الله العليّ سما
يا من له اسم بأعلى العرش قدر سما أسماؤك الغر مثل النيرات كما

صفاتك السبع كالأفلاك ذي الأكر
 أنت العليم إذarb العلوم جهل
 وأنت نجم الهدى تهدي لكل مضل
 معنى وأنت مثال الشمس والقمر
 أئمة سور القرآن قد نطقت
 بفضلهم وبهم طرق الهدى اتسقت
 طوبى لنفس بهم لا غيرهم وثقت
 قوم هم الآل آل الله من عقلت
 بهم يدها نجا من زلة الخطر
 عليهم محكم القرآن قد نزل
 مفصلاً من معاني فضلهم جملاً
 هم الهداة فلا تبغي لهم بدلاً
 شطر الأمانة معراج النجاة إلى
 أوج العلوم وكم في الشطر من غير !
 بلطف سرّك موسى فجّر الحجر
 وأنت صاحبه إذ صاحب الخضر
 وفيك نوح نجا والفلك فيه جرى
 ياسرّ كل نبي جاء مشتهراً
 وسرّ كل نبي غير مشتهر
 يلومني فيك ذو جهل أخوسفه
 ولا يضرّ محقّق قول ذي شبه
 ومن تنزّه عن ندو عن شبه
 أجل وصفك عن قدر لمشبهه
 وأنت في العين مثل العين في الصور

وله قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام :

يا منبع الأسرار يا	سرّ المهيمن في الممالك !
يا قطب دائرة الوجود	وعين منبعه كذلك !
والعين والسرّ الذي	منه تلقنت الملائك
مألاح صبح في الدجى ^(١)	إلاً وأسفر عن جمالك
يابن الأطايب والطواهر	والفواطم والعواتك !
أنت الأمان من الردى	أنت النجاة من المهالك
أنت الصراط المستقيم	قسيم جنّات الأرائك

(١) مألاح صبح للهدى . كذا في بعض النسخ .

والنار مفزعها إليك وأنت مالك أمر مالك
يا من تجلّى بالجمال فشقّ بردة كلّ حالك !
صلّى عليك الله من هادٍ إلى خير المسالك
والحافظ البرسي لا يخشى وأنت له هنالك

وله أبيات في أهل البيت عليهم السلام :
الحسن النحوي نذكرها مع تخميسها :

ولائي لآل المصطفى وبنيتهم وعترتهم أزكى الورى وذويتهم
بهم سمّة من جدّهم وأبيهم هم القوم أنوار النبوة فيهم
تلوح وأثار الإمامة تلمع معالم دين الله أطواذ حلمه
نجوم سماء المجد أقمار تمّهم منازل ذكر الله حكّام حكمه
وعندهم سرّ المهيم من مودع مهابط وحي الله خزّان علمه

مديحهم في محكم الذّكر محكم وعندهم ما قد تلقاه آدم
فدّع حكم باقي الناس فهو تحكّم إذا جلسوا للحكم فالكلّ أبكم
وإن نطقوا فالذهر أذنّ ومسمع وفي فضلهم جاء الكتاب المنزل
يحبّهم طاعاتنا تتقبّل وإن ذكروا فالكون ندّ ومندل^(١)
لهم أرج من طيبهم يتضوّع وكلّمه من جانب الطور ربّه

دعاهم موسى ففرّج كربّه وإذا حاولوا أمراً تسهّل صعبه
لسطوتهم والأسد في الغاب تفزع وإن برزوا فالذهر يخفق قلبه
فلولا هم ما سار فلّك ولا جرى ولا ذرأ الله الأنام ولا برى
كرام متى ما زرتهم عجلوا القرى وإن ذكر المعروف والجود في الورى
فبحر ندامهم زاحر يتدفع

(١) النّد بفتح المعجمة وكسرهما : عود يتبخّر به . المندل : العود الطيب الرائحة .

أبوهم أخوالمختار طه ونفسه
وأُمهم الزهراء فاطم عرسه
وهم فرع دوح في الجلالة غرسه
أبوهم سماء المجد والأم شمس

نجوم لها برج الجلالة مطلع

لهم نسب أضحى بأحمد معرقا
وزادهم من رونق القدس رونقا
رقى منه للعلياء أبعد مرتقى
فيا نسباً كالشمس أبيض مشرقا

ويا شرفاً من هامة النجم أرفع

كرام نماهم طاهر متطهر
وأُمهم الزهراء والأب حيدر
وبث بهم من أحمد الطهر عنصر
فمن مثلهم في الناس إن عهد مفخر

أعد نظراً يا صاح إن كنت تسمع

علي أمير المؤمنين أميرهم
بهايل صوامون فاح غيرهم
وشبرهم أصل التقى وشبيرهم
ميامين قوامون عز نظيرهم

هداة ولادة للرسالة منبع

مناجيب ظل الله في الأرض ظلهم
وفضلهم أحيا البرايا وبذلهم
وهم معدن للعلم والفضل كلهم
فلا فضل إلا حين يُذكر فضلهم

ولا علم إلا علمهم حين يرفع

إليهم يفر الخاطئون بذنبهم
فلا طاعة ترضى لغير محبتهم
وهم شفعاء المذنبين لرئهم
ولا عمل ينجي غداً غير حبهم

إذا قام يوم البعث للخلق مجمع

حلفت بمن قد أم مكة وافدا
ولو أنه قد قطع العمر ساجدا
لقد خاب من قد كان لآل جاحدا
ولو أن عبداً جاء لله عابدا

بغير ولا أهل العباليس ينفع

بني أحمد ! مالي سواكم أرى غدا
أناديكم يا خير من سمع النداء
إذا جئت في قيد الذنوب مقيدا
أياعرة المختار ياراية الهدى !

إليكم غداً في موقفني أتطلع

فوالله لأخشى من النار في غد
وها أنا قد أدعوكم رافعاً يدي
وأنتم ولادة الأمرياء آل أحمد !
خذوا بيدي يا آل بيت محمد !

فَمَنْ غَيْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْفَعُ ؟

وهذه القصيدة خمسها الشيخ هادي المتوفى سنة ١٢٣٥ ، ابن الشيخ أحمد النحوي المخمّس المذكور أوّل تخميسه :

بنو أحمد قد فاز مَنْ يرتضيهمُ أثمة حقّ للنجاء يرتضيهم
وطوبى لمن في هديه يقتضيهمُ هم القوم أنوار النبوة فيهم
تلوح وآثار الإمامة تلمع

وله في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم قوله :

فرضي ونفلي وحديثي أنتمُ وكلّ كلّي منكم وعينكم
وأنتم عند الصّلاة قبلتي إذا وقفت نحوكم أيّمّم
خيالكم نصب لعيني أبداً وحُبكم في خاطري مخيم
ياسادتي وقادتي أعتابكم بجفن عيني لشرها أّثم
وقفاً على حديثكم ومدحكم جعلت عمري فاقبلوه وارحموا
مُنوا على الحافظ من فضلكم واستنقذوه في غدٍ وأنعموا

وله في أهل البيت الطاهر سلام الله عليهم قوله :

يا آل طاهّا أنتم أُملي وعليكم في البعث متكلي
إن ضاق بي ذنب فحبّكم يوم الحساب هناك يوسع لي
بولاءكم وبطيب مدحكم أرجو الرّضا والعفو عن زللي
رجب المحدث عبد عبدكم والحافظ البرسي لم يزل
لا يخبثني في الحشر حرّ لظي إذ سيّده محمدٌ وعلي
سيثقلان وزان صالحه ويبيضان صحيفة العمل
لم ينشعب فيكون منطلقاً من ضلّة للشعب ذي الظلل

وله مسمّطاً فيهم صلوات الله عليهم قوله :

سرّكم لا تناله الفكرُ وأمركم في الورى له خطر
مستصعب فكُ رمزَه خطرُ ووصفكم لا يطيقه البشر

ومدحكم شرفتم به السور
وجودكم للوجود علته ونوركم للظهور آيته
وأنتم للوجود قبلته وحبكم للمحب كعبته
يسعى بهاطائفاً ويعتمر
لولاكم ما استدارت الأكر ولا استنارت شمس ولا قمر
ولا تدلى غصن ولا ثمر ولا تندى ورق ولا خضر
ولا سري بارق ولا مطر
عندكم في الإياب مجمعنا وأنتم في الحساب مفزعنا
وقولكم في الصراط مرجعنا وحبكم في النشور ينفعنا
به ذنوب المحب تغتفر
ياسادة قد زكت معارفهم وطاب أصلاً وساد عارفهم
وخاف في بعثه مخالفهم إن يختبر للورى صيارفهم
فأصلهم بالولاء يختبر
أنتم رجائي وحبكم أملي عليه يوم المعاد متكلي
فكيف يخشى حر السعير ولي وشافعه محمد وعلي ؟
أو يعتريه من شرها شرر ؟
عبدكم الحافظ الفقير على أعتاب أبوابكم يروم فلا
تخيبوه ياسادتي ! أملا وأقسموه يوم المعاد إلى
ظل ظليل نسيمه عطر
صلّى عليكم رب السماء كما أصفاكم واصطفاكم كرما
وزاد عبداً والاكم نعما ما غرد الطير في الغصون وما
ناح حمام وأورق الشجر

وله في العترة الطاهرة وسيدهم صلوات الله عليه وعليهم قوله :
إذا رمت يوم البعث تنجومن اللظى ويقبل منك الدين والفرض والسنن
فوال علياً والأئمة بعده نجوم الهدى تنجومن الضيق والمحن
فهم عترة قد فوض الله أمره إليهم لما قد خصهم منه بالمنن

أثمة حقّ أوجب الله حقّهم
نصحتك أن ترتاب فيهم فتنتني
فحبّ عليّ عدّة لوليّه
كذلك يوم البعث لم ينج قادم
وطاعتهم فرضٌ بها الخلق تمتحن
إلى غيرهم من غيرهم في الأنام من ؟
يُلاقيه عند الموت والقبر والكفن
من النار إلّا من تولّى أبا الحسن

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله :

يميناً بنا حادي السرى إن بدت نجد
وعج فعسى من لا عج الشوق يشتفي
وسربي لسرب فيه سرب جاذر
ومربي بليل في بليل عراصها
وقف بي أنادي وادي الأيك علني
فبالربع لي من عهد جيرون جيرة
هم الأهل إلّا أنهم لي أهلة
عزيزون ربع العمر في ربع عزهم
وربعي مخضر وعيشي مخضل
وشملي مشمول وبُرد شبيبتي
معالم كالأعلام معلمة الربى
طوت حادثات الدهر منشور حسنّها
وأضحت تجرّ الحادثات ذبولها
ولا غرو إن جارت ومارت صروفها
فقد غدرت قدماً بآل محمّد
وجاشت بجيش جاش طامٍ عرمرمٍ
يميناً فللعاني العليل بها نجد
غريم غرام حشوا حشائه وقد
لسربي من جهد العهد بهم عهد
لأروى برياً تربة تربها ند
هناك أرى ذاك المساعد يا سعد !
يُجيرون إن جاز الزمان إذا استعدوا
سوى أنهم قصدي وأنّي لهم عبد
تقضى ولا روع عراني ولا جهد
ووجهي مبيض وفودي مُسود
قشيب وبُرد العيش ما شأنه نكد
فأنهارها تجري وأطيّارها تشدو
كما رسمت في رسمها شمأل تغدو
عليه ولا دعد هناك ولا هند
وغارت وأغرت واعتدت واعتدت تشدو
وطاف عليهم بالطفوف لها جند
خميس لهامٍ حام يُحمومه اسد^(١)

(١) طام من طمى يطمي الفرس : أي أسرع . ويُقال : البحر الطامي : أي الغزير . العرمرم : الجيش الكثير . الخميس : الجيش ذات خمس فرق : المقدمة . القلب ، اليمين ، الميسرة ، الساقة . اللهام : الجيش العظيم . حام أي دار به . اليعموم : اسم فرس الإمام السبط الحسين ، وفرس هشام بن عبد الملك ، وفرس حسان الطائي ، وفرس النعمان بن المنذر .

وعَمَّتْ بأشرار عن الرشيد قد عَمُوا
 فياً أُمَّةً قد أدبرت حين أقبلت
 أبت إذ أتت تنأى وتنهى عن النهى
 سرت وسرت بغياً وسرت بغياً
 عصابة عصب^(١) أوسعت إذ سعت إلى
 آثاروا وثاروا ثار بدرٍ وبادروا
 بغت فبغت عمداً قتال عميدها
 وساروا يستنون العناد وقد نسوا ال
 فيا قلب قلب الدين في يوم أقبلوا
 فركن الهدى هذوا وقد العلى قدوا
 كأنني بمولاي الحسين ورهطه
 بكرب البلا في كربلاء وقد رمي
 وقد حدثت عين الردى حين أحدثت^(٢)
 وقد أصبحوا حلاً لهم حين أصبحوا
 فنادى ونادى الموت بالخطب خاطب
 يسائلهم : هل تعرفوني ؟ مسائلاً
 فقالوا : نعم أنت الحسين بن فاطم
 وأنت سليل المجد كهلاً ويافعاً
 فقال لهم : إذ تعلمون فما الذي
 فقالوا : إذ ارمت النجاة من الردى !
 وإلا فهذا الموت عبّ عابه^(٣)
 فقال : ألا بُعداً بما جئتم به

وهل يسمع الصمّ الدعاء إذا صدّوا ؟
 فرافقها نحسّ وفارقها سعد
 وولّت وألوت حين مال بها الجدّ
 بغياً دعاها إذ عداها به الرشيد
 خطاء خطاها والشقاء بها يحدو
 لحرب بُدورٍ من سناها لهم رشد
 صدور طغاة في الصدور لها حقد
 معاد فهم من قوم عادٍ إذا عُدّوا
 إلى قتل مأمولٍ هو العلم الفرد
 وأزر الهوى شدّوا ونهج التقى سدّوا
 حيارى ولا عونٌ هناك ولا عضد
 بعادٍ وشطّ دارهم وسطت جند
 عتاة عداةٍ ليس يُحصى لهم عدّ
 حُلُولاً ولا حَلٍّ لُديهم ولا عقد
 وطير الفنا يشدو وحادي الردى يحدو
 وسائل دمع العين سأل به الخدّ
 وجدّك خير المرسلين إذا عُدّوا
 إليك إذا عُدّ العلى ينتهي المجد
 دعاكم إلى قتلي فماعن دمي بُدّ !
 فبايع يزيداً إنّ ذاك هو القصد
 فخصّ ظامياً فيه تروح ولا تغدو
 ومن دونه بيضٌ وخطيئةٌ ملد^(٤)

(١) العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل . العصب : الطي واللي ، والقبض على الشيء .

(٢) حديق : فتح عينيه وطرف بهما . أحدثت : أحاقت .

(٣) عبّ عابه : كثر موجه وارتفع .

(٤) الملد بالفتح : الناعم اللين .

فمن عقده حل وفي حله عقد
 حذار الردى يشقى لعبده عبد ؟
 يذل ويضحى السيد يرهبه الأسد ؟
 فبهيات يابى ربنا وله الحمد
 مواضيهم هام الكماة لها غمد
 لها القدم قدم والنفوس لها جند^(١)
 مغاوير طعم الموت عندهم شهد^(٢)
 بدور دجى سادوا الكهول وهم مُرد
 ملوك على أعتابهم يسجد المجد
 وأيدي علاهم لا يُطاق لهارد
 مُطاعين إن قالوا لهم حجج كُذ^(٣)
 معاليم للساوي بها يهتدي النجد^(٤)
 منازلهم أمن بهم يُبلغ القصد
 مدائحهم شهد منائحهم نذ^(٥)
 مُطالعهم يُكفى مُطالعهم سعد
 وصُوح من خضرائه السبط والجعد^(٦)
 وحل بناديبهم أحل له الرفد
 وطابوا فطاب الأم والأب والجد
 بذكرهم يُستدفع الضر والجهد

فضرب لهشم الهام تترى بنظمه
 فهل سيد قد شيد الفخريته
 وما عذر ليث يرهب الموت بأسه
 إذا سام منا الدهر يوماً مذلة
 وتأبى نفوس طاهرات وسادة
 لها الدم ورد والنفوس قنائص
 ليوث وغى ظل الرماح مقلها
 حماة عن الأشبال يوم كريهة
 إذا افتخروا في الناس عز نظيرهم
 أيادي عظام لا تُطاول في الندى
 مطاعيم للعافي مطاعين في الوغى
 مفاتيح للداعي مصاييح للهدى
 نزيلهم حرم منازلهم لقي
 فضائلهم جلبت فواضلهم جلبت
 مرابعهم تسقى مرابعهم تلقى
 كرام إذا عاف عفى منه معهد
 وآملهم راج وأم لهم رجاء
 زكوا في الورى أمأ وجداً ووالداً
 بأسمائهم يُستجلب البر والرضا

(١) الورد : الماء الذي يورد . قنائص : الصيود . القدم بفتح القاف : الشرف القديم . القدم بكسر القاف : الزمان القديم .

(٢) الوغى : الحرب . المقييل : موضع النوم والراحة . مغاوير جمع المغوار : كثير الغارة .

(٣) لذ بضم اللام جمع الألد : الخصم الشديد الخصومة .

(٤) النجد : الدليل الماهر .

(٥) الند : بفتح النون وكسرها : عود يتخربه .

(٦) العافي : الوارد . الضيف : كل طالب فضل أو رزق . عفى : درس وبلى . صُوح : جفف .

يبس . السبط ضد الجعد . الجعد : القبض خلاف المسترسل .

ومال إلى فتيانه ورجاله
فسار لأخذ الثار كل شمردل
وكل كمي أريحي غشمشم^(٢)
إذا ما غدا يوم النداء أسر العدى
ليوث نزال بل غيوث نوازل
إذا طلبوا راماوا وإن طلبوا رموا
فوارس أسد الغيل منها فرائس
وجوههم بيض وخضر ربوعهم
إذا ما دُعوا يوماً لدفع مُلّة
بها كل ندب سبق الطرف طرفه
كأنهم نبت الرّبي في سروجهم
لباسهم نسج الحديد إذا بدوا
إذا البسوا فوق الدروع قلوبهم
يخوضون تيار الحمام ظوامياً
يرون المنايا تيلها غاية المنى
إذا فلّت أسيافهم في كريهة
فمن أبيض يلقى الأعادي بأبيض

يقول: لقد طاب الممات ألا اشتدوا
إذا هاج قدحٌ للهياج له زند^(١)
تجمع فيه الفضل وانعدم الضد
ولمّا بدا يوم الندى أطلق الوعد
سراً كأسد الغاب لا بل هم الأسد
وإن ضربوا صدوا وإن ضربوا قدوا
وفتيان صدق شأنها الطعن والطرْد
ويضهم حمراً إذا النّقع مُسوّد
غدا الموت طوعاً والقضاء هو العبد
جواد على ظهر الجواد له أفد^(٣)
لشدة حزم لا يحزم لها شدوا^(٤)
جبالاً وأقيالاً تقلّهم الجرد^(٥)
وصالوا فحرّ الكرّ عندهم برد
ويحر المنايا بالمنايا لها مبد
إذا استشهدوا مرّ الردى عندهم شهد
غدا في رؤوس الدار عين لها حد
ومن أسمر في كفه أسمر صلد

(١) الشمردل بالمهمله والشمردل بالمعجمة : الفتى السريع من الإبل وغيره . هاج : ثار وتحرك . القدح : الفولاذة التي تقدح بها النار . الهياج : الحرب . زند النار قدحها وإخراجها من الزند .

(٢) الكمي : الشجاع أو لابس السلاح . الغشمشم : المغشم وهو الشجاع الذي يركب رأسه فلا يثنيه شيء عما يريد .

(٣) الندب : السريع إلى الفضائل ، الظريف النجيب . الطرف بكسر المهملة مرّ ص ٣١ . الأفد : العجلة والسرعة .

(٤) الرّبي جمع الربوة : ما ارتفع من الأرض . الحزم بفتح المهملة . ضبط الأمر . الحزم بضم الأول والثاني جمع الحزام بالكسر : ما يشدّ به وسط الدابة .

(٥) أقيال جمع القيل : الرئيس . تقلّهم من قلّ الشيء قلّاً : أي حمّله . وقّله عن الأرض : رفعه . الجرد جمع الأجرد : السباق من الخيل .

يذَّبُون عن سبط النبي مُحَمَّدٍ
يخال بِريق البيضِ برقاً سجّاله
إلى أن تدانى العمر واقترب الردى
أعدّوا نفوساً للفناء وما اعتدوا
أحلّوا جسوماً للمواضي وأحرموا
أمام الإمام السبط جادوا بأنفس
شروا عندما باعوا نفوساً نفائساً
قضوا إذ قضوا حقّ الحسين وفارقوا
فلَمَّا رأى المولى الحسين رجّاله
غداً طالباً للموت كالليث مغضباً
وإن جمعوا سبعين ألفاً لقتله
إذا كَرَّفُوا من جريحٍ وواقعٍ
ينادي : ألا يا عصبه عصت الهدى
فبعداً لكم يا شيعة الغدر إنكم
ولا يتنا فرض على كلِّ مسلمٍ
فهل خائف يرجو النجاة بنصرنا
ويرنولنحو الماء يشتاق ورده
فيحمل فيهم حملةً علويةً
كفعل أبيه حيدر يوم خيبرٍ
إذا ما هوى في لُبّة الليث غضبه
وعاد إلى أطفاله وعياله
يقول : عليكن السّلام مودّعاً
ألا فاسمعي يا اخت إن مسني الردى

وقد ثار عالي النّقع واصطخب الوقد
الدماء وأصوات الكماة لها رعد
وشأن الليالي لا يدوم لها عهد
فطوبى لهم نالوا البقاء بماء عدّوا
فحلّوا جنان الخلد فيها لهم خلد
بهادونه جادوا وفي نصره جدّوا
ففي هجرها وصلّ وفي وصلها نقد
وما فرّقوا بل وافقوا السعد يا سعد
وفتيانَه صرعى وشادي الردى يشدو
يُحامي عن الأشبال يشتدّ إن شدّوا
فيحمل فيهم وهو بينهم فرد
ذبيحٍ ومهزومٍ به طوّح الهدى^(١)
وخانت فلم يُرعِ الدّمّام ولا العهد
كفرتهم فلا قلب يلين ولا ودّ
وعصياننا كفر وطاعتنا رُشد
ويخشى إذا اشتدّت سعيّر لها وقد ؟
إذا ما مضى يبغي الورود له ردّ
بها للعوالي في أعالي العدى قصد
كذلك في بدر ومن بعدها أحد
فمن نحره بحر ومن جزره مدّ
وغرب المنايا لا يفلّ لها حدّ^(٢)
فها قد تنهى العمر واقترب الوعد
فلا تلطمي وجهاً ولا يُخمش الخدّ

(١) طوّح به : حمّله على ركوب المهالك وقذفه . الهدّ : الكسر . الصوت الغليظ .

(٢) الغرب بوصف به السيف أي قاطع الحديد . المنايا جمع المنية : الموت . الفلّ : الثلثة في حدّ السيف . الحد من السيف : مقطعه .

وجلّ لديك الحزن والشكل والفقد
فما ضاع أجر الصابرين ولا الوعد
إمام الهدى بعدي له الأمر والعهد
به واستغاث الأهل بالنّذب والولد
ركام ومن عظم الظما انقطع الجهد^(١)
وخير حسيب للورى الصّمد الفرد
وللبيض والخرصان في قدّه قدّ
يُصافح منه إذ ثوى للشرى خدّ
الأقْطعت منه الأنامل والزّند
سنان سنان والخيول لها وخد^(٢)
وكادت له شُمّ الشماريخ تنهد^(٣)
وضجّت له الأملاك وانفجر الصلد
وللجنّ إذ جنّ الظلام به وجد
علاها اصفرار إذ تروح وإذ تغدو
وثلّ سرير العزّ وانهدم المجد
ذبيحاً ومن قاني الوريد له ورد
سلياً ومن سافي الرياح له برد
وترضح منه الجسم في ركضها جرد
خلياً يخذ الأرض بالوجه إذ يعدو
وقلب غداً من فارط الحزن ينقذ
وبرقعها وقدّ ومد معها فرد

وإن برحت فيك الخطوب بمصرعي
فارضي بما يرضي إلهك واصبري
وأوصيك بالسّجّاد خيراً فإنّه
فضجّ عيال المصطفى وتعلّقوا
فقال وكرب الموت يعلوكأنّه
: ألا قد دنا الترحال فالله حسبكم
وعاد إلى حرب الطغاة مجاهداً
إلى أن غدا ملقّى على التّرب عارياً
وشمر شمر الذيل في حزرأسه
فواحزن قلبي للكريم علا على
تزلزلت السّبع الطباق لفقده
وأرجف عرش الله من ذاك خيفةً
وناحت عليه الطير والوحش وحشةً
وشمس الضّحى أمست عليه عيلةً
فيالك مقتولاً بكتة السماء دماً
شهيداً غريباً نازح الدار ظامياً
بروحي قتيلاً غسله من دمائه
ترضّ خيول الشّرك بالحقد صدره^(٤)
ومذ راح لماراح للأهل مهره
برزن حيارى نادبات بذلّة
فحبا سرة بالردن تستر وجهها

(١) الركّام : المتراكم بعضه فوق بعض . الجهد : الطاقة .

(٢) الوخذ من وخد البعير أي أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام . وهذا البيت في نسخة :

فوالهف نفسي للمحيا علا على سنان سنان والخيول به تعدو

(٣) الشمراخ : رأس الجبل . تنهدّ : تقع وتنهدم : الأوصاب جمع الوصب : المرض والوجع الدائم ونحول الجسم .

(٤) الرضّ : الدقّ والجرش . الرضح : الكسر . الجرد راجع ص ٣٩ .

ومن ذاهلٍ لم تدراين مُعزُّها
وزينب حسرى تندب الندب عندها
تنادي : أخي يا واحدي وذخيرتي
ربيع اليتامى يا حسينُ وكافل
أخي بعد ذاك الصون والخدر والخبا
بناتك يابن الطَّهر طاهها حواسرُ
لقد خابت الآمال وانقطع الرجا
وأضحت ثغور الكفر تبسم فرحةً
وصوِّح نبت الفضل بعد اخضراره
تُجاذبنَا أيدي العدى فضلة الرُّدا
فأين حصوني والأسود الأولي بهم
إذا غربت يابن النبي بدوركم
ولا سحبت سحب ذيولاً على الرُّبى
وساروا بآل المصطفى وعياله
وتطوي المطايا الأرض سيراً إذا سرت
تؤمُّ يزيداً نجل هند إمامها
فيالك من رزءٍ عظيم مصابه
أُيقتل ظمناً أحسين بكر بلا
وتضحى كريماتُ الحسين حواسراً
فليس لأخذ الثَّار إلا خليفة
هو القائم المهديُّ والسَّيد الذي
يُشيد ركن الدين عند ظهوره
وغصن الهدى يُضحى وريقاً ونبتة

تضيّقُ عليها الأرض والطرق تنسد
من الحزن أوصابٌ يضيق بها العدُ
وعوني وغوثي والمؤمِّل والقصد
الأيامى رماناً بعد بُعدكم البعد
يُعالجنّا علج ويسلبنّا وُغد
ورحلك منهوبٌ تقاسمه الجند
بموتك مات العلم والدين والزهد
وعين العلى ينخدُ من سحُّها الخدُ^(١)
وأصبح بدر التَّم قد ضمّه اللحد
كأن لم يكن خير الأنام لنا جدُ
يُصال على ريب الزمان إذا يعدوا ؟
فلا طلعت شمسٌ ولا حلَّها سعد
ولا ضحك النوار وانبعق الرعد^(٢)
حيارى ولم يخش الوعيد ولا الوعد
تجوب بعيد اليد فيها لها وخد
ألأعنت هندُ وما نجلت هند
يُشقُّ الحشامنه ويُلتدم الخدُ
ومن نحره البيض الصقال لها ورد
يلا حظها في سيرها الحر والعبد
هو الخلف المأمول والعلم الفرد
إذا سار أملاك السَّماء له جُند
علواً وركنُ الشُّرك والكفر ينهدُ
أنيقاً وداعي الحق ليس له ضدُ

(١) ينخدُ : ينشق . الشَّح : الصَّب المتتابع الغزير .

(٢) سحبت من السحب : الجَرَّ على وجه الأرض . النوار : الزهر والأبيض منه . انبعق : انبعج المطر .

لعلَّ العيون الرمد تحظى بنظرة
إليك انتهى سرُّ النبيين كلَّهم
بني الوحي يا أمَّ الكتاب ومَن لهم
إليكم عروساً زُفَّها الحزن ثاكلاً
لها عبرة في عشر عاشور ارسلت
رجا (رجب) رَحِبَ المقام بها غدا
بذلت اجتهادي في مديحك وما
ولي فيكم نظمٌ ونثرٌ غناؤه
مصابي وصوب الدَّمع فيكم مجدّد
تذكّرني يا بن النبي غداً إذا
فأنتم نصيب المادحين وإنني
إذا أصبح الراجي نزيل ربوعكم
فإن مالَ عنكم يا بني الفضل راغبٌ
فياعدّتي في شدّتي يوم بعثتي
عبيدكم (البرسيّ) مولى فخاركم
عليكم سلام الله ما سكب الحيا

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله :

دمعٌ يبدّده مقيمٌ نازح
والعين إن أمست بدمع فجّرت
أظهرت مكنون الشجون فكلما
وعليّ قد جعل الأسى تجديده
وشهود ذلّي مع غريم صبابتي
ودمٌ يبدّده مقيمٌ نازح
فجرت ينابيع هناك مُوانح
شجّ الأمون سجا الحرون الجامع^(١)
وفقاً يُضاف إلى الرحيب الفاسح
كتبوا غرامي والسقام الشارح

(١) الشج من شجّ المفازة : قطعها . الأمون من الناقة : وثيقة الخلق القوية . سجا يسجو
سجواً . مدّ حنينه . الحرون من الدابة الذي لا ينقاد . وإذا استدبر جريه وقف . الجامع :
المتغلب على راکبه والذاهب به وهو لا ينتهي .

أوهى اصطباري مطلق ومقيّد
فالجفنُ مُسجَمٌ غريقٌ سائحٌ
والخذْ خدّه طليقٌ فاترٌ
أصبحت تخفضني الهموم بنصبها
حلّت له حلل النحول فبرده
وخطيب وجدي فوق منبر وحشتي
ومحسّرٌ حزني وشوّال الغنا
ومديد صبري في بسيط تفكّري
ساروا فمعناهم ومغناهم عفى
درس الجديد جديدها فتكرت
نسج البلى منه محقق حسنه
فطفقت أندبه رهين صباية
وأقول والزفرات تذكّي جدوة
: لا غر وإن غدر الزمان بأهله
فلقد غوى في ظلم آل محمّد
وسطا على البازي غرابٌ أسحمٌ
وتطاول الكلب العقور فصاؤل
وتواثب عرج الضبايع ورّعت^(١)
آل النبيّ بنو الوصي ومنبع الـ

غربٌ وقلبٌ بالكآبة بائع^(١)
والقلب مضطرمٌ حريقٌ قصادح
والوجد جدّده مجدّ مازح
والجسم مُعتلٌ مثالٌ لائح
بُرد الذبول تحلّ فيه صفائح
لفراقهم لهو البليغ الفصاح
والعيد عندي لاعجٌ ونوائح
هزجٌ ودمعي وافرٌ ومُسارح^(٢)
واليوم فيه نوائحٌ وصوائح
ورنا بها للخطب طرفٌ طامع^(٣)
ففناؤه ماحي الرسوم الماسح
عدم الرفيق وغاب عنه الناصح
بين الضلوع لها لهيبٌ لافح
وجفا وحنانٌ وخان طرفٌ لامح
وعوى عليهم منه كلبٌ نابح
وشبا على الأشبال زنجٌ ضابح^(٤)
الليث الهصور وذاك أمرٌ فادح^(٥)
والسيد أضحى للأسود يكافح
شرف العليّ وللمعلوم مفاتح

(١) بائع من باح يباح بوحاً بسرّه : أظهره كأباحه .

(٢) إشارة إلى أنواع الشعر .

(٣) رنا إليه وله : أدام النظر إليه بسكون الطرف . الطامح من طمح البصر : ارتفع ونظر شديداً .

(٤) البازي من طيور الصيد وله أنواع كثيرة . الأسحم : الأسود . شبا : علا . الزنج : قوم من السودان . الضابح : المتغير اللون كلون الضيغ أي الرماد .

(٥) ضاوله : واثبه . الهصور من الأسد الذي يهصر فريسته أي يكسرها كسراً . الفادح : الصعب الممثل .

(٦) تواثب من وثب وثباً : نهض وقام . عرج جمع الأعرج : المصاب في رجله الماشي مشية =

خَزَانُ عِلْمِ اللَّهِ مَهْبُطُ وَحْيِهِ
التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ
الصَّائِمُونَ الْقَائِمُونَ الْمُطْعَمُونَ
عِنْدَ الْجَدَى سَحَبٌ فِي وَقْتِ الْهَدْيِ
هَمُّ قِبْلَةٍ لِلْسَّاجِدِينَ وَكَعْبَةٌ
طَرَقَ الْهَدْيُ سُفْنِ النِّجَاةِ مَحْبُهُمْ
مَا تَبْلُغُ الشُّعْرَاءُ مِنْهُمْ فِي الثَّنَا
نَسَبٌ كَمَنْبَلِجِ الصُّبْحِ وَمَتَمَّى
الْجَدُّ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ
هُوَ خَاتَمُ بِلِّ فَاتِحٌ بِلِّ حَاكِمٌ
هُوَ أَوَّلُ الْأَنْوَارِ بِلِّ هُوَ صَفْوَةُ الدِّ
هُوَ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ بِلِّ هُوَ أَشْرَفُ الثَّ
لَوْلَاكَ مَا خُلِقَ الزَّمَانُ وَلَا بَدَتْ
وَالْأُمُّ فَاطِمَةُ الْبَتُولِ وَبِضْعَةُ الدِّ
حُورِيَّةٌ إِنْ سَيَّئَتْ لَجَلَّالَهَا
وَالْوَالِدُ الطَّهْرُ الْوَصِيُّ الْمُرْتَضَى
مَوْلَى لَهُ النَّبَأُ الْعَظِيمُ وَحُبُّهُ الدِّ
مَوْلَى لَهُ بَغْدِيدُ رَحْمٌ بَيْعَةٌ
الْقُسُورِ الْبِتَّاءُ وَالْفَتَّاكُ وَالسِّ
أَسَدُ الْإِلَهِ وَسَيْفُهُ وَوَلِيُّهُ
وَبِعْضُدُهُ وَبِعْضَبُهُ وَبِعِزْمِهِ

وَيَحَارُّ عِلْمُ وَالْأَنَامِ ضَحَاضِحُ^(١)
الذَّاكِرُونَ وَجَنَحُ لَيْلٍ جَانِحُ
الْمُؤَثِّرُونَ لَهُمْ يَدٌ وَمَنَائِحُ
سَمَتْ فِي يَوْمِ النَّزَالِ جَحَاجِحُ^(٢)
لِلطَّائِفِينَ وَمَشْعَرٌ وَبَطَائِحُ
مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَاجِحُ
وَاللَّهُ فِي السَّبْعِ الْمِثْنَانِي مَادِحُ
زَاكٍ لَهُ يَعْنُو السَّمَاءُ الرَّامِحُ^(٣)
هَادِي الْأَمِينُ أَخُو الْخَتَامِ الْفَاتِحُ
بِلِّ شَاهِدٌ بِلِّ شَافِعٌ بِلِّ صَافِحُ
جَبَّارٌ وَالنَّشْرُ الْأَرِيحُ الْفَاتِحُ
قَلِيلٌ حَقًّا وَالنَّذِيرُ النَّاصِحُ
لِلْعَالَمِينَ مَسَاجِدُ وَمَصَابِحُ
هَادِي الرُّسُولِ لَهَا الْمَهِيْمُ مَانِحُ
وَجَمَالُهَا الْوَحْيُ الْمُنْزَلُ شَارِحُ
عِلْمُ الْهَدَايَةِ وَالْمَنَارُ الْوَاضِحُ
هَجُّ الْقَوِيمِ بِهِ الْمُتَاجِرُ رَابِحُ
خَضَعَتْ لَهَا الْأَعْنَاقُ وَهِيَ طَوَامِحُ
فَأَكْ فِي يَوْمِ الْعِرَاكِ الذَّابِحُ
وَشَقِيقُ أَحْمَدُ وَالْوَصِيُّ النَّاصِحُ
حَقًّا عَلَى الْكُفَّارِ نَاحُ النَّائِحُ

= غير متساوية . الضبع : الضباع جمع الضبع .

(١) الضحضاح : الماء اليسير أو القريب القعر .

(٢) الجدَى : العطية . السمْت : المحجة والطريق . الجحاجح جمع الجحجج : السيد
المسارع إلى المكارم . المبادر .

(٣) يعنو : يذل ويخضع . السماك الرامح : نجم معروف يسمى بذلك لأنه يقدمه كوكب يقولون :
هو رمحه .

يا ناصر الإسلام يا باب الهدى يا كاسر الأصنام فهي طوامح^(١)
 يا ليت عينك والحسين بكر بلا بين الطغاة عن الحریم يكافح
 والعدايات صواهل وجوائل بالشوس في بحر النجیع سوابح^(٢)
 والبيض والسمر اللدان بوارق وطوارق ولوامع ولوائح^(٣)
 يلقي الردى بحر الندى بين العدى حتى غدا ملقى وليس منافع^(٤)
 أفديه محزوز الوريد مرثلاً ملقى عليه التراب ساف سافح^(٥)
 والماء طام وهو ظام بالعرا فرد غريب مستضام نازح
 والطاهرات حواسر وثواكل بين العدى ونوادب ونوائح
 في الطف يسجن الذیول بذلة والدهر سهم الغدرام رامح^(٦)
 يسترن بالأردان نور محاسن صوناً ولأعداء طرف طامح
 لهفي لزینب وهي تندب ندبها في ندبها والدمع سار سارح^(٧)
 تدعو: أخي يا واحدی ومؤملي من لي إذا ما ناب دهر كالح؟^(٨)
 من للیتامی راحم؟ من للایا می کافل؟ من للجفاة مناصح؟
 حزني لفاطم تلطم الخدين من عظم المصاب لها جوى وتبارح^(٩)
 أجفانها مقروحة ودموعها مسفوحة والصبر منها جامح
 تهوي لتقیيل القتيل تضمه بفتيل معجرها الدماء نواضح
 تحنو على النحر الخضيب وتلثم الث غر التريب لها فؤاد قاذح

- (١) مرّ حديث كسره ^{نالتف} الأصنام في صفحة ٢٣ - ٢٨ من هذا الجزء .
 (٢) الشوس جمع الأشوس . راجع ص ٢٤ . النجیع الدم المائل إلى السواد . سوابح جمع سابع : السريع الغير المضطرب في جريه .
 (٣) البيض جمع الأبيض : السيف . السمر : الرمح . اللدان جمع لدن بفتح اللام : اللين .
 (٤) المنافع : المدافع .
 (٥) ساف من سفى يسفى سفاً : التراب تدرى وتبدد . سافح : المصبوب الذي لا يحبسه شيء .
 (٦) يسجن من سحب سحباً : جرّ على وجه الأرض . الرامح : الطاعن بالرمح .
 (٧) السارح : الجاري جرياً سهلاً .
 (٨) ناب : نزل . الكالح من كلع وجهه : عبس وتكشّر فهو كالح .
 (٩) الجوى شدة الوجد من حزن أو عشق . داء في الصدر . التبارح من البرح : الأذى والعذاب الشديد والمشقة .

أسفي على حرم النبوة جثن مط
يَنْدُبْنَ بدرأ غاب في فلك الثرى
هذي أخي تدعو وهذي يأبي
والظهر مشغول بكرب الموت من
ولفاطم الصغرى نحيبٌ مقرحٌ
علجٌ يعالجهما لسلب حليهما
بالردن تستر وجهها وتمانع الـ
تستصرخ المولى الإمام وجدها
: يا جدُّ قد بلغ العدى ما أمَلوا
يا جدُّ غاب ولينا وحمينا
ضيّعتمونا والوصايا ضيّعت
يا فاطم الزهراء قومي وانظري
أكفانه نسجُ الغبار وغسله
وشبّوله نهب السيوف تزورها
وعلى السنان سنان رافع رأسه
والوحش يندب وحشة لفراقه
والأرض ترجف والسماء لأجله
والدهر من عظم الشجى شق الردا
يا للرجال لظلم آل محمّد

روحاً هنالك بالعتاب تطارح^(١)
وهزبر غاب غيبتة ضرائح
تشكو وليس لها ولي ناصح
ردّ الجواب وللمنية شابح^(٢)
يذكي الجوانج للجوارح جارح
فتطل في جهد العفاف تطارح^(٣)
ملعون عن نهب الردا وتكافح
وفؤادها بعد المسرة نازح
فيما وقد شمت العدو الكاشح
وكفينا ونصيرنا والناصرح
فيما وسهم الجور سارح
وجه الحسين له الصعيد مصافح
بدم الوريد ولم تنحه نوائح
بين الطفوف فراعل وجوارح^(٤)
ولجسمه خيل العداة روامح^(٥)
والجن إن جن الظلام نوائح
تبكي معاً والطير غاد رائح
أسفاً عليه وفاض جفن دالح^(٦)
ولأجل ثارهم وأين الكادح؟^(٧)

(١) تطارح : تجاوب .

(٢) الشايح من شبح شبحاً الجلد : مده بين أوتاد . الرجل مده كالمصلوب .

(٣) تطاوَح : تباعد .

(٤) فراعل جمع الفرعل : ولد الضبع . الجوارح جمع الجارحة : ذات الصيد من السباع والطيور والكلاب .

(٥) روامح من رمحته الدابة : رفته .

(٦) الدالح : الكثير الماء .

(٧) الكادح : الذي جهد نفسه في العمل .

يُضحي الحسين بكر بلاء مرماً
وعياله فيها حيارى حسراً
يُسرى بهم أسرى إلى شرّ الورى
ويُقاد زين العابدين مغلاً
ما يكشف الغمّاء إلا نفحة
نبويّة علويّة مهديّة
يضحى مناديهما ينادي : يا ثنا
والجنّ والأملاك حول لوائه
و و و في جذعيهما
و و و والإثم والد
لعنوا بما اقترفوا وكلّ جريمة
يابن النبيّ صابتي لا تنقضي
أبكىكم بمدامع تترى إذا
فاستجل من مولاك عبد ولاك من
برسيّة كملت عقود نظامها
مدّت إليك يداً وأنت منيلها
يرجوها (رجب) القبول إذا أتى
أنت المعاذ لدى المعاد وأنت لي
صلّى عليك الله ما سكب الحيا

عريان تكسوه التراب صحاصح^(١)
للذلّ في أشخاصهنّ ملامح^(٢)
من فوق أقتاب الجمال مضابح^(٣)
بالقيد لم يشفق عليه مسامح
يحيي بها الموتى نسيم نافع
يُشفى بريّاتها العليل البارح
رات الحسين وذاك يوم فارح
والرعب يقدم والحتوف تناوح^(٤)
خفضاً ونصب الصلب رفع فاتح
عدوان في ذلّ الهوان شوائح
شبّت لها منهم زناد قاذح
كمداً وحزني في الجوانح جانح^(٥)
بخل السحاب لها انصباب سافع
لولاك ما جادت عليه قرائح
حليّة ولها البديع وشائح^(٦)
يابن النبيّ وعن خطاها صافح
وهو الذي بك واثق لك مادح
إن ضاق بي رُحب البلاد الفاسح
دمعاً وماءبّ النسيم الفائح

(١) صحاصح جمع الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار .

(٢) الملاح : ما بدى من محاسن الوجه ومساويه .

(٣) المضابح : المقالي والمخاصم .

(٤) تناوح : تقابل .

(٥) الجوانح : الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر . الجانح من جنحت السفينة : لزقت

بالأرض فلم تمض .

(٦) وشائح جمع وشاح شبه قلادة يرصع بالجواهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحيها .

وله في رثاء الإمام السبط صلوات الله عليه قوله :

ماهاجني ذكر ذات البان والعلم
ولا صبوت لصبّ صاب مدمعه
ولا على طلل يوماً أطلت به
ولا تمسكت بالحادي وقلت له :
لكن تذكرت مولاي الحسين وقد
ففاض صبري وفاض الدمع وابتعد الر
وهام إذ همت العبرات من عدم^(١)
لم أنسه وجيوش الكفر جائشة
تطوف بالطف فرسان الضلال به
وللمنايا بفرسان المنى عجل
مُسائلًا ودموع العين سائلة
ما اسم هذا الثرى يا قوم ! فابتدروا
بكربلاء هذه تُدعى . فقال : أجل
خطوا الرّحال فحال الموت حلّ بنا
يا للرّجال لخطب حلّ مخترم ال
فها هنا تصبح الأكباد من ظمياً
وها هنا تصبح الأقمار آفلة
وها هنا تملك السادات أعبدُها
وها هنا تصبح الأجساد ثاوية
وها هنا بُعد بُعد الدار مدفننا

ولا السّلام على سلمى بذى سلم
من الصبابة صبّ الوابل الرزم^(٢)
مخاطباً لأهيل الحيّ والخيم
إن جئت سلماً فسل عن جيرة العلم^(٣)
أضحى بكرب البلاء في كربلاء ظمي
قاد واقترب السهاد بالسقم
قلبي ولم استطع مع ذاك منع دمي
والجيش في أمل والدين في ألم
والحق يسمع والأسماع في صمم
والموت يسعى على ساق بلا قدم
وهو العليم بعلم اللوح والقلم
بقولهم يوصلون الكلم بالكلم
آجالنا بين تلك الهضب والأكم
دون البقاء وغير الله لم يدم
آجال معتدياً في الأشهر الحرم
حرّى وأجسادها تروى بفيض دم
والشّمس في طفل والبدر في ظلم
ظلماً ومخدومها في قبضة الخدم
على الثرى مطعماً لليوم والرّخم^(٤)
وموعد الخصم عند الواحد الحكم

(١) صبوت من صبا يصبو : حنّ . الصب : العاشق . الصبابة : الشوق ورقة الهوى . الوابل
المطر الشديد . الرزم : الذي لا ينقطع رعه .

(٢) مطلع بديعية صفي الدين الحلي . راجع ج ٦ ص ٦٣

(٣) همت من همى يهيم همياً : سال لا يشيه شيء .

(٤) اليوم : طائر يسكن الخراب . الرخم : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع .

وصاح بالصبح هذا الموت فابتدروا
 من كل أبيض وضاح الجبين فتى
 من كل منتدب لله محتسب
 وكل مصطلم الأبطال مصطلم ال
 وراح ثم جواد السبب ينديه
 فمذراته النساء الطاهرات بدا
 برزن نادبة حسرى وثاكلة
 فجئن والسبب ملقى بالنصال أبت
 والشمير ينحرم منه النحر من حق
 فتستر الوجة في كم عقيلته
 تدعوأخاها الغريب المستضام أخي
 من اتكلت عليه في النساء ومن
 هذي سكيمة قد عزت سكينتها
 تهوي لتقبيله والدمع منهمر
 فيمنع الدم والنصل الكسير به
 تضمه نحوها شوقاً وتلثمه
 تقول من عظم شكواها ولوعتها
 أخي لقد كنت نوراً يستضاء به
 أخي لقد كنت غوثاً للأرامل يا
 يا كافلي هل ترى الأيتام بعدك في
 يا واحدي يا ابن أمي يا حسين لقد
 ويردوا غلل الأحقاد من ضغني

أسداً فرائسها الأساد في الأجم
 يغشي صلي الحرب لا يخشى من الضرم
 في الله مُنتجب بالله مُعتصم
 آجال مُلتمس الآمال مُستلم
 عالي الصهيل خلياً طالب الخيم
 يكادم^(١) الأرض في خذله وفم
 عبرى ومعلولة بالمدمع السجم
 من كف مُستلم أو ثغر ملتئم
 والأرض ترجف خوفاً من فعالهم
 وتنحني فوق قلب واله كلم^(٢)
 ياليت طرف المنايا عن علاك عم
 أوصيت فينا ومن يخنو على الحرم ؟
 وهذه فاطمة تبكي بفيض دم
 والسبط عنها بكرب الموت في غم^(٣)
 عنها فتنصل لم تبرح ولم ترم
 ويخضب النحر منه صدرها بدم
 وحزنها غير منقض ومنفصم
 فما لنور الهدى والدين في ظلم
 غوث اليتامى وبحر الجود والكرم
 اسر المذلّة والأوصاب^(٤) والألم
 نال العدى ما تمنوا من طلابهم
 وأظهروا ما تخفى في صدورهم

(١) يكادم : يعض .

(٢) الكلم من كلمة علماً : جرحه .

(٣) غم بضم المعجمة جمع الغمة : الحيرة واللبس .

(٤) الأوصاب جمع الوصب راجع ص ٧٠ .

أين الشفيقُ وقد بان الشقيقُ وقد
مات الكفيلُ وغاب اللَّيثُ فابتدرت
وتستغيثُ رسولَ الله صارخةً :
يا جَدُّ لَو نَظَرْتُ عَيْنَاكَ مِنْ حَزَنٍ
مُشَرَّدِينَ عَنِ الْأَوْطَانِ قَدْ قَهَرُوا
يُسْرَى بِهِنَّ سَبَايَا بَعْدَ عَزِّهِمْ
هَذَا بَقِيَّةُ آلِ اللَّهِ سَيِّدِ أَهْلِ
نَجَلِ الْحُسَيْنِ الْفَتَى الْبَاقِي وَوَارَثِهِ
يُسَاقُ فِي الْأَسْرِ نَحْوَ الشَّامِ مَهْتَضِماً
أَيْنَ النَّبِيِّ وَتَغَرَّ السُّبُطُ يَقْرَعُهُ
أَيْنَكْتَ الرَّجْسُ ثَغْراً كَانَ قَبْلَهُ
وَيَدَّعِي بَعْدَهَا الْإِسْلَامَ مِنْ سَفَهٍ
يَا وَيْلَهُ حِينَ تَأْتِي الطُّهْرُ فَاظْمَةٌ
تَأْتِي فَيَطْرُقُ أَهْلُ الْجَمْعِ أَجْمَعُ
وَتَشْتَكِي عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ صَارِخَةً
هَنَّاكَ يَظْهَرُ حُكْمُ اللَّهِ فِي مَلَأٍ
وَفِي يَدَيْهَا قَمِيصٌ لِلْحُسَيْنِ غَدَا
أَيَا بَنِي الْوَحْيِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَمَنْ
حَزَنِي لَكُمْ أَبَدًا لَا يَنْقُضِي كَمَدًا
حَتَّى تَعُودَ إِلَيْكُمْ دَوْلَةٌ وَعُدَّتْ
فَلَيْسَ لِلدِّينِ مِنْ حَامٍ وَمُنْتَصِرٍ
الْقَائِمُ الْخَلْفُ الْمَهْدِيُّ سَيِّدُنَا
بَدْرُ الْغِيَا هَبْ تَيَّارُ الْمَوَاهِبِ مَدِّ

جار الرفيق ولجَّ الدهر في الأزم^(١)
عرج الضباع على الأشبال في نهم
يا جَدُّ أَيْنَ الْوَصَايَا فِي ذَوِي الرَّحِمِ ؟
لِلْعَتْرَةِ الْغُرْبَاءِ بَعْدَ الصُّونِ وَالْحَشَمِ
تُكَلِّى أَسَارَى حِيَارَى ضَرَّ جَوَابِدَمِ
فَوْقَ الْمَطَايَا كَسْبِي الرُّومِ وَالْخُدَمِ
لِ الْأَرْضِ زَيْنُ عِبَادِ اللَّهِ كُلَّهُم
وَالسَّيِّدِ الْعَابِدِ السَّجَّادِ فِي الظُّلَمِ
بَيْنَ الْأَعَادِي فَمَنْ بِأَكِّ وَمَبْتَسَمِ
يَزِيدُ بَغْضًا لَخَيْرِ الْخَلْقِ كُلَّهُم ؟
مَنْ جَبَّ الطَّهْرَ خَيْرُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ؟
وَكَانَ أَكْفَرُ مَنْ عَادَ وَمَنْ إِرَمِ ؟
فِي الْحَشْرِ صَارِخَةً فِي مَوْقِفِ الْأُمَمِ
مِنْهَا حَيَاءٌ وَوَجْهٌ الْأَرْضِ فِي قَتَمِ
وَتَسْتَغِيثُ إِلَى الْجَبَّارِ ذِي النِّقَمِ
عَضُّوا وَخَانُوا فَيَا سَحْقاً لِفَعْلِهِمْ
مَضْمُخاً بِدَمٍ قَرْنَاءُ إِلَى قَدَمِ
وَلَا هُمْ أَمَلِي وَالْبَرِّ مِنْ أَلَمِي
حَتَّى الْمَمَاتِ وَرَدُّ الرُّوحِ فِي رَمَمِ
مَهْدِيَّةً تَمَلَأُ الْأَقْطَارَ بِالنِّعَمِ
إِلَّا الْإِمَامَ الْفَتَى الْكَشَّافَ لِلظُّلَمِ
الطَّاهِرَ الْعِلْمِ ابْنَ الطَّاهِرِ الْعِلْمِ
بُصُورَ الْكُتَائِبِ حَامِي الْحُلِّ وَالْحَرَمِ^(٢)

(١) الازم : من أزم الدهر القوم : استأصلهم . وأزم بصاحبه : لزم . وأزم الحبل : أحكم فعله . والازم ج الأزمة : الشدة .

(٢) الغياهب جمع الغيهب : الظلمة الشديدة السواد من الليل . التَّيَّار . موج البحر الهائج . الكُتَائِب جمع الكُتَيْبَة : القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل .

يا بن الإمام الزكيّ العسكري فتى الـ
يا بن الجواد ويا نجل الرضا ويا
خليفة الصادق المولى الذي ظهرت
خليفة الباقر المولى خليفة زيد
نجل الحسين شهيد الطفّ سيّدنا
نجل الحسين سليل الطّهر فاطمة
يا بن النبيّ ويا بن الطّهر حيدر
أنت الفخار ومعناه وصورته
أيامك البيض خضر فهي خاتمة الـ
متى نراك فلا ظلّم ولا ظلم
أقبل فسبل الهدى والدين قد طمست
يا آل طاهّا ومن جبيّ لهم شرف
إليكم مدحة جاءت منظمّة
بسيطة إن شذت أو أنشدت عطرت
بكرأعروسا تكولاً زفّها حزن
يرجوبها (رجب) رَحِب المقام غداً
يا سادة الحقّ مالي غيركم أمل
ما قدر مدحي والرحمن ما دحك
حاشاكم تحرموا الراجي مكارمكم
أو يختشي الزلّة (البرسي) وهو يرى
إليكم تحف التسليم واصله
صلّى إلّاه عليكم ما بدا نسّم^(١)
وله قوله :
أما والذي لدمي حلّلا

هبادي التقيّ عليّ الطاهر الشيم
سليل كاظم غيظ منبّع الكرم
علومه فأنارت غيهب الظلم
من العابدين عليّ طيّب الخيم
وحبّذا مفخرٌ يعلو على الأمم
وابن الوصيّ عليّ كاسر الصنم^(١)
يا بن البتول ويا بن الحلّ والحرم
ونقطة الحكم لا بل خطّة الحكيم
لدنيا وختم سعود الدين والأُمم
والدين في رَغَد والكفر في رَغَم ؟
ومسّها نصبّ والحقّ في عدم
أعدّه في الوري من أعظم النعم
ميمونة صبغتها من جوهر الكلم
بمدحك كبساط الزهر منخرم
على المنابر غير الدّمع لم تسم
بعد العناء غناء غير منهدم
وحبّكم عدّتي والمدح معتصمي
في هل أتى قد أتى مع نون والقلم
ويرجع الجار عنكم غير محترم
ولاكم فوق ذي القربى وذو الرحم
ومنكم وبكم أنجوم من النقم
وما أتت نسمات الصبح في الحرم
وخصّ أهيل الولا بالبللا

(١) راجع من هذا الجزء ص ٢٣-٢٨

(٢) نسّم جمع النّمة : الإنسان أو كل دابة فيها روح .

لما قال قلبي لساقيه : لا
يلدُ افتضاحي بين الملا
د تسلى وما قطُ أنا سلا
بأن المحب هو المبتلى

لئن أسق فيه كؤس الحمام
فموتي حياتي وفي حبه
فمن يسئل عنه ؟ فإن الفؤا
مضت سنة الله في خلقه
وله قوله :

سرّاً كان مخفياً
نوراً كان مطوياً
والسّادات علوياً
ومحسوداً ومرضياً
وكن طيراً سماوياً
لا يقرب إنسياً
والوحدة منسياً
بسهم البغض مرمياً
أبوه الزنج بصرياً
مجوسياً يهودياً
ذاك الطين كوفياً
برسياً وحلياً

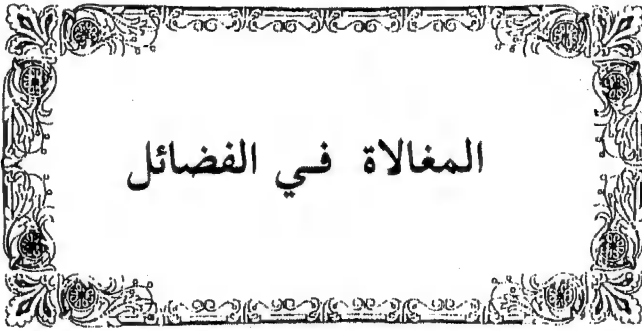
لقد أظهرت يا حافظُ
وأبرزت من الأنوار
به قد صرت عند الله
ومقبولاً ومسعوداً
فطب نفساً وعش فرداً
غريباً يالف الخلوة
غدا في الناس بالخلوة
وإن أصبحت مرفوضاً
فلم يبغضك إلا من
عمانيّاً مرادياً
لهذا قد غدا يبغض
وفي المولد والمحتد

وله في الغزال قوله :

كلفت بها عشقاً وهمت بها وجدا
كما أنني أصبحت فيهم لها عبدا
فذا مانحُ صداً وذا صاعرُ خدا
عليّ كأنّي قد قتلتُ له ولدا
سوى أنني أصبحتُ في حبّها فردا
حماها كما يمتته أعذروا حدا
بأن امتداحي جاوز الحد والعدا

لقد شاع عني حبٌ ليلي وإنني
وأصبحت أدعى سيّداً بين قومها
ألا قي السورى في حبّها في تنكّر
وذا عابسُ وجهاً يطولُ أنفه
ولا ذنب لي في هجرهم لي وهجرهم
ولو عرفوا ما قد عرفتُ ويّمّموا
وظنّوا وبعض الظنّ إنهم وشنعوا

فوالله ما وصفني لها جازحده ولكنها في الحسن قد جازت الحد
 هذه جملة ما وقفنا عليه من شعر شيخنا الحافظ البرسي وهي ٥٤٠ بيتاً ولا
 يوجد فيها كما ترى شيء مما يرمى به من الإرتفاع والغلو فالأمر كما قال هو :
 وظنوا وبعض الظنّ إنهم وشنعوا بأن امتداحي جاوز الحد والعدا
 فوالله ما وصفني لها جازحده ولكنها في الحسن قد جازت الحد
 توجد ترجمته في أمل الأمل . ورياض العلماء . ورياض الجنة في الروضة
 الرابعة . وروضات الجنات . وتتميم الأمل للسيد ابن أبي شبانه . الكنى
 والألقاب . واعيان الشيعة . والطلبة . والبابليات .
 ولم نقف على تاريخ ولادة شاعرنا الحافظ ووفاته ، غير أنه أرّخ بعض تأليفه
 بقوله : إن بين ولادة المهدي ^{عليه السلام} وبين تأليف هذا الكتاب خمسمائة وثمانية عشر
 سنة . فيوافق سنة ٧٧٣ ، أخذاً برواية سنة ٢٥٥ في ولادة الإمام المنصور صلوات الله
 عليه ، ومرّ في تاريخ بعض كتبه أنه أرّخه بسنة ٨١٣ ، ولعله توفي حدود هذا
 التاريخ والله العالم .



المغلاة في الفضائل

لَمَّا وَقَعَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ شُعْرَاءِ الْغَدِيرِ نَظْرَاءَ الْمُرْجَمِ - الْبَرْسِيِّ - فِي شَبْكِ النِّقْدِ وَالْإِعْتِرَاضِ ، وَرُمُوا بِالْغُلُوِّ ؛ وَجَاءَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ ^(١) فَشَنَّ عَلَيْهِمُ الْغَارَاتِ بِالْقَذْفِ وَالسَّبَابِ الْمَقْدَحِ فِيهِمُنَا إِيقَافُ الْبَاحِثِ عَلَى هَذَا الْمَهْمِّ حَتَّى لَا يَسْتَهْوِيَهُ اللَّغَبُ وَالصَّخْبُ ، وَلَا يَصِيخُ إِلَى النُّعْرَاتِ الطَّائِفِيَّةِ الْمَمْقُوتَةِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ ، فَنَقُولُ :

الْغُلُوُّ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ أَثْمَةُ اللُّغَةِ كَالْجَوْهَرِيِّ وَالْفَيَّومِيِّ وَالرَّاعِبِيِّ وَغَيْرِهِمْ هُوَ تَجَاوُزُ الْحَدِّ ، وَمِنْهُ غَلَا السَّعْرُ يَغْلُو غَلَاءً ، وَغَلَا الرَّجُلُ غُلُوًّا ، وَغَلَا بِالْجَارِيَةِ لَحْمَهَا وَعَظْمَهَا إِذَا أَسْرَعَتِ الشَّبَابَ فَجَاوَزَتْ لِدَاتَهَا قَالَ الْحَرِثُ بْنُ خَالِدٍ الْمَخْزُومِيُّ :

خَمَصَانَةٌ قَلَقَ مَوْشَحَهَا رُودَ الشَّبَابِ غَلَابَهَا عَظَمَ

وَمِنْهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : لَا تَغَالُوا فِي النِّسَاءِ فَإِنَّمَا هُنَّ سَقِيَا اللَّهِ ^(٢) وَقَوْلُ عَمْرِو : لَا تَغَالُوا فِي مَهْوَرِ النِّسَاءِ ^(٣) وَالْغُلُوُّ مَمْقُوتٌ لَا مُحَالَةَ أَيْنَمَا كَانَ وَحَيْثُمَا كَانَ

(١) كَابِنُ تَيْمِيَّةَ ، وَابْنُ كَثِيرٍ ، وَالْقَصِيمِيُّ ، وَمُوسَى جَارُ اللَّهِ . وَمَنْ لَفَّ لَفْهِمْ .

(٢) الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ج ٢ ص ٢١ .

(٣) رَاجِعُ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْكِتَابِ ص ١٢٤

في أيّ أمر كان ، ولا سيّما في الدّين وعليه ينزّل قوله تعالى في موضعين^(١) من الذكر الحكيم : ﴿يا أهل الكتاب لا تغلّوا في دينكم﴾ . ويعني في ذلك كما ذكره المفسرون^(٢) غلّو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم ، وغلّو النصارى حتى جعلوه ربّاً فالإفراط والتقصير كله سيّئة . والحسنة بين السيّتين كما قاله مطرف بن عبد الله ، وقال الشاعر :

وأوف ولا تستوف حقّك كله وصافح فلم يستوف قطّ كريم
ولا تغلّ في شيء من الأمور اقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال آخر :

عليك بأوساط الأمور فإنّها نجاة ولا تتركب ذلولا ولا صعبا

وقال مولانا أمير المؤمنين : إنّ دين الله بين المقصّر والغالي فعليكم بالنمرقة الوسطى فيها يلحق المقصّر ، ويرجع إليها الغالي^(٣) غير أنّ من الواجب تعيين الحدّ الذي لا يجوز في الدين أن يتجاوزه الإنسان لاستلزام الغلّو الكذب تارة ، والإغراء بالجهل أخرى ، وبخس الحقوق الواجبة آونة ، لا ما دأبت عليه أمة من الرمي بالغلّو كلّ قاتل ما لا يروقها ، وتحذوها العصبية العمياء إلى التجهم أمام القول بما لا يلائم ذوقها ، ومن هذا الباب أكثر ما ترمى به الشيعة الإماميّة من الغلّو لاعتقادهم أو روايتهم فضائل لأئمة أهل البيت عليهم السلام ، وقد طفحت بها الصحاح والمسانيد ، وتدفّقت بنقلها الكتب والمؤلّفات ، حيث لم يُقم من نبّههم به لأئمة الهدى وزناً تقيمه الحقيقة ويقتضيه مقامهم الأسمى ، ذلك المقام الشامخ المستنبط من الكتاب والسنة والإعتبار الصحيح والقضايا الخارجيّة الصادقة المتسالم عليها بين الأئمة ، لولا أنّ هناك من يتعمى أو يتصامم عن رؤية هذه وساع هاتيك ، أو تقصر منته العلمية عن تحليل الفلسفة الصحيحة ، أو يقصر باعه عن الإحاطة بالكائنات التاريخيّة ، من الذين استأسرهم الهوى وتدهور بهم الجهل إلى هوّة التيه والضلال ، فعبدوا من

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١٧١ ، سورة المائدة ؛ الآية : ٧٧ .

(٢) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢١ .

(٣) ربيع الأبرار للزمخشري .

الغلوّ الفاحش القول بعلم الغيب فيهم ، أو إخبارهم عمّا في الضمير ، أو تكلم الموتى معهم ، أو علمهم بمنطق الطير والحيوانات ، أو إحياء الله الموتى بدعائهم ، أو استجابة دعواتهم في براء الأكمه والأبرص ، وبإلّ كلّ ذي عاهة ، أو القول بالرجعة لهم ، أو ظهور كرامة لهم تخرق العادة ، أو الشخوص إلى زيارة قبورهم والتوسّل بهم ، والتبرّك بتربتهم ، والدعاء والصّلاة عند مراقدهم ، أو التلهف والتأسف على ما انتابهم من المصائب ، إلى كثير من أمثال هذه من مبادئ تراها الشيعة في العترة الهادية من فضائلهم المدعومة بالبرهنة الصحيحة والحجج القويّة ممّا أنكرته أبناء حزم وجوزي وتيميّة وقيّم وكثير ومّن حذا حذوهم ولفّ لفّهم .

ولعلّ لهم العذر في ذلك بأنّ الذي يرتأونه في الخليفة لا يزيد على أنّه رجلٌ يقطع السارق ويقتصّ من القاتل ، ويحفظ الثغور ، ويدحر الهرج في الأوساط ، ويجمع الفيء ويقسّم ، إلى أمثال هذه ممّا هو شأن الملوك والأمراء في الأمم والأجيال ، وتُعرّب عنه خطب أبي بكر وعمر لما استخلفا^(١) واستخلاف عثمان ومعاوية وابنه الطاعي ، وهلمّ جرّاً ، وحديث عبد الله بن عمر وحמיד بن عبد الرّحمن كما يأتي بيانه .

وهم لا يوجبون في الخليفة قوّة في النفس منبعثة عن نزاهة وقداصة وعصمة يتصرّف بها صاحبها في الكائنات كيفما اقتضته المصلحة ، ويبصر المغيب بعين بصيرته ، أو بنور بصره الذي لا يقلّ عن أشعة (رتنجن) التي يبصر صاحبها الأمعاء من وراء الجلد الغليظ وتُري ما في قبضة الماسك بيده من ظهر اليد ، وبلغت بها القوّة حتى أخذت بها الصورة الشمسيّة من وراء سياج الصندوق الحديدي .

والذي يخبت في القوى النفسية إلى مثل التنويم المغناطيسي الصناعي ، أو استحضار الأرواح واستخدامها للجواب عن كلّ مسألة يريدّها الإنسان ممّا في وراء عالم الشهود بقوّة نفسه كيف يسعه إنكار ردّ الأرواح إلى الأجسام بإذن ربّها لدعاء

(١) راجع الجزء السادس من الكتاب ص ٢٢٩ وهذا الجزء فيما يأتي .

وليّ ، أو مقدرة صدّيق موهوبة له من بارئ كيانه ؟ وليس على الله بعزيز ، هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .

وكذلك مَنْ يشهد : أن الطائرات الجوية تطوي مئات من الفراسخ في آونة قصيرة ، وكان يستدعي ذلك اشغال أشهر من الزمن يوم كانوا يطوونها على الظهور ، أتى يُسَيِّغ له حِجَاه أن ينكر طيّ الأرض لمن يحمل بين جنبه قوًى مفاضةً من المبدأ الحقّ سبحانه ؟ ﴿وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السحاب﴾ (١) .

ومثله : الذي يبصر المذياع وهو ينقل الأصوات من أبعد المسافات فيسمعها كأنّه يتلو القرآن الكريم ، أو يُلقِي خطابه ، أو يسرد أخباره ، أو يغني بأهازيجه إلى جنبه ، فهو لا يسعه إنكار ما يشابه ذلك في إمام حقّ مؤيّد من عند الله ، ﴿إن الله يسمع مَنْ يشاء وما أنت بمسمع مَنْ في القبور﴾ (٢) .

ونظيره : المتكلّم الذي تُمثّل له بالقوى الممثّلة صورة مَنْ يخاطبه ويتكلّم معه (في الهاتف) مِنْ صقعٍ شاسعٍ كأنّه يراه وينظر إليه من كُتب . ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السّموات والأرض﴾ (٣) .

وأمثال هذه في المكتشفات الحديثة من آثار الكهرباء وغيرها كثيرة ذلّت فيهم العضلات التي كانت تقصر عنها العقول السدّج قبل هذا اليوم ، ولعلّ في المستقبل الكشّاف يكون ما هو أعظم وأعظم من هذه كلّها ، فإنّ العلم لم يقف على حدّ ، ولا ذلّت البرهنة على وصول الكشف إلى غايته المحدودة ، فمن الجائز أن يتدرّج إلى الأمام كما تدرّج في هذه القرون الأخيرة جلّت قدرة بارئها .

أنا لا أحاول جعل تلكم المعاجز وكرامات الأولياء من قبيل ما ذكرته من مجاري الناموس الطبيعيّ ، ولو أنّها لا يعدوها الإعجاز حتّى لو كانت على تلك المجاري ، لأنّها حدثت يوم لم تكن هذه الآثار مكتشفة ، ولا عرفها أحدٌ من الناس ، حتّى أنّه لو فاه بها أحدٌ لما كانوا يحفلون به إلّا بالهزء والسخرية معتقدين

(١) سورة النمل ؛ الآية : ٨٨ .

(٢) سورة فاطر ؛ الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الأنعام ؛ الآية : ٧٥ .

بأنه يلهج بالمحال فصدورها من إنسان هذا ظرفه وتلك أحوال أمته ، ولم يعهد أنه دخل كلية أو تخرج على يد أستاذ لا يعدوه أن تكون معجزة ، لكننا نعتقد أن أولئك الأئمة - بما أنهم مقيضون لإصلاح الأمة ولا يكون إلا بخضوعها لهم ، وأقوى الحجج لاستلانة جماحها لذلك الخضوع هو صدور المعجزات والخوارق - لهم صلة بالمبدأ الأقدس يسددهم بها من فوق عالم الطبيعة ، وهو لازم اللطف الواجب على الله سبحانه من تقرب البعيد إلى ما ذكرناه من الاكتشافات الحديثة لتقريب الأذهان وتشحيذها ، وإيقاف المنصف على الحقائق . وقد فصلنا القول في الموضوع في الجزء الخامس ص ٧٧ ، ٩٢

فهلّم معي إلى أناس يشنعون على الشيعة بإثبات تلکم النسب ، ويقذفونهم بالغلو والكفر والشرك وهم يثبتونها لغير واحد من أوليائهم ، وذكروا أضعاف ما عند الشيعة من تلکم الفضائل المرمية بالغلو في تراجم العاديين من رجالهم ، ونشروها في الملاء واتخذوها تاريخاً صحيحاً من دون أي غمز وإنكار في السند ، ومن غير مناقشة ونظرة صحيحة في المتون ، كل ذلك حباً وكرامة لأولئك الرجال ، وحب الشيء يعمي ويصم ، وهذه السيرة مطردة فيهم منذ القرن الأول حتى اليوم ، ولا يسع لأي باحث رمي أولئك المؤلفين الحفاظ بالضلال والشرك والغلو وخروجهم عما أجمعت عليه الأمة الإسلامية كما هم رموا الشيعة بذلك ، على أن الباحث يجد فيما لفته يد الدعاية والنشر ، ونسجته أكف المخرقة والغلو في الفضائل ، عجائب وغرائب أو قل : سفاسف وسفسطات ، تبعد عن نطاق العقل السليم ، فضلاً عن أن تكون مشروعة أو غير مشروعة . وإليك البيان :

الغلو في أبي بكر :

ليس من العسير الشديد عرفان حدود أي فرد شئت من الصحابة ، إذ التاريخ - مع ما فيه من الخطب والخلط ، مع ما نسجت عليه أيدي المعرة الأئمة ، مع ما طمس صحيحه بالفتن المظلمة في أدوارها وقرونها الخالية ، مع ما لعبت به الأهواء المضلة بالتحريف والإختلاق ، مع ما دس فيه عباقرة الإفك والإفتعال ، مع ما سوّدت صفحاته بآراء تافهة ، ونظريات سخيفة ، ومبادئ فاسدة ، ونعرات طائفية ، ومخاريق قومية ، وجنایات شعوبية - فيه رمز من الحقيقة ، لا يختلط للناقد

البصير زُبده بخائره ، وصحيحه بسقيمه ، ويسع له أن يستخرج المحض بالمخص ، يتخذ منه دروس الحقائق ، ويعرف به حدود الرجال ، ومقاييس السلف ، ومقادير الأمم الغابرة .

ومن اللازم المحتوم علينا النظرة في تراجم الشخصيات البارزة من رجال الإسلام سلفاً وخلفاً بعين الإكبار دون عين رمصة ، ولا سيما من عُرف منهم بالخلافة الراشدة بين الملأ الديني ولو بالانتخاب الدستوري الذي ليس له أي قيمة وكرامة في سوق الإعتبار ، وميزان العدل ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾^(١) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٢) ﴿وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٣) ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) ، ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكَلَّ أَمْرٌ مُسْتَقَرٌّ﴾^(٥) .

فصاحب النبي الأعظم في الغار ، والمهاجر الوحيد معه في الرعيل الأول من المهاجرين السابقين يهَمُّنا إكباره وإعظامه ، ويُعدُّ من الجنايات الفاحشة بخس حقه ، والتقصير في تحديد نفسياته ، والخروج عن قضاء العدل فيها ، والنزول على حكم العاطفة .

ونحن لا نحوم حول موضوع الخلافة وأنها كيف تُمَّت ؟ كيف صارت ؟ كيف قامت ؟ كيف دامت ؟ وأن الآراء فيها هل كانت حرة ؟ ووصايا المشرع الأعظم هل كانت متبعة ؟ أو كانت للأهواء والشهوات يوم ذاك حكومة جبارة هي تبطش وتقبض ، وهي ترفع وتخفض ، وهي ترتق وتفتق ، وهي تنقض وتبرم ، وهي تحل وتعقد .

لا يهَمُّنا البحث عن هذه كلها بعدما سمعت أذن الدنيا حديث السقيفة مجتمع

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٦٨ .

(٢) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٦ .

(٣) سورة الروم ؛ الآية : ٤ .

(٤) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٢٧ .

(٥) سورة القمر ؛ الآية : ٦٧ .

الثويلة ، وقرّطت نبأ تلك الصاخة الكبرى ، والتحارش العظيم بين المهاجرين والأنصار ، إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة .

ما عساني أن أقول ؟ والتاريخ بين يدي الباحث يدرسه بأنّ كلّ رجل من سواد الناس يوم ذاك كان يرى الفوز والسّلامة لنفسه في عدم التحزّب بأحد من تلكم الأحزاب المتكثّرة ، وترك الإقتحام في تلك الثورات النائرة ، وكانت الخواطر تهدّده بالقتل مهما أبدى الشقاق ، أو التحيز إلى فئة دون فئة ، بعدما رأت عيناه فيرند الصارم المستول ، وسمعت أذناه نداء محرّ^(١) يتوعّد بالقتل كلّ قائل بموت رسول الله ، ويقول : لا أسمع رجلاً يقول : مات رسول الله إلّا ضربته بسيّفي . أو يقول : من قال : إنّه مات ، علّوت رأسه بسيّفي ، وإنّما ارتفع إلى السّماء^(٢) .

يصحّح : من قال نفس المصطفى قبضت علوت هامته بالسيف أبريها^(٣)

بعدما تشازرت الأُمّة وتلاكمت وتكاملت وقام الشيخان يعرض كلّ منهما البيعة لصاحبه قبل أخذ الرأي عن أيّ أحد ، كأنّ الأمر دبرّ بليل ، فيقول هذا لصاحبه : أبسط يدك فلاّبايعك . ويقول آخر : بل أنت . وكلّ منهما يريد أن يفتح يد صاحبه ويبايعه ، ومعهما أبو عبيدة الجراح حفّار القبور بالمدينة^(٤) يدعو الناس إليهما^(٥) . والوصيّ الأقدس والعترّة الهادية وبنو هاشم ألهاهم النّبّي الأعظم وهو مسجّى بين يديهم وقد أغلق دونه الباب أهله^(٦) وخلّى أصحابه من الله والو رسلم بينه وبين

(١) المحرّز : الرجل الغليظ الكلام .

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٢ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٦ ، المواهب اللدنية للقسطلاني ، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٤ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ٢٨٠ ، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحليّة ج ٣ ص ٣٧١ - ٣٧٤ ، ذكرى حافظ للدمياطي ص ٣٦ نقلاً عن الغزالي .

(٣) من أبيات القصيدة العمريّة لحافظ إبراهيم شاعر النيل .

(٤) راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ٣٨١ ، ٣٨٢

(٥) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٩ .

(٦) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٦ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٣ .

أهله فولوا لإجنانته^(١) ومكث ثلاثة أيام لا يُدفن^(٢) أو من يوم الإثنين إلى يوم الأربعاء أو ليلته^(٣) فدفنه أهله ولم يله إلا أقاربه^(٤) دفنوه في الليل أو في آخره^(٥) ولم يعلم به القوم إلا بعد سماع صريف المساحي وهم في بيوتهم من جوف الليل^(٦) ولم يشهد الشيخان دفنه عنه صلوات الله عليه ^(٧) .

بعدما رأى الرجل عمر بن الخطاب محتجراً يهرول بين يدي أبي بكر وقد نبر حتى أزيد شدقه^(٨) .

بعدما قرعت سمعه عقيرة صحابي بدري عظيم - الحباب بن المنذر - وقد انتضى سيفه على أبي بكر ويقول : والله لا يرؤ عليّ أحدًا ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف ، أنا جُذيلها المحكك^(٩) وعُذيقها المرجب ، أنا أبو شبل في عرينة الأسد يُعزى إلى الأسد ، فيقال عليه : إذن يقتلك الله . فيقول : بل إياك يقتل . أو : بل

(١) طبقات ابن سعد ص ٨٢١ ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٦ .

(٢) تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٧١ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٢ .

(٣) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٢ ص ٥٨ ، ٥٩ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، مسند أحمد ج ٦ ص ٢٧٤ ، سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٩٩ ، سيرة ابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٤٠ ، تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٢ ، وقال : الأصح دفنه ليلة الأربعاء ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ١٧١ وقال : هو المشهور عن الجمهور . وقال : والصحيح أنه دفن ليلة الأربعاء ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩٤ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ٢٨٤ ، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية ج ٣ ص ٣٨٠ .

(٤) طبقات ابن سعد ص ٨٢٤ ، ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٨ .

(٥) سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٩٩ ، مسند أحمد ج ٦ ص ٢٧٤ .

(٦) الطبقات لابن سعد ص ٨٢٤ ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٨ ، مسند أحمد ج ٦ ص ٢٧٤ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٧٠ .

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٤٠ .

(٨) طبقات ابن سعد ص ٧٨٧ ، ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٣ .

(٩) الجذل بالكسر والفتح : أصل الشجرة والعود الذي ينصب للإبل الجربى لتحكك به فتستشفى به ، فالقول مثل يضرب لمن يستشفى برأيه ويعتمد عليه ، والتصغير للتعظيم .

وكذلك عذيقها المرجب . والعذق : النخلة بحملها والترجيب أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لثلا تنكسر أغصانها .

أراك تقتل (١) فأخذ ووطىء في بطنه ، ودُسَّ في فيه التراب (٢) .

بعدما شاهد ثالثاً يخالف البيعة لأبي بكر وينادي : أما والله أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل ، وأخضب منكم سناني ورمحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي (٣) .

بعدما رأى رابعاً يتذمّر على البيعة ، ويشبُّ نار الحرب بقوله : إنِّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم (٤) .

بعدما نظر إلى مثل سعد بن عبادَةَ أمير الخزرج وقد وقع في ورطة الهون يُنزى عليه ، ويُنادى عليه بغضب : اقتلوا سعداً قتله الله إنّه منافق . أو : صاحب فتنة . وقد قام الرجل على رأسه ويقول : لقد هممت أن أطأك حتّى تندر عضوك . أو تندر عيونك (٥) .

بعدما شاهد قيس بن سعد قد أخذ بلحية عمر قائلاً : والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة . أو : لو خفضت منه شعرة ما رجعت وفيك جارحة (٦) .

(١) صحيح البخاري ج ١٠ ص ٤٥ ، مسند أحمد ج ١ ص ٥٦ ، البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨١ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٩ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٨ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٦ ، ج ٧ ص ١٤٢ ، الصفوة ج ١ ص ٩٧ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٤٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ وج ٢ ص ٤ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٧ ، أبو بكر الصديق للأستاذ محمد رضا المصري ص ٢٥ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦ .

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ١٣٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٧ .

(٤) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا صفحة ٣١٢ .

(٥) مسند أحمد ج ١ ص ٥٦ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٩ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٩ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٤ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٧ .

(٦) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٧ .

بعدهما عاين الزبير وقد اخترط سيفه ويقول : لا أغمده حتى يبائع علي .
فيقول عمر : عليكم الكلب ، فيؤخذ سيفه من يده ويضرب به الحجر ويكسر^(١) .

بعدهما بصر مقداراً ذلك الرجل العظيم وهو يدافع في صدره ، أو نظر إلى
الجباب بن المنذر وهو يحطم أنفه ، وتضرب يده أو إلى اللاتيين بدار النبوة ، مأمّن
الأمة ، وبيت شرفها ، بيت فاطمة وعلي - سلام الله عليهما - وقد لحقهم الإرهاب
والترعيد^(٢) وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال لهم : إن أبوا فقاتلهم .
فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت : يا بن
الخطاب أجيئت لتحرق دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة^(٣) .

بعدهما رأى هجوم رجال الحزب السياسي دار أهل الوحي وكشف بيت
فاطمة^(٤) وقد علت عقيرة قائدهم بعدهما دعا بالخطب : والله لتحرقن عليكم أو
لتخرجن إلى البيعة . أو لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقنّها على من فيها . فيقال
للرجل : إن فيها فاطمة . فيقول : وإن^(٥) .

بعد قول ابن شحنة : إن عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه على من فيه فلقيته
فاطمة فقال : ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة «تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ج ٧
ص ١٦٤» .

بعدهما سمع أنه وحنة من حزينه كثية - بضعة المصطفى - وقد خرجت عن

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٩ ، الرياض النضرة ج ١
ص ١٦٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٨ ، ١٣٢ ، ج ٢ ص ٥ ، ١٩ .
(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٨ .
(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٠ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٦ ، أعلام النساء ج ٣
ص ١٢٠٧ .

(٤) الأموال لأبي عبيد ص ١٣١ ، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٨ ، تاريخ الطبري ج ٤
ص ٥٢ ، مروج الذهب ج ١ ص ٤١٤ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٤ ، تاريخ اليعقوبي ج ٢
ص ١٠٥ .

(٥) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٨ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١
ص ١٣٤ ، ج ٢ ص ١٩ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٥ .

خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها : يا أبت يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة^(١) ؟ .

بعدها رآها وهي تصرخ وتلول ومعها نسوة من الهاشميات تنادي : يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله ، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله .

[شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ ج ٢ ص ١٩]

بعدها شاهد هيكल القداسة والعظمة - أمير المؤمنين - يُقاد إلى البيعة كما يُقاد الجمل المخشوش^(٢) ويُدفع ويُساق سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون ، ويُقال له : بايع . فيقول : إن أنا لم أفعل فمه ؟ فيقال : إذن والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك فيقول : إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله^(٣) .

بعدها رأى صنو المصطفى علياً لاذ بقبر رسول الله ﷺ وهو يصيح ويبكي ويقول : يا بن أم ! إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني^(٤) .

بعد نداء أبي عبيدة الجراح لعلِّي ﷺ يوم سيق إلى البيعة : يا بن عمِّ إنَّك حديث السنِّ وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشدَّ احتمالاً واستطلالاً ، فسلم لأبي بكر هذا الأمر فإنَّك إن تعش وسيطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليفٌ وحقيقٌ في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك^(٥) .

بعد رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبصب بقولهم : لا نبايع إلا

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٦ ، الإمام علي لعبد الفتاح عبد المقصود ج ١ ص ٢٢٥ .

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٥ ، صبح الأعشى ج ١ ص ٢٢٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٧ .

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٨ و ١٩ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٦ .

(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤ .

(٥) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥ .

علياً . وبعد صياح بدريهم : منا أمير ومنكم أمير ، وقول عمر له : إذ كان ذلك فمت إن استطعت^(١) .

بعد قول أبي بكر للأنصار : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفان كشقّ الابلمة - يعني الخوصة -^(٢) .

مدّت لها الأوس كفأكي تناولها فمدّت الخزرج الأيدي تباريها
وظنّ كل فريق أن صاحبه أولى بها وأتى الشحاء آتيها^(٣)

بعد قول أم مسطح بن أثالة واقفة عند قبر النبي ﷺ وهي تنادي : يا رسول الله !

قد كان بعدك أنباء وهنبشة^(٤) لو كنت شاهد هالم تكثر الخطب
إنافقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب^(٥)

هذه كلّها كانت تهدّد السواد ، وتروّع عامّة الناس وما كان لأحد في إصلاح القوم مطمع ، ولا لأي من الأئمة بعدما شاهد الحال يوم ذاك حسان حرمة ولا كرامة لنفسه يقوم بها تجاه ذلك التيار المتدفق .

(١) صحيح البخاري في مناقب أبي بكر وفي باب رجم الحبلى ج ١٠ ص ٤٥ ، طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٥ وج ٣ ص ١٢٩ ، البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٨١ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٩ ، التمهيد للباقلاني ص ١٩٧ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٦ و ٢٠٩ ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٦٧ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ١٤٦ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٤١ ، ٤٥ .

(٢) صحيح البخاري في مناقب أبي بكر ، البيان والتبيين ج ١ ص ١٨١ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٤ ، طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٥ ، ج ٣ ص ١٢٩ ، العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٨ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٤٥٢ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٦ ، نهاية ابن الأثير ج ١ ص ١٣ فيه : كقد الابلمة . تاج العروس ج ٨ ص ٢٠٥ .

(٣) من أبيات القصيدة العمرية لحافظ إبراهيم شاعر النيل .

(٤) الهنبشة : الأمر الشديد والاختلاط في القول .

(٥) طبقات ابن سعد ص ٨٥٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧ ، وج ١ ص ١٣٢ ، وقد يعزى البيتان مع أبيات أخرى إلى الصديقة فاطمة سلام الله عليها .

وكانت هناك أمة تراها سكارى - وما هي بسكارى - من حراجة الموقف تسارها هواجسها بالتربص إلى حين ، حتى تضع الغائلة أوزارها ، ويتضح مآل أمر دبّر بليل ، ويتبين الرشد من الغي ، وهواجس تجعل جماعة كالنزيرة تجهش وتحن وتقرع سنّ الأسف ، وكم حنون لا يجديه حنينه .

وما عساني أن قول في تلك الخلافة ؟ بعدما رآها أبو بكر وعمر بن الخطاب فلتة كفلتة الجاهلية وقى الله شرّها^(١) .

بعدما حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة^(٢) .

بعد قوله يوم السقيفة : من بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذي بايعه تغرة أن يقتلا^(٣) .

بعد قوله لابن عباس : لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر^(٤) .

بعد قوله : إنا والله ما فعلناه عن عداوة ولكن استصغرناه ، وحسبنا أن لا يجتمع عليه العرب وقریش لما قد وترها .

بعد قول ابن عباس له في جوابه : كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره ، أفستصغره أنت وصاحبك ؟^(٥) .

بعد قول عمر لابن عباس : يا بن عباس ! ما أظنّ صاحبك إلاّ مظلوماً . وقول

(١) التمهيد للباقلاني ص ١٩٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٩ ، الغدير لنتاج ٥ ص ٤٤٦ .

(٢) التمهيد ص ١٩٦ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، الصواعق لابن حجر ص ٢١ .

(٣) صحيح البخاري ج ١٠ ص ٤٤ باب رجم الحبلى من الزنا ؛ مسند أحمد ج ١ ص ٥٦ ؛ سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٨ ، نهاية ابن الأثير ج ٣ ص ١٧٥ ، تيسير الوصول ج ٢ ص ٤٥ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٢٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٦ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ وج ٢ ص ٢٠ ، الغدير كتابنا هذا ج ١ ص ٤٤٧ .

(٥) راجع الجزء الأول من كتابنا هذا ص ٤٤٧ ، كنز العمال ج ٦ ص ٣٩١ .

ابن عباس له : والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٨]

بعد قول أبي السبطين أمير المؤمنين : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم ، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، فيقول عمر : لست متروكاً حتى تبائع . فيقول عليٌّ : احلب يا عمر ! حلباً لك شطره^(١) .

بعد قوله عليه السلام : الله الله يا معشر المهاجرين ! ألا تخرجوا سلطان محمّد في العرب من داره ، وقعر بيته إلى دوركم ، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقّه ، فوالله يا معشر المهاجرين فنحن أحقُّ الناس به لأنّا أهل البيت ونحن أحقُّ بهذا الأمر منكم ، ما كان فينا القاريء لكتاب الله ، العالم بسنن الله ، المتطلّع لأمر الرعيّة ، الدافع عنهم الأمور السيّئة ، القاسم بينهم بالسويّة ، والله إنّهُ لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحقّ بعدا^(٢) .

بعد قوله عليه السلام : لَمَّا مضى - المصطفى - لسبيله تنازع المسلمون الأمر بعده ، فوالله ما كان يُلقى في روعي ، ولا يخطر على بالي أنّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمّد عن أهل بيته ، ولا أنّهم مُنحوه عني من بعده ، فما راعني إلّا انثيال الناس على أبي بكر ، وإجفالهم إليه ليبايعوه ، فأمسكت يدي ، ورأيت أنّي أحقُّ بمقام محمّد في الناس ممّن تولّى الأمر من بعده^(٣) .

بعدما خرج عليٌّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة ، فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله ! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أنّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ، فيقول عليٌّ كرم الله وجهه : أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه ، وأخرج أنازع سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم^(٤) .

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥ .

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥ .

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ .

(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣١ ، ج ٢ ص ٥ .

بعد قوله عليه السلام : أما والله لقد تَقَمَّصَها ابن أبي قحافة ، وإنَّه ليعلم أنَّ محلِّي منها محلُّ القطب من الرُّحى ، ينحدر عني السيل ، ولا يرقى إليَّ الطير ، فسدت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتئي بين أنَّ أصول بيدٍ جذاء ، أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدر فيها مؤمن حتَّى يلقي ربَّه ، فرأيت أنَّ الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، أرى ترائي نهبا ، حتَّى مضى الأوَّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده .

«ثمَّ تمثَّل بقول الأعشى» :

شَتَّان ما يومي على كورها ويوم حيَّان أخي جابر
فيا عجباً يسقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدَّ ما تشطَّرا ضرعيها ، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ، ويخشن مسها ، ويكثر العثار فيها والإعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، إن اشق لها خرم ، وإن أسلس لها تقمَّ ، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس ، وتلَوْن واعتراض ، فصبرت على طول المدة ، وشدة المحنة حتَّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنَّي أحدهم فيا لله وللشورى ، متى اعترض الريب فيَّ مع الأوَّل منهم حتَّى صرت أقرن إلى هذه النظائر ، لكنِّي أسففت إذ اسقوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغا رجلٌ منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره مع هني وهني ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته . الحديث .

كلمتنا حول هذه الخطبة :

هذه الخطبة تسمَّى بالشقشقية وقد كثر الكلام حولها فأثبتها مهرة الفن من الفريقين ورأوها من خطب مولانا أمير المؤمنين الثابتة التي لا مغمز فيها ، فلا يُسمع إذن قول الجاهل بأنَّها من كلام الشريف الرضي ، وقد رواها غير واحد في القرون الأولى قبل أن تنعقد للرضي نطفته ، كما جاءت باسناد معاصريه والمتأخرين عنه من غير طريقه وإليك أمة من أولئك :

- ١ - الحافظ يحيى بن عبد الحميد الحماني المتوفى سنة ٢٢٨ كما في طريق الجلودى في العلل والمعاني .
- ٢ - أبو جعفر دعل الخزاعي المتوفى سنة ٢٤٦ رواها بإسناده عن ابن عباس كما في أمالي شيخ الطائفة ص ٢٣٧ ، ورواها عنه أخوه أبو الحسن علي .
- ٣ - أبو جعفر أحمد بن محمد البرقي المتوفى سنة ٢٧٤ / ٨٠ كما في علل الشرائع .
- ٤ - أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة المتوفى سنة ٣٠٣ كما في الفرقة الناجية للشيخ إبراهيم القطيفي ، والبحار للعلامة المجلسي ج ٨ ص ١٦١ .
- ٥ - وجدت بخط قديم عليه كتابة الوزير أبي الحسن علي بن الفرات المتوفى سنة ٣١٢ كما في شرح ابن ميثم .
- ٦ - أبو القاسم البلخي أحد مشايخ المعتزلة المتوفى سنة ٣١٧ كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٩ .
- ٧ - أبو أحمد عبد العزيز الجلودى البصري المتوفى سنة ٣٣٢ كما في معاني الأخبار .
- ٨ - أبو جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم البلخي المذكور رواها في كتابه (الإنصاف) كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٩ ، وشرح ابن ميثم .
- ٩ - الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ كما في طريق القطب الراوندي في شرح النهج .
- ١٠ - أبو جعفر ابن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ في كتابيه: علل الشرائع ومعاني الأخبار .
- ١١ - أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ . حكى عنه شيخنا الصدوق شرح الخطبة في معاني الأخبار والعلل .

لفت نظر :

عده السيد العلامة الشهرستاني في (ما هو نهج البلاغة) ص ٢٢ ممن روى الشقشقية فأرخ وفاته بسنة ٣٩٥ ، وذكره في ص ٢٣ فقال : من أبناء القرن الثالث . لا يتم هذا ولا يصح ذلك ، وقد خفي عليه أن الحسن بن عبد الله العسكري راوي الشقشقية هو أبو أحمد صاحب كتاب الزواجر وقد توفي سنة ٣٨٢ وولد سنة ٢٩٣ ، وحسبه أبا هلال الحسن بن عبد الله العسكري صاحب كتاب «الأوائل» تلميذ أبي أحمد العسكري والتاريخ الذي ذكره تاريخ فراغه من كتابه الأوائل لا تاريخ وفاته . توجد ترجمة كلا الحسين العسكريين في معجم الأدباء ج ٨ ص ٢٣٣ - ٢٦٨ ، وبغية الوعاة ص ٢٢١ .

١٢ - أبو عبد الله المفيد المتوفى سنة ٤١٢ ، استاذ الشريف الرضي رواها في كتابه (الإرشاد) ص ١٣٥ .

١٣ - القاضي عبد الجبار المعتزلي المتوفى سنة ٤١٥ : ذكر في كتابه «المغني» تأويل بعض جمل الخطبة ومنع دلالتها على الطعن في خلافة من تقدم على أمير المؤمنين من دون أي إيعاز إلى الغمز في إسنادها .

١٤ الحافظ أبو بكر ابن مردويه المتوفى سنة ٤١٦ ، كما في طريق الراوندي في شرح النهج .

١٥ - الوزير أبو سعيد الأبي المتوفى سنة ٤٢٢ في كتابه (نثر الدرر ونزهة الأديب) .

١٦ - الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي الأكبر توفي سنة ٤٣٦ ذكر جملة منها في الشافي ص ٢٠٣ فقال : مشهور : وذكر صدرها في ص ٢٠٤ فقال : معروف .

١٧ - شيخ الطائفة الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ رواها في أماليه ص ٣٢٧ عن السيد أبي الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفّار المترجم في مستدرك العلامة النوري ج ٣ ص ٥٠٩ من طريق الخزاعيين . وفي تلخيص الشافي .

١٨ - أبو الفضل الميداني المتوفى سنة ٥١٨ في مجمع الأمثال ص ٣٨٣ قال : ولأمر المؤمنين علي رضي الله عنه خطبة تعرف بالشقشقية لأن ابن عباس رضي الله عنهما قال له حين قطع كلامه : يا أمير المؤمنين ! لو أطردت مقالتك من حيث أفضيت . فقال : هيهات يا ابن عباس ! تلك شقشقة هدرت ثم قرأت .

١٩ - أبو محمد عبد الله بن أحمد البغدادي الشهير بابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧ قرأها عليه أبو الخير مصدق الواسطي النحوي ، وسوافيك بعيد هذا كلامه فيها .

٢٠ - أبو الحسن قطب الدين الراوندي المتوفى سنة ٥٧٣ رواها في شرح نهج البلاغة من طريق الحافظين : ابن مردويه والطبراني وقال : أقول : وجدتھا في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة ، أحدهما : أنها مضمنة كتاب «الإنصاف» لأبي جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد الرضي . الثاني : وجدتھا بنسخة عليها خطأ الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر بالله ، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة ، والذي يغلب على ظني أن تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة .

٢١ - أبو منصور الطبرسي أحد مشايخ ابن شهر آشوب المتوفى سنة ٥٨٨ في كتابه «الإحتجاج» ص ٩٥ فقال : روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس .

٢٢ - أبو الخير مصدق بن شبيب الصلحي النحوي المتوفى سنة ٦٠٥ قرأها على أبي محمد ابن الخشاب وقال : لما قرأت هذه الخطبة على شيخي أبي محمد ابن الخشاب ووصلت إلى قول ابن عباس : ما أسفت على شيء قط كأسفي على هذا الكلام . قال : لو كنت حاضراً لقلت لابن عباس : وهل ترك ابن عمك في نفسه شيئاً لم يقله في هذه الخطبة ؟ فإنه ما ترك لا الأولين ولا الآخرين . قال مصدق : وكانت فيه دعاة فقلت له : يا سيدي ! فلعلها منحولة إليه . فقال : لا والله إنني أعرف أنها من كلامه كما أعرف أنك مصدق . قال فقلت : إن الناس

ينسبونها إلى الشريف الرضي . فقال : لا والله ، ومن أين للرضي هذا الكلام وهذا الأسلوب ؟ فقد رأينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه ثم قال : والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتاب صنف قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدتُها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلق النقيب أو أحمد والد الرضي .

[راجع شرح ابن ميثم . وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٩]

٢٣ - مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦ ، أوعز إليها في كلمة «شقق» في النهاية ج ٢ ص ٢٩٤ فقال : ومنه حديث علي في خطبة له : تلك شقيقة هدرت ثم قرأت .

٢٤ - أبو المظفر سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ في تذكرته ص ٧٣ من طريق شيخه أبي القاسم النفيس الأنباري بإسناده عن ابن عباس فقال : تُعرف بالشقيقة ذكر بعضها صاحب نهج البلاغة وأخلّ ببعض وقد أتيت بها مستوفاة . ثم ذكرها مع اختلاف ألفاظها .

٢٥ - عز الدين ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٥ قال في شرح النهج ج ١ ص ٦٩ قلت : وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة . ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر ابن قبة أحد متكلمي الإمامية وهو الكتاب المشهور بكتاب «الإنصاف» وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً .

٢٦ - كمال الدين ابن ميثم البحراني المتوفى سنة ٦٧٩ ، حكاها عن نسخة قديمة عليها خط الوزير علي بن الفرات المتوفى سنة ٣١٢ ، وعن كتاب «الإنصاف» لابن قبة ، وذكر كلمة ابن الخشاب المذكورة وقراءة أبي الخير إياها عليه .

٢٧ - أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي المصري المتوفى سنة

٧١١ قال في مائة (شقق) من كتابه (لسان العرب) ج ١٢ ص ٥٣ : وفي حديث علي رضوان الله عليه في خطبة له : تلك شققه هدرت ثم قرأت .

٢٨ - مجد الدين الفيروز آبادي المتوفى سنة ١٧/٨١٦ ، أوعز إليها في القاموس ج ٣ ص ٢٥١ قال : والخطبة الشقشقية العلوية لقوله لابن عباس لما قال له : لو اطردت مقالتيك من حيث أفضيت : يا بن عباس ! هيهات تلك شققه هدرت ثم قرأت .

ثم ما عساني أن أقول بعدما يُعربد شاعر النيل^(١) اليوم ، ويؤجج النيران الخامدة ويُجدد تلكم الجنيات المنسية (لاها الله لا تُنسى مع الأبد) ويعدها ثناء على السلف ، ويرفع عقيرته بعد مضي قرون على تلكم المعرات ، ويتبهج ويتبجح بقوله في القصيدة (العمرية) تحت عنوان : عمر وعلي :

وقولةٍ لعليّ قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها
: حرقت دارك لا أبقى عليك بها إن لم تبائع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنانٍ وحاميها

ماذا أقول بعدما تحتفل الأمة المصرية في حفلة جامعة في أوائل سنة ١٩١٨ بإنشاد هذه القصيدة العمرية التي تتضمن ما ذكر من الأبيات ؟ وتشرها الجرائد في أرجاء العالم ، ويأتي رجال مصر نظراء أحمد أمين . وأحمد الزين . وإبراهيم الأبياري^(٢) وعلي جارم . وعلي أمين^(٣) و خليل مطران^(٤) ومصطفى الدمياطي بك^(٥) وغيرهم^(٦) ويعتنون بنشر ديوان هذا شعره ، وبتقدير شاعر هذا شعوره ،

(١) محمد حافظ إبراهيم المتوفى سنة ١٩٣٣ م ١٣٥١ هـ .

(٢) ضبط وصحح وشرح هؤلاء الثلاث الديوان طبعة سنة ١٩٣٧ م بدار الكتب في جزءين والأبيات المذكورة توجد فيها ج ١ ص ٨٢ .

(٣) هما ومعهما ثالث التزموا تصحيح الديوان في طبعة أخرى .

(٤) له مقدمة لديوان الحافظ في طبعة مكتبة الهلال سنة ١٩٣٥ م ١٣٥٣ هـ والأبيات فيها ص ١٨٤ غير أن الشطر الثاني من البيت الثاني محرف : إن لم تبائع وبنت المصطفى فيها .

(٥) شارح القصيدة العمرية طبع بمطبعة السعادة في مصر في ٩٠ صفحة . توجد الأبيات فيه مشروحة ص ٣٨ .

(٦) في عدة طبعات أخرى .

ويخدشون العواطف في هذه الأزمة ، في هذا اليوم العصبص ، ويعكرون بهذه النعرات الطائفية صفو السلام والوثام في جامعة الإسلام ، ويشتون بها شمل المسلمين ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا .

وتراهم يجددون طبع ديوان الشاعر وقصيدته العمرية خاصة مرة بعد أخرى ويعلق عليها شارحها الدمياطي قوله في البيت الثاني : المراد أن علياً لا يعصمه من عمر سكنى بنت المصطفى في هذه الدار .

وقال في ص ٣٩ من الشرح : وفي رواية لابن جرير الطبري قال : حدثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال : أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وبه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال : والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه . فإن كان زياد هذا هو الحنظلي أبو معشر الكوفي فهو موثق . والظاهر أن حافظاً رحمه الله عول على هذه الرواية . اهـ .

وتراهم بالغوا في الثناء على الشاعر وقصيدته هذه كأنه جاء للأمة بعلم جم ، أو رأي صالح جديد ، أو أتى لعمر بفضيلة رابية تسرُّ بها الأمة ونبيها المقدس ، فبشرى بل بشريان للنبي الأعظم بأن بضعته الصدّيقة لم تكن لها أي حزمة وكرامة عند من يلهج بهذا القول ، ولم يكن سكنها في دار طهر الله أهلها يعصمهم منه ومن حرق الدار عليهم . فزه زه بانتخاب هذا شأنه ، وبخ وبخ بيعة تمت بذلك الإرهاب ، وقضت بتلك الوصمات .

لا تهمنا هذه كلها وإنما يهمنا الساعة «بعد أن درسنا تاريخ حياة الخليفة الأوّل فوجدناه لده غيره من الناس العاديين في نفسيّاته قبل إسلامه وبعده ، وإنما سنّمه عرش الخلافة الانتخاب فحسب» البحث في موضوعين ألا وهما : فضائله الماثورة . وملكاته النفسية .

١ - فضائله الماثورة

هل صحّ عن النبي الأعظم ﷺ فيه حديث فضلة ؟ وهل صحيح ما روه

فيه من الثناء الكثير الحافل ؟ نحن ههنا نقف موقف المستشفِّ للحقيقة ، ولا ننس في القضاء بينت شفة ، غير ما ننقله عن أئمة فنَّ الحديث المميّزين بين صحيحه وسقيمه ، ثمَّ نردفه بالإعتبار الذي يساعده .

قال الفيروز آبادي في خاتمة كتابه «سفر السعادة المطبوع» : خاتمة الكتاب في الإشارة إلى أبواب روي فيها أحاديث وليس منها شيءٌ صحيحٌ ، ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث شيءٌ . ثمَّ عدَّ أبواباً إلى أن قال :

باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه . أشهر المشهورات من الموضوعات أن الله يتجلّى للناس عامّة ولأبي بكر خاصّة . وحديث : ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلاَّ وصبّه في صدر أبي بكر . وحديث : كان عليه السلام إذا اشتاق الجنة قبل شية أبي بكر . وحديث : أنا وأبو بكر كفرسي رهان . وحديث : إنَّ الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر . وأمثال هذا من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل اهـ .

وعدَّ العجلوني في كتابه كشف الخفا ص ٤١٩ - ٤٢٤ مائة باب من أبواب الفقه وغيره فقال : لم يصحَّ فيه حديثٌ . أو : ليس فيه حديثٌ صحيح . وما يقاربهما وقال في ص ٤١٩ : فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات كحديث أن الله يتجلّى للناس عامّة ولأبي بكر خاصّة . إلى آخر عبارة الفيروز آبادي المذكورة .

وذكر السيوطي في «اللالي المصنوعة» ج ١ ص ١٨٦ - ٣٠٢ ثلاثين حديثاً من أشهر فضائل أبي بكر «مما اتَّخذه المؤلّفون في القرون الأخيرة من المتسالم عليه ، وأرسلوه إرسال المسلّم بلا أيّ سند أو أيّ مبالاة» وزيفها وحكم فيها بالوضع وذكر رأي الحفاظ فيها .

كان السيوطي يهملج وراء القوم فبهظه أن لا يستصحَّ حتّى حديثاً واحداً من تلكم الثلاثين فقال في ص ٢٩٦ فيما عزي إليه عليه السلام من قوله : «عُرج بي إلى السّماء فما مررت بسماء إلاَّ وجدت فيها مكتوباً : محمّد رسول الله ، أبو بكر

الصدِّيق من خلفي» بعدما حكم عليه بالوضع لمكان عبد الله بن إبراهيم الغفاري^(١) الوضاع . وكان شيخه عبد الرَّحْمَنِ بن زيد المتَّفِق على ضعفه ينصّ منه عليهما بذلك ما لفظه :

قلت : الذي أَسْتَخِير الله فيه الحكم على هذا الحديث بالحسن لا بالوضع ولا بالضعف لكثرة شواهد . ثم ذكر شواهد عن طريق لا يصحُّ شيء منها ، وفي كلّ واحد منها وضاعٌ أو كذابٌ ، أو من اتفق على ضعفه ، أو مجهول لا يُعرف يروي عن مجهول مثله ، وقد غزب عنه أن الإستخارة لا تقلّب الشرّ خيراً ، ولا يعيد السقيم صحيحاً . ولا المنكر معروفاً .

وراحت إلى العطار تبغي شبابها فهل يُصلح العطار ما أفسد الدهر؟
والله سبحانه لا يجازف في إسداء الخير ، والشواهد المكذوبة لا تقوي الضعف مع نصّ الحفاظ على كلّ واحد منها بالوضع أو الضعف ، وإليك بيان طرق تلك الشواهد :

١ - طريق الخطيب البغدادي مرّ في الجزء الخامس ص ٣٦٨ ، ٣٩٣

٢ - طريق البزار في مسنده وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري الوضاع ، وشيخه عبد الرَّحْمَنِ بن زيد المتَّفِق على ضعفه كما في تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٧٨ ، واللاّلي المصنوعة ج ١ ص ٢٩٦ .

٣ - طريق ابن شاهين في السُّنة وهو طريق الخطيب البغدادي وحديثه ، وقد حكم الذهبي وابن حجر ببطلانه كما مرّ في الجزء الخامس .

٤ - طريق الدارقطني في الافراد قال السيوطي في «اللاّلي» ج ١ ص ٢٩٧ بعد ذكره قال الدارقطني : تفرّد به (محمّد) بن فضيل عن ابن جريج لا أعلم أحداً حدّث به غير هذين . وأورده المؤلّف في الواهيات من طريق السري وقال : لا يصحّ . قال ابن حبان : لا يحلُّ الإحتجاج بالسري بن عاصم .

(١) راجع الجزء الخامس من هذا الكتاب ص ٣٦٨ ط ٢ .

قال الأميني : السري بن عاصم راوي الحديث أحد الكذابين مرّت ترجمته في الجزء الخامس ص ٢٨٣ ، وللدارقطني طريق آخر وفيه عمر بن إسماعيل بن مجالد أحد الكذابين^(١) وبهذا الطريق ذكره السيوطي في «اللاّلي ج ١ ص ٣٠٩» فقال : لا يصحُّ آفته عمر كذاب .

٥ - طريق الديلمي في مسند الفردوس فيه بعد رجال مجاهيل عبد المنعم بن بشير أبو الخير الكذاب الوضّاع الذي له مائتا حديث كذب^(٢) وعبد الرّحمن بن زيد بن أسلم المجمع على ضعفه كما مرّ .

٦ - طريق الختلي في ديباجه عن نصر بن حريش^(٣) عن أبي سهل مسلم الخراساني عن عبد الله بن إسماعيل عن الحسن البصري قال : قال رسول الله ﷺ : مكتوب على ساق العرش : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، محمّد رسول الله ، ووزيره أبو بكر الصّدّيق وعمر الفاروق .

قال الدارقطني كما في تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٨٦ : هذا إسنادٌ ضعيفٌ لا يثبت ، أبو سهل ونصر بن حريش ضعيفان . وقال العقيلي كما في لسان الميزان ج ٣ ص ٢٦٠ : عبد الله بن إسماعيل منكر الحديث لا يُتابع على شيء من حديثه . والحديث مع هذا مرسلٌ والحسن البصري لا يروي عن رسول الله ولم يدركه . وللخطيب طريق بهذا اللفظ ليست فيه كلمة (ساق . ووزيره) وفي اسناده أحمد بن رجاء بن عبيدة قال الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ١٥٨ : مجهولٌ .

٧ - طريق ابن عساكر فيه عبد العزيز الكتاني لئنه الذهبي كما في لسان الميزان ج ٤ ص ٣٣ ، وفيه الحارث بن زياد المحاربي قال الذهبي وغيره : ضعيفٌ مجهولٌ كما في اللسان ج ٢ ص ١٤٩ ، وفيه من لا يُعرف ولا توجد له ترجمة في المعاجم .

ولابن عساكر طريقٌ آخر بالإسناد عن محمّد بن عبد بن عامر المعروف بوضع

(١) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣٠١

(٢) راجع الجزء الخامس من الكتاب ص ٢٩٥

(٣) في اللاّلي : جريش : والصحيح ما ذكرناه .

الحديث^(١) عن عصام بن يوسف ضعّفه ابن سعد ، وخطّاه ابن حبان ، وقال ابن عدي : روى أحاديث لا يُتابع عليها . كما في لسان الميزان ج ٤ ص ١٦٨ .

ويرشدك إلى صحّة قول الفيروزآبادي والعجلوني ما أوضحناه في الجزء الخامس ص ٣٦١ - ٤٠٢ من تفنيد مائة منقبة مكذوبة على رسول الله ﷺ مختلفة لأبي بكر ولزبائنه بحكم الأئمة والحفاظ . وكذا ما زيفناه من خمس وأربعين رواية موضوعة في الخلافة في صفحة ٤٠٣ - ٤٣٠ كل ذلك بقضاء من رجال الفتن نظراء : ابن عدي ، الطبراني ، ابن حبان ، النسائي ، الحاكم ، الدارقطني ، العقيلي ، ابن المديني ، أبو عمر ، الجوزقاني ، المحب الطبري ، الخطيب البغدادي ، ابن الجوزي ، أبو زرعة ، ابن عساكر ، الفيروزآبادي ، إسحاق الحنظلي ، ابن كثير ، ابن القيم ، الذهبي ، ابن تيمية ، ابن أبي الحديد ، ابن حجر الهيتمي ، ابن حجر العسقلاني ، الحافظ المقدسي ، السيوطي ، الصغاني ، الملا علي القاري ، العجلوني ، ابن درويش الحوت ، وغيرهم .

ويشهد لبطان تلكم الروايات الجمة في فضائل الخليفة الأوّل خلّو الصحاح الستّ والسنن والمسانيد القديمة عنها ، فلو كان مؤلفوها يجدون على شيء منها مسحة من الصحّة بل لو كانوا واقفين عليها ولو على واحدة منها لما أجمعوا على تركها فيرويهما متحرّو الزوايا ، ونباشة الدفائن ، فيبرزوها إلى الملأ من تحت غبار الهجر ، أو وراء نسج عناكب النسيان ، فيرشدنا ذلك إلى أنّ مواليد هذه الروايات متأخّر تاريخها عن عهد أرباب الصّحاح وحسبها ذلك مهانة . كما أنّ ما في الصّحاح من النزر اليسير ولائد متأخرة عن عهد النبيّ الأعظم ﷺ .

على أنّ الخليفة نفسه لو كان على ثقة من صدور شيء من تلكم الأحاديث ولو يسيراً منها من قائلها ﷺ لما كان يرى مثل أبي عبيدة الجراح حفار القبور أولى منه بالخلافة ، ولما قدّمه على نفسه . ولما ترك الإحتجاج به يوم كانت حاجته إليه مسيسة ، ويوم كان الحوار في أمر الخلافة قائماً على قدمٍ وساق ، ووفق كلّ ذي فضل يُدلي بحججه ، وقد احتدم الجدل حتى كاد أن يكون جلاداً ، واستحّر

الحجاج حتى عاد لجاجاً ، لكن الرجل لم يكن عنده حجة ولا لزبانيته إلا أنه صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وأنه أكبر القوم سناً - وكان أبوه أكبر منه لا محالة - وقد اختارته الجماعة وانعقدت له البيعة بعد هوس وهياج ركوناً إلى أمثال هذه مما لا تثبت بها حجة ، ولا يخضع لها ذو مسكة ، ولا يصلح بها شأن الأمة ، ولا يجمع بها شمل ، ولا يتم بها الأمر .

نعم : روي عن أبي بكر أنه ذكر في الحجاج له أشياء حذفتها الرواة ولم يذكروا منها إلا أنه أول من أسلم . أو : أول من صلى . عن أبي سعيد الخدري قال : قال أبو بكر : أأست أحق الناس بها ؟ أأست أول من أسلم ؟ أأست صاحب كذا ؟ أأست صاحب كذا ؟ (١) .

وعن أبي نضرة قال : لما أبطأ الناس عن أبي بكر قال : من أحق بهذا الأمر مني ؟ أأست أول من صلى ؟ أأست ؟ أأست ؟ فذكر خصالاً مع النبي ﷺ (٢) . ونحن لا نعرف شيئاً مما حذفوه من فضائله المزعومة أو اختلقوا نسبته إليه إذ من الممكن - بل المحقق - أنه لم يقل شيئاً ، وإنما اصطنعوا له هذه الصورة لإيهام أنه كانت له يوم ذاك فضائل مسلمة ، لكن نعطف النظرة على المذكور من تلك المناقب وهو كون الخليفة أول من أسلم . أو : أول من صلى ، ولم يكن كذلك . والقول به يخالف رأي النبي الأعظم ونصوص الصحابة ، وقد فصلنا القول فيه في الجزء الثالث ص ٢٧٢ - ٢٩٧ وذكرنا مائة نص عن النبي الأقدس وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما ، وعن الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان على أن أول من أسلم وأول من صلى من ذكر هو مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وأوضحنا هناك أن أبا بكر ليس أول من أسلم . أو : صلى . بل في صحيحة الطبري : أنه أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً . فراجع .

(١) أخرجه الترمذي ، والبزار ، وابن حبان ، وأبو نعيم في المعرفة ، وابن مندة في غرائب شعبة ، وسعيد بن منصور ، وأبو داود كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٢٥ ، وذكره ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٢٠٩ ، وابن كثير في تأريخه ج ٣ ص ٢٧ .
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ط ليدن ج ٣ ص ١٢٩ ، وخيثمة الطرابلسي في فضائل الصحابة كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٢٦ .

ولو كانت الصحابة الأولون يعرفون شيئاً من تلکم الموضوعات الجمّة لما تركوا الإحتجاج به يوم ذاك في إخضاع الناس بدلاً عن إشفاع الدعوة بالإرهاب والترعيد ، ولما يقتصر عمر بن الخطاب يوم السقيفة بقوله : مَنْ لَه مثل هذه الثلاث : ثاني اثنين إذ هما في الغار . إذ يقول لصاحبه لا تحزن . إِنَّ الله معنا .

ويقوله : إِنَّ أولى الناس بأمر نبيّ الله ثاني اثنين إذ هما في الغار . وأبو بكر السبّاق المسنّ .

ويقوله يوم بيعة العامّة : إِنَّ أبا بكر صاحب رسول الله . وثاني اثنين إذ هما في الغار^(١) .

ولما قال سلمان للصحابة : أصبتم ذا السنّ منكم ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم^(٢) .

ولما يكتفي عثمان بن عفّان في الدعوة إلى أبي بكر بقوله : إِنَّ أبا بكر الصّدّيق أحقّ الناس بها ، إِنَّه لصّدّيق وثاني اثنين وصاحب رسول الله ﷺ^(٣) .

ولما فاه المغيرة بن شعبة بمقاله لأبي بكر وعمر : تلقّوا العبّاس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه فتقطّعوا به من ناحية عليّ ويكون لكم حجة عند الناس على عليّ إذا مال معكم العبّاس .

ولما دخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة على العبّاس ليلاً ، ولما قال أبو بكر له : لقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك ، إذ كنت عمّ رسول الله^(٤) .

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٠ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٢ ، ١٦٦ ، تأريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦ ، السيرة الحليّة ج ٣ ص ٣٨٨ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣١ ، ج ٢ ص ١٧ .

(٣) أخرجه الأطرابلسي في فضائل الصحابة كما في كنز العمال ج ٣ ص ١٤٠ .

(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥ ، تأريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٢ .

ولما تمّ الأمر له ببيعة اثنين فحسب : عمر وأبي عبيدة . أو : ببيعة أربع : هما مع اسيد وبشر . أو بخمسة : هم مع سالم مولى أبي حذيفة كما يأتي تفصيله .

ولما تخلف عن بيعته رؤوس المهاجرين والأنصار : عليّ وابناه السبطان . والعبّاس وبنوه في بني هاشم . وسعد بن عباد وولده وأسرته . والحباب بن المنذر وتابعوه . والزبير وطلحة . وسلمان . وعَمَّار . وأبو ذر . والمقداد . وخالد بن سعيد . وسعد بن أبي وقاص . وعتبة بن أبي لهب . والبراء بن عازب . وأبي بن كعب . وأبو سفيان بن حرب . وغيرهم^(١) .

ولما كان مجال لقول محمّد بن إسحاق : كان عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ . شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٨ .

ولما قال عتبة بن أبي لهب يوم ذاك بملاً من مدّعي الفضائل :

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف	عن هاشم ثمّ منهم عن أبي حسن
عن أوّل الناس إيماناً وسابقةً	وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وأخّر الناس عهداً بالنبيّ ومَن	جبريلُ عون له في الغسل والكفن
مَن فيه ما فيهم ؟ لا يمترون به	وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردّكم عنه ؟ فنعلمه	ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن ^(٢)

ولما قال قصيّ يوم ذاك :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيّما تيم بن مرة أو عدي

(١) تأريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٠٣ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٧ ، تأريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٦ ، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) تأريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٠٣ ، رسائل الجاحظ ص ٢٢ ، اسد الغابة ج ٤ ص ٤٠ ، تأريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٩ ، الغدير ج ٣ ص ٢٨٧ . تعزى هذه الأبيات إلى عدة شعراء راجع المصادر المذكورة .

فما الأمر إلا فيكم وإليكم وليس لها إلا أبو حسن علي
أباحسن فاشدد بها كف حازم فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
وإن أمراً يرمي قصياً وراءه عزيز الحمى والناس من غالب قصي^(١)

٢ - ملكاته ونفسيّاته

يهيئنا النظر إلى ملكات الخليفة وما انحنت عليه أضعاله من علوم أو نفسيّات حتى نعلم أنها هل تجعل له صلة بفضيلة ؟ أو تقرب ميوأه من التأهل لهاتيك المرويّات ؟ أو تعين له حدّاً يكون التفريط منه إجحافاً به ، وبخساً بحقه ، وتحطيماً لمقامه ؟ أو يعرف الغلو بالإفراط فيه ؟ .

أمّا هو قبل الإسلام فلا نفيض عنه قولاً لأنّ الإسلام يجب ما قبله ، فلا التفات إذن إلي ما جاء به عكرمة رضي الله تعالى عنه من قوله : كان أبو بكر رضي الله عنه يُقامر أبيّ بن خلف وغيره من المشركين وذلك قبل أن يحرم القمار . ذكره الإمام الشعراني في كتابه كشف الغمّة ج ٢ ص ١٥٤ .

وقال الإمام أبو بكر الجصاص الرازي الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠ في أحكام القرآن ج ١ ص ٣٨٨ : لا خلاف بين أهل العلم في تحريم القمار وأنّ المخاطرة من القمار ، قال ابن عباس : إنّ المخاطرة قمار وإنّ أهل الجاهليّة كانوا يخاطرون على المال والزوجة وقد كان ذلك مباحاً إلى أن ورد تحريمه ، وقد خاطر أبو بكر الصديق المشركين حين نزلت : ﴿ ألم غلبت الروم ﴾ .

كما لا يلتفت إلى ما ذكره أبو بكر الإسكافي في الردّ على الرسالة العثمانيّة للجاحظ^(٢) من أنّ أبا بكر كان قبل إسلامه مذكوراً ورئيساً معروفاً ، يجتمع إليه كثير من أهل مكّة فينشدون الأشعار ، ويتذاكرون الأخبار ، ويشربون الخمر ، وقد سمع دلائل النبوة وحجج الرسالة ، وسافر إلى البلدان ، ووصلت إليه الأخبار .

(١) تاريخ البعقوبي ج ٢ ص ١٠٥ .

(٢) رسائل الجاحظ ص ٣٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٤ .

وأخرج الفاكهي في كتاب مكة بإسناده عن أبي القموص قال : شرب أبو بكر - الخمر في الجاهلية^(١) فأنشأ يقول :

تحِيِّيْ أمُّ بَكْرٍ بِالسَّلَامِ وهل لي بعد قومك من سلام ؟

فبلغ رسول الله ﷺ فقام يجرُّ إزاره حتَّى دخل فتلَّقاه عمر وكان مع أبي بكر فلَمَّا نظر إلى وجهه محمراً قال : نعوذ بالله من غضب رسول الله ﷺ ، والله لا يلج لنا رأساً أبداً ، فكان أوَّل من حرَّمها على نفسه .

وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٦٦ فقال : هو ممَّا تنكره القلوب . فكأنَّ الحكيم وجد الحديث دائراً سائراً في الألسن غير أنَّه رأى القلوب تنكره .

وذكره ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٢٢ فقال : واعتمد نفطويه على هذه الرواية فقال : شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم ورثي قتلى بدر من المشركين .

وحديث أبي القموص هذا أخرجه الطبري في تفسيره ج ٢ ص ٢٠٣ ، وفي طبعة ١٢١١ عن ابن بشار^(٢) عن عبد الوهَّاب^(٣) عن عوف^(٤) عن أبي القموص زيد بن علي^(٥) قال : أنزل الله عزَّ وجلَّ في الخمر ثلاث مرَّات ، فأوَّل ما أنزل قال الله : ﴿يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾^(٦) قال : فشربها من المسلمين من شاء الله منهم على ذلك حتى شرب رجلان فدخلوا في الصَّلَاة فجعلوا يهجران كلاماً لا يدري عوف ما هو فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيها : ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تقربوا الصَّلَاةَ وأنتم سكارى حتَّى تعلموا ما تقولون﴾^(٧) فشربها من شربها منهم وجعلوا يتَّقونها عند الصَّلَاة حتى

(١) هذه الكلمة دخيلة في الرواية ، وذيل الرواية يكذبها أيضاً وسنوقفك على التاريخ الصحيح .

(٢) الحافظ أبو بكر محمد بن بشار العبدي البصري . من رجال الصحاح الست .

(٣) ابن عبد المجيد البصري . من رجال الصحاح الست .

(٤) ابن أبي جميلة العبدي البصري . من رجال الصحاح الست .

(٥) ثقة كما في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٦) سورة البقرة ؛ الآية : ٢١٩ .

(٧) سورة النساء ؛ الآية : ٤٣ .

شربها فيما زعم أبو القموص رجلٌ فجعل ينوح على قتلى بدر :

تحيي بالسلامة أم عمرو	وهل لك بعد رهطك من سلام ؟
ذريني أصطح بكرًا فإني	رأيت الموت نقب عن هشام
وودّ بنو المغيرة لوفدوه	بألف من رجال أو سوام
كأنني بالطوي طوي بدر	من الشيزي يكلل بالسنام
كأنني بالطوي طوي بدر	من الفتيان والحلل الكرام

قال : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء فزعاً يجرُّ رداءه من الفزع حتى انتهى إليه فلمّا عاينه الرجل فرفع رسول الله ﷺ شيئاً كان بيده ليضربه قال : أعوذ بالله من غضب الله ورسوله والله لا أطعمها أبداً فأنزل الله تحريمها : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس﴾^(١) . إلى قوله : ﴿فهل أنتم منتهون﴾ . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنتهينا . إنتهينا^(٢) .

وأخرج البزار عن أنس بن مالك قال : كنت ساقى القوم تيناً وزبيباً خلطناهما جميعاً وكان في القوم رجلٌ يُقال له : أبو بكر فلمّا شرب قال :

أحيي أم بكر بالسلام	وهل لك بعد قومك من سلام ؟
يحدثنا الرسول بأن سحتاً	وكيف حياة أصل أو هشام ^(٣)

فبينما نحن كذلك والقوم يشربون إذ دخل علينا رجلٌ من المسلمين فقال : ما تصنعون ؟ إن الله تبارك وتعالى قد نزل تحريم الخمر . الحديث .

وقال ابن حجر في فتح الباري ج ١٠ ص ٣٠ ، والعيني في عمدة القاري ج ٢٠ ص ٨٤ : من المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره من طريق عيسى بن طهمان^(٤) عن أنس . أن أبا بكر وعمر كانا فيهم . وهو منكرٌ مع نظافة

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٩١ .

(٢) لا يخفى على القارئ أن الطبري حرّف اسم أبي بكر وجعل مكانه : رجل . وحرّف كلمة «أم بكر» في الشعر وبذلها بأمر عمرو . صوناً للكرامة .

(٣) مجمع الزوائد ج ٥ ص ٥١ .

(٤) وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو حاتم ، ويعقوب بن سفيان ، وأبو داود ، والحاكم ، =

سنده ، وما أظنه إلا غلطاً .

وقد أخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة شعبة من حديث عائشة قالت :
حرّم أبو بكر الخمر على نفسه فلم يشربها في جاهليّة ولا إسلام .

ويحتمل ان كان محفوظاً أن يكون أبو بكر وعمر زارا أبا طلحة في ذلك اليوم
ولم يشربا معهم^(١) ثم وجدت عند البزار من وجه آخر عن أنس قال : كنت ساقى
القوم وكان في القوم رجل يُقال له : أبو بكر فلما شرب قال :

تحّي بالسلامة أم بكر

فدخل علينا رجل من المسلمين فقال : قد نزل تحريم الخمر . الحديث .
وأبو بكر هذا يُقال له : ابن شغوب فظنّ بعضهم أنه أبو بكر الصديق وليس كذلك
ولكن قرينة ذكر عمر تدلّ على عدم الغلط في وصف الصديق فحصلنا تسمية
عشرة . اهـ .

قال الأميني : ترى ابن حجر يتلعم في ذكر الحديث ، فلا يدعه حبه للخليفة
أن يقبله ، ولا تخليه صحته أن يصفح عنه ، فجاء يستغرب أولاً ثم يستنكره مع
الحكم بنظافة سنده . ويظنه غلطاً تارة ويراه محفوظاً أخرى ، وبالأخير يأخذه صدق
النبا وصحته فيتخلص منه بالحكم بأن المذكور فيه هو أبو بكر الصديق بقرينة
عمر ، فيعهما من أحد عشر الذين كانوا يشربون الخمر في دار أبي طلحة .

وابن حجر يعلم بأن ما أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة لا يقاوم
هذا النبا الثابت المروي بالطرق الصحيحة عن رجال الصحاح ، ذكر أبو نعيم حديثه
في الحلية ج ٧ ص ١٦٠ من طريق عباد بن زياد الساجي عن ابن عدي عن شعبة عن
محمد بن عبد الرحمن أبي الرجال عن أمه عمرة عن عائشة . وقال : غريب من
حديث شعبة لم نكتبه إلا من حديث عباد بن أبي عدي . اهـ . وفيه :

عباد بن زياد الساجي ، يتهم بالقدر . قال موسى بن هارون : تركت حديثه ،

= والدارقطني ، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢١٦ .

(١) هنا ينتهي كلام العيني والبقية كلمة ابن حجر فحسب .

وقال ابن عدي : هو من أهل الكوفة الغالين في التشيع له أحاديث مناكير في الفضائل .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٩٤]

وفيه : شعبة عن محمد بن عبد الرحمن أبي الرجال . قال الخطيب : هذا وهم شعبة لم يرو عن أبي الرجال شيئاً ، وكذلك من قال فيه عن شعبة عن محمد بن عبد الرحمن عن أمه عمرة .

[تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٢٩٥]

وقال ابن حجر والعيني : وقع عند عبد الرزاق عن معمر بن ثابت وقتادة وغيرهما عن أنس : إنَّ القوم كانوا أحد عشر رجلاً^(١) .

نادي الخمر هذا كان عام الفتح سنة ثمان من الهجرة بالمدينة المشرفة في دار أبي طلحة زيد بن سهل وكانت السقاية لأنس كما في صحيح البخاري كتاب التفسير في سورة المائدة في آية الخمر ، وفي صحيح مسلم في كتاب الأشربة باب تحريم الخمر وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ٣٢١ : أخرجه عبد بن حميد . وأبو يعلى . وابن المنذر ، وأبو الشيخ . وابن مردويه عن أنس .

وأخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ١٨١ ، ٢٢٧ ، والطبري في تفسيره ج ٧ ص ٢٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٨ ص ٢٨٦ ، ٢٩٠ . وابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٤ .

وكان عدّة الحضور في ذلك النادي كما مرّت عن معمر وقتادة أحد عشر رجلاً ذكر منهم ابن حجر في فتح الباري ج ١٠ ص ٣٠ عشرة أنفس وقال كما مرّ ص ١١٥ : فحصلنا تسمية عشرة . وهم :

١ - أبو بكر بن أبي قحافة . وكان يوم ذاك ابن ثمان وخمسين سنة .

٢ - عمر بن الخطاب . وكان يوم ذاك ابن خمس وأربعين سنة .

٣ - أبو عبيدة الجراح . وكان ابن ثمان وأربعين سنة .

(١) فتح الباري ج ١٠ ص ٣٠ ، عمدة القاري ج ١٠ ص ٨٤ .

٤ - أبو طلحة زيد بن سهل صاحب النادي ، وكان له أربع وأربعون سنة ، قال ابن الجوزي في الصفوة ج ١ ص ١٩١ : توفي سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة .

٥ - سهيل بن بيضاء . توفي بعد القضية بسنة وهو كبير السن .

٦ - أبي بن كعب .

٧ - أبو دجانة سماك بن خرشة .

٨ - أبو أيوب الأنصاري .

٩ - أبو بكر بن شغوب .

١٠ - أنس بن مالك ساقى القوم . كان يوم ذاك ابن ثمانية عشر عاماً على الأصح وفي صحيحة مسلم في الأشربة في باب تحريم الخمر ، والبيهقي في السنن ج ٨ ص ٢٩ عن أنس أنه قال : إني لقائم أسقيهم وأنا أصغرهم .

وقد عزب عن ابن حجر حادي عشر القوم وهو : معاذ بن جبل . كما ورد في حديث قتادة عن أنس ، أخرجه ابن جرير في تفسيره ج ٧ ص ٢٤ ، والهيتمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ٥٢ ، والعيني في عمدة القاري : ج ٨ ص ٥٨٩ ، والسيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ٣٢١ نقلاً عن ابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه ، والنووي في شرح مسلم هامش إرشاد القسطلاني ج ٨ ص ٢٣٢ .

وكان معاذ يوم ذاك ابن ثلاث وعشرين سنة إذ توفي سنة ١٨ وله ٣٣ عاماً كما ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة .

وهؤلاء المذكورين من الذين كانوا يشربون الخمر بعد نزول الآيتين فيها بتأويل فيهما كما مر في الجزء السادس ص ٢٩٧ ، إلى أن نزلت آية المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ . وكان ذلك في عام الفتح فلما رأوا غضب رسول الله ﷺ وعلموا من الآية الثالثة التحذير والوعيد إنتهوا وقال عمر : انتهينا . إنتهينا .

قال الألوسي في تفسيره ج ٢ ص ١١٥ : شربها كبار الصحابة رضي الله عنهم بعد نزولها «يعني آية الخمر في البقرة» وقالوا : إنما نشرب ما ينفعنا ولم يمتنعوا حتى نزلت آية المائدة . اهـ .

وأخرج ابن أبي حاتم من حديث أنس أنه قال : كنا نشرب الخمر فأنزلت : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية . فقلنا : نشرب منها ما ينفعنا . فأنزلت في المائدة : ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس﴾ الآية . فقالوا : اللهم قد انتهينا^(١) .

وأخرج عبد بن حميد عن عطاء أنه قال : أول ما نزل في تحريم الخمر ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية فقال بعض الناس : نشربها لمنافعها التي فيها . وقال آخرون لا خير في شيء فيه إنهم ثم نزل : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ الآية ، فقال بعض الناس : نشربها ونجلس في بيوتنا . وقال آخرون : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة مع المسلمين . فنزلت : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ الآية فانتهاوا^(٢) .

ولتعدد آيات الخمر واختلاف السلف فيها وتأويل جمع منهم آيتي البقرة والنساء من تلكم الآيات وقع الخلاف في تاريخ حرمتها على أقوال :

١ - الأخذ بما أخرجه الطبراني من طريق معاذ بن جبل من أن أول ما نهى عنه النبي ﷺ حين بعث شرب الخمر وملاحاة الرجال^(٣) فتحريم الخمر كان في أوليات الهجرة إن لم تكن في أوليات البعثة ، ويساعده ما صح عنه ﷺ من أن أعظم الكبائر شرب الخمر^(٤) ويرمه النظر في آيات الخمر فالآية الأولى منها من سورة البقرة وهي أول سورة نزلت بالمدينة^(٥) والآية الثانية في سورة النساء وقد

(١) الدر المنثور ج ١ ص ٢٥٢ ، تفسير الشوكاني ج ١ ص ١٩٧ .

(٢) تفسير الألوسي ج ٧ ص ١٧ .

(٣) أوائل السيوطي ص ٩٠ .

(٤) الغدير ج ٦ ص ٣٠٥

(٥) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٣٢ ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٥ ، تفسير الخازن ج ١ ص ١٩ .

نزلت في أوائل الهجرة (١) .

ولعلّ هذا رأي كلّ من رأى حرمة الخمر بآية البقرة ، قالت عائشة : لمّا نزلت سورة البقرة نزل فيها تحريم الخمر فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك (٢) وقد نزلت سورة البقرة بعد زواج عائشة كما مرّ في الجزء السادس ص ٢٣٦ .

واختار الجصاص حرمة الخمر بآية البقرة كما أسلفنا كلامه في الجزء السادس صفحة ٣٠١ ، وقال القرطبي في تفسيره ج ٣ ص ٦٠ : قال قومٌ من أهل النظر حرّمت الخمر بهذه الآية يعني التي في سورة البقرة ، وقال الرازي في تفسيره ج ٢ ص ٢٢٩ : إنّ هذه الآية «بمعنى آية البقرة» دالة على تحريم شرب الخمر . وذكر في ص ٢٣١ في وجه دلالتها عليه وجوهاً .

٢ - رأى البلاذري أنّه كان سنة أربع من الهجرة كما في «الإمتاع» للمقرئ ص ١٩٣ ، وذكر ابن إسحاق : أنّه كان في وقعة بني النضير سنة أربع على الراجح (٣) وقال ابن هشام في سيرته ج ٢ ص ١٩٢ : نزل ببني النضير وذلك في شهر ربيع الأوّل - سنة أربع - فحاصرهم فيها ستّ ليال ، ونزل تحريم الخمر . وذكره ابن سيّد الناس في عيون الأثر ج ٢ ص ٤٨ .

ويؤيّد هذا الرأي ما أخرجه ابن مردويه عن جابر أنّه قال : حرّمت الخمر بعد أحد (٤) وقد وقعت غزوة أحد في سنة ثلاث فبعدها تكون سنة أربع تقريباً .

٣ - جزم الدميّاطي على أنّ تحريم الخمر كان في سنة الحديبية سنة ستّ كما في فتح الباري ج ١٠ ص ٢٤ : وعمدة القاري ج ١٠ ص ٨٢ .

٤ - حرّمتها في سنة الفتح عام ثمان من الهجرة يوم الندوة المذكورة المنعقدة في دار أبي طلحة بآية المائدة التي فيها الإرهاب والتحذير ، وبها كفّ عمر ومن كان معه في تلك الندوة عن الشرب وقال : إنتهينا ، إنتهينا .

(١) راجع ما يأتي في الجزء الثامن صفحة ٣٠

(٢) تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٣٥٨ ، الدر المنثور ج ١ ص ٢٥٢ .

(٣) فتح الباري ج ١٠ ص ٢٤ ، عمدة القاري ج ١٠ ص ٨٢ .

(٤) تفسير الشوكاني ج ٢ ص ٧١ .

وهذا القول غير مدعوم بحجة ، وليس إلا لتصحيح شرب أولئك الرجال من الصحابة وجعله قبل التحريم ، فترى مثل ابن حجر لا يحكم به حكماً باتاً بل يستظهره من حديث أحمد قال في فتح الباري ج ٨ ص ٢٧٤ : الذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان لما روى أحمد من طريق عبد الرحمن بن وعلة قال : سألت ابن عباس عن بيع الخمر فقال : كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف أو من دوس فلقيه بمكة عام الفتح براوية خمر يهديها إليه فقال رسول الله ﷺ : يا أبا فلان ! أما علمت أن الله حرمها ؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال : اذهب فبعها ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا فلان ! بماذا أمرته ؟ قال : أمرته أن يبيعها . قال : إن الذي حرم شربها حرم بيعها . فأمر بها فأفرغت في البطحاء .

وقصارى ما في هذا الحديث أن تحريم الخمر بلغ الرجل في عام الفتح لا أنها حُرِّمت فيه ، لأن الرجل كان في منتأى عن مستوى تبليغ الأحكام ، متخبطاً بين أعراب البوادي ، غير عارف حتى بأصول المراودة والتحاب ، ويشهد لذلك إهداؤه الخمر لرسول الله ﷺ ، فإنها على فرض عدم حرمتها ليست ممّا يُهدى إلى مثله ﷺ ، لكن الرجل كان من دهماء الناس ، وجرى على ما هو المطرد بين الرعرة والساقة .

الخلافة في الاسلام :

وأما هو «أبو بكر» في الإسلام فلم نعهد له نبوغ في علم ، أو تقدّم في جهاد ، أو تبرز في الأخلاق ، أو تهالك في العبادة ، أو ثبات على مبدأ .

أما نبوغه في علم التفسير فلم يؤثر عنه في هذا العلم شيء يُحفل به ، فدونك كتب التفسير والحديث فلا تكاد تجد فيها عنه ما يروي غلة صاد ، أو يُنجع طلبة طالب . نعم : يروي عنه أنه شارك صاحبه - عمر بن الخطاب - في عدم المعرفة لمعنى الأب^(١) الذي عرفه كل عربي صميم حتى أعراب البادية ، وليس من البد أن يعرفه حتى الساقة من الناس فإنه لا يعدوه أن يكون لدة بقيّة الكلمات

(١) في قوله تعالى في سورة عبس ٢٧ - ٣١ : ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدائقَ غلبا وفاكهة وأبا﴾ .

العربية التي لا تزال العرب تلهج بها في كل حل ومرتحل ، ولا هو الدخيل^(١) حتى يُعذر فيه الجاهل به ، ولا من شواذ الكلم التي قلما تتعاطاه الجامعة العربية حتى يشدَّ عرفانه عن بعضهم .

وإن تعجب فعجبٌ اعتذار من جنح إليه^(٢) بأنه كان يلتزم الحائطة في تفسير القرآن ، ولذلك تورّع عن الإفاضة في معنى الأب ، لكن عرف من عرف أن الحائطة إنما تجب في بيان مغازي القرآن الكريم وتعيين إرادته ، وتبيين مجمله ، وتأويل متشابهه ، وما يجري مجرى ذلك مما يحظر في الدين التسرع إليه من دون تثبُّت وتوقيف ، وأما معاني ألفاظه العربية للعريق في لغة الضاد فأَيُّ حائطة تضرب على يده عن أن يفهمها وهو يعرفها بطبعه وجبَلته .

وهب أن الرجل لم يحط خبراً بلغة قومه فهلاً تروى في الذكر الحكيم في ذيل الآية الكريمة من قوله سبحانه : ﴿مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ﴾ . بياناً للفاكهة والأب ؟ ليعلم أنه سبحانه وتعالى امتنَّ على الناس بالفاكهة ليأكلوها ، وبالأب لترعاه أنعامهم ، فتلک فاكهة ، وهذا العشب .

أخرج أبو القاسم البغوي عن ابن أبي مليكة قال : سئل أبو بكر عن آية فقال : أي أرض تسعني ؟ أو أيّ سماء تظلّني ؟ إذا قلت في كتاب الله ما لم يرد الله ؟ .

وأخرج أبو عبيدة عن ابراهيم التيمي قال : سئل أبو بكر عن قوله تعالى ﴿وفاكهة وأباً﴾ ؟ فقال : أيّ سماء تظلّني ؟ أو أيّ أرض تقلّني ؟ إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم ؟ .

وفي لفظ القرطبي : أيّ سماء تظلّني ؟ وأي أرض تقلّني ، وأين أذهب ؟ وكيف أصنع ؟ إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى .

(١) أما ما زعمه ابن حجر في فتح الباري من أن الكلمة من الدخيل ولذلك لم يعرفها الخلفيتان فقد مرّ الجواب عنه في الجزء السادس ص ١٢٨

(٢) نظراء القرطبي والسيوطي .

ذكره القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٢٩ ، ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ص ٣٠ ، الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٢٥٣ ، ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٥ وصححه في ص ٦ ، ابن القيم في أعلام الموقعين ص ٢٩ وصححه ، الخازن في تفسيره ج ٤ ص ٣٧٤ ، النسفي في تفسيره هامش الرازي ج ٨ ص ٣٨٩ ، السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٣١٧ نقلاً عن أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد ، ابن حجر في فتح الباري ج ١٣ ص ٢٣٠ ، وأوعز إليه ابن جزري الكلبي في تفسيره ج ٤ ص ١٨٠ .

الكلالة :

وتجد الخليفة على شاكلة صنوه في عدم العلم بالكلالة النازلة في آية الصيف آخر سورة النساء : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ الآية : ١٢ .

أخرج أئمة الحديث بإسناد صحيح رجاله ثقات عن الشعبي قال : سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلالة ؟ فقال : إني سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريثان منه ، أراه ما خلا الولد والوالد ، فلما استخلف عمر رضي الله عنه قال : إني لأستحيي الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر .

أخرجه سعد بن منصور ، عبد الرزاق ، ابن أبي شيبة ، الدارمي في سننه ج ٢ ص ٣٦٥ ، وابن جرير الطبري في تفسيره ج ٦ ص ٣٠ ، ابن المنذر ، البيهقي في السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٢٣ ، وحكى عنهم السيوطي في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج ٦ ص ٢٠ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٢٦٠ ، والخازن في تفسيره ج ١ ص ٣٦٧ ، وابن القيم في أعلام الموقعين ص ٢٩ .

قال الأميني : هذا رأيه الثاني وكان أولاً يرى أن الكلالة من لا ولد له خاصة ، وكان يشاركه في رأيه هذا عمر بن الخطاب ثم رجعا عنه إلى ما سمعت^(١)

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٧٧ .

ثم اختلفا فيها ، قال ابن عباس كنت آخر الناس عهداً بعمر بن الخطاب قال : اختلفت أنا وأبو بكر في الكلالة والقول ما قلت^(١) وفي صحيحه البيهقي والحاكم والذهبي وابن كثير^(٢) عن ابن عباس قال : كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعه يقول : القول ما قلت . قلت : وما قلت ؟ قال : قلت : الكلالة ما لا ولد له .

هذا القول كان من عمر لما طعن بعد قوله لما استخلف : إني لأستحي أن أخالف فيه أبا بكر كما مر . وبعد قوله : أتى عليّ زمان لا أدري ما الكلالة وإذا الكلالة من لا أب له ولا ولد^(٣) وبعد هذه كلها قال ما قال وهو على ما يقول بصير .

أنا لا أدري أين ولت تلك الحائطة التي التزمها الخليفة الأول في معنى الأب لتلك الحدة والشدة ؟ وأي سماء أظلمته ؟ وأي أرض أقلتته ؟ وأين ذهب ؟ وكيف صنع لما قال في دين الله برأي لا يعرف غيّه من رشده ، ولا يعلمه أمن الله أم منه ومن الشيطان ؟ وكيف خفيت عليه آية الصيف ؟ وقد رأى النبي ﷺ فيها الكفاية في عرفان الكلالة كما مرّ ج ٦ ص ١٥٧ ، وكيف عزب عنه قوله تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ولم لم يسأل ولم يتعلم ولم يعبا بأهل الذكر وهو يعرفه لا محالة ؟ فكأن الأحكام ليست بتوقيفية ، وكأنها منوطة بالخط والنصيب ولكل إنسان ما رأى ، ولو صدقت هذه الأحلام فيسح لكل امرئ أن يفتي برأيه فيما يسأل عنه من الكتاب والسنة ويقول : إن كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان .

نعم هذا الإفتاء بالرأي يفتقر إلى جرأة على الله وعلى رسوله ، وتلك لا تتأتى لأي أحد فتخصّص لا محالة بجماعة دون أخرى ، وكأن هذا هو معنى الاجتهاد عند

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٥ .

(٢) المستدرک للحاکم ج ٢ ص ٣٠٤ وصححه ، السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٢٥ ، تلخيص . المستدرک للذهبي وافرّ تصحيح الحاکم ، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩٥ وذكر تصحيح الحاکم وافرّه .

(٣) السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٢٤ .

القوم لا استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة . ومن هنا يرون نظراء عبد الرحمن بن ملجم قاتل مولانا أمير المؤمنين^(١) .

وأبي الغادية قاتل الصحابي العظيم عمار بن ياسر سلام الله عليه^(٢) .

ومعاوية بن أبي سفيان قاتل آلاف من الأبرياء والأزكياء^(٣) .

وعمر بن النابغة ، العاصي ابن العاصي^(٤) .

وخالد بن الوليد قاتل مالك ظلماً والزاني بامرأته^(٥) .

وطلحة والزبير^(٦) الخارجين على الإمام الحق الثابت إمامته بالنص والاختيار .

وزيد الخمر والفجور صاحب الطامات والصحائف السوداء^(٧) .

مجتهدين في دين الله متأولين في تلكم الآراء الشاذة عن حكم الإسلام وشرعة الحق ، مأجورين في تلك المظالم العادية . وقال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١٥١ : والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا فيها متأولين وللمجتهد المخطيء أجر ، وإذا ثبت هذا في حق أحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى . اهـ .

مرحباً مرحباً بهذا الدين ، وبخٍ وبخٍ ما أكثر المجتهدين من أمة محمد ﷺ حتى أصبحت غوغاء الشام ، وطغام الأمة ، وحثالة الأعراب ، وأجلاف الأحزاب ، وأبناء الطلقاء مجتهدين متأولين .

(١) راجع الجزء الأول من كتابنا هذا ص ٣٧٧

(٢) راجع الجزء الأول من الكتاب ص ٣٨٢

(٣) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٨٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٧٩ .

(٤) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٨٣ .

(٥) تاريخ ابن كثير ج ٦ ص ٢٢٣ ، روضة المناظر لابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٧ ، وسيأتي تفصيله .

(٦) التمهيد للباقلاني ص ٢٣٢ .

(٧) تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢٢٣ .

وزنه زه بأولئك المتحلّين بأبرار الإجتهد جرائم الفساد ، قتلة صفوة الأبرار الهاجمين على ناموس الإسلام ، وقّس صاحب الرّسالة ، الخارجين عن طوع الكتاب والسنة ، الفئة الباغية الطاغية ، المدرّبين بالشرّ والفساد وبغض العترة الطاهرة تحت راية الطليق ابن الطليق ، اللعين ابن اللعين بلسان النبي الأعظم (١) صدق رسول الله ﷺ في قوله : آفة الدين ثلاثة : فقيه فاجر . وإمام جائر ، ومجتهد جاهل (٢) .

وحسب الإسلام عاراً وشناراً أولئك الأعلام أصحاب هذه الآراء المضلّة والأقلام المسمومة التي تنزّه ساحة المجرمين عن دنس الفجور والنفاق ، وتجعل المحسن والمسيء والمبطل والمحقّ ، والطيب والخبيث ، عكسي بعير ، وتضلّ الأئمة عن رشدّها بأمثال هذه الكلم التافهة ، والدعاوى الفارغة ، والآراء الساقطة ، وتصغر في عين المجتمع الديني تلکم الجنایات العظيمة على الله وعلى رسوله وكتابه وسنته وخليفته وعترته ومواليهم . كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وأول من فتح باب التأويل والإجتهد ، وقّس ساحة المجرمين بدينك ، وحايى رجال الجرائم والمعرات بهما هو الخليفة الأوّل ، فقد نزّه بهذا العذر المفتعل ذيل خالد بن الوليد عن دنس آثامه الخطيرة ، ودرأ عنه الحدّ بذلك كما سنوفّقك على تفصيله إن شاء الله تعالى .

هذا انموذج من تقدّم الخليفة في علم التفسير على قلّة ما روي عنه في ذلك قال الحافظ جلال الدين السيوطي في «الإتقان» ج ٢ ص ٣٢٨ :

إشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة . وابن مسعود . وابن عباس . وأبيّ بن كعب . وزيد بن ثابت . وأبو موسى الأشعري . وعبد الله بن الزبير . أمّا الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم عليّ بن أبي طالب ، والروايات عن الثلاثة نزرة جدّاً ، وكان السبب في ذلك تقدّم وفاتهم كما أنّ هو السبب في قلّة

(١) راجع الجزء الثالث من الكتاب ص ٣٠٩ ، ٣١٠

(٢) كنز العمال ج ٥ ص ٢١٢ .

رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث ، ولا أحفظ عن أبي بكر رضي الله عنه في التفسير إلا آثاراً قليلة جداً لا تكاد تجاوز العشرة .

وأما عليٌّ فروي عنه الكثير ، وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل : شهدت علياً يخطب وهو يقول : سلوني فوالله لا تسألون عن شيء إلا أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال : إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرفٌ إلاَّ وله ظهرٌ وبطنٌ ، وإنَّ عليَّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن .

وأخرج أيضاً من طريق أبي بكر بن عيَّاش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن عليٍّ قال : والله ما نزلت آية إلاَّ وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت إنَّ ربِّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤللاً . اهـ .

قال الأميني : ما هذا التهافت في كلام السيوطي هذا ؟ ألا مسائل الرجل عن أن الذي لم يجد له هو نفسه وهو ذلك المتبع الضليع عشرة أحاديث في علم التفسير كيف عدّه ممّن اشتهر بالتفسير من الصحابة ؟ نعم راقه أن لا يفرّق بينه وبين مولانا أمير المؤمنين وقد روى فيه ما روى ذاهلاً عن قوله تعالى : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ .

تقدّم الخليفة في السنّة :

أما تقدّمه في السنّة فكلّ ما أثبتته عنه إمام الحنابلة أحمد في المسند ج ١ ص ٢ - ١٤ ثمانون حديثاً ، ويربو المتكرّر منها على العشرين ، فلم يصفُ منها إلاَّ ما يقرب الستين حديثاً ، وقد التقط ما في مسنده من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث ، وكان يحفظ ألف ألف حديث^(١) .

وجمع ابن كثير بعد جهود جبّارة أحاديثه في اثنين وسبعين حديثاً وسمّى

(١) طبقات الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ١٧ ، ترجمة أحمد في آخر الجزء الأول من مسنده .

مجموعه : مسند الصديق^(١) .

واستدرك ما جمعه ابن كثير جلال الدين السيوطي بعد تصعيد وتصويب ومع تضيّع وإحاطة بالحديث ، فأنهى أحاديثه إلى مائة وأربعة ، وذكرها برمتها في تاريخ الخلفاء ص ٥٩ - ٦٤ .

وقد يروى أن له مائة واثنان وأربعون حديثاً اتفق الشيخان على ستة أحاديث منها . وانفرد البخاري بأحد عشر ، ومسلم بواحد^(٢) .

وفي وسع الباحث المناقشة في غير واحد من تلك الأحاديث سنداً أو متناً ، فإن من جملتها ما ليس بحديث وإنما هو قول قاله كقوله للحسن السبط سلام الله عليه : بأبي شبيهه بالنبي ليس شبيهاً بعلي .

وقوله : شاور رسول الله في أمر الحرب .

وقوله : إن رسول الله ﷺ أهدي جملاً لأبي جهل .

ومنها ما هو محكوم عليه بالوضع ، أو يخالف الكتاب والسنة ، ويكذبه العقل والمنطق والطبيعة مثل قوله :

١ - لو لم أبعث فيكم لبعث عمر .

٢ - وقوله : ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر .

٣ - وقوله : إن الميت ينضح عليه الحميم ببكاء الحي .

٤ - وقوله : إنما حرّ جهنم على أمتي مثل الحمام .

أمّا الأول فله عدّة طرق لا يصحّ شيء منها الطريق الأول لابن عدي وفي

إسناده :

١ - زكريّا بن يحيى الوكار ، أحد الكذّابين الكبار مرّت ترجمته في سلسلة الكذّابين

في الجزء الخامس ص ٢٨٢

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٢ .

(٢) شرح رياض الصالحين للصدّيق ج ٢ ص ٢٣ .

٢ - بشر بن بكر . قال الأزدي منكر الحديث ولا يعرف ، لسان الميزان ج ٢ ص ٢٠ .

٣ - أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني . قال أحمد : ضعيفٌ كان عيسى بن يونس لا يرضاه ، وعن أبي داود عن أحمد : أنه ليس بشيء . وقال أبو حاتم : سألت ابن معين عنه فضعه . وقال أبو زرعة : ضعيفٌ منكر الحديث . وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث طرقه لصوِّ فأخذوا متاعه فاختلط^(١) وقال الجوزقاني : ليس بالقوي . وقال النسائي : ضعيفٌ . وقال أبو سعد : كان كثير الحديث ضعيفاً . وقال الدارقطني : متروك^(٢) .

الطريق الثاني لابن عدي أيضاً وفي إسناده :

١ - مصعب بن سعيد أبو خيثمة المصيبي . قال ابن عدي : يحدث عن الثقات بالماكير ويصحف . وقال : والضعف على رواياته بين . وقال ابن حبان : كان مدلساً وقال صالح جزرة : شيخٌ ضريّر لا يدري ما يقول . وذكر الذهبي له أحاديث فقال : ما هذه إلاً مناكير وبلايا^(٣) .

٢ - عبد الله بن واقد . قال ابن عدي والجوزقاني والنسائي : متروك الحديث وقال غيرهما : ليس بشيء . وقال الأزدي : عنده مناكير . وقال أحمد : أظنه كان يدلس . وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث لا يحدث عنه . وقال البخاري : تركوه منكر الحديث . وقال ابن حبان : وقع المناكير في حديثه فلا يجوز الإحتجاج بخبره . وقال صالح جزرة : ضعيف مهين . وقال أبو أحمد الحاكم : حديثه ليس بالقائم^(٤)

٣ - مشرح بن عاهان . قال ابن عدي وابن حبان : لا يحتج به . وقال غيرهما :

(١) قال الأُميني : لو لم يكن لاختلاط الرجل آية غير حديثه هذا لكفى وحسبه .

(٢) تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٢٩ .

(٣) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٧٣ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٤٤ .

(٤) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٦٦ ، ميزان الإعتدال ج ٢ ص ٨٤ ، لسان الميزان ج ٣

ص ٣٧٤ ، اللآلئ المصنوعة ج ١ ص ٣٠٢ .

يروي عن عقبة مناكير لا يتابع عليها . وقال آخرون : الصواب ترك ما انفرد به (١) .

أورده بهذين الطريقتين ابن الجوزي في الموضوعات فقال : هذان حديثان لا يصحان عن رسول الله ﷺ ، أمّا الأول ، فإن زكريّا بن يحيى كان من الكذابين . قال ابن عدي ، كان يضع الحديث . وأمّا الثاني : فقال أحمد ويحيى : عبد الله بن واقد ليس بشيء . وقال النسائي : متروك : وقال ابن حبان : انقلبت على مشرح صحائفه فبطل الاحتجاج به . اهـ .

الطريق الثالث لأبي العباس الزوزني في كتاب شجرة العقل بلفظ : لو لم أبعث لبعثت يا عمر ! . وفي إسناده :

١ - عبد الله بن واقد . وقد مرّ في الطريق الثاني .

٢ - راشد بن سعد بن الحمصي ، ذكر الحاكم أن الدارقطني ضعفه ، وكذا ضعفه ابن حزم ، وذكر البخاري أنه شهد صفين مع معاوية (٢) فالرجل من الفئة الباغية بنص من النبي الأعظم ، وذكره الصّغاني فقال : موضوع . كما في كشف الخفاء ج ٣ ص ١٦٣ .

الطريق الرابع للدليمي عن أبي هريرة بلفظ : لو لم أبعث فيكم لبعث عمر . أيّد الله عمر بملكين يوفّقانه ويسدّدانه ، فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صواباً .

في إسناده إسحاق بن نجيح الملطي أبو صالح الأزدي . قال أحمد : من أكذب الناس . وقال ابن معين : كذاب عدوّ الله رجل سوء خبيث . كان ببغداد قوم يضعون الحديث منهم إسحاق الملطي . وقال ابن أبي مريم عنه : من المعروفين بالكذب ووضع الحديث . وقال علي بن المديني : ليس بشيء وضعفه ، روى عجائب . وقال عمر بن علي : كذاب كان يضع الحديث . وقال الجوزقاني : غير ثقة ولا من أوعية الأمانة . وقال : كذاب وضاع لا يجوز قبول خبره ولا الاحتجاج

(١) اللآلئ المصنوعة ج ١ ص ٣٠٢ ، ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٧٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٢٦ .

بحديثه ويجب بيان أمره . وقال الجهمي والبخاري : منكر الحديث . وقال النسائي : كذاب متروك الحديث . وقال ابن عدي : أحاديثه موضوعات وضعها هو وعامة ما أتى عن ابن جريج بكل منكر ووضعه عليه ، وهو بين الأمر في الضعفاء ، وهو ممن يضع الحديث . وقال ابن حبان : دجال من الدجاجة يضع الحديث صراحاً . وقال البرقي : نسب إلى الكذب . وقال أبو سعيد النقاش : مشهور بوضع الحديث . وقال : وقال ابن طاهر : دجال كذاب . وقال ابن الجوزي : أجمعوا على أنه كان يضع الحديث^(١) .

قال الديلمي بعد ذكر الحديث بالطريق المذكور : وتابعه راشد بن سعد عن المقدام بن معدي كرب عن أبي بكر الصديق والله أعلم .

قال الأميني : عرفت في الطريق الثالث ضعف راشد ؛ وإنما الصغاني حكم على حديثه هذا بالوضع ، وأقره العجلوني وزيفه في كشف الخفاء ج ٢ ص ١٥٤ ، ١٦٣ . وذكره السيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ج ١ ص ٣٠٢ غير أنه عدّه بهذا الطريق الوعر في تاريخ الخلفاء عن أحاديث أبي بكر ، ولا تخفى عليه تراجم هؤلاء الرجال أمثال إسحاق الملطي ، نعم راقه أن يكثر عدد أحاديث الخليفة ولو بمثل هذا وقد حذف الأسانيد منها حتى لا يقف القارئ على ما فيها من الوضع والاختلاق والله من ورائه حسيب .

أما الحديث الثاني :

فأخرجه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٩٠ بإسناده عن عبد الله بن داود الواسطي التمار عن عبد الرحمن ابن أخي محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب ذات يوم لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما : يا خير الناس بعد رسول الله ! فقال أبو بكر : أما إنك إن قلت ذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر .

عقبه الذهبي في تلخيص المستدرک فقال : قلت عبد الله ضعفوه ، وعبد

الرَّحْمَنُ متكلم فيه ، والحديث شبه موضوع . وقال في ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٢٣ : رواه عبد الله بن داود التَّمَار وهو هالك ، عن عبد الرَّحْمَن بن أخي محمَّد المنكدر لا يكاد يُعرف ، ولا يتابع على حديثه ، وقال الترمذي : ليس إسناده بذلك .

قال الأُميئي : أمَّا عبد الله بن داود التَّمَار فقال البخاري : فيه نظر . وقال أبو حاتم ليس بقوي ، في حديثه مناكير ، وقال الحاكم أبو أحمد : ليس بالمتين عندهم ، وقال النسائي : ضعيف . وقال ابن حبان : منكر الحديث جداً يروي المناكير عن المشاهير لا يجوز الاحتجاج بروايته . وقال الدارقطني : ضعيف^(١) .

وأمَّا عبد الرَّحْمَن فقال يحيى بن معين : ما أعرف عبد الرَّحْمَن فقرأه إبراهيم بن الجنيد الحديث فقال يحيى : ما أعرف عبد الرَّحْمَن . وأنكر الحديث ولم يعرفه^(٢) .

جاء العلامة الحريفيش في القرن الثامن وأتى في كتابه الروض الفائق ص ٣٨٨ بحديث مختلق في فضيلة مولانا أمير المؤمنين وأبي بكر وجعل هذه الرواية في فضل أبي بكر عن لسان عليٍّ عليه السلام قال روى أبو هريرة : إنَّ أبا بكر الصديق وعليَّ بن أبي طالب رضي الله عنهما قدما يوماً إلى حجرة رسول الله ﷺ فقال عليٌّ لأبي بكر رضي الله عنهما : تقدَّم فكن أوَّل قارع يقرع الباب وألح عليه ، فقال أبو بكر : تقدَّم أنت يا عليٌّ فقال عليٌّ : ما كنت بالذي يتقدَّم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول في حقه : ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدي على رجل أفضل من أبي بكر الصديق . فقال أبو بكر : ما كنت بالذي يتقدَّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ أعطيت خير النساء لخير الرجال . إلى آخره وفيه مناقب ست لأبي بكر على لسان عليٍّ وكذلك لعليٍّ على لسان أبي بكر لم يذكر السيوطي شيئاً منها في عدِّ أحاديث أبي بكر مع اهتمامه بإكثار عددها وذلك لبداهة الكذب فيه ، ورَّكة لفظه ، ووضوح الاختلاق في معانيه وألفاظه ، وظهور

(١) تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٠٠ .

(٢) لسان الميزان ج ٣ ص ٤٤٨ .

التهافت بين جملة كما ترى . نعم لكلّ من الوضّاعين في وضع الحديث ذوقٌ ، ولكلّ واحد منهم طريقة وسليقة ، وليس أمرهم سلكي .

أما الحديث الثالث :

فمن المنكر الواضح وهو ليدة ما سبق عن عمر في الجزء السادس صفحة ١٩٥ من قوله : إن الميت يعذب ببكاء الحي . وقد أنكرته عليه عائشة ، وهو مخالفٌ للكتاب المجيد حيث يقول : ﴿ ولا تزروا زرة وزراً أخرى ﴾ ، وأمثالها وقد فصلنا القول فيه تفصيلاً في الجزء السابق فراجع ص ١٩٢ - ٢٠٠

ومخالفٌ للعدل فإنّ تعذيب أيّ أحد لما اجترعه غيره من سيئة - بعد تسليم كون البكاء عليه سيئة - يرفضه ناموس العدل الإلهي ، وتلفظه العقول السليمة ، ويتوجّه إلى قائله اللوم من كلّ ذي مسكة ، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً .

أما الحديث الرابع : إنما حرّ جهنم على امتي مثل الحمّام :

فإنّه أشبه شيء بمخاريق المعتوهين ، أو من يريد تحطيماً من عظمة أمر المولى سبحانه ، أو إغراءً لبسطاء الأمة على اقتحام الجرائر بحسبان أنّ حرّ الجحيم الشديد الذي أوقده المنتقم الجبار للعصاة عامّة لا يصيب هذه الأمة وإنّما هو للأمم السابقة ومن لم يعتنق الإسلام من الموجودين ، وأنت إذا تأملت في ﴿ نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ﴾ ^(١) ﴿ التي وقودها الناس والحجارة ﴾ ^(٢) ﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم ﴾ ^(٣) ﴿ إذا الجحيم سعّرت ﴾ ^(٤) ﴿ وبرّزت الجحيم لمن يرى ﴾ ^(٥) ﴿ ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر ﴾ ^(٦) ﴿ كلاًّ إنّها لظى نزاغة للشوى ﴾ ^(٧) ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم

(١) سورة الهمزة ؛ الآية : ٧ .

(٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٤ .

(٣) سورة التوبة ؛ الآية : ٣٥ .

(٤) سورة التكوير ؛ الآية : ١٢ .

(٥) سورة النازعات ؛ الآية : ٣٦ .

(٦) سورة المرسلات ؛ الآية : ٣٣ .

(٧) سورة المعارج ؛ الآية : ١٥ .

ذوقوا من سقر^(١) ﴿وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواءة للبشر عليها تسعة عشر﴾^(٢) ﴿قالوا ما سلحكم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين﴾^(٣) ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم﴾^(٤).

أو تأملت فيما هدد به المولى سبحانه المتثاقلين عن النفر للجهاد في الحرِّ بقوله: ﴿قل نار جهنم أشدُّ حرّاً لو كانوا يفقهون﴾^(٥) ومن يأكل أموال اليتامى بقوله: ﴿إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً﴾^(٦) إلى كثير من أمثال هذه لا ترتاب في أنَّ الأمم كلها بالنسبة إليها شرعٌ سواء، بل إنَّ توجيه تلکم الخطابات إلى الأمة المرحومة المعنّية بالتهذيب وإيقافها عن المعصية بالتهديد أولى من توجيهها إلى الأمم البائدة التي جرى عليها ما جرى من عاقبة طاعة، أو مغبة عصيان، فذهبوا رهائن أعمالهم، وبه يتم اللطف، وتحسن التربية، وهو الذي كان يُبكي الصالح، ويُفجع المتقين، ويدرُّ عبرات الأولياء، ويجعل سيدهم أمير المؤمنين يتململ في جنح الليل البهيم تلملم السليم قابضاً على لحيته، يبكي بكاء الحزين وهو يقول: يا ربنا! - يتضرع إليه - ثم يقول للدنيا: إليّ تغرّرت؟ إليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات، غري غيري قد بتك ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق^(٧).

ثم أيّ مشابهة بين ذلك اللهب المصطلم وبين الحمّام الذي لا يكون الحرُّ

(١) سورة القمر؛ الآية: ٤٨.

(٢) سورة المدثر؛ الآية: ٢٩.

(٣) سورة المدثر؛ الآية: ٤٥.

(٤) سورة الدخان؛ الآية: ٤٦.

(٥) سورة التوبة؛ الآية: ٨١.

(٦) سورة النساء؛ الآية: ١٠.

(٧) حلية الأولياء ج ١ ص ٨٥، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٦٣، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٢، زهر الآداب للقيرواني ج ١ ص ٣٨، تذكرة السبط ص ٢٧٠، مطالب السؤل ص ٣٣، إتحاف الشبراوي ص ٧.

فيه إلا صحيحاً ، تُراح به الأوساخ ، وتعرق به الأبدان ، وترفع به الأتعاب ، وترتاح به الأجسام ؟ وهل يهدّد بمثله عصاة البشر الذي خلق ظلوماً جهولاً جموحاً ، البشر الذي هذا عقله ورشده وحديثه ؟ .

غاية جهد الباحث :

هذه غاية جهد الباحث عن علم الخليفة بالسنة وهذه سعة إطلاعه عليها ، فنحن إذا قسنا مجموع ما ورد عن الخليفة من الصحيح والموضوع في التفسير والأحكام والفوائد من المائة وأربعة أحاديث أو المائة واثنين وأربعين حديثاً إلى ما جاء عن النبي الأقدس من السنة الشريفة لتجدها كقطرة من بحر لجي ، لا تقام بها قائمة للإسلام ، ولا تدعم بها أي دعامة للدين ، ولا تُروى بها غلة صاد ، ولا تنحلّ بها عقدة آية مشكّلة . هذا أبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن العباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن مسعود ، وويروون آلافاً من السنة النبوية فقد أخرج تقيّ بن مخلّد في مسنده من حديث أبي هريرة فحسب خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وكسراً^(١) وأبو هريرة لم يصحب النبي إلا ثلاث سنين .

وهذا أحمد بن الفرات كتب ألف ألف وخمسمائة ألف حديث ، وانتخب منها ثلاثمائة ألف في التفسير والأحكام والفوائد .

[خلاصة التهذيب ص ٩]

وهذا حرمة بن يحيى أبو حفص المصري صاحب الشافعي يروي عن طريق ابن وهب فحسب مائة ألف حديث .

[خلاصة التهذيب ص ٦٣]

وهذا أبو بكر الباغندي يجيب عن ثلاثمائة ألف مسألة في حديث رسول

الله ﷺ .

[تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠]

وهذا الحافظ روح بن عبادة القيسي له أكثر من مائة ألف حديث .

[ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٤٢]

وهذا الحافظ مسلم صاحب الصحيح عنده ثلاثمائة ألف حديث مسموعة .

[طبقات الحفاظ ج ٢ ص ١٥١]

وهذا الحافظ أبو محمد عبدان الأهوازي يحفظ مائة ألف حديث .

[تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٨٨]

وهذا الحافظ أبو بكر ابن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن

وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدھا .

[شذرات الذهب ج ٢ ص ٣١٦]

وهذا الحافظ أبو زرعة حفظ مائة ألف حديث كما يحفظ الإنسان قل هو الله

أحد ، ويُقال : سبعمائة ألف حديث .

[تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٣٧ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٣]

وهذا الحافظ ابن عقدة يجيب في ثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل

البيت عليه السلام وبني هاشم حدث بها عنه الدارقطني .

[تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٥٦]

وهذا الحافظ أبو العباس أحمد بن منصور الشيرازي كتب عن الطبراني

ثلاثمائة ألف حديث .

[تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٢٢]

وهذا الحافظ أبو داود السجستاني كتب عن النبي ﷺ خمسمائة ألف

حديث .

[تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٥٤]

وهذا عبد الله بن إمام الحنابلة أحمد سمع من أبيه مائة ألف وبضعة

أحاديث .

[طبقات الحفاظ ج ٢ ص ٢١٦]

وهذا ثعلب البغدادي سمع من القواريري مائة ألف حديث .

[طبقات الحفاظ ج ٢ ص ٢١٤]

وهذا أبو داود الطيالسي يملئ من حفظه مائة ألف حديث .

[شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢]

وهذا أبو بكر الجعابي يحفظ أربع مائة ألف حديث بأسانيدھا ومتونها ويزاكر ستمائة ألف حديث . ويحفظ من المراسيل والمقاطع والخطابات قريباً من ذلك .

[تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢٦١]

وهذا إمام الحنابلة أحمد عنده أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً .

[راجع آخر الجزء الأول من مسنده]

وهذا الحافظ أبو عبد الله الختلي يحدث من حفظه بخمسين ألف حديث .

[تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢١٧]

وهذا يحيى بن يمان العجلي يحفظ عن سفيان أربعة آلاف حديث في التفسير فقط .

[تاريخ الطبري ج ١٤ ص ١٢١]

وهذا الحافظ ابن أبي عاصم يملئ من ظهر قلبه خمسين ألف حديث بعدما ذهب كتبه .

[تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٩٤]

وهذا الحافظ أبو قلابة عبد الملك حدث من حفظه ستين ألف حديث .

[طبقات الحفاظ ج ٢ ص ١٤٣]

وهذا أبو العباس السراج كتب لمالك سبعين ألف مسألة .

[تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٥١]

وهذا الحافظ ابن راهويه يملئ سبعين ألف حديث من حفظه .

[تاريخ ابن عساکر ج ٢ ص ٤١٣]

وهذا الحافظ إسحاق الحنظلي يحفظ سبعين ألف حديث .

[تاريخ الخطيب ج ٦ ص ٣٥٢]

وهذا إسحاق بن بهلول التنوخي يحدث من حفظه خمسين ألف حديث .

[تاريخ الخطيب ج ٦ ص ٣٦٨]

وهذا محمّد بن عيسى الطّباع كان يحفظ نحواً من أربعين ألف حديث .

[تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٩٦]

وهذا الحافظ ابن شاهين يكتب من حفظه بعدما ذهب كتبه عشرين أو ثلاثين ألف حديث .

[تاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٦٨]

وهذا الحافظ يزيد بن هارون يحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بأسنادها .

[شذرات الذهب ج ٢ ص ١٦]

فهلّمّ معي نرى أنّ إسلاماً هذه سعة نطاق علمه ، وكثرة طقوسه وسننه ، وغزارة فنونه وعلومه ، ونبيّاً هذا حديثه وسنّته ، وهذه ودائعه المصلحة لأُمَّته ، وهذا شأن الأعلام أُمّناء ودائع العلم والدين ، وهذه سيرة حفظة السنّة الشريفة ، كيف يجب أن يتحلّى خليفة ذلك النبيّ الأقدس بأبراد علوم الكتاب والسنّة ؟ وكيف يحقّ أن يكون حاملاً بأعباء علوم مستخلفه ومعالمه ، وارثاً مآثره وآثاره ؟ أفهل يُقتصر منه بمائة وأربعة أحاديث ؟ أو تقبل الأُمة المسكينة أو تُجديها هذه الكميّة اليسيرة من ذلك الحوش الحائش ؟ أو يسدّ ذلك الفراغ ، ويمثّل تلك العلوم الإسلاميّة الجمّة من هذا شأنه وشعاره ، وهذه سيرته وسنّته ، وهذا علمه وحديثه ؟ أو يُتلقّى بالقبول عذر المدافع عن الخليفة بأنّ قلّة حديثه لقصر مدّة خلافته ؟ أيّ صلة بين قصر العمر بعد النبيّ ﷺ وقلّة الرواية ؟ فإنّ رواة الأحاديث على العهد النبويّ ما كان حجر عليها ، ولم يكن عقال في ألسن أولئك الصحابة الأوّلين ، ولا على الأفواه أو كية عن بثّ العلم من الكتاب والسنّة طيلة حياة النبيّ الأقدس ، ولم يكن المكثرون من الرواية قصرُوا أحاديثهم على ما بعد أيّامه ﷺ ، فقلّة حديث الرجل إن هي إلّا لقلّة تلقّيه ، وقصر حفظه إنّما الإناء ينضح بما فيه والأوعية إذا طفحت فاضت .

ثمّ أتى يسوغ للخليفة ؟ أن تُثقله أعباء الخلافة ، وتعييه معضلات المسائل ويتترّس بمثل قوله : أيّ سماء تظلّني . إلخ . أو قوله : سأقول فيها برأيي . أو يخطب بعد أيّام قلائل من خلافته وقد أخرجته المواقف ، ويتطلّب الفوز منها بقول : لوددت أن هذا كفانيه غيري ، ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ﷺ لا أطيقها ،

إن كان لمعصوماً من الشيطان ، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء^(١) .

أو بقوله : أما والله ما أنا بخيركم ، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً ، ولوددت أن فيكم من يكفيني ، أفَتَظُنُّونَ أنني أعمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ ؟ إذن لا أقوم بها إن رسول الله كان يُعصم بالوحي ، وكان معه ملك ، وإن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا غضبت فاجتنبوني أن لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم ، ألا فراعوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوموني .

وفي لفظ ابن سعيد : ألا وإنما أنا بشرٌ ولست بخير من أحد منكم فراعوني ، فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني ، وإن رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم^(٢) .

أو بقوله : إنني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على الحق فأعينوني وإن رأيتموني على الباطل فسدّدوني^(٣) .

وفي لفظ ابن الجوزي في الصفوة ج ١ ، ص ٩٨ : قد وليت أمركم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن زغت فقوموني .

وهل الخليفة حريٌّ بأن ترعاه أمته ورعيته فتعينه وتسدّده وتقومه عند الخطل والزيف ؟ وكيف لا يؤاخذ الخليفة بالسنة وهو وارث علم النبي وحامل سنته وقد أكمل الله دينه وأوحى إلى نبيه ما تحتاج إليه أمته . وبلغ ﷺ كل ما جاء به حتى حق له أن ينهى عن الرأي والقياس في دين الله ، أو يقول : ما تركت شيئاً ممّا

(١) مسند أحمد ج ١ ص ١٤ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٧ ، كنز العمال ج ٣ ص ١٢٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥١ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٦ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، الصفوة ج ١ ص ٩٩ ، شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٨ . ج ٤ ص ١٦٧ ، كنز العمال ج ٣ ص ١٢٦ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٩ ، المجتنب لابن دريد ص ٢٧ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٤ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٣ ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٠ ، تهذيب الكامل ج ١ ص ٦ ، العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٨ ، إعجاز القرآن ص ١١٥ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٧ ، ١٧٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٧ وصححه ، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٤ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٧ ، ٤٨ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٨ .

أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئاً ممّا نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه^(١) .

وقد فتح الخليفة لقصر باعه في علوم الكتاب والسنة باب القول بالرأي بمصراعيه بعدما سده النبي الأعظم على أمته ، ولم تكن عند الخليفة مندوحة سواه ، قال ابن سعد في الطبقات ، وأبو عمر في كتاب العلم ج ٢ ص ٥١ ، وابن القيم في أعلام الموقعين ص ١٩ ، إن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً ، ولا في السنة أثراً ، فاجتهد رأيته ثم قال : هذا رأي فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني واستغفر الله .

[وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء عن ابن سعد ص ٧١]

وقال ميمون بن مهران : كان أبو بكر إذ ورد عليه الخصم فإن وجد في الكتاب أو علم من رسول الله ما يقضي بينهم قضى به ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه نفر كلهم يذكر من رسول الله فيه قضاءً ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به^(٢) .

هكذا كان شأن الخليفة في القضاء ، وهذا مبلغ علمه ، وهذه سيرته في العمل بالرأي المجرد وقد قال عمر بن الخطاب : أصبح أهل الرأي أعداء السنن أعيثهم الأحاديث أن يعوها ، وتفلفت منهم أن يرووها ، فاشتقوا الرأي ، أيها الناس إن الرأي إن كان من رسول الله مصيباً لأن الله كان يريه ، وإنما هو من الظن والتكلف^(٣) .

ثم ما المسوِّغ لمن سدّ فراغ النبيّ وأشغل منصّته أن يسأل الناس عن السنة

(١) كتاب العلم لأبي عمر ، وفي مختصره ص ٢٢٢ .

(٢) سنن الدارمي ج ١ ص ٥٨ ، وأخرجه البغوي كما في الصواعق ص ١٠ .

(٣) كتاب العلم لأبي عمر ج ٢ ص ١٣٤ ، وفي مختصره ص ١٨٥ ، أعلام الموقعين ص ١٩ .

الشريفة ، وبأخذها ممن هو خليفة عليه ؟ ولماذا خالف سيرته هذه لما سُئل عن الأبِّ والكلالة وترك سؤال الصحابة واستشارتهم فأفتى برأيه ما أفتى ، وقال بحرئته ما قال .

وفيما اتَّفَق لأبي بكر من القضايا غير ما مرَّ مع قلته غنية وكفاية في عرفان مبلغ علمه وإليك منها :

١ - رأي الخليفة في الجدَّة :

عن قُبَيْصَةَ بن ذؤيب قال : جاءت الجدَّة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها أبو بكر : ما لك في كتاب الله شيء ، وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئاً فارجعي حتى أسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله ﷺ أعطاهما السدس . فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه . الحديث (١) .

فانظر إلى ما عذب عنه علم الخليفة في مسألة تكثر بها البلوى ويَطْرُد الحكم فيها ، حتى اضطرتَّه الحاجة إلى الركون إلى رواية مثل المغيرة أزنى ثقيف وأكذب الأُمَّة (٢) وكان من تغييره للسنة ولعبه بها أنه صلى صلاة العيد يوم عرفة مخافة أن يعزل سنة أربعين (٣) وكان ينال من أمير المؤمنين عليه السلام كلما رقي صهوة المنبر (٤) .

٢ - رأي الخليفة في الجدَّتين :

عن القاسم بن محمد أنه قال : أتت الجدَّتان إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأراد أن يجعل السدس للتي من قِبَل الأُمِّ فقال له رجل من الأنصار : أما إنك

(١) موطأ مالك ج ١ ص ٣٣٥ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٩ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ١٧ ،

سنن ابن ماجه ج ٣ ص ١٦٣ ، مسند أحمد ج ٤ ص ٢٢٤ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٢٣٤ ،

بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٤ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا ص ١٧٣

(٣) الأغاني ج ١٤ ص ١٤٢ .

(٤) مرَّ في الجزء السادس ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

ترك التي لومات وهو حيّ كان إياها يرث ، فجعل أبو بكر السدس بينهما .

لفظ آخر :

إنَّ جدّتين أتتا أبا بكر الصّدِّيق رضي الله عنه أمّ الأمّ وأمّ الأب فأعطى الميراث أمّ الأمّ دون أمّ الأب فقال له عبد الرّحمن بن سهيل - سهل - أخو بني حارثة : يا خليفة رسول الله ! لقد أعطيت التي لوأنّها ماتت لم يرثها . فجعله أبو بكر بينهما يعني السدس .

راجع موطأ مالك ج ١ ص ٣٣٥ ، سنن البيهقي ج ١ ص ٢٣٥ ، بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٤ ، الإستهباب ج ٢ ص ٤٠٠ ، الإصابة ج ٢ ص ٤٠٢ وقال : رجاله ثقات ، كنز العمال ج ٦ ص ٦ نقلاً عن مالك ، وسعيد بن منصور ، وعبد الرزاق ، والدارقطني ، والبيهقي .

قال الأميني : أو لا تعجب عن جهل الرّجل بحكم إرث الجدّتين ، وسرعة انقلابه عمّا ارتآه أوّلاً بنقد رجل من الأنصار أو أخي بني حارثة ؟ وكان ذلك النقد يستدعي حرمان الجدّة من قبل الأمّ لكنّه شركهما في الميراث واتّخذته الفقهاء مصدراً لحكمهم ، وأصل الحكم مأخوذاً من رواية المغيرة المخصوصة بالجدّة الواحدة فانظر واعتبر .

وأما رأي الرجل الأنصاري في الجدّة الذي زحزح الخليفة عن حكمه فلم يكن أخذاً بالكتاب والسنة بل كان مخالفاً لهما وفقاً لقول الشاعر :

بنونا بنو أبائنا وبنائنا بنوهنّ أبناء الرّجال الأبعاد

فخصّ القوم به قول الله تعالى : ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين﴾^(١) لعقب الأبناء دون من عقبته البنات ، وذهبوا إلى عدم شمول أحكام الأولاد في الفروض وغيرها على وليد بنت الرجل محتجّين بقول الشاعر .

قال ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ١٥٥ : قالوا : إذا أعطى الرجل بنيه أو

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١١ .

وقف عليهم فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه واحتجوا بقول الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا بنوهنَّ أبناء الرجال الأبعد (أهـ)

وقال البغدادي في خزانة الأدب ج ١ ص ٣٠٠ : هذا البيت لا يُعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة وغيرهم . قال العيني : هذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر ، والفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث ، وأنَّ الإنتساب إلى الآباء ، والفقهاء كذلك في الوصية ، وأهل المعاني والبيان في التشبيه ، ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله .

وقال : رأيت في شرح الكرمانى في شواهد شرح الكافية للخيصى^(١) أنه قال : هذا البيت قائله أبو فراس همام الفرزدق ابن غالب^(٢) ثم ترجمه والله أعلم بحقيقة الحال . اهـ .

سبحانك اللهم ما أجرأهم على هذا الرأي - السياسي - في دين الله لإخراج آل الله عن بنوة رسول الله ﷺ ؟ ما قيمة قول الشاعر تجاه قول الله تعالى : ﴿ قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ﴾^(٣) فهو نص صريح على أنَّ الحسين السبطين ابني النبي الأقدس .

وقد سمى الله سبحانه أسباط نوح ذرية له وليست الذرية إلا ولد الرجل كما في القاموس ج ٢ ص ٣٤ فقال سبحانه : ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ - إلى قوله - ﴿ ويحيى وعيسى ﴾^(٤) فعُدَّ عيسى من ذرية نوح وهو ابن بنته مريم .

قال الرازي في تفسيره ج ٢ ص ٤٨٨ : هذه الآية «عني آية قل تعالوا» دالة على أنَّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله ﷺ ، وعد أن يدعوا أبناءه فدعا الحسن والحسين فوجب أن يكونا إبنيه ، ومما يؤكد هذا قوله تعالى في سورة

(١) شمس الدين أبو بكر الخيصى اسمى شرحه بالمرشح .

(٢) نسبه صاحب جامع الشواهد إلى عمر في صفحة ٩١ فقال : هو من أبيات لعمر بن الخطاب .

وهذا أقرب إلى ما يشاهد فيه من الإلمام بالسياسة .

(٣) سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

(٤) سورة الأنعام ؛ الآيتان : ٨٤ ، ٨٥ .

الأنعام : ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ - إلى قوله - ﴿وزكريا ويحيى وعيسى﴾ ، ومعلوم أن عيسى إنما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأُم لا الأب فثبت أن ابن البنت قد يُسمّى ابناً والله أعلم .

وقال القرطبي في تفسيره ج ٤ ص ١٠٤ : فيها «يعني آية تعالوا» دليل على أن أبناء البنات يسمّون أبناء . وقال في ج ٧ ص ٣١ . عُدَّ عيسى من ذرية إبراهيم وإنما هو ابن البنت ، فأولاد فاطمة رضي الله عنها ذرية النبي ﷺ ، وبهذا تمسك من رأى : أن ولد البنات يدخلون في اسم الولد . قال أبو حنيفة والشافعي : من وقف وقفاً على ولده وولد ولده أنه يدخل فيه ولد ولده وولد بناته ما تناسلوا . وكذلك إذا أوصى لقرباته يدخل فيه ولد البنت ، والقربة عند أبي حنيفة كل ذي رحم محرم . إلى أن قال :

وقال مالك : لا يدخل في ذلك ولد البنات ، وقد تقدّم نحو هذا عن الشافعي ج ٤ ص ١٠٤ - والحجة لهما قوله سبحانه : ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ . فلم يعقل المسلمون^(١) من ظاهر الآية إلا ولد الصلب وولد الإبن خاصة . إلى أن قال : وقال ابن القصار : وحجة من أدخل البنات في الأقارب قوله عليه السلام : للحسن بن علي : إن ابني هذا سيّد . ولا نعلم أحداً يمتنع أن يقول في ولد البنات : لأنهم ولد لأبي أمهم . والمعنى يقتضي ذلك لأن الولد مشتق من التولّد وهم متولّدون عن أبي أمهم لا محالة ، والتولّد من جهة الأم كالتولّد من جهة الأب ، وقد دلّ القرآن على ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ - إلى قوله - ﴿من الصالحين﴾ . فجعل عيسى من ذريته وهو ابن بنته . اهـ .

وأخرج ابن أبي حاتم بإسناده عن أبي حرب بن الأسود قال : أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال : بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ تجده في كتاب الله ؟ وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده . قال : ليس تقرأ سورة الأنعام : ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ . حتى بلغ : ﴿ويحيى

(١) هذه فرية على المسلمين وحاشاهم أن يعقلوا من الآية خلاف ظاهرها من دون أي دليل صارف .

وعيسى؟» قال بلى . قال : أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب ؟ قال : صدقت . فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم . الخ . تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٥٥ .

فبعد كون ذرية الرجل ولده على الإطلاق ودخل فيهم أولاد البنات لا ينبغي التفكيك في الأحكام عندئذ بين الذرية والأولاد ، ولا يسع لأي أحد أن يرى أبناء البنات أبناء الرجال الأبعد خارجين عن ولد الرجل على الحقيقة ، ويصح له مع ذلك عدُّهم من ذريته وليست إلا ولد الرجل .

ويشهد على لغة القرآن المجيد وأن ولد البنت ابن أبيها على الحقيقة قول رسول الله ﷺ :

١ - أخبرني جبرائيل : أن ابني هذا - يعني الحسين - يُقتل . وفي لفظ : إن أمي ستقتل إبني هذا .

[طبقات ابن سعد ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٧٧ ، أعلام النبوة للماوردي ص ٨٣ ، ذخائر العقبى ص ١٤٨ ، الصواعق ص ١١٥] .

٢ - وقوله : إبني هذا يُقتل بأرض من العراق .

[دلائل النبوة لأبي نعيم ج ٣ ، ص ٢٠٢ ، ذخائر العقبى ص ١٤٦]

٣ - وقوله للحسن السبط : ابني هذا سيّد .

[المستدرك ج ٣ ص ١٧٥ ، أعلام الماوردي ص ٨٣ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٥٥]

٤ - وقوله لعلي : أنت أخي وأبو ولدي .

[ذخائر العقبى ص ٦٦]

٥ - وقوله : إن جبرائيل أخبرني أن الله عزّ وجلّ قتل بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين ألفاً .

[ذخائر العقبى ص ١٥٠]

٦ - وقوله : المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي .

[ذخائر العقبى ص ١٣٦]

٧ - هذان إبنائي من أحبهما فقد أحببني : «الحسن والحسين» .

[المستدرک ج ٣ ص ١٦٦ ، تاریخ ابن عساکرج ٤ ص ٢٠٤ ، کنز العمال ج ٦ ص ٢٢١]

٨ - وقوله لفاطمة الصديقة : ادعي لي إبنی .

[تاریخ ابن عساکرج ٤ ص ٣١٦]

٩ - وقوله لأنس : ادع لي إبنی .

[تاریخ ابن كثير ج ٨ ص ٢٠٥]

١٠ - وقوله ادعوا إبنی . فأتى الحسن بن علي .

[ذخائر العقبی ص ١٢٢]

١١ - وقوله : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا إبنی - الحسن - وأنا أُحِبُّهُ فَأُجِبِّهِ وَأُحِبُّ مِنْ

يُحِبُّهُ .

[تاریخ ابن عساکرج ٤ ص ٢٠٣]

١٢ - وقوله لعلی : أي شيء سَمَّيت إبنی؟ قال : ما كنت لأسبقك بذلك ، فقال :

وما أنا السابق ربِّي فهبط جبرائیل فقال : يا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يقرئك السَّلام ويقول

لك : عليُّ منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبيُّ بعدك ، فسمَّ إبنك هذا باسم

ولد هارون .

[ذخائر العقبی ص ١٢٠]

١٣ - وقوله : أروني إبنی ما سَمَّيتموه . قاله لَمَّا ولد الحسن ، وفي ولادة

الحسين ، وكذلك في ولادة محسن بن علي .

[المستدرک ج ٣ ص ١٨٠ ، کنز العمال ج ٧ ص ١٠٧ ، ١٠٨ عن الدارقطني ،

وأحمد ، وابن أبي شيبه ، وابن جرير ، وابن حبان ، والدولابي ، والبيهقي ، والحاكم ،

والخطيب] .

١٤ - وقوله : اطلبوا إبنی . لَمَّا ضلَّ الحسن والحسين .

[کنز العمال ج ٧ ص ١٠٨]

١٥ - وقوله : إبنی هذين ريحانتي من الدنيا . يعني الحسن والحسين .

[الصواعق ص ١١٤ ، کنز العمال ج ٦ ص ٢٢٠ . ج ٧ ص ١٠٩]

١٦ - وقوله : إني إرتحلني .

[أخرجه أحمد . والبغوي . والطبراني . والحاكم . والبيهقي . وسعيد بن منصور . وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٧ ، وابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ٣٦ ، وراجع كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٢ ، وج ٧ ص ١٠٩] .

١٧ - وقوله : هاتوا إبنِي أعوذُهما بما عوذَ به إبراهيم إبنيه .

[تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٠٩]

١٨ - وقوله لأنس : ويحك يا أنس دع ابني وثمرة فؤادي - يعني الحسن - .

[كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٢]

١٩ - وقوله : إبناي هذان : الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة .

[الصواعق لابن حجر ص ١١٤]

٢٠ - وقوله في عليّ : هذا أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي .

[كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤]

٢١ - وقوله : سمَّيت إبنِي هذين باسم إبنِي هارون شبر وشبير .

[الصواعق ص ١١٥ ، كنز العمال ج ٦ ص ٢٢٢]

٢٢ - وقوله : لو لم يبق من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي إسمه كاسمي . فقال سلمان : من أيّ ولدك يا رسول الله ! قال : من ولدي هذا . وضرب بيده على الحسين .

[ذخائر العقبى ص ١٣٦]

٢٣ - وقول الحسن السبط سلام الله عليه في خطبة له : أنا الحسن بن علي ، وأنا ابن النبي ، وأنا ابن البشير ، وأنا ابن النذير ، وأنا ابن الداعي الى الله بإذنه والسراج المنير .

[المستدرک ج ٣ ص ١٧٢ ، وذخائر العقبى ص ١٣٨ ، ١٤٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١١ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٤٦ ، إتحاف الشبراوي ص ٥] .

٢٤ - وقوله لأبي بكر وهو في منبر جدّه الأقدس : إنزل عن مجلس أبي فقال أبو بكر : صدقت إنه مجلس أبيك . وفي لفظ : إنزل عن منبر أبي . فقال أبو

بكر : منبر أبيك لا منبر أبي .

[الرياض النضرة ج ١ ص ١٣٩ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧ ، الصواعق ص ١٠٨ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٤ ، كنز العمال ج ٣ ص ١٣٢] .

٢٥ - وقوله في وصيته : ادفنوني عند أبي - يعني المصطفى - .

[إتحاف الشبراوي ص ١١]

٢٦ - وقول الحسين السبط عليه السلام لعمر : إنزل عن منبر أبي . فقال عمر :

منبر أبيك لا منبر أبي ، مَنْ أمرك بهذا ؟ .

[تاريخ ابن عسكرج ٤ ص ٣٢١]

٢٧ - وقول ابن عباس : هذان - الحسن والحسين - إنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

[تاريخ ابن عسكرج ٤ ص ٢١٢ ، ٣٢٢]

٢٨ - وقول زهير بن قين مخاطباً الحسين عليه السلام : قد سمعنا يا بن رسول الله

مقاتلتك .

[جمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٤٠]

٢٩ - وقول الإمام السبط الحسن الزكيّ كما في الإتحاف للشبراوي ص ٤٩ :

خيرة الله من الخلق أبي	بعد جدّي وأنا ابن الخيرتين
فضة قد صُيغت من ذهب	فأنا الفضة ابن الذهبين

٣٠ - وقوله كما في الإتحاف ص ٥٧ :

أنا ابن الذي قد تعلمون مكانه	وليس على الحقّ المبين طحاء
أليس رسول الله جدّي ووالدي	أنا البدر إن حلّ النجوم خفاء

٣١ - وقول الفرزدق في مدح الإمام السّجاد عليّ بن الحسين عليه السلام :

هذا ابن خير عباد الله كلّهم	هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم
-----------------------------	--------------------------------

٣٢ - وقول ابن بشر في زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

يمدحه :

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة نفى جذبها واخضر بالنبت عودها
وزيد ربيع الناس في كل شتوة إذا أخلفت أبراقها ورعودها

٣٣ - وقول أبي عاصم ابن حمزة الأسلمي يمدح الحسن بن زيد بن
الحسن بن علي بن أبي طالب ^{عليه السلام} كما في زهر الآداب للحصري القيرواني ج ١
ص ٨٠ .

ستأتي مدحتي الحسن بن زيد وتشهد لي بصفين القبور
قبور لم تزل مُذْغَاب عنها أبو حسن تعاديهما الدهور
قبور لو بأحمد أو علي يلوذ مجيرها حمي المجير
هما أبواك من وضعافضعه وأنت برفع من رفعا جدير

٣٤ - وقول إبراهيم بن علي بن هرمة لما نصحه الحسن بن زيد المذكور كما
في زهر الآداب ج ١ ص ٨١ .

نهاني ابن الرسول عن المدام وأدبني بآداب الكرام
٣٥ - وقول أبي تمام الطائي (١) :
فعلتم بأبناء النبي ورهطه أفاعيل أدناها الخيانة والغدر
٣٦ - وقول دعلج الخزاعي :

فكيف ومن أتى بطالب زلفة إلى الله بعد الصّوم والصّلوات ؟
سوى حبّ أبناء النبي ورهطه وبغض بني الزرقاء والعبلات
٣٧ - وقوله :

ألم يحزنك أن بني زياد أصابوا بالترات بني النبي
٣٨ - وقول الحماني :

قومٌ لماء المعالي في وجوههم عند التكرم تصويبٌ وتصعيد

(١) راجع فيما يلي من الأبيات تراجم شعرائها في أجزاء كتابنا هذا .

يدعون أحمد إن عُدَّ الفخار أباً
والعود ينسب في أفئائه العود
٣٩ - وقول التنوخي :

من ابن رسول الله وابن وصيِّه
إلى مدخل في عقبة الدين ناصب
٤٠ - وقول الزاهي :

بنو المصطفى تُفنون بالسيف عنوةً
ويسلمني طيف الهجوع فأهجع
٤١ - وقول الناشي :

بني أحمد قلبي بكم يتقطَّعُ
بمثل مصابي فيكم ليس يُسمع
٤٢ - وقول صاحب بن عباد :

مالعليَّ العليُّ أشباه
والَّذي لا إله إلا هو
مَبْنَاه مَبْنَى النبيِّ تعرفه
وابنائه عند التفاحر إبنائه
٤٣ - وقوله :

أُجْزُرأس ابن النبيِّ وفي السورى
حيَّ أمام ركابه لم يقتل ؟
٤٤ - وقوله :

بمحمَّد ووصيِّه وابنيهما
وبعابدٍ وبقارين وكاظم
٤٥ - وقوله :

بمحمَّد ووصيِّه وابنيهما
الطاهرين وسيِّد العباد
٤٦ - وقول الصوري :

فلهذا أبناء أحمد أبناء
عليَّ طرائدُ الأفاق
٤٧ - وقول مهيار الديلمي :

بأيِّ حكمٍ بنوهُ يتبعونكم
وفخركم أنكم صحبُّ له تبع ؟
٤٨ - وقوله :

فيوم السَّقِيفَةِ يابن النبي طَرَّقَ يَوْمَكَ فِي كَرْبَلَا

٤٩ - وقول ابن جابر :

جَعَلُوا الْأَبْنَاءَ الرَّسُولِ عِلَامَةً إِنَّ الْعِلَامَةَ شَأْنٌ مِّنْ لَمْ يَشْهَر

٥٠ - وقال الشبراوي :

يَابْنَ الرَّسُولِ بِأَمِّكَ الزَّهْرَ الْبَتُولِ وَجَدَّكَ الْمَأْمُولِ عِنْدَ النَّاسِ
وَعُدَّتْ فِي الْأَشْرَافِ يَابْنَ الْمَصْطَفَى كَالْعَقْلِ أَوْ كَالرَّوْحِ أَوْ كَالرَّاسِ

فَمَا الْمَبْرُرُ عِنْدُكَ لِلْخَلِيفَةِ فِي صَفْحِهِ عَمَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَتَلْقِيهِ
بِالْقَبُولِ قَوْلَ الْأَنْصَارِيِّ الشَّاذَّ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ؟ وَمَا عَذْرُ فُقَيْهِ أَوْ حَافِظِ اتَّخَذَ رَأْيَ
الْأَنْصَارِيِّ دِينًا مُحْتَجًّا بِقَوْلِ شَاعِرٍ لَمْ يُعْرِفْ بَعْدُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ
وَالْأَدَبُ ؟ .

٣ - رَأْيُ الْخَلِيفَةِ فِي قَطْعِ يَدِ السَّارِقِ :

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ : أَنَّ رَجُلًا سَرَقَ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مَقْطُوعَةً يَدِهِ وَرَجْلَهُ فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَقْطَعَ رَجْلَهُ وَيَدْعَ يَدَهُ يَسْتَطِيبُ بِهَا
وَيَتَطَهَّرَ بِهَا ، وَيَنْتَفِعَ بِهَا ، فَقَالَ عُمَرُ : لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَقْطَعَنَّ يَدَهُ الْأُخْرَى .
فَأَمَرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُطِعَتْ يَدُهُ .

وَعَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ رَجُلًا بَعْدَ
الْيَدِ وَالرَّجْلِ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : السُّنَّةُ الْيَدُ (١) .

إِنَّ مِنْ مَوَارِدِ الْحَيَاةِ أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَا يَعْلَمُ حَدَّ السَّارِقِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهَمِّ مَا
تَجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهُ لِحِفْظِ الْأَمْنِ الْعَامِّ ، وَتَهْدِئَةِ الْحَالَةِ ، وَقَطْعِ جَرْتِ ثَوْمَةِ الْفَسَادِ ، وَمِنْ
الْمَحِيرِّ أَيْضًا تَسْرَعُهُ إِلَى الْحُكْمِ قَبْلَ مَا عَزَى إِلَيْهِ فِيمَا مَرَّ ص ١٣٩ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ الْإِسْتِعْلَامِ مِنَ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الْمَشُورَةِ .

ثُمَّ إِنَّ الَّذِي سَدَّدَهُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ لَمْ نَسِ الْحُكْمَ إِبَّانَ خِلَافَتِهِ فَأَرَادَ عَيْنَ مَا أَرَادَهُ

صاحبه . راجع الجزء السادس ص ١٦٨

٤ - رأي الخليفة في الجَد :

عن ابن عباس وعثمان وأبي سعيد وابن الزبير قالوا : إِنَّ أبا بكر جعل الجَدَّ أبا^(١) يعنون أنه كان يحجب الأخوة بالجَدِّ ولم يشرك بينهما كما أن الأب يحجب الأخوة والأخوات .

قال الأُميني : لم يكن رأي الخليفة هذا متّخذاً من الكتاب والسنة ، ولم يكن يعمل به أحدٌ من الصحابة طيلة حياته ، وما اتَّفَقَ لجدِّ يرث في أيامه حتى يؤيّد رأيه ويُقال : إنَّ أحدًا من الصحابة لم يخالف أبا بكر في حياته في رأيه هذا كما قاله البخاري والقرطبي^(٢) وأوّل جدِّ كان في الإسلام فأراد أن يأخذ المال كلّ مال ابن ابنه دون اخوته هو عمر بن الخطاب فأثاه عليٌّ وزيد فقالا : ليس لك ذلك إنّما كنت كأحد الأخوين ، وقد فصلنا القول فيه في الجزء السادس ص ٢٥٥-٢٥٨ فأوّل رجل خالف الخليفة في الجَدِّ هو خليفته بعده ، وقد اتَّفَقَ عليٌّ وعمر وعثمان وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وابن مسعود على خلاف الخليفة على توريث الأخوة مع الجَدِّ^(٣) وهو قول مالك والأوزاعي وأبي يوسف ومحمّد والشافعي وابن أبي ليلى^(٤) .

وافتعل القوم للخليفة عذراً بأنّه كان يرى الجَدَّ أباً لمكان قوله تعالى : ﴿مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ . وقوله : ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ بتقرير إطلاق الأب على الجَدِّ على الحقيقة . ولا يخفى على أيّ أحد أن صَحَّةَ هذا الإطلاق لا توجب إتحاد الأب والجَدِّ في جميع الأحكام ، ألا ترى أن صَحَّةَ إطلاق الأم على الجدّة على الحقيقة وقولهم في

(١) صحيح البخاري باب ميراث الجدِّ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٢ ، أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٩٤ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٢٤٦ ، تأريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥ .

(٢) راجع صحيح البخاري باب ميراث الجدِّ ، وتفسير القرطبي ج ٥ ص ٦٨ .

(٣) صحيح البخاري باب ميراث الجدِّ ، سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٤ ، بداية المجتهد ج ٢ ص ٣٤٠ .

(٤) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٩٤ ، تفسير القرطبي ج ٥ ص ٦٨ .

تعريف الجدّة : إنّها الأمّ العليا^(١) لا تستدعي الإشتراك في النصيب فيرون مع هذه للجدّة السدس بالاتّفاق . وفريضة الأمّ هي الثلث بالكتاب والسنة .

على أنّ الصحابة الأوّلين لم يكن عندهم أيّ إيعاز إلى هذا العذر المنحوت ، ولو كانت لرأي الخليفة قيمةً وكرامةً لأباحه أحدٌ منهم ، وفاءً به عندما خالف عليّ وزيد عمر بن الخطاب ونهياه عن أعمال هذا الرأي .

بل فيما رواه الدارمي عن الحسن من أنّ الجدّ قد مضت سنّته ، وأنّ أبا بكر جعل الجدّ أبا ، ولكن الناس تخيّر^(٢)وا إيعاز إلى أنّ السنّة في الجدّ ماضية ثابتة وقد خالفها الخليفة ، وتخيّر الناس فخالفوه وعملوا بالسنّة الشريفة .

٥ - رأي الخليفة في تولية المفضول :

قال الحلبي في السيرة النبويّة ج ٣ ص ٣٨٦ : إنّ أبا بكر رضي الله عنه كان يرى جواز تولية المفضول على من هو أفضل منه وهو الحقّ عند أهل السنّة لأنّه قد يكون أقدر من الأفضل على القيام بمصالح الدين ، وأعرف بتدبير الأمر ، وما فيه انتظام حال الرعيّة .

أجاب الحلبي بهذا عن تقديم أبي بكر عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح على نفسه في الخلافة وقوله : بايعوا أيّ الرجلين إنّ شئتم .

وقال الباقلاني في التمهيد ص ١٩٥ عند الجواب عن قول أبي بكر : وليتكم ولست بخيركم : يمكن أن يكون قد اعتقد أنّ في الأمّة أفضل منه إلّا أنّ الكلمة عليه أجمع والأمّة بنظره أصلح ، لكي يدلّهم على جواز إمارة المفضول عند عارض يمنع من نصب الفاضل ، ولهذا قال للأنصار وغيرهم : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أحدهما : عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح ، وهو يعلم أنّ أبا عبيدة دونه ودون عثمان وعليّ في الفضل ، غير أنّه قد رأى أنّ الكلمة تجتمع عليه ، وتنحسم الفتنة بنظره . وهذا أيضاً ممّا لا جواب لهم عنه .

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٦٨ .

(٢) سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٥٣ .

قال الأُميني : الذي نرتئيه في الخلافة أنها إمرة إلهية كالنبوة ، وإن كان الرسول خُصَّ بالتشريع والوحي الإلهي ، وشأن الخليفة التبليغ والبيان ، وتفصيل المجمع . وتفسير المعضل ، وتطبيق الكلمات بمصاديقها ، والقتال دون التأويل^(١) كما يُقاتل النبيُّ دون التنزيل ، وإظهار ما لم يتسنَّ للنبيِّ الإشادة به إمّا لتأخر ظرفه ، أو لعدم تهيؤ النفوس له ، أو لغير ذلك من العلل ؛ فكلُّ منهما داخلٌ في اللطف الإلهيِّ الواجب عليه بمعنى تقريب العباد إلى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية ، ولذلك خلقهم واستعبدهم وعلمهم ما لم يعلموا ، فلم يدع البشر كالبهائم ليأكلوا ويتمتعوا ويلهيهم الأمل . ولكن خلقهم ليعرفوه ، وليمكنهم من الحصول على مرضاته ، وسهّل لهم الطريق إلى ذلك ببعث الرسل ، وإنزال الكتب ، وتواصل الوحي في الفينة بعد الفينة ، وبما أنَّ أيَّ نبيٍّ لم يُنطِ عمره بمنصرم الدنيا ، ولا قُدِّر له البقاء مع الأبد ، وللشرائع ظروفٌ مديدة ، كما أنَّ للشرعية الخاتمة أمدٌ لا منتهى له ، فإذا مات الرسول ولشريعته إحدى المدتين وفي كلِّ منهما نفوسٌ لم تكمل بعد ، وأحكامٌ لم تُبلِّغ وإن كانت مشرعة ، وأخرى لم تأت ظروفها ، ومواليد قُدِّر تأخير تكوينها ، ليس من المعقول بعد أن تترك الأمة سُدى والحالة هذه ، والناس كلُّهم في شمول ذلك اللطف الواجب عليه سبحانه شرع سواء ، فيجب عليه جلّت عظمته أن يقيض لهم مَنْ يكمل الشريعة ببيانه ، ويزيح شبه الملحدين ببرهانه ، ويجلو ظلم الجهل بعرفانه ، ويدرأ عن الدين عادية أعدائه بسيفه ولسانه ، ويقيم الأمت والعوج بيده ولسانه .

ومهما كان للمولى جلّت مننه عناية بعبيده ، وقد ألزم نفسه بإسداء البرِّ إليهم ، وأن لا يوليهم إلّا الخير والسعادة ، فعليه أن يختار لهم مَنْ ينوء بذلك العبء الثقيل ويمثّل مخلفه الرسول في الوظائف كلّها ، فينصّ عليه بلسان ذلك النبيِّ المبعوث ، ولا يجوز أن يخلي سربهم ، ويتركهم سُدى ، ألا ترى أنَّ عبد الله بن

(١) وبهذا عرّف النبي صلى الله عليه وآله مولانا أمير المؤمنين بقوله : إنَّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ؟ ! قال : لا . قال عمر : أنا هو يا رسول الله ؟ ! قال : لا . ولكن خاصف النعل ، وكان أعطى علياً نعله يخصفها . أخرجه جمع من الحفاظ وصححه الحاكم والذهبي والهيتمي كما يأتي تفصيله .

عمر قال لأبيه : إنَّ النَّاسَ يتحدَّثون أنَّكَ غير مستخلف ، ولو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمَّ جاء وترك رعيته رأيت أن قد فرط - لرأيت أن قد ضيَّع - ورعية الناس أشدُّ من رعية الإبل والغنم ، ماذا تقول لله عزَّ وجلَّ إذ لقيته ولم تستخلف على عبادهِ^(١) ؟ .

وقالت عائشة لابن عمر : يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له : لا تدع أمة محمَّد بلا راعٍ ، إستخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً ، فإنِّي أخشى عليهم الفتنة^(٢) فترك النَّاسَ مهملين فيه خشيةُ الفتنة عليهم .

وقال عبد الله بن عمر لأبيه : لو استخلفت ؟ قال : من ؟ قال : نجتهد فإنَّك لست لهم ربَّ ، تجتهد ، أرأيت لو أنَّك بعثت إلى قيِّم أرضك ألم تكن تحبُّ أن يستخلف مكانه حتى يرجع إلى الأرض ؟ قال : بلى . قال : أرأيت لو بعثت إلى راعي غنمك ألم تكن تحبُّ أن يستخلف رجلاً حتى يرجع^(٣) ؟ .

وهذا معاوية بن أبي سفيان يتمسَّك بهذا الحكم العقليِّ المسلم في استخلاف يزيد ويقول : إنِّي أُرهب أن أدع أمة محمَّد بعدي كالضأن لا راعي لها^(٤) .

ليت شعري هذا الدليل العقليُّ المتسالم عليه لِمَ أهملته الأُمَّة في استخلاف النبيِّ الأعظم وأتهمته بالصفح عنه ؟ أنا لا أدري .

ولا يجوز أيضاً توكيل الأمر إلى أفراد الأُمَّة ، أو إلى أهل الحلِّ والعقد منهم لأنَّ ممَّا أوجبه العقل السليم أن يكون الإمام مكتنفاً بشرائط بعضها من النفسانيَّات الخفيَّة والملكات التي لا يعلمها إلَّا العالم بالسرائر^(٥) كالعصمة والقداسة الروحيَّة ،

(١) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٤٩ عن صحيح مسلم ، سيرة عمر لابن الجوزي ص ١٩٠ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٧٤ ، حلية الأولياء ج ١ ص ٤٤ ، فتح الباري ج ١٣ ص ١٧٥ عن مسلم .

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٢ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٩ .

(٤) تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٧٠ ، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥١ .

(٥) وقد أشبعنا القول في البرهنة على لزوم هذه الملكات الفاضلة في الإمامة في غير هذا المورد .

والنزاهة النفسية لتبعده عن الأهواء والشهوات ، والعلم الذي لا يضلُّ معه في شيء من الأحكام إلى كثير من الأوصاف التي تقوم بها النفس ، ولا يظهر في الخارج منها إلا جزئيات من المستصعب الحكم باستقرائها على ثبوت كليّاتها ، ﴿وَرُبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَنُونَ﴾^(١) . والله يعلم حيث يجعل رسالته .

فالأمّة المنكفئة علمها عن الغيوب لا يمكنها تشخيص من تحلّى بتلك الصفات فالغالب على خيرتها الخطأ ، فإذا كان نبيّ كموسى على نبينا وآله وعلّيته تكون وليدة اختياره من الآلاف المؤلفة سبعين رجلاً . وأنهم لما بلغوا الميقات قالوا : أرنا الله جهرة ؟ فما ظنك بأفراد عاديين واختيارهم ، وأناس ماديين وانتخابهم ، وما عساهم أن ينتخبوا غير أمثالهم ممن هو وإياهم سواسية كأسنان المشط في الحاجة إلى المسدّد ، وليس من المأمون أن يقع انتخابهم على عاثر ، أو يكون إلتياثهم بمشاغب ، أو يكون إنثيالهم وراء من يسرُّ على الأمّة حسواً في ارتغاء^(٢) أو يقع اختيارهم على جاهل يرتبك في الأحكام فيرتكب العظام ، ويأتي بالجرائم ، ويقترف المآثم وهو لا يعلم ، أو يعلم ولا يكثرث لأن يقول زوراً ، ويحكم غوراً ، فيفسدوا من حيث أرادوا أن يصلحوا ، ويقعوا في الهلكة وهم لا يشعرون ، كما وقعت أمثال ذلك في البيعة لمعاوية ويزيد وخلفاء الأمويين .

فعلى الباري الرؤوف الذي يكره كلّ ذلك في خلقه أن لا يجعل لأحد من خلقه الخيرة فيها و﴿قد خلقه ظلوماً جهولاً﴾^(٣) ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾^(٤) ، ﴿وَرُبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ فِي الْأَمْرِ﴾^(٥) ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾^(٦) .

(١) سورة القصص ؛ الآية : ٦٩ .

(٢) مثل يُضْرَبُ لمن يظهر أمراً ويريد غيره - تاج العروس ج ١٠ ص ١٥٣ .

(٣) راجع سورة الأحزاب ؛ الآية : ٧٢ .

(٤) سورة الملك ؛ الآية : ١٤ .

(٥) سورة القصص ؛ الآية : ٦٧ .

(٦) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٦ .

وقد أخبر به النبي الأعظم من أول يومه يوم عرض نفسه على القبائل فبلغ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله فقال له قائلهم : أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك ، أ يكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : إنَّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء^(١) .

أنى تسوغ أن تكون للخلق خيرة في الأمر مع شيوع الغايات والأغراض والدعاوى والميول والشهوات في الناس حول الانتخاب ، مع اختلاف الأنظار وتضارب الآراء والمعتقدات في تحليل نفسيات الرجال والشخصيات البارزة ، مع كثرة الأحزاب والفرق والأقوام والطوائف المتشاكسة ، مع شقاق القومية والطائفية والشعوبية الذائع الشائع في المسكين ابن آدم من أول يومه .

وقد اقترن الانتخاب من بدء بدئه، بالتحارش والتلاكم والتكالم والتشازر والتصاخب والتخاصم حتى قُذت برود يمانية^(٢) ووقع البرح براحاً^(٣) وكم بالانتخاب هُتكت حرمانات ؟ وأهينت مقدسات ، وأُضيعت حقائق ، ودُحض الحق الثابت ، ودُحس الصالح العام ، واختلّ الوثام ، وأُقلق السّلام ، وسُفحت دماء زكية ، وتشلّشت اشلاء الإسلام الصحيح ، فجاء يطمع في الأمر من لا خلاق له من سوقي ، بردي ، أو مبرطش ألهاه الصفق بالأسواق ، أو بزّاز يحمل بني أبيه على رقاب الناس ، أو حفّار قبور لا يعرف عرضه من طوله ، أو طليق غاشم ، أو خمّار سكير ، أو مستهتر مشاغب ، من الذين اتّخذوا عباد الله خولاً ، ومال الله نحلاً ، وكتاب الله دغلاً ، ودين الله حولاً .

ومقتضى هذا البيان الضافي أن يكون الخليفة أفضل الخليقة أجمع في أمته لأنّه لو كان في وقته من يمثّله في الفضيلة أو من ينيف عليه إستلزم تعيينه الترجيح بلا مرجّح أو التطفيف في كفة الرجحان .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢ ، الروض الأنف ج ١ ص ٢٦٤ ، بهجة المحافل لعماد الدين العامري ج ١ ص ١٢٨ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣ ، سيرة زيني دحلان ج ١ ص ٣٠٢ هامش الحلبية ، حياة محمد لهيكل ص ١٥٢ .

(٢) مثل يضرب في شدة الخصومة ، أي تخاصموا حتى تشاققوا الثياب الغالية .

(٣) البرح : الشدة والأذى والشر ، والبراح : الصراح البين .

على أن الإمام لو قصر في شيء من تلك الصفات لأمكن حصول حاجته إلى المورد الذي نبا عنه علمه ، أو تضاعلت عنه بصيرته ، أو ضعفت عنه مُنتَه ، فعندئذ الطائفة الكبرى من الفتيا المجردة ، والرأي لا عن دليل ، أو الأخذ عمّن يسدده ، وفي الأول العيث والفشل ، وفي الثاني سقوط المكانة ، وقد أخذ في الإمام مثل النبي أن يكون بحيث يُطاع ، ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾^(١) وقرنت طاعة الإمام بطاعة الله ورسوله في قوله تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^(٢) وذلك ليمكنه إقامة الحدود الإلهية ، ودحض الأباطيل ، وربما تسربت الشبهة عن جهله إلى نفس الدعوة وحقيقة الدين إن كان عميده الداعي إليه يقصر عن الدفاع عنه وإزاحة الشكوك المتوجّهة إليه .

فكل هذا يستدعي كماله في الصفات الكمالية كلها فيفضل على الأمة جمعاء ، ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾^(٣) ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير ، أم هل تستوي الظلمات والنور﴾^(٤) ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع آمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾^(٥) .

الخلافة عند القوم :

نعم الخلافة التي تقول بها الجماعة لا تستدعي كل ما ذكرنا فإنهم يحسبون الخليفة أي مستحوذ على الأمة يقطع السارق ، ويقتض القاتل ، ويكأ الثغور ، ويحفظ الأمن العام إلى ما يشبه هذه ، ولا يخلع بفسق ، ولا ينتقد بفاحشة مبينة ، ولا يُعاب بجهل ، ولا يؤخذ بعثرة ، ولا يُشترط فيه أي من الملكات الكريمة ، وله العتبى في كل ذلك ، وليس عليه من عتب .

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٦٤ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٥٩ .

(٣) سورة الزمر ؛ الآية : ٩ .

(٤) سورة الرعد ؛ الآية : ١٦ .

(٥) سورة يونس ؛ الآية : ١٣٥ .

كلمة الباقلاني :

قال الباقلاني في التمهيد ص ١٨١ : باب الكلام في صفة الإمام الذي يلزم العقد له : فإن قال قائل : فخبّرنا ما صفة الإمام المعقود له عندكم ؟ قيل لهم : يجب أن يكون على أوصاف : منها أن يكون قرشياً من الصميم ، ومنها : أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين ، ومنها : أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب ، وتدبير الجيوش والسرايا ، وسدّ الثغور ، وحماية البيضة ، وحفظ الأمة ، والانتقام من ظالمها ، والأخذ لمظلومها ، وما يتعلق به من مصالحها .

ومنها : أن يكون ممن لا تلحقه رقّة ولا هوادة في إقامة الحدود ولا جزع لضرب الرقاب والأبشار .

ومنها : أن يكون من أمثلهم في العلم وسائر هذه الأبواب التي يمكن التفاضل فيها ، إلّا أن يمنع عارض من إقامة الأفضل فيسوغ نصب المفضول ، وليس من صفاته أن يكون معصوماً ، ولا عالماً بالغيب ، ولا أفرس الأمة وأشجعهم ، ولا أن يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش .

وقال في صفحة ١٨٥ : فإن قالوا : فهل تحتاج الأمة إلى علم الإمام وبيان شيء خُصّ به دونهم ، وكشف ما ذهب علمه عنهم ؟ قيل لهم : لا ؟ لأنّه هو وهُم في علم الشريعة وحكمها سيان . فإن قالوا : فلماذا يُقام الإمام ؟ قيل لهم : لأجل ما ذكرناه من قبل من تدبير الجيوش ، وسدّ الثغور ، وردع الظالم ، والأخذ للمظلوم ، وإقامة الحدود ، وقسم الفيء بين المسلمين والدفع بهم في حجّهم وغزوهم ، فهذا الذي يليه ويُقام لأجله ، فإن غلط في شيء منه ، أو عدل به عن موضعه كانت الأمة من ورائه لتقويمه والأخذ له بواجبه .

وقال في ص ١٨٦ : قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث : لا ينخلع الإمام «بفسقه وظلمه بغصب الأموال ، وضرب الأبشار ، وتناول النفوس المحرّمة ، وتضييع الحقوق ، وتعطيل الحدود» ولا يجب الخروج عليه ، بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي الله ، واحتجّوا في

ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبي ﷺ وعن الصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال ، وإنه قال ﷺ : اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع ، ولو لعبد حبشي ، وصلّوا وراء كلّ برّ وفاجر . وروى أنّه قال : أطعمهم وإن أكلوا مالك ، وضربوا ظهره ، وأطيعوهم ما أقاموا الصّلاة . في أخبار كثيرة وردت في هذا الباب وقد ذكرنا ما في هذا الباب في كتاب «إكفار المتأولين» وذكرنا ما روي في معارضتها وقلنا في تأويلها بما يغني الناظر فيه إن شاء الله .

وقال في صفحة ١٨٦ : وليس ممّا يوجب خلع الإمام حدوث فضل في غيره ويصيربه أفضل منه ، وإن كان لو حصل مفضولاً عند ابتداء العقد لوجب العدول عنه إلى الفاضل ، لأنّ تزايد الفضل في غيره ليس بحدث منه في الدين ، ولا في نفسه يوجب خلعه ، ومثل هذا ما حكيناه عن أصحابنا أنّ حدوث الفسق في الإمام بعد العقد له لا يوجب خلعه ، وإن كان ما لو حدث فيه عند ابتداء العقد لبطل العقد له ووجب العدول .

قال الأميني : وممّا أوعز إليه الباقلاني من الأخبار الكثيرة الدالة على وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال ، ولا ينزل الإمام بالفسق ما يلي :

١ - عن حذيفة بن اليمان قال : قلت يا رسول الله ! إنّنا كنّا بشرّ فجاء الله بخير فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال : نعم . قلت : وهل وراء هذا الشرّ خير؟ قال نعم . قلت : فهل وراء ذلك الخير شرّ؟ قال : نعم . قلت : كيف يكون؟ قال : يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس . قلت : كيف أصنع يا رسول الله . إن أدركت ذلك؟ قال : تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهره وأخذ مالك فاسمع وأطع .

[صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٩ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٧]

٢ - عن عوف بن مالك الأشجعي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم ، قال : قلنا : يا رسول الله !

أفلا نناذبهم عند ذلك ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصَّلَاة ، ألا ومن ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا تنزعن يداً من طاعة .

[صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢٢ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩]

٣ - سأل سلمة بن يزيد الجعفي النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا ؟ قال : فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم سألوه فقال : إسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم .

[صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٩ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٨]

٤ - عن المقدم : إن رسول الله ﷺ قال : أطيعوا أمراءكم ما كان ، فإن أمروكم بما حدثتكم به ، فإنهم يؤجرون عليه وتؤجرون بطاعتكم ، وإن أمروكم بشيء مما لم أمركم به فهو عليهم وأنتم منه براء ، ذلك بأنكم إذا لقيتم الله قلتم : ربنا لا ظلم . فيقول : لا ظلم . فيقولون : ربنا أرسلت إلينا رسلاً فأطعناهم بإذنك . واستخلفت علينا خلفاء^(١) فأطعناهم بإذنك . وأمّرت علينا أمراء فأطعناهم . قال : فيقول : صدقتم هو عليهم وأنتم منه براء .

[سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩]

٥ - عن سويد بن غفلة قال : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أبا أمية لعلك أن تخلف بعدي ، فأطع الإمام وإن كان عبداً حبشياً ، إن ضربك فاصبر ، وإن أمرك بأمر فاصبر ، وإن حرمك فاصبر ، وإن ظلمك فاصبر ، وإن أمرك بأمر ينقص دينك فقل : سمع وطاعة ، دمي دون ديني^(٢) .

وأخذاً بهذه الأحاديث قال الجمهور بعدم عزل الإمام بالفسق قال النووي في شرح مسلم هامش إرشاد الساري ج ٨ ص ٣٦ في ذيل هذه الأحاديث المذكورة عن صحيح مسلم : ومعنى الحديث : لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ، ولا تعترضوا

(١) هذا افتراء على الله ، ان الله قطّ لم يستخلف ولم يأمر على الأمة أولئك الخلفاء والأمراء وإنما هم خيرة أمتهم ، والشكر والعتب عليها مهما صلحوا أو جاروا .

(٢) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩ .

عليهم إلا أن تروا منهم منكراً مُحَقَّقاً تعلمونه من قواعد الإسلام ، فإذا رأيتم ذلك فانكروه عليهم ، وقولوا بالحق حيثما كنتم ، وأمّا الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقةً ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق - إلى أن قال : فلو طرأ على الخليفة فسقٌ قال بعضهم : يجب خلعُه إلا أن تترتب عليه فتنةٌ وحربٌ ، وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين : لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ، ولا يخلع ، ولا يجوز الخروج عليه بذلك ، بل يجب وعظه وتخويله .

قال الأميني : فما عذر عائشة وطلحة والزبير ومن تبعهم من الناكثين والمارقين في الخروج على مولانا أمير المؤمنين ؟ هبه صلوات الله عليه آوى قتلة عثمان ، وعطل الحدود «معاذ الله» فأين العمل بهذه الأحاديث التي أخذتها الأمة المسكينة سنةً ثابتة مشروعة ؟ أنا لا أدري .

كلمة التفتازاني :

وقال التفتازاني في شرح المقاصد ج ٢ ص ٧١ : ولا يشترط أن يكون «الإمام» هاشمياً ولا معصوماً ولا أفضل من يؤلى عليهم .

وقال في ص ٢٧٢ : إذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف وقهر الناس بشوكة انعقدت له الخلافة ، وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر إلا أنه يُعصى فيما فعل ويجب طاعة الإمام ما لم يخالف حكم الشرع سواء كان عادلاً أو جائراً .

كلمة القاضي الإيجي^(١) :

قال في المواقف : الجمهور على أن أهل الإمامة مجتهدٌ في الأصول والفروع ليقوم بأمور الدين ، وذو رأي ليقوم بأمور الملك ، شجاع ليقوى على الذب عن الحوزة وقيل : لا يشترط هذه الصفات لأنها لا توجد فيكون اشتراطها عبثاً أو

(١) إمام الشافعية القاضي عبد الرحمن الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦ .

تكليفاً بما لا يُطاق ومستلزماً للمفاسد التي يمكن دفعها بنصب فاقدها .

نعم : يجب أن يكون عدلاً لئلا يجور . عاقلاً ليصلح للتصرفات . بالغاً لقصور عقل الصبي . ذكراً إذ النساء ناقصات عقل ودين . حرّاً لئلا يشغله خدمة السيد ، ولئلا يُحتقر فيعصى ، فهذه الصفات مشروطٌ بالإجماع .

وههنا صفاتٌ في إشتراطها خلاف ، الأولى : أن يكون قرشياً . الثانية : أن يكون هاشمياً ، شرطه الشيعة . الثالثة : أن يكون عالماً بجميع مسائل الدين ، وقد شرطه الإمامية . الرابعة : ظهور المعجزة على يده إذ به يعلم صدقه في دعوى الإمامة ، والعصمة وبه قال الغلاة . ويبطل الثلاثة : أنا ندلّ على خلافة أبي بكر ولا يجب له شيءٌ ممّا ذكر^(١) ، الخامسة : أن يكون معصوماً أشرطه الإمامية والإسماعيلية ، ويبطله : أن أبا بكر لا يجب عصمته اتفاقاً^(٢) .

كلمة أبي الشاء^(٣) :

قال في مطالع الأنظار ص ٤٧٠ : صفات الأئمة هي تسع . الأولى : أن يكون الإمام مجتهداً في أصول الدين وفروعه . الثانية : أن يكون ذا رأي وتدبير ، يدير الوقائع ، أمر الحرب والسلم وسائر الأمور السياسية . الثالثة : أن يكون شجاعاً قوياً القلب لا يجبن عن القيام بالحرب ، ولا يضعف قلبه عن إقامة الحدّ ولا يتهور بإلقاء النفوس في التهلكة . وجمعٌ تساهلوا في الصفات الثلاث وقالوا : إذا لم يكن الإمام متصفاً بالصفات الثلاث ينيب من كان موصوفاً بها .

الرابعة : أن يكون الإمام عدلاً لأنّه متصرفٌ في رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم فلولم يكن عدلاً لا يؤمن تعديّه . إلخ .

الخامسة : العقل . السادسة : البلوغ . السابعة : الذكورة . الثامنة : الحرية . التاسعة : أن يكون قرشياً .

(١) دليل يضحك الثكلى لأنه لا يعدوه أن يكون مصادرة بالمطلوب ، وأخذ المدّعي دليلاً .

(٢) إقرأ واضحك أو اعطفه على ما قبله .

(٣) شمس الدين بن محمود الأصبهاني المتوفى سنة ٧٤٩ .

ولا يشترط فيه العصمة خلافاً للإسماعيلية والاثنا عشرية . لنا إمامة أبي بكر^(١) والأمة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة ، لا أقول إنه غير معصوم .

ما تنعتقد به الإمامة :

قال القاضي عضد الإيجي في المواقف : المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة : إنها تثبت بالنص من الرسول ، ومن الإمام السابق بالإجماع ، وتثبت ببيعة أهل الحل والعقد خلافاً للشيعة : لنا ثبوت إمامة أبي بكر رضي الله عنه بالبيعة^(٢) .

وقال : إذا ثبت حصول الإمامة بالإختيار والبيعة ، فاعلم أن ذلك لا يفتقر إلى الإجماع^(٣) إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع بل الواحد والإثنان من أهل الحل والعقد كاف لعلنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر ، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان . ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأمة . هذا ولم ينكر عليهم أحد ، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا .

وقال بعض الأصحاب : يجب كون ذلك بمشهد بيّنة عادلة كفّاً للخصام في إدعاء من يزعم عقد الإمامة له سرّاً قبل من عقد له جهراً ، وهذا من المسائل الإجتهدية .

ثم إذا اتفق التعدد تفحص عن المتقدم فأمضي ، ولو أصر الآخر فهو من البغاة ، ولا يجوز العقد لإمامين في صقع متضايق الأقطار ، أمّا في متسعها بحيث لا يسع الواحد تدبيره فهو محل الإجتهد .

انتهى ما في المواقف وقد أقره شرّاحه وهم : السيد الشريف الجرجاني ، والمولى حسن چلبی ، والشيخ مسعود الشيرواني راجع شرح المواقف ج ٣ ص ٢٦٥ - ٧ .

(١) ما أتقنها من برهنة ويا للعجب .

(٢) انظر إلى هذا النول الذي تشابهوا في النسج عليه .

(٣) قال السيد الشريف الجرجاني : يعني من جميع أهل الحل والعقد .

كلمة الماوردي :

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية ص ٤ : اختلفت العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتى فقالت طائفة : لا تنعقد إلا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضاء به عاماً ، والتسليم لإمامته إجماعاً ، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر رضي الله عنه على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظربيعة قدوم غائب عنها .

وقالت طائفة أخرى : أقل من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضى الأربعة استدلالاً بأمرين : أحدهما : أنبيعة أبي بكر رضي الله عنه إنعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثم تابعهم الناس فيها ، وهم عمر بن الخطاب . وأبو عبيدة بن الجراح . وأسيد بن حضير . وبشر بن سعد وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم . الثاني : أن عمر رضي الله عنه جعل الشورى في ستة ليعقد لأحدهم برضى الخمسة وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة .

وقال آخرون من علماء الكوفة : تنعقد بثلاثة يتولأها أحدهم برضى الإثنين ليكونوا حاكماً وشاهدين كما يصح عقد النكاح بولي وشاهدين .

وقالت طائفة أخرى : تنعقد بواحد لأن العباس قال لعلي رضي الله عنهما : امدد يدك أبايعك فيقول الناس : عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان . ولأنه حكم وحكم الواحد نافذ . اهـ .

كلمة الجويني :

قال إمام الحرمين الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ في «الإرشاد» ص ٤٢٤ : باب في الإختيار وصفته وذكر ما تنعقد الإمامة به :

إعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع ، بل تنعقد الإمامة وإن لم تجمع الأمة على عقدها ، والدليل عليه أن الإمامة لما عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين ، ولم يتأن لانشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في

الأقطار ، ولم ينكر عليه منكر ، ولم يحمله على التريث حامل ، فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة ، لم يثبت عددٌ معدود ، ولا حدٌ محدود ، فالوجه الحكم بأن الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحل والعقد .

ثم قال بعض أصحابنا : لا بدّ من جريان العقد بمشهد من الشهود ، فإنه لو لم يشترط ذلك لم نأمن أن يدعي مدّع عقداً سراً متقدماً على الحقّ المظهر المعلن . وليست الإمامة أخطّ رتبة من النكاح ، وقد شرط فيه الإعلان ، ولا يبلغ القطع ، إذ ليس يشهد له عقل ، ولا يدلّ عليه قاطعٌ سمعيّ ، وسبيله سبيل سائر المجتهدين . اهـ .

وقال الإمام ابن العربي المالكي في شرح صحيح الترمذي ج ١٣ ص ٢٢٩ : لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد على الخلاف المعلوم فيه .

كلمة القرطبي :

وقال القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٢٣٠ : فإن عقدها واحدٌ من أهل الحل والعقد فذلك ثابت ويلزم الغير فعله خلافاً لبعض الناس حيث قال : لا تنعقد إلاّ بجماعة من أهل الحل والعقد ، ودليلنا أنّ عمر رضي الله عنه عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك^(١) ولأنّه عقد فوجب ألاّ يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود ، قال الإمام أبو المعالي : من انعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزم ، ولا يجوز خلعه من غير حدث وتغير أمر ، قال : وهذا مجمّع عليه . اهـ .

قال الأميني : فما المبرّر عندئذ لتخلّف عبدالله بن عمر . وأسامة بن زيد . وسعد بن أبي وقاص . وأبي موسى الأشعري . وأبي مسعود الأنصاري . وحسان بن ثابت . والمغيرة بن شعبة . ومحمّد بن مسلمة وبعض آخر من ولاية

(١) كأنّ بني هاشم كلهم ، والأنصار بأجمعهم إلّا رجلين ، والزبير وعمار وسلمان ومقداداً وأبا ذر وآخرين كثيرين من المهاجرين المتخلفين عن بيعة أبي بكر المنكرين إيّاها كما فصل في محله لم يكونوا من الصحابة عند القرطبي وإلّا فلا يجوز للمفسر أن يكذب وهو يعلم أن التاريخ الصحيح سيكشف الستار عن دجله .

عثمان علي الصدقات وغيرها عن بيعة مولانا أمير المؤمنين بعد إجماع الأمة عليها ؟ وما عذر تأخرهم عن طاعته في حروبه ، وقد عُرفوا بين الصحابة وسموا المعتزلة لاعتزالهم بيعة علي^(١) ؟ .

رأي الخليفة الثاني

في الخلافة وأقواله فيها :

عن عبد الرحمن بن أبيزي قال : قال عمر : هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد ، وفي كذا وكذا ، وليس فيها لطلق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء [طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٨] وفي كلمة له ذكرها ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٣٠٥ : إن هذا الأمر لا يصلح للطلاق ولا لأبناء الطلقاء .

وقال : لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبي حذيفة ، وأبي عبيدة الجراح . ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورى^(٢) .

وقال لما طعن : إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق الأجلح المستقيم : يعني علياً . فقال له ابن عمر : ما يمنعك أن تقدّم علياً ؟ قال : أكره أن أحملها حياً وميتاً .

[الانساب للبلاذري ج ٥ ص ١٦ ، الإستيعاب لأبي عمر ج ٢ ص ٤١٩]

وقال : لو وليتها عثمان لحمل آل أبي معيط على رقاب الناس ، والله لو فعلت لفعل ، ولو فعل لأوشكوا أن يسيروا إليه حتى يجزؤوا رأسه . فقالوا : علي ؟ قال : رجل قُعد^(٣) قالوا : طلحة ؟ قال : ذاك رجل فيه بأس وقالوا : الزبير ؟

(١) المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١١٥ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٥٥ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٨٠ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٥ ، ١٧١ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٨ ، التمهيد للباقلاني ص ٢٠٤ ، الإستيعاب لأبي عمر ج ٢ ص ٥٦١ ، طرح الثريب ج ١ ص ٤٩ ، أسد الغابة ج ٢ ص ٢٤٦ .

(٣) القعد الجبان الخامل . كأن الخليفة نسي سوابق مولانا أمير المؤمنين في المغازي والحروب وعزمه الماضي وبسالته المشهودة إلى غيرها من صفاته الكمالية وتغافل عن أن الذي أفعله =

قال : ليس هناك . قالوا : سعد ؟ قال : صاحب فرس وقوس . فقالوا : عبد الرحمن بن عوف ؟ قال : ذاك فيه إمساكٌ شديدٌ ، ولا يصلح لهذا الأمر إلا معط في غير سرف ، وممسك في غير تقتير .

أخرجه القاضي أبو يوسف الأنصاري المتوفى سنة ١٨٢ في كتابه «الآثار» نقلاً عن شيخه إمام الحنفية أبي حنيفة .

هذه الكلمات وما يتلوها سلسلة بلاء تشذ عن الحق والمنطق غير أننا نمربها كراماً .

وعن ابن عباس قال : قال عمر : لا أدري ما أصنع بأمة محمد ؟ وذلك قبل أن يطعن ، فقلت : ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه عليهم ؟ قال : أصحابكم ؟ يعني علياً قلت : نعم ، هو أهل لها في قرابته برسول الله ﷺ وصهره وسابقتها وبلائه . فقال عمر إن فيه بطالة وفكاهة . قلت : فأين أنت عن طلحة ؟ قال : أين الزهو والنخوة ؟ قلت عبد الرحمن بن عوف ؟ قال : هو رجل صالح على ضعف . قلت : فسعد ؟ قال : ذاك صاحب مقنب وقتال ، لا يقوم بقرية لو حمل أمرها . قلت : فالزبير ؟ قال : لقيس مؤمن الرضى كافر الغضب شحيح . إن هذا الأمر لا يصلح إلا لقوي في غير عنف ، رفيق في غير ضعف ، جواد في غير سرف . قلت : فأين عن عثمان ؟ قال : لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه .

ذكره البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٦ ، وفي لفظ آخر له ص ١٧ : قيل : طلحة ؟ قال : أنفه في السماء وإسته في الماء .

نظرة في الخلافة التي جاء بها القوم :

قال الأميني : هذا ما جاء به القوم من الخلافة الإسلامية والإمامة العامة فهي

= عن مناجزته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله هو خوف الردة من الناس بوقوع الفتنة لا حذار بارقة عمر وراعدته وشجاعته التي هو سلام الله عليه جذ عليهم بكمها وكيفها ، نعم : الجو الخالي يبعث الإنسان على أن يقول هكذا .
البأو : الكبير والتعظيم فيه .

عندهم ليست إلا رئاسة عامة لتدبير الجيوش ، وسد الثغور ، وردع الظالم ، والأخذ للمظلوم ، وإقامة الحدود ، وقسم الفيء بين المسلمين ، والدفع بهم في حَجَّهم وغزوهم ، ولا يشترط فيها نبوغ في العلم زائد على علم الرعيَّة ، بل هو والأمة في علم الشريعة سيان ، ويكفي له من العلم ما يكون عند القضاة ، وهؤلاء القضاة بين يديك وأنت جدٌ عليهم بعلمهم ويسعك إمعان النظر فيه من كتب ، ولا ينخلع الإمام بنفسه وظلمه وجوره وفجوره ، ويجب على الأمة طاعته على كلِّ حال برّاً كان أو فاجراً ، ولا يسوغ لأحد مخالفته ولا القيام عليه والتنازع في أمره .

فعلى هذا الأساس كان يزحزح خلفاء الانتخاب الدستوري في القضاء والإفتاء عن حكم الكتاب والسنة ولم يكن هناك أيُّ وازع ، ولم يكن يوجد قطُّ أحدٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، خوفاً ممَّا افتعلته يد السياسة ؛ وجعلت به على الأفواه أوكية ، من حديث عرفة مرفوعاً : ستكون هنات ؛ فمن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان^(١) .

ورواية عبد الله مرفوعاً : ستكون بعدي أثره وأمور تنكرونها قالوا : يا رسول الله ! كيف تأمر من أدرك منّا ذلك ؟ قال : تؤدّون الحقّ الذي عليكم ، وتسالون الله الذي لكم .

[صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٨]

وعلى هذا الأساس تمكّن معاوية بن أبي سفيان من أن يجلس بالكوفة للبيعة ويبايعه الناس على البراءة من عليّ بن أبي طالب .

[البيان والتبيين ج ٢ ص ٨٥]

وعلى هذا الأساس أقرَّ عبد الله بن عمر بيعة يزيد الخمرور ، قال نافع : لمّا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه ومواليه . وفي رواية سليمان : حشمه وولده وقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ينصب لكلِّ غادر لواء يوم القيامة . زاد الزهراني : قال : وإنا قد بايعنا هذا الرَّجل على بيعة الله ورسوله ، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن تبائع رجلاً على بيعة الله ورسوله ثم

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢١ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٨٣ .

تنصب له القتال ، وإني لا أعلم أحداً منكم خلع ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل فيما بيني وبينه .

وفي لفظ : إنَّ عبد الله بن عمر جمع أهل بيته حين انتزى أهل المدينة مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وخلعوا يزيد بن معاوية ، فقال : إنا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنَّ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدرة فلان ، وإنَّ من أعظم الغدر بعد الإشراك بالله أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ، ثم ينكث بيعته ، ولا يخلعن أحدٌ منكم يزيد ، ولا يشرفن أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون صليماً بيني وبينه^(١) .

وعلى هذا الأساس جاء عن حميد بن عبد الرحمن أنَّه قال : دخلت على سير الأنصاري (الصحابي) حين استخلف يزيد بن معاوية فقال : إنَّهم يقولون : إنَّ يزيد ليس بخير أمةٍ محمد ﷺ ، وأنا أقول ذلك ولكن لأن يجمع الله أمر أمة محمد ﷺ أحب إليَّ من أن يفترق ، قال النبي ﷺ : لا يأتيك في الجماعة إلا خير^(٢) .

وعلى هذا الأساس تكلمت عائشة فيما رواه الأسود بن يزيد قال : قلت لعائشة : ألا تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد في الخلافة ؟ قالت : وما تعجب من ذلك ؟ هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر ، وقد ملك فرعون أهل مصر أربع مائة سنة^(٣) .

وعلى هذا الأساس يوجَّه قول مروان بن الحكم ، قال : ما كان أحدٌ أدفع عن عثمان من عليٍّ ، فقليل له : ما لكم تنسبونه على المنابر ؟ قال : لأنَّه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك^(٤) .

وعلى هذا الأساس صحَّ قتل معاوية عبد الرحمن بن خالد لما أراد البيعة

(١) صحيح البخاري ج ١٠ ص ١٦٦ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٩٦ .

(٢) الاستيعاب ج ٢ ص ٦٣٥ ، اسد الغابة ج ٥ ص ١٢٦ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ج ٦ ص ١٩ .

(٤) الصواعق المحرقة ص ٣٣ .

ليزيد ، أنه خطب أهل الشام وقال لهم : يا أهل الشام إنه قد كبرت سني ، وقرب أجلي ، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم ، إنما أنا رجلٌ منكم فرأوا رأيكم فأصقعوا واجتمعوا وقالوا : رضينا عبد الرحمن بن خالد^(١) فشق ذلك على معاوية وأسرّها في نفسه ، ثم إن عبد الرحمن مرض فامر معاوية طبيباً عنده يهودياً وكان عنده مكيئاً أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها ، فأثاه فسقاه فانخرق بطنه فمات ، ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً هو وغلّام له فرصدا ذلك اليهودي فخرج ليلاً من عند معاوية فهجما عليه ومعه قومٌ هربوا عنه فقتله المهاجر .

ذكره أبو عمر في الإستيعاب ج ٢ ص ٤٠٨ فقال : وقصته هذه مشهورة عند أهل السير والعلم بالآثار والأخبار اختصرناها ، ذكرها عمر بن شبه في أخبار المدينة وذكرها غيره . اهـ . وذكرها ابن الأثير في اسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٩ .

وعلى هذا الأساس يتم اعتذار شمر بن ذي الجوشن قاتل الإمام السبط فيما رواه أبو إسحاق ، قال : كان شمر بن ذي الجوشن يصليّ معنا ثم يقول : اللّهُمَّ إنك شريف تحبُّ الشرف وإنك تعلم أنّي شريف فاغفر لي . قلت : كيف يغفر الله لك وقد أعنت على قتل ابن رسول الله ﷺ ؟ قال : ويحك فكيف نصنع ؟ إن أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم ، ولو خالفناهم كنّا شرّاً من هذه الحمر الشقاة^(٢) .

وفي لفظ : اللّهُمَّ اغفر لي فإنني كريم لم تلدني اللثام . فقلت له : إنك لسيء الرأي والفكر تسارع إلى قتل ابن بنت رسول الله ﷺ وتدعوا بهذا الدعاء ، فقال : إليك عني فلو كنّا كما تقول أنت وأصحابك لكنّا شرّاً من الحمر في الشعاب .

وعلى هذا الأساس جرى ما جرى على أبي بكر الطائي وأصحابه . قال سليمان بن ربوة : اجتمعت أنا وعشرة من المشايخ في جامع دمشق فيهم أبو بكر بن

(١) صحابي من فرسان قريش له هدى حسن وفضل وكرم إلا أنه كان منحرفاً عن علي وبني

هاشم . اسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٩ .

(٢) تاريخ ابن عساکر ج ٦ ص ٣٣٨ ، ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٤٤٩ .

أحمد بن سعيد الطائي فقرأنا فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فوثب علينا قريب من مائة يضربونا ويسحبونا إلى الوالي فقال لهم أبو بكر الطائي : يا سادة اسمعوا لنا إننا قرأنا اليوم فضائل عليّ وغداً نقرأ فضائل أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه وقد حضرتني أبيات فإن رأيتم أن تسمعوها؟ فقالوا له : هات فأنشأ بديهاً :

حُبُّ عليّ كلّهُ ضَرْبٌ	يرجف من خيفته القلب
ومذهبي حُبُّ إمام الهدى	يزيد والدين هو النصب
مَنْ غير هذا قال فهو امرؤ	ليس له عقلٌ ولا لبٌ
والناس مَنْ يغدُلْهُم	يسلم وإلّا فالقضاء نهب

قالوا : فخلّوا عنا . [تمام المتن للصفدي ص ١٨٨]

وعلى هذا الأساس هتكت حرّمات آل الله ، وأُضيعت مقدّسات العترة الهادية ، وسفكت دماء الأبرياء الأزكياء من شيعة أهل البيت الطاهر ، وشاع وذاع لعن سيّد العترة نفس النبيّ الأقدس ، والمطهّر بلسان الله ، على صهوات المنابر ، واتّخذة خلفاء بين أُمّية سنة متّبعة في أرجاء العالم الإسلامي ، حتّى وبُخ معاوية سعد بن أبي وقاص لسكوته عن سبّ أبي السبطين مولانا أمير المؤمنين^(١) حتّى تمكّن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفّان من أن قام إلى هشام بن عبد الملك عشية عرفة وهو على المنبر فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحبّ فيه لعن أبي تراب^(٢) .

وقال سعيد بن عبد الله لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! إنّ أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أبا تراب فالعنه أنت أيضاً^(٣) .

وعلى هذا الأساس من معنى الخلافة لا عسف ولا حزازة في رأي الخليفة الأوّل ومن حذا حذوه من صحّة اختيار المفضول على الفاضل ، وتقديم المتأخّر على المتقدم بأعذار مفتعلة ، وأوهام مختلقة ، ومرجّحات واهية ، وسياسة وقتيّة ،

(١) راجع الجزء الثالث ص ٢٥٠

(٢) رسائل الجاحظ ص ٩٢ ، أنساب البلاذري ج ٥ ص ١١٦ .

(٣) تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٤٣٢ .

إذ الأمر الذي لا يشترط في صاحبه شيء من القداسة الروحية ، والملكات الفاضلة ، والخلائق الكريمة ، والنفسيات الشريفة ، ومعالم ومعارف ، ومدارج ومراتب ، ولا يؤاخذ هو بما فعل ، ولا يخلع بتعطيل الأحكام ، وترك إقامة الحدود ، ولا ينازح ما دام يقيم في أمته الصلاة كما سمعت تفصيل ذلك كله لا وازع عندئذ من أن يكون أمثال أبي عبيدة الجراح حقار القبور حاملاً لهذا العبء الثقيل ، متحلياً بأبراد الخلافة ، ولا مانع من تقديم الخليفة الأول إياه أو صاحبه على نفسه في بدء الأمر ، ولا حاجز من اختيار أيّ مستأهل لتنفيذ ما ذكر ص ١٦٠ ممّا يُقام له الإمام ولو بمعونة سماسرته وجلالوزته ومن يهّمه أمره ، بل من له الشدة والفظاظة والعنف والتهور إلى أمثالها ربما يكون أولى من غيره مهما اقتضته السياسة الوقتية .

واتبع الأكثرون الخليفة في تقديم المفضل على الفاضل ، قال القاضي في المواقف : جَوَزَ الأكثرون إمامة المفضل مع وجود الفاضل ، إذ لعله أصلح للإمامة من الفاضل ، إذا المعتبر في ولاية كلّ أمر معرفة مصالحه ومفاسده ، وقوة القيام بلوازمه ، وربّ مفضل في علمه وعمله هو بالزعامة أعرف ، وشرائطها أقوم ، وفصل قوم فقالوا : نصب الأفضل إن أثار فتنة لم يجب وإلاّ وجب . وقال الشريف الجرجاني : كما إذا فرض أنّ العسكر والرعاية لا ينقادون للفاضل بل للمفضل .

[شرح المواقف ج ٣ ص ٢٧٩]

قال الأميني : إنّنا لا نريد بالأفضل إلّاّ الجامع لجميع صفات الكمال التي يمكن اجتماعها في البشر لا الأفضلية في صفة دون أخرى ، فيكون حينئذ الأفقه مثلاً هو الأبصر بشؤون السياسة ، والأعرف بمصالح الأمور ومفاسدها ، والأثبت في إدارة الصالح العام ، والأبسل في مواقف الحروب ، والأقضى في المحاكمات ، والأخشن في ذات الله ، والأرأف بضعفاء الأمة ، والأسمح على محاييج الملأ الديني ، إلى أمثالها من الشرائط والأوصاف ، إذن فلا تصوير لما حسبه من أنّ المفضل قد يكون أقدر وأعرف وأقوم . إلخ . وعلى المولى سبحانه أن لا يخلي الوقت عن إنسان هو كما قلناه ، بعد أن أثبتنا أن تقييضه من اللطف الواجب عليه سبحانه ، وهو عدل القرآن الكريم ولا يفترقا حتّى يردا على النبيّ الحوض .

وأما مَنْ لا ينقاد له من الجيش وغيره فهو كمن لا ينقاد لصاحب الرسالة ، لا يزحزح بذلك صاحب الأمر عمّا قيّضه الله له من الولاية الكبرى ، بل يجب على بقية الأمة إخضاعهم كما أخضعوا أهل الردّة أو مَنْ حسبوه منهم ، وأن يفوّقوا إليه سهم الجنّ كما فوّقوه إلى سعد بن عبادَة أمير الخزرج .

ولم تكن للخليفة مندوحة عن رأيه في تقديم المفضول ، وما كان إلّا تصحيحاً لخلافة نفسه ، ولتقدّمه على من قدّسه المولى سبحانه في كتابه العزيز ، ورآه نفس النبيّ الأقدس وقرن طاعته بطاعته ، وولايته بولايته ، وأكمل به الدين ، وأتمّ به النعمة ، وأمر نبيّه بالبلاغ وضمن له العصمة من الناس ، وهتف هاتف السوحي بولايته وأولويّته بالمؤمنين من أنفسهم في محتشد رهيب بين مائة ألف أو يزيدون قائلاً : يا أيّها الناس ! إنّ الله مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم مَنْ كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللَّهُمَّ وال من والاه ، وعاد مَنْ عاداه .

ولم تكن تخفى لأيّ أحد فضائل أبي السبطين وملكاته وروحانيّاته ، وطيب عنصره ، وطهارة محتده ، وقداسة مولده ، وعظمة شأنه ، وبُعد شأوه في حزمه وعزمه وسبقه في الإسلام ، وتفانيه في ذات الله ، وأفضليّته في العلم والفضائل كلّها .

نعم : على رأي الخليفة في تقديم المفضول على الفاضل وقع الانتخاب من أوّل يومه ، فبويح أبو بكر بعقد رجلين ليس إلّا : عمر بن الخطاب وأبي عبيدة الحفّار ابن الجراح ، وكان الأمر أمر نهارقضي ليلاً ، مدبراً بين أولئك الرجال مؤسّسي الانتخاب الدستوري ، وما اتّبعهما يوم ذاك إلّا أسيد بن حضير ، وبشر بن سعد ، ثمّ درّب الناس كمّا عَضّه الشفاف^(١) واتّسع الخرق على الرّاقع ، وما أدركت القويمة حتّى أكلتها الهويمة^(٢) وأصبح المصلح الهضيم يقول : دع الرجل واختياره^(٣) وإنّ في الشرّ خياراً ، ولا يجتنى من الشوك العنب .

(١) مثل يضرب لمن يمتنع مما يراد منه ثم يذل وينقاد .

(٢) أصل المثل : أدرك القويمة لا تأكلها الهويمة . والمراد : أدرك الرجل الجاهل حتّى لا يقع في هلكة .

(٣) مثل يضرب لمن لا يقبل الوعظ .

بويح أبو بكر ودبّ قمله^(١) وقسمت الوظائف الدينية من أول يومه بين ثلاث : له الإمامة ، وقال عمر : وإليّ القضاء . وقال أبو عبيدة : وإليّ الفيء . وقال عمر : فلقد كان يأتي عليّ الشهر ما يختصم إليّ فيه اثنان^(٢) ولم يكن هناك من يزعم أو يفوه بأفضليّة أبي بكر وعمر من مولانا أمير المؤمنين ، هذا أبو بكر ينادي على صهوات المنابر : وليت ولست بخيركم ، ولي شيطان يعتريني . ويطلب من أمته العون له على نفسه وإقامة أمته وعوجه^(٣) .

وهذا عمر بن الخطاب ونصوصه بين يديه على أن الأمر كان لعلّي غير أنّهم زحزحوه عنه لحدائثة سنّه والدماء التي عليه^(٤) أو لما قاله لمّا عزم على الإستخلاف : لله أبوك لولا دعاية فيك . كما في «الغيث المنسجم للصفدي ج ١ ص ١٦٨» وكان يدعو الله ربّه أن لا يبقيه لمعضلة ليس فيها أبو الحسن ، ويرى أن عليّاً لولاه لضلّ هو^(٥) ولولاه لهلك هو ، ولولاه لافتضح هو ، وعقمت النساء أن تلدن مثل عليّ . إلى كثير ممّا مرّ عنه في الجزء السادس في نواذر الأثر ، ولم يكن قطّ يختلج في هواجس ضميره ولن يختلج «أنّي يختلج» أنّه كان يماثل مولانا عليّاً في إحدى فضائله ، أو يدانيه في شيء منها ، أو يبعد عنه بقليل .

وبعدما عرفت معنى الخلافة عند القوم ، ووقفت على رأي سلفهم فيها وفي مقدّمهم الخليفة الأوّل ، هلّمّ معي إلى التهافت بين تلكم الكلمات وبين مزاعم أخرى جنح إليها لفيف آخر ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾ .

قال أحمد بن محمّد الوتري البغدادي في روضة الناظرين ص ٢ : أعلم أن جماهير أهل السنّة والجماعة يعتقدون أن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ عليّ رضي الله تعالى عنهم ، وإنّ المتقدّم في الخلافة هو المقدّم في الفضيلة لاستحالة تقديم المفضول على الفاضل لأنّهم كانوا يراعون الأفضل

(١) مثل يضرب للإنسان إذا سمن وحسن حاله .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٠

(٣) راجع ما مرّ في هذا الجزء ص ١٣٨ .

(٤) راجع ما مرّ في الجزء الأول ص ٤٤٧ ، وفي هذا الجزء ص ٩٦ .

(٥) التمهيد للباقلاني ص ١٩٩ .

فالأفضل ، والدليل عليه : إِنَّ أبا بكر رضي الله عنه لما نصَّ على عمر رضي الله عنه قام إليه طلحة رضي الله عنه فقال له : ما تقول لرَبِّك وقد وليت علينا فظاً غليظاً قال أبو بكر رضي الله عنه : فركت لي عينيك ، ودلكت لي عقيبك ، وجئتني تكفني عن رأيي ، وتصدوني عن ديني أقول له إذا سألتني : خلّفت عليهم خير أهلك . فدلّ على أنهم كانوا يُراعون الأفضل فالأفضل . اهـ .

وأنت ترى أن هذه المزعمة فيها دجلٌ لإغراء البسطاء من الأُمَّة المسكينة وهي تصادم رأي الجمهور ونظريات علماء الكلام منهم ، وعمل الصحابة ونصوصهم ، وقبل كل شيء رأي الخليفة أبي بكر ، وكأنّ ما حسبه من الإستحالة قد خفي على الخليفة وعلى من أزره على أمره ، واعتنق إمامته في القرون والأجيال من بعده .

وكانّ أفضليّة الرجل الفظّ الغليظ كانت تخفى على الصحابة ، ولم يكن يعلمها أحدٌ فأعرب عنها أبو بكر ، وكانّ التاريخ ونوادير الأثر لم تكن بين يدي (الوترى) حتّى يعرف مقادير الرجال ، ولا يغلو فيهم ، ولا يتحكّم ولا يجازف في القول ولا يسرف في الكلام ويعلم بأنّ عمر لو كان خير الأُمَّة وتلك سيرته ونواديره فعلى الإسلام السّلام .

نعم : إنّما هي أهواء وشهوات أخذ كلّ بطرف منها ، وفتاوى مجرّدة هملج وراءها كلّ حسب ميوله ، ونحن نضع عقلك السليم مقياساً بين هذين الإمامين : من نصفه نحن ، ومن يقول به هؤلاء . فراجعهم إلى أيّهما يجنح ، وأيّا منهما يتّخذ وسيلة بينه وبين ربّه سبحانه ، وأيّهما يحقّ له أن يستحوذ على رقاب المسلمين ونفوسهم ونواميسهم وأحكامهم في دنياهم وأخراهم ؟ إن لم تكن في ميزان نصفته عين . فويل للمطففين .

٦ - رأي الخليفة في القدر :

أخرج اللالكائي في السنّة عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجلٌ إلى أبي بكر فقال : أرايت الزنا يُقدّر ؟ قال : فإنّ الله قدره عليّ ثمّ يعذّبني ؟ قال : نعم ، يابن

للخناء ! أما والله لو كان عندي إنسان أمرت أن يجرأ^(١) أنفك^(٢) .

قال الأميني : أترى الخليفة عرف معنى القدر الصحيح ؟ بمعنى ثبوت الأمر الجاري في العلم الأزلي الإلهي ، مع إعطاء القدرة على الفعل والترك ، مع تعريف الخير والشر وتبيان عاقبة الأول ومغبة الأخير .

﴿إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾^(٣) ﴿إنا هديناه النجدين﴾^(٤) ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾^(٥) ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد﴾^(٦) .

كل ذلك مع تكافؤ العقل والشهوة في الإنسان ، مع خلق عوامل النجاح تجاه النفس الأمارة بالسوء ، فمن عامل بالطاعة بحسن اختياره ، ومن مقترف للمعصية بسوء الخيرة .

﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾^(٧) ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها﴾^(٨) ﴿فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها﴾^(٩) ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثمّ إلى ربّكم ترجعون﴾^(١٠) ﴿فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها﴾^(١١) ﴿قل إن ضللت فإنما أضلّ على نفسي ، وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربي﴾^(١٢) ﴿إن أحستتم أحستتم

(١) وجأ عنقه : ضربه ، ووجأه : رضه ودقه .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٥ .

(٣) سورة الإنسان ؛ الآية : ٣ .

(٤) سورة البلد ؛ الآية : ١٠ .

(٥) سورة النمل ؛ الآية : ٤٠ .

(٦) سورة لقمان ؛ الآية : ١٢ .

(٧) سورة فاطر ؛ الآية : ٣٣ .

(٨) سورة يونس ؛ الآية : ١٠٨ ، وسورة الإسراء ؛ الآية : ١٥ .

(٩) سورة الزمر ؛ الآية : ٤١ .

(١٠) سورة الجاثية ؛ الآية : ١٥ .

(١١) سورة الأنعام ؛ الآية : ١٠٤ .

(١٢) سورة سبأ ؛ الآية : ٥ .

لأنفسكم وإن أسأتم فلها»^(١) «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى»^(٢) «رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» .

فالقدر لا يستلزم جبراً وعلم المولى سبحانه بمقادير ما يختاره العباد من النجدين ويأتون به من العمل من خير أو شر لا ينافي التكليف ، كما لا أثر له في اختيار المكلفين ، ولا يقبح معه العقاب على المعصية ، ولا يسقط معه الثواب على الطاعة .

«فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»^(٣) «ونضع الموازين القسط يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين»^(٤) «اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم»^(٥) «فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون»^(٦) .

فهل الخليفة عرف هذا المعنى من القدر ، فأجاب بما أجاب ؟ لكن السائل لم يفهم ما أراده فانتقده بما انتقد ، غير أنه لو كان يريد ذلك لما جابه المنتقد بالسباب المقذع والتعني بأن يكون عنده من يجأ أنفه قبل بيان المراد فيفيء الرجل إلى الحق .

أو أن الخليفة لم يكن يعرف من القدر إلا ما ارتفعت به عقيرة جماهير من أشياعه من القول بخلق الأعمال ؟ فيتجه إلى ما قاله المنتقد سبه الخليفة أو لم يسبه .

(١) سورة الإسراء ؛ الآية : ٧ .

(٢) سورة النجم ؛ الآية : ٣٠ .

(٣) سورة القصص ؛ الآية : ٨٥ .

(٤) سورة الزلزلة ؛ الآيتان : ٧ ، ٨ .

(٥) سورة الأنبياء ؛ الآية : ٤٧ .

(٦) سورة غافر ؛ الآية : ١٧ .

(٧) سورة آل عمران ؛ الآية : ٢٥ .

والذي يؤثر عن إبنته عائشة هو الجنوح إلى المعنى الثاني يوم اعتذرت عن نهضتها على مولانا أمير المؤمنين ، وتبرّجها عن خدرها المضروب لها تبرّج الجاهلية الأولى بعد أن ليمت على ذلك : بأنّها كانت قدراً مقدوراً وللقدر أسباب ، أخرجه الخطيب البغدادي بإسناده في تاريخه ج ١ ص ١٦٠ .

وإن كان يوقفنا موقف السادر ما يؤثر عنها فيما أخرج الخطيب أيضاً في تاريخه ج ٥ ص ١٨٥ عن عروة قال : ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قط إلاّ بكت حتّى تبلّ خمارها وتقول : يا ليتني كنت نسياً منسياً^(١) قال سفيان الثوري : النسي المنسيّ : الحيضة الملقاة .

كأنّها كانت ترى مسيرها حوباً كبيراً جديراً أن تبكي عليه مدى الدهر ، وتبلّ بدمعها خمارها ، وتتمنّى ما تمتّ ، وهذا ينافي ذلك الاعتذار البارد المأخوذ أصله عن رأي أبيها الخليفة الذي لم يجد مساعاً في دفع ما يتّجه عليه إلاّ السباب .

٧ - ترك الخليفة الضحية مخافة أن تستن :

قد مرّ في الجزء السادس ص ٢١٣ من الصحيح الوارد في أنّ أبا بكر وعمر كانا لا يضحّيان كراهة أن يقتدى بهما ، فيظنّ فيها الوجوب .

وقد استوفينا حقّ القول هناك فراجع .

٨ - ردّة بني سليم :

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان في بني سليم ردّة فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد فجمع رجالاً منهم في الحظائر ثمّ أحرّقها عليهم بالنار فبلغ ذلك عمر فأتى أبا بكر فقال : تدع رجلاً يعذب بعذاب الله عزّ وجلّ . فقال أبو بكر : والله لا أشيم سيفاً سلّه الله على عدوّه حتّى يكون هو الذي يشيمه ، ثمّ أمره فمضى من وجهه ذلك إلى مسيلمة .

[الرياض النضرة ج ١ ص ١٠٠]

(١) وذكره ابن الأثير في النهاية ج ٤ ص ١٥١ ، وابن منظور في لسان العرب ج ٢٠ ص ١٩٦ ، والزبيدي ، في تاج العروس ج ١٠ ص ٣٦٧ .

ليس في هذا الجواب مخرجٌ عن إعتراض عمر فقد جاء في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

وصحَّ عنه عليه السلام النهي عن الإحراق وقوله : لا يعذب بالنار إلا ربُّ النار . وقوله : إنَّ النار لا يعذب بها إلا الله . وقوله : لا يعذب بالنار إلا ربُّها (٢) : وقوله : من بدل دينه فاقتلوه (٣) وقوله : لا يحلُّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث : زنا بعد إحصان فإنه يرجم ، ورجل يخرج محارباً لله ورسوله فإنه يُقتل ، أو يُصلب ، أو يُنفى من الأرض ، أو يقتل نفساً فيقتل بها .

[سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٥٩ ، مشكاة المصابيح ص ٣٠٠] وأما فعل أمير المؤمنين عليه السلام بعد الله بن سبا وأصحابه فلم يكن إحراقاً ولكن حفر لهم حفائر ، وخرق بعضها إلى بعض ، ثم دخن عليهم حتى ماتوا كما قال عمار الدهني : فقال عمرو بن دينار : قال الشاعر :

لترم بي المنايا حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما أججوا خطباً وناراً هناك الموت نقداً غير دين (٤)

وأما قول أبي بكر : لا أشيم سيفاً . الخ . فهو تحكُّم تجاه النصِّ النبويِّ ، وما كان السيف أنطق من القول ، ومتى شهر الله سبحانه هذا السيف صاحب الدواهي الكبرى والطامات في يومه هذا ، ويومه الآخر المخزي في بني حنيفة ومع

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٣٣ .

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٣٢٥ كتاب الجهاد باب : لا يعذب بعذاب الله ، مسند أحمد ج ٣ ص ٤٩٤ وج ٢ ص ٢٠٧ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، صحيح الترمذي ، سنن البيهقي ج ٩ ص ٧١ ، ٧٢ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨ ، تيسير الوصول ج ١ ص ٢٣٦ .

(٣) صحيح البخاري ج ١٠ ص ٨٣ كتاب استتابة المرتدين ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، مصابيح السنة ج ٢ ص ٥٧ .

(٤) سنن البيهقي ج ٩ ص ٧١ .

مالك بن نويرة وأهله ، ويومه قبلهما مع بني جذيمة الذي تبرأ فيه رسول الله ﷺ من عمله ، إلى غيرها من المخاريق والمخازي التي تغمد بها هذا السيف .

٩ - حرق الخليفة الفجاءة :

قدم على أبي بكر رجلٌ من بني سليم يُقال له : الفجاءة وهو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عميرة بن خفاف فقال لأبي بكر : إني مسلم وقد أردت جهاد من ارتدَّ من الكفار فاحملني وأعني فحمله أبو بكر على ظهره وأعطاه سلاحاً فخرج يستعرض الناس المسلم والمُرتدَّ يأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم ومعه رجلٌ من بني الشريد يُقال له : نجبة بن أبي الميثاء فلما بلغ أبا بكر خبره كتب إلى طريفة بن حجاز : إنَّ عدوَّ الله الفجاءة أتاني يزعم أنه مسلمٌ ويسألني أن أقويه على من ارتدَّ عن الإسلام فحملته وسلَّحته ثم انتهى إليَّ من يقين الخبر أنَّ عدوَّ الله قد استعرض الناس المسلم والمُرتدَّ يأخذ أموالهم ويقتل من خالفه منهم فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله أو تأخذه فتأتيني به فسار إليه طريفة فلما التقى الناس كانت بينهم الرميَّ بالنبل فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به فلما رأى الفجاءة من المسلمين الجدَّ قال لطريفة : والله ما أنت بأولى بالأمر مني أنت أمير لأبي بكر وأنا أمير له ، فقال له طريفة : إن كنت صادقاً فضع السلاح وانطلق إلى أبي بكر فخرج معه فلما قدما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حجاز فقال : أخرج به إلى هذا البقيع فحرِّقه فيه بالنار . فخرج به طريفة إلى المصلَّى فأوقد له ناراً فحذفه فيها . وفي لفظ الطبري : فأوقد له ناراً في مصلَّى المدينة على حطب كثير ثم رمي فيها مقموطاً . وفي لفظ ابن كثير : فجمعت يداه إلى قفاه وألقي في النار فحرِّقه وهو مقموط^(١) .

قال الأُميني : القول في هذا كالذي سبقه من عدم جواز الإحراق بالنار والتعذيب بها ، على أنَّ الفجاءة كان متظاهراً بالإسلام وتلقاه الخليفة بالقبول يوم أعطاه ظهراً وسلَّحه ، وإن كان فاسقاً بالجوارح على ما انتهى إلى الخليفة من يقين

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٣٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٦ ص ٣١٩ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٤٦ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٢٢ .

الخبر ، ولم يكن سيف الله مشهوراً ههنا حتى يتورّع عن إغماده ، ولا يُدعى مثله لطريقة حتى يكون معذراً في مخالفة النصّ الشريف ، ولعلّ لذلك كلّ ندم أبو بكر نفسه يوم مات عن فعله ذلك كما في الصحيح الآتي إن شاء الله تعالى . فإلى الملتقى .

والعجب كلّ العجب من دفاع القاضي عضد الإيجي عن الخليفة بقوله في المواقف : إنّ أبا بكر مجتهدٌ ، إذ ما من مسألة في الغالب إلّا وله فيها قولٌ مشهورٌ عند أهل العلم ، وإحراق الفجاءة لاجتهاده وعدم قبول توبته لأنّه زنديقٌ ولا تقبل توبة الزنديق في الأصحّ .

وجاء بعده القوشجي مدافعاً عن الخليفة بقوله في شرح التجريد ص ٤٨٢ : إحراقه فجاءة بالنار من غلطة في اجتهاده فكّم مثله للمجتهدين ؟ .

اقرأ واضحك أو إبك زه زه بالإجتهاد تجاه نصّ الكتاب والسنة ، ومرحباً لمجتهد يخالف دين الله .

١٠ - رأي الخليفة في قصّة مالك :

سار خالد بن الوليد يريد البطاح حتّى قدمها فلم يجد بها أحداً وكان مالك بن نويرة قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع وقال : يا بني يربوع إنّنا دُعينا إلى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح ، وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ، فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم ففترّقوا وأدخلوا في هذا الأمر ، ففترّقوا على ذلك ، ولَمّا قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن يأتيوه بكلّ من لم يُجب ، وإن امتنع أن يقتلوه ، وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذّنوا ويقيموا إذا نزلوا منزلاً فإن أذن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم ، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلّا الغارة ثمّ تقتلوا كلّ قتلة ، الحرق فما سواه ، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلّا الغارة ، ولا كلمة ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع من عاصم وعبيد وعرين وجعفر فاختلفت السيرة فيهم ، وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، فلَمّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا

في ليلة باردة لا يقوم لها شيء وجعلت تزداد برداً ، فأمر خالد منادياً فنادى : ادفئوا أسراكم . وكانت في لغة كنانة القتل فظنَّ القوم أنَّه أراد القتل ولم يُرد إلاَّ الدفء فقتلوه ، فقتل ضرار بن الأزور مالكاَ وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه ، وتزوج خالد أمَّ تميم امرأة مالك ، فقال أبو قتادة : هذا عملك ؟ فزبره خالد فغضب ومضى . وفي تاريخ أبي الفدا : كان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري حاضرين فكلَّما خالداً في أمره فكره كلامهما . فقال مالك : يا خالد إبعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا . فقال خالد : لا أقالي الله إن أقلتك وتقدَّم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه .

فقال عمر لأبي بكر : إنَّ سيف خالد فيه رَهَقٌ وأكثر عليه في ذلك فقال : يا عمر ! تأوَّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فيأني لا أشيم سيفاً سلَّه الله على الكافرين .

وفي لفظ الطبري وغيره : إنَّ أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتُم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهما ما الذي نقموا ، وإن لم تسمعوا أذاناً فشنُّوا الغارة فاقتلوا وحرقوا ، وكان ممَّن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربيعي ، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها ، وكان يحدث أنَّهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح ، قال : فقلنا : إنَّا المسلمون . فقالوا : ونحن المسلمون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ؟ قالوا لنا : فما بال السلاح معكم ؟ قلنا : فإن كنتم كما تقولون ؟ فضعوا السلاح . قال : فوضعوها ثمَّ صلَّينا وصلَّوا ، وكان خالد يعتذر في قتله : إنَّه قال وهو يراجع : ما أخال صاحبكم إلاَّ وقد كان يقول كذا وكذا . قال : أو ما تعدَّه لك صاحباً . ثمَّ قدَّمه فضرب عنقه وعنق أصحابه .

فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال : عدو الله عدا على امرئ مسلم فقتله ثمَّ نزا على امرأته ، وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صبدأ الحديد ، معتجراً بعمامة له قد غرز في

عمامته أسهماً فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّها ثم قال : أرئاء ؟ قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظنُّ إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه ، حتى دخل على أبي بكر فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك . قال : فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر ، وعمر جالس في المسجد فقال خالد : هلم إليّ يابن أم شملة ؟ قال فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه ، فلم يكلمه ودخل بيته .

وقال سويد : كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً وإن أهل العسكراثفوا برؤوسهم القدور فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكاً فإنَّ القدر نضجت وما نزع رأسه من كثرة شعره ، وقى الشعر البشر حرّها أن يبلغ منه ذلك .

وقال ابن شهاب : إنَّ مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس ، فلما قتل أمر خالد برأسه فنصب اثفية لِقدر فنضج ما فيها قبل أن يخلص النار إلى شؤون رأسه .

وقال عروة : قدم أخو مالك متمم بن نويرة يشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سبيهم فكتب له برد السبي ، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله ، وقال : إنَّ في سيفه رهقاً . فقال : لا يا عمر ! لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين .

وروى ثابت في الدلائل : إنَّ خالداً رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال فقال مالك بعد ذلك لامرأته : قتليني . يعني سأقتل من أجلك^(١) ،

وقال الزمخشري وابن الأثير وأبو الفدا والزبيدي : إنَّ مالك بن نويرة رضي الله عنه قال لامرأته يوم قتله خالد بن وليد : أقتلني . أي عرّضتني بحسن وجهي للقتل لوجوب الدفع عنك ، والمحاماة عليك ، وكانت جميلة حسناء تزوّجها خالد بعد قتله فأنكر ذلك عبد الله بن عمر . وقيل فيه :

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٤١ ، تاريخ ابن الأثير ج ٣ ص ١٤٩ ، اسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٥ ، تاريخ ابن عساکر ج ٥ ص ١٠٥ ، ١١٢ ، خزائن الأدب ج ١ ص ٢٣٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٦ ص ٣٢١ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٣٣ ، الإصابة ج ١ ص ٤١٤ وج ٣ ص ٣٥٧ .

أفي الحق أنالم تجفّ دماؤنا وهذا عروساً باليمامة خالد^(١)؟

وفي تاريخ ابن شحنة هامش الكامل ج ٧ ص ١٦٥ : أمر خالد ضراراً بضرب عنق مالك فالتفت إلى زوجته وقال لخالد : هذه التي قتلتني . وكانت في غاية الجمال ، فقال خالد : بل قتلك رجوعك عن الإسلام . فقال مالك : أنا مسلم . فقال خالد : يا ضرار ! اضرب عنقه فضرب عنقه وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي :

ألا قل لحيّ أوطؤا بالسنبك	تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالدٌ بغياً عليه بعمره	وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالدٌ غير عاطفٍ	عنان الهوى عنها ولا متمالك
وأصبح ذا أهل وأصبح مالك	إلى غير أهل هالكاً في الهوالك

فلما بلغ ذلك أبا بكر وعمر قال عمر لأبي بكر : إنَّ خالداً قد زنى فاجلده . قال أبو بكر : لا ، لأنّه تأوّل فأخطأ قال : فإنّه قتل مسلماً فاقتله . قال : لا ، إنّه تأوّل فأخطأ . ثم قال : يا عمر ! ما كنت لأغمد سيفاً سلّه الله عليهم ، ورثي مالكا أخوه متمم بقصائد عديدة . وهذا التفصيل ذكره أبو الفدا أيضاً في تاريخه ج ١ ص ١٥٨ .

وفي تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٣٣ : اشتدّ في ذلك عمر وقال لأبي بكر : إرجم خالداً فإنّه قد استحلّ ذلك ، فقال أبو بكر : والله لا أفعل ، إن كان خالد تأوّل أمراً فأخطأ وفي شرح المواقف : فأشار عمر على أبي بكر بقتل خالد قصاصاً ، فقال أبو بكر : لا أغمد سيفاً شهره الله على الكفار . وقال عمر لخالد : لئن وليت الأمر لأقيدنك به .

وفي تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ١١٢ : قال عمر : إني ما عتبت علي خالد إلا في تقدّمه وما كان يصنع في المال . وكان خالد إذا صار إليه شيء قسمه في

(١) الفائق ج ٢ ص ١٥٤ ، النهاية ج ٣ ص ٢٥٧ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٨ ، تاج العروس ج ٨ ص ٧٥ .

أهل الغنى ولم يرفع إلى أبي بكر حسابه ، وكان فيه تقدّم على أبي بكر يفعل الأشياء التي لا يراها أبو بكر ، وأقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته ، وصالح أهل اليمامة ونكح ابنة مجاعة بن مرارة ، فكره ذلك أبو بكر ، وعرض الدية على متمر بن نويرة وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك ولم ير أن يعزله وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد .

نظرة في القضية :

قال الأميني : يحقُّ على الباحث أن يمعن النظرة في القضية من ناحيتين . الأولى : ما ارتكبه خالد بن الوليد من الطامات والجرائم الكبيرة التي تُنزّه عنها ساحة كلِّ معتنق بالإسلام ، وتضادُّ نداء القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ويتبرأ منها وممن اقتترفها من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر . ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ ؟ ^(١) ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ ؟ ^(٢) ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون﴾ ؟ ^(٣) .

بأيّ كتاب أم بآية سنة ساغ للرجل سفك تلکم الدماء الزكية من الذين آمنوا بالله ورسوله وأتبعوا سبيل الحقّ وصدقوا بالحسنی ، وأذّنوا وأقاموا وصلّوا وقد علت عقيرتهم : بأنّا مسلمون ، فما بال السلاح معكم ؟ ﴿لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذابٌ أليم﴾ ^(٤) .

ما عذر الرّجل في قتل مثل مالك الذي عاشر النبيّ الأعظم ، وأحسن صحبته ، واستعمله ^{عليه السلام} على صدقات قومه ، وقد عُذّ من أشرف الجاهليّة والإسلام ، ومن أرداف الملوك . ﴿ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض ،

(١) سورة القيامة ؛ الآية : ٣ .

(٢) سورة البلد ؛ الآية : ٥ .

(٣) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٤ .

(٤) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٨٨ .

فكأنما قتل الناس جميعاً»^(١) . «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم خالداً فيها»^(٢) .

وماذا أحلّ للرجل شنّ الغارة على أهل أولئك المقتولين وذويهم الأبرياء وإيذائهم وسبيهم بغير ما اكتسبوا إثمًا ، أو اقترفوا سيئة ، أو ظهر منهم فساد في الملاء الديني ؟ «الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً»^(٣) .

ما هذه القسوة والعنف والفظاظة والتزحزح عن طقوس الإسلام ، وتعذيب رؤوس أمة مسلمة ، وجعلها أئفياً للقدر وإحراقها بالنار ؟ فويل للقاسية قلوبهم ، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم .

ما خالد وما خطره بعدما اتخذ إلهه هواه ، وسوّته نفسه ، وأصلّته شهوته ، وأسكره شبقه ؟ فهتك حرّات الله ، وشوّ سمعة الإسلام المقدّس ، ونزى على زوجة مالك قتيل غيّه في ليلته^(٤) ، إنّه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً ، ولم يكن قتل الرجل إلّا لذلك السفاح ، وكان أمراً مشهوداً وسراً غير مستسرّ ، وكان يعلمه نفس مالك ويخبر زوجته بذلك قبل وقوع الواقعة بقوله لها : أقتلتني . فقتل الرجل مظلوماً غيرةً ومحاماةً على ناموسه . وفي المتواتر : من قتل دون أهله فهو شهيد^(٥) وفي الصحيحة من قتل دون مظلّمته فهو شهيد^(٦) .

والعذر المفتعل من منع مالك الزكاة لا يبرّئ خالدًا من تلكم الجنايات ، أيصدّق جمحد الرجل فرض الزكاة ومكابرتة عليها وهو مؤمن بالله وكتابه ورسوله ومصدّق بما جاء به نبيّه الأقدس ، يقيم الصلّاة ويأتي بالفرائض بأذائها وإقامتها ، وينادي بأعلى صوته : نحن المسلمون ، وقد استعمله النبيّ الأعظم على الصدقات ردحاً من الزمن ؟ لاها الله .

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٣٢ .

(٢) سورة النساء ؛ الآية : ٩٣ .

(٣) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٥٨ .

(٤) الصواعق ص ٢١ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٥) مسند أحمد ج ١ ص ١٩١ ، نص على تواتره المناوي في الفيض القدير ج ٦ ص ١٩٥ .

(٦) أخرجه النسائي والضياء المقدسي كما في الجامع الصغير ، وصححه السيوطي راجع فيض

القدير ج ٦ ص ١٩٥ .

أيوجب الردّة مجرد إمتناع الرجل المسلم الموحد المؤمن بالله وكتابه عن أداء الزكاة لهذا الإنسان بخصوصه وهو غير منكر أصل الفريضة ؟ أو يُحكم عليه بالقتل عندئذ ؟ وقد صحّ عن المشرّع الأعظم قوله : لا يحلّ دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّي رسول الله إلا بإحدى ثلاثة : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة^(١) .

وقوله عليه السلام : لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً بغير نفس^(٢) .

وقوله عليه السلام : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها منعوا مني دماءهم وأموالهم ، وحسابهم على الله^(٣) .

وعهد أبو بكر نفسه لسلمان بقوله : من صلّى الصلوات الخمس فإنّه يصبح في ذمّة الله ويمسي في ذمّة الله تعالى فلا تقتلن أحداً من أهل ذمّة الله فتخفر الله في ذمّته فيكبّك الله في النار على وجهك^(٤) .

أيسلب امتناع الرجل المسلم عن أداء الزكاة حرمة الإسلام عن أهله وماله وذويه ويجعلهم أعدال أولئك الكفرة الفجرة الذين حقّ على النبي الطاهر شأن الغارة عليهم ؟ ويحكم عليهم بالسبي والقتل الذريع وغارة ما يملكون ، والنزو على تلکم الحرائر المأسورات ؟ .

وأما ما مرّ من الاعتذار بأنّ خالداً قال : ادفئوا أسراكم وأراد الدفء وكانت

(١) صحيح البخاري ج ١٠ ص ٦٣ كتاب المحاربين . باب : قول الله تعالى إنّ النفس بالنفس ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٧ ، الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص ١٠ ، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٩ ، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١١٠ ، مصباح السنة ج ٢ ص ٥٠ ، مشكاة المصابيح ص ٢٩١ .

(٢) الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص ٩ ، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١١٠ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٩ .

(٣) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٠ ، الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص ١٧ ، ١٨ ، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٤٥٧ ، خصائص النسائي ص ٧ ، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٩ ، ١٩٦ .

(٤) أخرجه أحمد في الزهد كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٠ .

في لغة كنانة : القتل ، فقتلوهم فخرج خالد وقد فرغوا منهم . فلا يفوه به إلا معتوه استأسر هو اه عقه ، وسفه في مقاله ، لماذا قتل ضرار مالكا بتلك الكلمة وهو لم يكن من كنانة ولا من أهل لغتها ؟ بل هو أسدي من بني ثعلبة ، ولم يكن أميره يتكلم قبل ذلك اليوم بلغة كنانة .

وإن صحت المزعمة فلماذا غضب أبو قتادة الأنصاري على خالد وخالفه وتركه يوم ذاك وهو ينظر إليه من كذب ، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب ؟ .

ولماذا اعتذر خالد بأن مالكا قال : ما أخال صاحبكم إلا قال كذا وكذا ؟ وهذا اعتراف منه بأنه قتله غير أنه نحت على الرجل مقالا ، وهو من التعريض الذي لا يجوز القتل «بعد تسليم صدره منه» عند الأمة الإسلامية جمعاء ، والحدود تُدرا بالشبهات .

ولماذا رآه عمر عدوا لله ، وقذفه بالقتل والزنا ؟ وإن لم يقتل ذلك ذؤابة^(١) أبي بكر .

ولماذا هتكه عمر في ملأ من الصحابة بقوله إياه : قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك ؟ .

ولماذا رأى عمر رهما في سيف خالد وهو لم يقتل مالكا وصحبه وإنما قتلهم لغة كنانة ؟ .

ولماذا سكت خالد عن جوابه ؟ وما أخرسه إلا عمله ، إن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره .

ولماذا صدق أبو بكر عمر بن الخطاب في مقاله ووقيعته على خالد وما أنكر عليه غير أنه رآه متاولا تارة ، ونحت له فضيلة أخرى ؟ .

ولماذا أمر خالد بالرؤوس فنصبت أثفية للقصور ، وزاد وصمة على لغة كنانة ؟ .

(١) مثل يضرب يُقال : قتل ذؤابة فلان . أي أزاله عن رأيه .

ولماذا نرى على امرأة مالك ، وسبى أهله ، وفرّق جمعه ، وشئت شمله ، وأباد قومه ، ونهب ماله ؟ أكل هذه معرة لغة كنانة ؟ .

ولماذا ذكر المؤرخون أنّ مالكا قُتل دون أهله محاماة عليها ؟ .

ولماذا أثبت المترجمون ذلك القتل الذريع على خالد دون لغة كنانة ، وقالوا في ترجمة ضرار وعبد بن الأزور : إنّهُ هو الذي أمره خالد بقتل مالك بن نويرة^(١) وقالوا في ترجمة مالك : إنّهُ قتله خالد . أو : قتله ضرار صبراً بأمر خالد ؟^(٢) هذه أسئلة توقف المعتذر موقف السّدير ، ولم يحر جواباً .

ما شأن أبناء السلف وقد غرّرت بهم سكرة الشبق ، وغالتهم داعية الهوى ، وجاؤوا لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمّة وأولئك هم المعتدون ؟ فترى هذا يقتل مثل مالك ويأتي بالطامات رغبةً في نكاح أمّ تميم .

وهذا يقتل سيّد العترة أمير المؤمنين شهوةً في زواج قطام .

وأخر^(٣) شنّ الغارة على حيّ من بني أسد فأخذ امرأة جميلة فوطئها بهبة من أصحابه ، ثمّ ذكر ذلك لخالد فقال : قد طيّبتها لك «كأنّ تلکم الجنود كانت مجنّدة لوطي النساء وفضّ ناموس الحرائر» فكتب إلى عمر فأجاب برضخه بالحجارة^(٤) .

وهذا يزيد بن معاوية يدسّ إلى زوجة ريحانة رسول الله الحسن السبط الزكيّ السّمّ النقيع لتقتله ويتزوجها^(٥) أو فعله معاوية لغاية له كما يأتي .

وراء هؤلاء المعتدين قومٌ ينزّه ساحتهم بأعذار مفتعلة كالتأويل والاجتهاد - وليتهما لم يكونا - وتخطئة لغة كنانة ، والله يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إنّ الله يحبّ المقسطين .

(١) الإستيعاب ج ١ ص ٣٣٨ ، اسد الغابة ج ٣ ص ٣٩ ، خزانة الأدب للبغداد ج ٢ ص ٩ ، الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٣٥٧ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٦٢ .

(٣) هو ضرار بن الأزور زميل خالد بن الوليد وشاكلته في الزرع على الحرائر .

(٤) تاريخ ابن عساکر ج ٧ ص ٣١ ، خزانة الأدب ج ٢ ص ٨ ، الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٥) تاريخ ابن عساکر ج ٤ ص ٢٢٦ .

الناحية الثانية :

الثانية من الناحيتين التي يهْمُنَا أن نولِّي شطرها وجه البحث تسليط الخليفة أولاً أمثال خالد وضرار بن الأزور شارب الخمر وصاحب الفجور^(١) . على الأنفس والدماء ، على الأعراض ونواميس الإسلام ، وعهده إلى جيوشه في حرق أهل الردّة وقد عرفت النهي عنه في السنّة الشريفة ص ١٧٩ . وصفحه ثانياً عن تلکم الطامّات والجنايات الفاحشة كأن لم تكن شيئاً مذكوراً ، فما سمعت أذن الدنيا منه حولها ركزاً ، وما حُكِيت عنه في الإنكار عليها دامة ، وما رأى أحدٌ منه حَولاً .

لِمَ لم يؤاخذ الخليفة خالدًا بقتل مالك وصحبه المسلمين الأبرياء ، وقد ثبت عنده كما يلوح ذلك عن دفاعه عنه ومحاماته عليه ؟ .

لِمَ لم يقتصّ منه قصاص القتائل ؟ ولم يُقَمَّ عليه جلدة الزاني ؟ ولم يضربه حدّ المفترّي ؟ ولم يعزّره تعزير المعتدي على ما ملكته أيدي أولئك المسلمين ؟ .

لِمَ لم ير عزل خالد وقد كره ما فعله ، وعرض الدية على متّم بن نوبرة أخي مالك ؟ وأمر خالدًا بطلاق امرأة مالك كما في الإصابة ج ١ ص ٤١٥ ؟ .

دَع هذه كلّها ولا أقلّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوبيخ الرجل وعتابه على تلکم الجرائم ، وأقلّ الإنكار كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفّهرة .

ما للخليفة بتلعثم وتلعثم في الدفاع عن خالد وجنایاته ؟ فيرى تارة أنّه تأوّل وأخطأ ، ويعتذر أخرى بأنّه سيفٌ من سيوف الله ، وينهى عمر بن الخطاب عن الوقیعة فيه ، ويأمره بالكفّ عنه وصرف اللسان عن مغايطته ، ويغضب على أبي قتادة لإنكاره على خالد كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٨٧ .

ونحن نقصّر في البحث عن هذا الجانب على توجيه القارئ إليه ، ولم نذهب به قصّاه ، ولم نبتغ فيه مداه ، إذ لم نر أحداً تخفى عليه حزاظة أيّ من العذرين ، هلاً يعلم متشرّع في الإسلام أنّ تلکم الطامّات والجرائم الخطيرة لا

(١) تاريخ ابن عساکر ج ٧ ص ٣٠ ، خزانة الأدب ج ٢ ص ٨ ، الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩ .

يتطرق إليها التأول والإجتهد ؟ ولا يسوغ لكل فاعل تارك أن يتترس بأمثالها في معراته ، ويتدرع بها في أحنائه ، ولا تُدرأ بها الحدود ، ولا تطلُّ بها الدماء ، ولا تحلُّ بها حرّمات الحرائر ، ولا يرفض بها حكم الله في الأنفس والأعراض والأموال ، ولم يصخ الحاكم لمذّعيها كما ادّعى قدامة بن مظعون في شربه الخمر بأنّه تأوّل واجتهد فأقام عمر عليه الحدّ وجلده ولم يقبل منه العذر . كما في سنن البيهقي ج ٨ ص ٣١٦ وغيره .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن محارب بن دثار : إنّ ناساً من أصحاب النبي ﷺ شربوا الخمر بالشام وقالوا : شربنا لقول الله : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ الآية . فأقام عمر عليهم الحدّ (١) .

وجلد أبو عبيدة أبا جندل العاصي بن سهيل وقد شرب الخمر متأوّلًا لقوله تعالى : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ . الآية . كما في الروض الأنف للسهيلي ج ٢ ص ٢٣١ .

وهل يرتاب أحد في أنّ سيفاً سلّه المولى سبحانه لا يكون فيه قطُّ رهق ولا شغب ، ولا تُسفك به دماء محرّمة ، ولا تُهتك به حرّمات الله ، ولا يُرهب لنيل الشهوات ، ولا يُنضى للشيق ، ولا يُفتك به ناموس الإسلام ، ولا يحمله إلّا يد أناس طيّبين ، ورجال نزهين عن الخنابة والعيث والفساد ؟ .

فما خالد وما خطره حتّى يهبه الخليفة تلك الفضيلة الراقية ويراه سيفاً سلّه الله على أعدائه ، وهو عدو الله بنصّ من الخليفة الثاني كما مرّ في ص ١٨٢ ؟ أليست هذه كلّها تحكماً وسرفاً في الكلام ، وزوراً في القول ، واتّخاذ الفضائل في دين الله مهزأة ومجهلة ؟ .

كيف يسعنا أن نعدّ خالداً سيفاً من سيوف الله سلّه على أعدائه ؟ وقد ورد في ترجمته وهي بين أيدينا : أنّه كان جبّاراً فاتكاً ، لا يراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب وهوى نفسه ؟ ولقد وقع منه في حياة رسول الله ﷺ مع بني جذيمة

بالغميصا أعظم ممّا وقع منه في حق مالك بن نويرة وعفا عنه رسول الله ﷺ بعد أن غضب عليه مدّة وأعرض عنه ، وذلك العفو هو الذي أطمعه حتى فعل ببني يربوع ما فعل بالبطاح^(١) .

إن كان عفو النبيّ الأعظم عن الرجل بعد ما غضب عليه وأخذه بذنبه ، وأعرض عنه ردحاً من الزمن أطمعه حتى فعل ما فعل ، فانظر ماذا يصنع صفح الخليفة عنه من دون أيّ غضب عليه وإعراض عنه ؟ وما الذي يؤثر دفاعه عنه من الجرأة والجسارة ، في نفس الرجل ونفوس مشاكليه من أناس العيث والفساد ، وشعب الشعب والفتن ؟

أنّى لنا أن نرى خالداً سيفاً سلّه الله على أعدائه وفي صفحة التاريخ كتاب أبي بكر إليه وفيه قوله : لعمري يا ابن أمّ خالد ! أنّك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفف بعد^(٢) كتبه إليه لمّا قال خالد لمجاعة : زوّجني ابنتك فقال له مجاعة : مهلاً إنّك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك قال : أيّها الرجل زوّجني فزوّجه فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه الكتاب فلمّا نظر خالد في الكتاب جعل يقول : هذا عمل الأعيسر . يعني عمر بن الخطاب .

وليست هذه بأوّل قارورة كسرت في الإسلام بيد خالد ، وقد صدرت منه لدة هذه الفحشاء المنكرة على عهد رسول الله ﷺ وتبرأ ﷺ من صنيعه . قال ابن إسحاق : بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة سرايا تدعو إلى الله عزّ وجلّ ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممّن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب فوطئوا بني جذيمة بن عامر فلمّا رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا .

قال : حدّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال : لمّا أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجلٌ منّا يُقال له جحدم^(٣) : ويلكم يا بني جذيمة إنّهُ

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٨٧ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٥٤ ، تاريخ الخميس ج ٣ ص ٣٤٣ .

(٣) في الإصابة جحدم . في ج ١ ص ٢٢٧ ، وجذيم بن الحارث في ج ١ ص ٢١٨ ، والصحيح هو الأول .

خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً قال : فأخذه رجالٌ من قومه فقالوا : يا جحدم ! أترید أن تسفك دماءنا إنَّ الناس قد أسلموا ، ووضعوا السلاح ، ووضع الحرب ، وأمن الناس ؟ فلم يزلوا به حتَّى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد ، فلمَّا وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكُتِفُوا ، ثمَّ عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلمَّا انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السَّماء ثمَّ قال : اللَّهُمَّ إِنِّي أبرأ إليك ممَّا صنع خالد بن الوليد . قال أبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ١٥٣ : هذا من صحيح الأثر .

قال ابن هشام : حدَّث بعض أهل العلم عن ابراهيم بن جعفر المحمودي قال : قال رسول الله ﷺ : رأيت كأنِّي لقمْتُ لقمة من حَيْس^(١) فالتذذت طعمها فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعها فأدخل عليَّ يده فنزعه . فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله ! هذه سرِّيَّة من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحبَّ ويكون في بعضها اعتراض فتبعث عليَّ فيسهله .

قال ابن إسحاق : ثمَّ دعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال : يا عليَّ ! اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهليَّة تحت قدميك . فخرج عليٌّ حتَّى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أُصيب لهم من الأموال حتَّى إنَّه ليدى لهم ميلغة^(٢) الكلب إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقيَّة من المال . فقال لهم عليٌّ رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم (بقيَّة من) دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنِّي أعطيك هذه البقيَّة من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ ممَّا لا يعلم ولا تعلمون ، ففعل ، ثمَّ رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال : أصبت وأحسن . قال : ثمَّ قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه

(١) الحيس : بفتح فسكون أن يخلط السمن والتمر والاقط فيؤكل . والاقط : ما يعقد من اللبن ويجفف .

(٢) الميلغة : خشبة تحفر ليلغ فيها الكلب .

حتى أنه ليرى ما تحت منكبيه يقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أBRأ إِلَيْكَ تَمَا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ وَلِيدٍ .
ثلاث مرّات .

وقد كان بين خالد وبين عبد الرَّحْمَنِ بن عوف كلامٌ في ذلك فقال له
عبد الرَّحْمَنِ بن عوف : عملت بأمر الجاهليّة في الإسلام^(١) وفي الإصابة : أنكر
عليه عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة ، وقد تُعدّ هذه الفضيحة أيضاً من
جنايات لغة كنانة كما في الإصابة ج ٢ ص ٨١ .

فهذا الرَّهق والسرف في سيف خالد على عهد أبي بكر من بقايا تلك
النزعات الجاهليّة ، وهذه سيرته من أوّل يومه ، فأُني لنا أن نعدّه سيفاً من سيوف
الله وقد تبرّأ منه نبيّ الإسلام الأعظم غير مرّة ، مستقبل القبلة شاهراً يديه وأبو بكر
ينظر إليه من كُتَب .

١١ - ثلاثة وثلاثة وثلاثة :

عن عبد الرَّحْمَنِ بن عوف قال : إنّه دخل على أبي بكر الصّدّيق رضي الله
عنه في مرضه الذي توفّي فيه فأصابه مهتماً ، فقال له عبد الرَّحْمَنِ : أصبحت والحمد لله
بارئاً فقال أبو بكر رضي الله عنه : أترأه ؟ قال : نعم . قال : إِنِّي وَلَيْتُ أَمْرَكُمْ خَيْرَكُمْ
في نفسي فكلُّكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه ، ورأيتم الدنيا قد
أقبلت ولما تقبل وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ، ونضائد الديباج ، وتألّموا
الإضطجاع على الصوف الأذري كما يألّم أحدكم أن ينام على حسك ، والله لأن يقدم
أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خيرٌ من أن يخوض في غمرة الدنيا ، وأنتم أوّل
ضالّ بالناس غداً فتصدّونهم عن الطريق يميناً وشمالاً ، يا هادي الطريق إنّما هو
الفجر أو البحر . فقلت له : خفّض عليك رحمك الله ، فإنّ هذا يهضك في أمرك ،
إنّما الناس في أمرك بين رجلين : إمّا رجلٌ رأى ما رأيت فهو معك . وإمّا رجلٌ
خالفك فهو مشيرٌ عليك وصاحبك كما تحبّ ، ولا نعلمك أردت إلّا خيراً ، ولم

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٣ - ٥٧ ، طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٦٥٩ ، صحيح
البخاري شطراً منه في كتاب المغازي باب بعث خالد إلى بني جذيمة ، تاريخ أبي الفدا
ج ١ ص ١٤٥ ، اسد الغابة ج ٣ ص ١٠٢ ، الإصابة ج ١ ص ٣١٨ ، ج ٢ ص ٨١ .

تزل صالحاً مصلحاً ، وإنك لا تأسى على شيء من الدنيا . قال أبو بكر رضي الله عنه : أجل أني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن ووددت أني تركتهن . وثلاثة تركتهن ووددت أني فعلتهن . وثلاث ووددت أني سألت عنهن رسول الله ﷺ .

فأما الثلاث اللاتي ووددت أني تركتهن : فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على الحرب . ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمي وأنني كنت قتلته سريحاً ، أو خلّيته نجيحاً . ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً .

وأما اللاتي تركتهن فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه ، فإنه تخيل إليّ أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه . ووددت أني حين سيّرت خالد بن الوليد إلى أهل الرّدة كنت أقمت بذي القصة فإن ظفر المسلمون ظفروا ، وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد ، ووددت أني إذا وجّهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجّهت عمر بن الخطاب إلى العراق ، فكنت قد بسطت يدي كليهما في سبيل الله . ومدّ يديه .

ووددت أني كنت سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر ؟ فلا ينازعه أحد ، ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب ؟ ووددت أني كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة فإنّ في نفسي منهما شيئاً .

أخرجه أبو عبيد في الأموال ص ١٣١ ، والطبري في تاريخه ج ٤ ص ٥٢ ، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٨ ، والمسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٤١٤ ، وابن عبد ربّه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٤ .

والإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات أربعة منهم من رجال الصّحاح الستّ .

قال الأميني : إنّ في هذا الحديث أموراً تسعة ، ثلاثة منها فات الخليفة فقهها يوم عمل بها ، وقد بسطنا القول في إحراق الفجاءة منها .

وأما تمنّي قذف الأمر في عنق أحد الرجلين فإنه ينم عن أن الخليفة انكشف له في أخريات أيامه أن ما ناء به من الأمر لم يكن على القانون الشرعي في الخلافة والوصية ، لأن المخلف والموصي يجب أن يكون هو المعين لمن ينهض بأمره من بعده ، وهو الذي تنبّه له الخليفة الثاني بعد رده من الزمن فقال : كانت بيعة أبي بكر فلتة كفلتة الجاهلية وقى الله شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه^(١) .

ولا أدري أن ما تنبّها له هل هو قصور في المختار «بالفتح» أو فيه «بالكسر» أو فيهما معاً ؟ أو في كون الاختيار موجباً لتعيين الخليفة ؟ وأياً ما أراد فلنا فيه المخرج وهؤلاء زمر الأنبياء والرسل لم يعدهم التنصيب بالخليفة من بعدهم ، وما انتخب أممهم خلفاء لهم .

وهل هنالك ذو حجب يزعم أن وصاية الفقيد المبيحة للتصرف فيما تركه من بعده موكولة إلى أناس أجانب لا يعرفون ما يرتبه في شؤونهم ، بعداء عن مغايرته وما يروقه في ماله وأهله ، والفقيد عاقل رشيد يعرف الصالح من غيره ، ويعلم بنوايا من يلتصق به ، ومن يحدوه الجشع ، وترقل به النهمة ، ويستفزه الطمع ، أفتراه والحالة هذه يترك الوصية ؟ فيدع ما تركه أكلة للاكل ؟ ومطمعاً للناهب ؟ لا .

لا يفعل ذلك وهو يريد خيراً بآله وصلاًحاً في ماله ، وعلى ذلك جرت سنة المسلمين منذ عهد الصحابة إلى يومنا الحاضر ، وأقرته الشريعة الإسلامية ، وشرعت للوصايا أحكاماً ، وجاء في الصحيحين^(٢) عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلاّ ووصيته مكتوبة عنده ، كذا في لفظ البخاري ، وفي لفظ مسلم : يبيت ثلاث ليال ، قال ابن عمر : ما مرّت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلاّ وعندي وصيتي . قال النووي في رياض الصالحين ص ١٥٦ : متفق عليه .

وصّى الإله وأوصت رسله فلذا كان التأسّي بهم من أفضل العمل
لولا الوصية كان الخلق في عمه وبالوصية دام الملك في الدّول

(١) راجع الجزء الخامس ص ٤٤٦ وهذا الجزء ص ٩٦

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢ كتاب الوصية ، وصحيح مسلم ج ٢ ص ١٠ .

فاعمل عليها ولا تهمل طريقتهما إن الوصية حكم الله في الأزل
ذكرت قوماً بما أوصى الإله به وليس إحداث أمر في الوصية لي (١)

إذا كانت الوصية ثابتة في حطام زائل ، فما بالها تنفى في خلافة راشدة ،
وشريعة خالدة ، متكفلة بصلاح النفوس والنواميس والأموال والأحكام والأخلاق
والصالح العام والسَّلام والوثام ؟ ومن المسلّم قصور الفهم البشريّ العاديّ عن
غايات تلكم الشؤون فلا منتدح والحالة هذه عن أن يعيّن الرسول الأمين عن ربّه
خليفته من بعده ليقترص أثره في أمته .

وقد مرّ في صفحة ١٥٤ رأي عائشة وعبد الله بن عمر ومعاوية وحديث الناس
بأنّ راعي إبل أو غنم أو قيم أرض لأيّ أحد لا يسعهم ترك رعيّتهم هملاً ، ورعية
الناس أشدّ من رعية الإبل والغنم . فالأمة لماذا صفحت يوم السقيفة عن هذا
الحكم المتسالم عليه بينها ؟ ولماذا نبأت عنه الأسماع ؟ وخرست الألسن ؟ وذهلت
الأحلام عنه يوم ذاك ، ثمّ حدثت به الناس ونبأتهم الأمة ؟ ولماذا ترك النبي ﷺ أمته
سُدًى هملاً ؟ وفتح بذلك أبواب الفتن المضلّة المدهمة ؟ واستحقر أمته ورأى
رعيّتها أهون من رعية الإبل والغنم ؟ حاشا النبيّ الأعظم عن هذه الأوهام ،
فإنّه ﷺ وصّى واستخلف ونصّ على خليفته وبلغ أمته غير أنّه عهد إلى وصيّ من
بعده : إن الأمة ستغدّر به بعده كما ورد في الصحيح (٢) وقال له أيضاً : أما إنك
ستلقى بعدي جهداً ، قال (عليّ) : في سلامة من ديني ؟ قال : في سلامة من
دينك (٣) وقال لعلّي : ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها إلّا من بعدي (٤) وقال له :
يا عليّ إنك ستبتلى بعدي فلا تقاثلنّ .

[كنوز الدقائق للمناوي ص ١٨٨]

-
- (١) الجزء الأخير من الفتوحات المكية لابن العربي ص ٥٧٥ .
(٢) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤٠ ، ١٤٢ ، وصححه هو والذهبي في تلخيصه ، تاريخ
الخطيب ج ١١ ص ٢١٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٦ ص ٢١٩ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٧ .
(٣) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤٠ وصححه هو وأقره الذهبي .
(٤) أخرجه ابن عساكر ، والمحب الطبري في الرياض ج ٢ ص ٢١٠ نقلاً عن أحمد في
المناقب ، والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٢٤٢ ، والخوارزمي في المقتل ج ١ ص ٣٦ .

ثمَّ إِنَّ الخليفة النادم لِمَاذَا تَمَنَّى التسلُّل عن الأمر يوم السقيفة ؟ وقذفه في عنق أحد الرجلين : أبي عبيدة أو عمر ؟ أكان ندمه عن حقٍّ وقع ؟ فالحقُّ لا ندم فيه . وإن كان عن باطل سبق ؟ فهو يهدم أساس الخلافة الراشدة .

ثمَّ الَّذِي وَدَّه من قذفه إلى عنق أحد الرجلين فإنَّنا لا نعرف وجهاً لتخصيصهما بالقذف وفي الصحابة أعظم وذو فضائل لا يبلغ الرجلان شأو أيٍّ منهم ، وهذان بالنظر إلى ما عرفناه من أحوال الصحابة إن لم نقل إنَّهما من ساقتهما ، فإنَّنا نقول بكلِّ صراحة إنَّهما لم يكونا من الأعالي منهم وفيهم من فيهم ، وقبل جميعهم سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام صاحب السوابق والمناقب والصهر والقراية والغناء والعناء ، وصاحب يوم الغدير ، والأيام المشهودة ، والمواقف المشهورة ، نفس النبيِّ الأعظم بنصٍّ من الكتاب العزيز^(١) المطهر من كلِّ رجس بآية التطهير^(٢) .

فهلَّا ودَّ أن يقذفه إليه ؟ فيسير بالأمة سيراً سُجْحاً ، ويحملهم على المحجّة البيضاء ، ويأخذ بهم الطريق المستقيم ، ويجدونه هادياً مهدياً ، يدخلهم الجنة . كما أخبر بهذه كلّها النبيُّ الأعظم عليه السلام وقد مرَّ شطرٌ منها في الجزء الأوّل صفحة ٣١ .

وأما كشف بيت فاطمة سلام الله عليها فإنَّه لا يروقنا ههنا خدش العواطف بتلكم النواثب ، غير أنَّه سبق منَّا بعض القول في الجزء الثالث ص ١٣٦ - ١٣٨ وفي هذا الجزء ص ٩٣ ، ١٠٣ .

وفذلكة ذلك النبا العظيم أنَّ الصديقة سلام الله عليها قضت وهي واجدة على من ارتكبه ، وكانت صلوات الله عليها تدعو عليه بعد كلِّ صلاة صلَّتها^(٣) . وإن تعجب فعجب أنَّ القوم ارتكب ما ارتكب من تلكم الفظائع وارتبك فيها وملاً الأسماع هتاف النبيِّ عليه السلام بقوله : من عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فهي بضعة مني ، هي قلبي وروحي التي بين جنبي ، فمن آذاها فقد آذاني .

(١) بآية المباهلة في سورة آل عمران ؛ الآية : ٦١ .

(٢) في سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣ .

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤ ، رسائل الجاحظ ص ٣٠١ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢١٥ .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ منِّي يربيني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ منِّي فمن أغضبها فقد أغضبني .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ منِّي يقبضني ما يقبضها ، ويسطني ما يسطها^(١) .

وبقوله : فاطمة بضعةٌ مني يسرني ما يسرها^(٢) .

وبقوله : يا فاطمة إنَّ الله يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك^(٣) .

وبهذا الهتاف تعلم أنَّ ندم الخليفة كان في محلّه ، غير أنّه ندم ولات حين مندم ، ندم وقد قضى الأمر ووقع ما وقع ، ندم والصديقة الطاهرة مقبورة وملاءهاها موجدة .

الثلاثة الوسطى :

وأما الثلاثة من هاتيك الأمور التسعة التي ندم عليها الخليفة على تركها فإنّها تعرب عن أنّه ارتكب ما ارتكب فيها لا عن تروٍّ أو بصيرة في الأمر ، أو إستنادٍ إلى حكم شرعيّ ، حتى كشف له الخطأ فيها جمعاء ، وقد وقعت فيها عظام ، وأعقبتها طامات ، وخليفة المسلمين يجب أن لا يرتكب ما يستتبعها ، ولا يفعل ما يوجب الندم في مغبّته ، وقصة الأشعث بن قيس تعرب عن أنّ ندم الخليفة كان في محلّه ، فإنَّ الرجل بعد ما ارتدّ وأتى بمعرّات وقاتل المسلمين وأخذ وأتى به أسيراً إلى الخليفة فقال : ماذا تراني أصنع بك ؟ فإنك قد فعلت ما علمت . قال : تمنّ عليّ فتفكّني من الحديد ، وتزوّجني اختك ، فإنّي قد راجعت وأسلمت . فقال أبو بكر : قد فعلت فزوجه أم فروة ابنة أبي قحافة ، فاخرط سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلاّ عرقبه ، فصاح الناس : كفر الأشعث . فلما فرغ طرح سيفه وقال : إني والله ما كفرت ولكن زوّجني هذا الرجل أخته ولو كنّا في بلادنا كانت

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٤٠ ، وسنوفك على تفصيلها في هذا الجزء إن شاء الله .

(٢) الأغاني ج ٨ ص ١٥٦ .

(٣) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٢٧ ، وسنفصل فيه القول إن شاء الله .

وليمة غير هذه ، يا أهل المدينة ! كلوا ، ويا أصحاب الإبل ! تعالوا خذوا شرواها ، فكان ذلك اليوم قد شبّه بيوم الأضحى وفي ذلك يقول وبرة بن قيس الخزرجي :

لقد أولم الكنديّ يوم ملاكه	وليمة حمّال لثقل الجرائم
لقد سلّ سيفاً كان مُذْكَان مغمداً	لدى الحرب منها في الطلا والجماجم
فأغمده في كلّ بكر وسابح	وعير وبغل في الحشا والقوائم
فقل للفتى الكنديّ يوم لقائه	ذهبت بأسنى مجد أولاد آدم

وقال الأصبغ بن حرملة الليثي متسخطاً لهذه المصاهرة :

أتيت بكنديّ قد ارتدّ وانتهى	إلى غاية من نكت ميثاقه كفرا
فكان ثواب النكت إحياء نفسه	وكان ثواب الكفر تزويجه البكرا
ولوأنّه يأبى عليك نكاحها	وتزويجها منه لأمهرته مهرا
ولوأنّه رام الزيادة مثلها	لأنكحته عشراً وأتبعته عشرا
فقل لأبي بكر : لقد شنت بعدها	قريشاً وأحملت النباهة والذكرا
أما كان في تيم بن مرّة واحد	تزوجّه ؟ لولا أردت به الفخرا ؟
ولو كنت لمّا أن أتاك قتلته	لأحرزتها ذكراً وقدّمتهَا ذخرا
فأضحى يرى ما قد فعلن فريضة	عليك فلا جمداً حويت ولا أجرا ^(١)

الثلاثة الآخر :

إنّ الثلاثة الآخر التي تمنى الخليفة أن يكون استعلمها من رسول الله ﷺ فإنّها تبيننا بقصوره في علم الدين ، وأنّه كان نابياً في فقهه ، لا يعرف أحكام الموارد التي يكثر إبتلاء خليفة المسلمين بها طبعاً ، وأنّه كان شاكاً في أصل الخلافة هل هي بالنصّ أو الإختيار ؟ وعلى الثاني هل تخصّ المهاجرين فحسب ؟ أو أنّه يشاركهم فيها الأنصار ؟ وعلى أيّ فهو في تسنّمه عرش الخلافة غير متيقّن بالرشد

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٧٦ ، ثمار القلوب للثعالبي ص ٦٩ ، الإستيعاب ج ١ ص ٥١ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٦٠ ، مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٣٤١ ، الإصابة ج ١ ص ٥١ ، وج ٣ ص ٦٣٠ .

من أمره ، ولا نُحْكَمْ ههنا غير ضميرك الحرّ ، وليس في الحقّ مغضبة .
 ثمّ إنّي لا أعرف لهذا التمنيّ محصّلاً لأنّه لو كان سألّه ﷺ عن ذلك لما كان يجيبه إلّا بمثل قوله : من كنت مولاه فعليّ مولاه . غ ج ١ (١) .
 وقوله : إنّي تاركُ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي (٢) .
 وقوله : إنّي تارك فيكم خليفتي كتاب الله وأهل بيتي (٣) .
 وقوله : عليّ مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي غ ج ٣ ص ٢٤٩ .

وقوله لعليّ : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنك لست بنبيّ ، إنّه لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي . غ ج ٣ ص ٢١٧ .
 وقوله : أوحى إليّ في علي ثلاث : إنّه سيد المسلمين . وإمام المتّقين .
 وقائد الغرّ المحجلين : مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٨ .
 وقوله : إن الله أطلع على أهل الأرض فاختار منها أبالك فبعثه نبياً ، ثمّ أطلع الثانية فاختار بعلك فأوحى إليّ فأنكحته وأتخذته وصياً . غ ج ٢ ص ٣٦٩ وج ٣ ص ٤٣ .

وقوله : عليّ الصديق الأكبر وفاروق هذه الأمّة ، يفرق بين الحقّ والباطل ، ويعسوب المؤمنين ، وهو بابي الذي أوتى منه ، وهو خليفتي من بعدي . غ ج ٢ ص ٣٦٢ .

وقوله : عليّ راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ، والكلمة التي ألزمها المتّقين من أحبّه أحبّني ومن أبغضه أبغضني . غ ج ٣ ص ١٥٥ .
 وقوله : عليّ أخي ووصيّ ووارثي وخليفتي من بعدي . غ ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٦ .

(١) هذا رمز كتابنا هذا (الغدير) في هذا الجزء وبقيّة الأجزاء .

(٢) (٣) مرّ الإيعاز إلى حديث الثقلين غير مرّة وسنّفصل القول فيه إن شاء الله .

وقوله : عليّ سيّد مبجل ، مؤمل المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وموضع سرّي وعلمي ، وبابي الذي يؤوى إليه ، وهو الوصيّ على أهل بيتي ، وعلى الأخيار من أمّتي ، وهو أخي في الدنيا والآخرة . غ ج ٣ ص ١٥٣ .

وقوله : عليّ أخي ووزير خير من أترك بعدي . غ ج ٢ ص ٣٦٤ .

وقوله : عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ لن يفترقا حتى يراد عليّ الحوض . غ ج ٣ ص ٢٢٣ .

وقوله : عليّ مع الحقّ والحقّ معه وعلى لسانه يدور حيثما دار عليّ . غ ج ٣ ص ٢٢٤ .

وقوله : عليّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض . غ ج ٣ ص ٢٢٧ .

وقوله : عليّ منّي وأنا منه ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي : غ ج ٣ ص ٢٦٨ ، ٤٢ .

وقوله : عليّ مولى كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة . غ ج ١ ص ٣٦ ، ٧٦ .

وقوله : عليّ أنزله الله منّي بمنزلة منّي . غ ج ١ ص ٤٣ .

وقوله : عليّ وليّ في كلّ مؤمن بعدي . مسند أحمد ج ١ ص ٢٣١ .

وقوله : عليّ منّي بمنزلة منّي . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩١ .

وقوله : عليّ وليّ المؤمنين من بعدي . تاريخ الخطيب ج ٤ ص ٣٣٩ .

وقوله : من كان الله ورسوله وليّه فعليّ وليّه . غ ج ١ ص ٦٢ .

وقوله : لا يُبلغ عنيّ إلّا أنا أو رجل منّي . غ ج ٦ ص ٣٩٥ - ٤١٠ .

وقوله : ما من نبيّ إلّا وله نظير وعليّ نظيري . غ ج ٣ ص ٤٣ .

وقوله : أنا وعليّ حجّة على أمّتي يوم القيامة . تاريخ الخطيب ج ٢

وقوله : من أطاع عليًّا فقد أطاعني ، ومن عصى عليًّا فقد عصاني . مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢١ ، ١٢٨ .

كيف تمنى الخليفة ما تمنى مع هذه النصوص ؟ أو كان في الأذان وقرّ يوم هتف عليه السلام بهاتيك الكلم الجامعة المعربة عن الخلافة بكلّ ما يمكن من التعبير ؟ أم أنّ في القوم من تصامم عنها لأمر دبر بليل .

أو لم يكف الخليفة أنّه عليه السلام لمّا عرض نفسه على القبائل وكان معه عليّ أمير المؤمنين ومعهما أبو بكر وبلغ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله فقال له قائلهم : أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثمّ أظهرك الله على من خالفك ، أكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : إنّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء^(١) ! .

أفكان يزعم الخليفة ؟ أنّ النبيّ عليه السلام الذي أناط الأمر بعده إلى المولى سبحانه ومشيتته كان لو سأله عن ذلك أجابه بالترديد بين اختيار الأمة ولو لم تكتمل فيه شرائط الإجماع والانتخاب الصحيح كما في البيعة الأولى ؟ وبين وصيّة الخليفة واستخلافه كما وقع في أمر الثاني ؟ وبين الشورى مع إرهاب المخالف بالقتل كما كان في منتهى الثلاثة ؟ لكنّه لو كان يحسب ذلك لما ودّ أن لو كان سأله عليه السلام وكان يعلم أيضاً أنّ الترديد في الجواب على فرضه إغراء للأمة بالفوضى ، وفي ذلك مسرح لكل مدّعٍ محقّ أو مبطل ، ولاحتجّ به كلّ ناعبٍ وناعي حتّى تنتهي النوبة إلى الطلقاء وأبناء الطلقاء أمثال معاوية ويزيد وهلمّ جرا .

تحفظ على كرامة :

حذف أبو عبيد من الحديث ذكر الأمر الأوّل من الثلاثة الأول وهو : كشف بيت فاطمة وجعل مكانه قوله : فوددت أنّي لم أكن فعلت كذا وكذا - لخلّة ذكرها - فقال : لا أريد أذكرها . وما حرّف ما حرّف إلّا تحفظاً على كرامة الخليفة ، والأسف على أنّ غيره ما شاركه فيما فعل ، فظهرت خيانتته على ودائع التاريخ .

(١) مرّت مصادره في هذا الجزء ص ١٥٦ .

١٢ - سؤال يهوديّ أبا بكر :

عن أنس بن مالك قال : أقبل يهوديٌّ بعد وفاة رسول الله ﷺ فأشار القوم إلى أبي بكر فوقف عليه فقال : أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبيُّ أو وصيُّ نبيِّ قال أبو بكر : سل عمّا بدا لك . قال اليهودي : أخبرني عمّا ليس لله ، وعمّا ليس عند الله ، وعمّا لا يعلمه الله . فقال أبو بكر : هذه مسائل الزنادقة يا يهودي ! وهم أبو بكر والمسلمون رضي الله عنهم باليهودي ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما أنصفتكم الرجل . فقال أبو بكر : أما سمعت ما تكلم به ؟ فقال ابن عباس إن كان عندكم جوابه وإلا فاذهبوا به إلى عليّ رضي الله عنه يجيبه فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب : اللَّهُمَّ اهد قلبه ، وثبت لسانه ، قال : فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا عليّ بن أبي طالب فاستأذنوا عليه فقال أبو بكر : يا أبا الحسن ! إنّ هذا اليهودي سألني مسائل الزنادقة . فقال عليّ : ما تقول يا يهودي ؟ قال : أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبيُّ أو وصيُّ نبيِّ . فقال له : قل . فردّ اليهودي المسائل : فقال عليّ رضي الله عنه : أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود ! : إنّ العزيز ابن الله ، والله لا يعلم أن له ولداً . وأمّا قولك : أخبرني بما ليس عند الله . فليس عنده ظلم للعباد ، وأمّا قولك : أخبرني بما ليس لله فليس له شريك . فقال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، وأنك وصيُّ رسول الله ﷺ . فقال أبو بكر والمسلمون لعليّ عليه السلام : يا مفرّج الكرب .

[المجتبى لابن دريد ص ٣٥]

قال الأُميني : اقرأ واحكم .

١٣ - وفد النصارى وأسئلتهن :

أخرج الحافظ العاصمي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : لما قبض النبيُّ ﷺ اجتمعت النصارى إلى قيصر ملك الروم فقالوا له : أيّها الملك إنّنا وجدنا في الإنجيل رسولاً يخرج من بعد عيسى إسمه أحمد وقد رمقنا خروجه وجاءنا نعتة فأشر علينا فإنّا قد رضيناك لدينا ودينانا قال : فجمع قيصر من نصارى

بلاده مائة رجل وأخذ عليهم الموائيق أن لا يغدروا ولا يخفوا عليه من أمورهم شيئاً وقال : انطلقوا إلى هذا البوصي الذي من بعد نبيهم فسلوه عما سئل عنه الأنبياء عليهم السلام وعما أتاهم به من قبل ، والدلائل التي عرفت بها الأنبياء ، فإن أخبركم فآمنوا به وبوصييه واكتبوا بذلك إليّ ، وإن لم يخبركم فاعلموا أنه رجلٌ مُطاع في قومه ، يأخذ الكلام بمعانيه ، ويردّه على مواليه ، وتعرّفوا خروج هذا النبي . قال : فسار القوم حتّى دخلوا بيت المقدس واجتمعت اليهود إلى رأس جالوت فقالوا له مثل مقالة النصارى بقيصر ، فجمع رأس جالوت من اليهود مائة رجل ، قال سلمان فاعتنمت صحبة القوم فسرنا حتّى دخلنا المدينة وذلك يوم عروبة^(١) وأبو بكر قاعدٌ في المسجد رضي الله عنه يفتي الناس فدخلت عليه فأخبرته بالذي قدم له النصارى واليهود فأذن لهم بالدخول عليه فدخل عليه رأس جالوت فقال : يا أبا بكر إنا قومٌ من النصارى واليهود جئناكم لنسألكم عن فضل دينكم فإن كان دينكم أفضل من ديننا قبلناه وإلاّ فديننا أفضل الأديان ! قال أبو بكر : سل عما تشاء أجيبك إن شاء الله قال : ما أنا وأنت عند الله ؟ قال أبو بكر : أمّا أنا فقد كنت عند الله مؤمناً وكذلك عند نفسي إلى الساعة ولا أدري ما يكون من بعد . فقال اليهودي : فصف لي صفة مكانك في الجنّة ، وصفة مكاني في النار ، لأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني . قال : فأقبل أبو بكر ينظر إلى معاذ مرّة وإلى ابن مسعود مرّة ، وأقبل رأس جالوت يقول لأصحابه بلغة أمّته : ما كان هذا نبياً : قال سلمان : فنظر إليّ القوم ، قلت لهم : أيّها القوم ! ابعثوا إلى رجل لوثنيتم له الوسادة لقضى لأهل التوراة بتوراتهم ، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم ، ولأهل الزبور بزبورهم ، ولأهل القرآن بقرآنهم ، ويعرف ظاهر الآية من باطنها ، وباطنهما من ظاهرها . قال معاذ : فقمت فدعوت عليّ بن أبي طالب وأخبرته بالذي قدمت له اليهود والنصارى فأقبل حتّى جلس في مسجد رسول الله ﷺ قال ابن مسعود : وكان علينا ثوب ذلّ : فلمّا جاء عليّ بن أبي طالب كشفه الله عنّا قال عليّ : سلني عما تشاء أخبرك إن شاء الله قال اليهودي : ما أنا وأنت عند الله ؟ قال أمّا أنا فقد كنت عند الله وعند نفسي مؤمناً إلى

(١) يعني يوم الجمعة وكان يسمى قديماً بيوم عروبة ، ويوم العروبة . والأفصح ترك الألف واللام .

الساعة فلا أدري ما يكون بعدُ . وأما أنت فقد كنت عند الله وعند نفسي إلى الساعة كافرًا ولا أدري ما يكون بعدُ . قال رأس جالوت : فصف لي صفة مكانك في الجنة وصفة مكاني في النار فأرغب في مكانك وأزهد عن مكاني قال علي : يا يهودي ! لم أر ثواب الجنة ولا عذاب النار فأعرّف ذلك ، ولكن كذلك أعدّ الله للمؤمنين الجنة وللكافرين النار ، فإن شككت في شيء من ذلك فقد خالفت النبي ﷺ ولست في شيء من الإسلام . قال : صدقت رحمك الله فإن الأنبياء يوقنون على ما جاؤوا به فإن صدقوا آمنوا ، وإن خولفوا كفروا . قال : فأخبرني أعرفت الله بمحمد أم محمدًا بالله ؟ فقال علي : يا يهودي ! ما عرفت الله بمحمد ولكن عرفت محمدًا بالله لأنّ محمدًا محدودٌ مخلوقٌ وعبدٌ من عباد الله اصطفاه الله واختاره لخلقه وألهم الله نبيه كما ألهم الملائكة الطاعة ، وعرفهم نفسه بلا كيف ولا شبه . قال : صدقت قال : فأخبرني الرب في الدنيا أم في الآخرة ؟ فقال علي : إنّ «في» وعاء فمتى ما كان بفي كان محدوداً ولكنه يعلم ما في الدنيا والآخرة ، وعرشه في هواء الآخرة وهو محيطٌ بالدنيا ، والآخرة بمنزلة القنديل في وسطه إن خليت يكسر ، وإن أخرجته لم يستقم مكانه هناك فكذلك الدنيا وسط الآخرة . قال : صدقت قال : فأخبرني الرب يحمل أو يُحمل ؟ قال علي بن أبي طالب : يحمل . قال رأس جالوت : فكيف ؟ وأنا نجد في التوراة مكتوباً ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . قال علي : يا يهودي : إنّ الملائكة تحمل العرش ، والثرى يحمل الهواء ، والثرى موضوع على القدرة وذلك قوله تعالى : ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ . قال اليهودي : صدقت رحمك الله . الحديث .

[زين الفتى في شرح سورة هل أتى للحافظ العاصمي]

هلمّ معي إلى الغلو :

هذه جملة ممّا وقفنا عليه من فتاوى أبي بكر وآرائه وهي على قلّتها تدلّك على مكانته من علم الكتاب ، وعرفان السنّة ، وفقه الشريعة ، وأحكام الدين ، أو ليس من المغالاة إذن أن يُقال : علّم كلّ ذي حظّ من العلم أنّ الذي كان عند أبي

بكر من العلم أضعاف ما كان عند عليّ منه^(١) ؟ .

أليس من المغالاة ؟ أن يُقال : إنَّ المعروف أنَّ الناس قد جمعوا الأقضية والفتاوى المنقولة عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فوجدوا أصوبها وأدّلها على علم صاحبها أمور أبي بكر ثمَّ عمر ، ولهذا كان ما يوجد من الأمور التي وجد نصٌّ يخالفها عن عمر أقلَّ ممَّا وجد عن عليّ ، وأمّا أبو بكر فلا يكاد يوجد نصٌّ يخالفه ؟ .

أليس من المغالاة ؟ أن يُقال : لم يكن أبو بكر وعمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يخصّان عليّاً بسؤال ، والمعروف : أنَّ عليّاً أخذ العلم عن أبي بكر^(٢) ؟ .

أليس من المغالاة أن يُقال : إنَّ أبا بكر من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق ؟ . قاله ابن حجر في الصواعق ص ١٩ .

أليس من المغالاة ؟ أن يُقال : إنَّ أبا بكر أعلم الصحابة وأذكاهم ، وكان مع ذلك أعلمهم بالسنة كما رجع إليه الصحابة في غير موضع ، يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي ﷺ يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها ليست عندهم ، وكيف لا يكون كذلك وقد واظب على صحبة الرسول ﷺ من أوّل البعثة إلى الوفاة^(٣) .

أليس من المغالاة ؟ ما عزّوه إلى النبيّ الأقدس من قبله عليه السلام ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلّا صبّته في صدر أبي بكر^(٤) .

أليس من المغالاة ؟ ما رواه عنه عليه السلام أنّه قال : رأيت كأنّي أعطيت عسّاً مملوّاً لبناً فشربت منه حتّى امتلأت ، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم ففضلت منها فضلة فأعطيها أبا بكر . قالوا : يا رسول الله ! هذا علم أعطاك الله حتّى إذا امتلأت ففضلت فضلة فأعطيها أبا بكر ، قال ﷺ : قد أصبتم .

[الرياض النضرة ج ١ ص ١٠١]

(١) قاله ابن حزم في الفصل ج ٤ ص ١٣٦ ، راجع ما مرّ في الجزء الثالث ص ١٢٨

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ج ٣ ص ١٢٨ . راجع ما أسلفناه في ج ٦ ص ٣٨٥

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٩ .

(٤) راجع الجزء الخامس من كتابنا هذا ص ٣٨٣ وهذا الجزء ص ١٠٥ .

أليس من المغالاة ؟ ما جاء به ابن سعد عن ابن عمر من أنه سئل عمن كان يفتي في زمن رسول الله ﷺ فقال : أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما .

راجع اسد الغابة ج ٣ ص ٢١٦ ، الصواعق ص ١٠ ، ٢٠ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٥ .

قال الأميني : ليتني أدري وقومي ما بال القوم ؟ في نحت هذه الدعاوى الفارغة ، واختلاق هذه الأكاذيب المكروسة ، وزعق بسطاء الأمة إلى المزالق والطامات ، وردعهم عن مهيع الحق ، وجدد الصدق في عرفان الرجال ، ومقادير السلف .

أليست هذه الآراء تضاد نداء المشرع الأقدس وقوله لفاطمة : أما ترضين أني زوجتك أول المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً ؟ .

وقوله لها : زوجتك خير أمتي أعلمهم علماً .

وقوله : إن علياً لأول أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً .

وقوله : أعلم أمتي من بعدي علي .

وقوله : أنا مدينة العلم وعلي بابها .

وقوله : علي وعاء علمي .

وقوله : علي باب علمي .

وقوله : علي خازن علمي .

وقوله : علي عيبة علمي .

وقوله : أنا دار الحكمة وعلي بابها .

وقوله : أنا دار العلم وعلي بابها .

وقوله : أنا ميزان العلم وعلي كفتاه .

وقوله : أنا ميزان الحكمة وعلي لسانه .

وقوله : أفضى أمتي علي .

وقوله : أفضاكم علي^(١) إلى أمثال هذه من الكثير الطيب .

أليست تلکم الآراء المجردة تخالف ما أسلفناه في الجزء الثالث ص ١٢٨-١٣٤ وفي نواذر الأثر في الجزء السادس من أقوال الصحابة الأولين والتابعين بإحسان في علم علي ؟ نظراء عائشة . وعمر . ومعاوية . وابن عباس . وابن مسعود . وعدي بن حاتم . وسعيد بن المسيب . وهشام بن عتبة . وعطاء . وعبد الله بن حجل .

أنى يسوغ القول بأعلمية أي أحد من الأمة غير علي أمير المؤمنين بعد ما مر في الجزء الثالث ص ١٣٣ من إجماع أهل العلم أن علياً عليه السلام هو وارث علم النبي صلى الله عليه وسلم دونهم . وما أسلفناه هناك من الصحيح الوارد عن مولانا أمير المؤمنين من قوله : والله إنني لأخوه ووليّه وابن عمّه ووارث علمه ، فمن أحقّ به مني ؟ . ثم أي نجفة من العلم كانت آية فضلة عس شربها الخليفة من يد النبي الأعظم إن صحت الأحلام ؟ أقوله في الأب ؟ أم رأيه في الكلاله والجذّ والجذتين والخلافة وغيرها ؟ أمثل هذه كان هو وصاحبه يفتيان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . وأي صدر هذا لم يك ينضح بشيء من العلم - والإناء ينضح بما فيه - بعدما صبّ فيه رسول الله كلما صبّ الله في صدره صلى الله عليه وسلم ؟ .

وأنت جدّ عليم بأن الأخذ بمجامع تلکم الصحاح الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين في علم أمير المؤمنين عليه السلام والجمع بينها وبين تلکم الآراء في علم أبي بكر يستلزم القول بأعلميته من رسول الله أيضاً بعد كونه وعليّ صلى الله عليهما وآلهما صنوين في الفضائل ، بعد كون عليّ رديف أخيه الأقدس ونفسه في مآثره ، بعد كونه وارث علمه وبابه وعييته ووعائه وخازنه ، ولا أحسب كل القوم ولا جلهم يقول بذلك . نعم : من لم يتحاش عن الغلو في أبي حنيفة والقول بأعلميته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القضاء كما مر في الجزء الخامس ص ٣٤١ لا يكثرث للقول بذلك في أبي بكر الأفضل من أبي حنيفة .

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ١٢٨ ، والجزء السادس ص ٨٣ / ١٠٤

هذا هو الغلو الممقوت الذي تصكُّ به المسامع لا ما تقول به الشيعة يا أتباع أبناء حزم وتيمية وكثير وجوزية ! .

١ - مظاهر علم الخليفة :

وأول مظهر من مظاهر علم الخليفة عند الباقلاني من المتقدمين كما في تمهيده ص ١٩١ ، وعند السيد أحمد زيني دحلان من المتأخرين كما في سيرته هامش الحلبية ج ٣ ص ٣٧٦ هو إعلامه الناس بموت رسول الله ﷺ وحجابه عمر بن الخطاب بقول العزيز الحكيم : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ الآية (١) .

ما أذهل الرجلين عن أن الأمر لم يعضل على أي امرئ من الصحابة ، وحاشاهم عن أن يكون هذا مبلغ علمهم ، وقد كان حملة القرآن الكريم بأسرهم على علم من موته ﷺ أخذاً بما أجرى الله بين البشر من الطبيعة المطردة : ﴿ثم قضى أجلاً وأجل مسمى﴾ ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ ، ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ . وتمسكاً بالقرآن العظيم ، ونصوصه ﷺ الكثيرة عليه في مواقف لا تحصى ، أحفلها حجة الوداع ومن هنا سُميت تلك الحجة بحجة الوداع .

ولم يكن إنكار عمر موته ﷺ لجهله بذلك ، وقد قرأ عمرو بن زائدة عليه وعلى الصحابة في مسجد رسول الله ﷺ الآية المذكورة قبل تلاوة أبي بكر إياها وأشفعها بقوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٢) فضرب الرجل عنها وعن قارئها صفحاً ، وعمرو بن زائدة صحابي عظيم استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته كما في الإصابة ج ٢ ص ٥٢٣ .

ولأنما كان إنكاره ذلك وإرهابه الناس لسياسة مدبرة ، وذلك صرف فكرة الشعب عن الفحص عن الخليفة إلى أن يحضر أبو بكر وكان غائباً بالسُّنح (٣) خارج

(١) سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٤ .

(٢) راجع تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٣ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٨ ص ٢٨١ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٩٧ ، طبقات ابن سعد رقم التسلسل ط مصر : ٧٨٦ ، تفسير =

المدينة ، وكان الأمر دُبّر ليل .

ألا ترى أن غير واحد من أعلام القوم قد اعتذروا عن إنكار عمر موته عليه السلام بغير الجهل فمنهم من قال : إن ذلك كان لتشوش البال ، واضطراب الحال ، والذهول عن جليات الأحوال ^(١) ومنهم من اعتذر بقوله : خَبَل عمر في وفاة النبي ﷺ فجعل يقول : إنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه ^(٢) .

المظهر الثاني : وجاء ابن حجر من علم الخليفة بمظاهر أخرى واحتج بها على كونه أعلم الصحابة على الإطلاق ، منها : ما أخرجه البخاري في صحيحه في صلح الحديبية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : فأتيت نبي الله ﷺ . فقلت : يا نبي الله أأنت نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن ؟ قال : إني رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري . قلت : أليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فإنك آتية ومطوف به . قال : فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت : يا أبا بكر : أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الله وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن . فقال : أيها الرجل ! إنه رسول الله ولن يعصي ربه وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحق . فقلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فإنك آتية ومطوف به .

قال الأُميني : هل في هذه الرواية غير أن أبا بكر كان مؤمناً بنبوة رسول الله ، وبطبع الحال إن كل من اعتنق هذا المبدأ يرى أنه عليه السلام لا يعصي ربه وهو ناصره وأن كل ميعاد جاء به لا بد وأن يقع في الأجل المضروب له إن كان موقتاً وإلا فهو يقع لا محالة في ظرفه الخاص به ، فلا يخالجه شك إذا لم يُعجل .

= القرطبي ج ٤ ص ٢٢٣ ، عيون الأثر ج ٢ ص ٣٣٩ .

(١) شرح المقاصد للفتازاني ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس ج ٣ ص ٣٣٩ .

هذه غاية ما يوصف به أبو بكر بهذا الحديث ، وهو معنى يشترك فيه جميع المسلمين وليس من خاصته ، فأيُّ دلالة فيه على كون أبي بكر أعلم الصحابة على الإطلاق ؟ ولو كان عمر يسأل أيَّ صحابيٍّ بسؤاله هذا لما سمع إلاَّ لِدَّة ما أجاب به أبو بكر ومثل ما أجاب به رسول الله ﷺ ، وكذلك المسلمون كلُّهم إلى منصرم الدنيا ، فإنَّك لا تجد عند أحدهم ضميراً غير هذا ، وإذا فاتحته بالكلام عن مثله فلا تسمع جواباً غيره ، فهل فاتح عمر به غير أبي بكر أحداً من الصحابة وسمع جواباً غير ما أجاب به ؟ حتى يُستدلَّ به على أعلميته على الإطلاق أو على التقييد .

وهل كان رسول الله ﷺ في صدد بيان غامض من علومه لما أجاب عمر حتى يكون إذا وافقه أبو بكر في الجواب يصبح به أعلم الصحابة على الإطلاق ؟

وابن حجر يعلم ذلك كلَّه ولذلك تعمَّد بإسقاط لفظ الرواية وقال في الصواعق ص ١٩ : هو (أبو بكر) من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق للأدلة الواضحة على ذلك منها : ما أخرجه البخاري وغيره أنَّ عمر في صلح الحديبية سأل رسول الله ﷺ عن ذلك الصلح وقال : علام نعطي الدنية في ديننا فأجابه النبي ﷺ ثم ذهب إلى أبي بكر فسأله عما سأل عنه ﷺ من غير أن يعلم بجواب النبي ﷺ فأجابه بمثل ذلك الجواب سواء بسواء . اهـ .

يوهم ابن حجر أنَّ هناك معضلة كشفها أبو بكر ، أو عويصة من العلوم حلَّها ممَّا يُعدّ الخوض فيه من الأدلة الواضحة على أعلمية صاحبه من الصحابة على الإطلاق فليفعل ابن حجر ما شاء ، فإنَّ نظارة التنقيب رقية عليه ، والله من ورائه حسيب .

المظهر الثالث : ومن الأدلة الواضحة عند ابن حجر على أنَّ الخليفة أعلم الصحابة على الإطلاق ما روى في الصواعق ص ١٩ عن عائشة مرسلًا أنَّها قالت : لما توفي رسول الله ﷺ : اشربأبُ النفاق ، أي رفع رأسه ، وارتدَّت العرب ، وانحازت الأنصار ، فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها ، أي فتتها ، فما اختلفوا في لفظة إلاَّ طار أبي بعثها وفصلها ، قالوا : أين ندفن رسول الله ﷺ ؟ فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما

من نبيّ يقبض إلّا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه . واختلفوا في ميراثه فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة .

ثمّ قال : قال بعضهم : وهذا أوّل اختلاف وقع بين الصحابة فقال بعضهم : ندفنه بمكة مولده ومنشأه ، وبعضهم بمسجده ، وبعضهم بالبقيع ، وبعضهم ببيت المقدس مدفن الأنبياء ، حتّى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم ، قال ابن زنجويه : وهذه سنة تفرّد بها الصديق من بين المهاجرين والأنصار ورجعوا إليه فيها .

قال الأميني : غاية ما في هذه المرسلة عن عائشة أنّ أبا بكر روى حديثين عن رسول الله ﷺ شدّت روايتهما عن الحضور في ذينك الموقفين ، فإن يكن بهما أبو بكر أعلم الصحابة على الإطلاق حتّى من لم يحضرهما ولو بنحو من التهجم والرجم بالغيب فكيف بمن روى آلاف مؤلّفة من الأحاديث شدّت عن أبي بكر روايتها جمعاء أو رواية أكثرها ؟ ومع ذلك لا يُعدّ أحدٌ منهم أعلم الصحابة أو أعلم من أبي بكر على الأقلّ .

أليس هو صاحب نادرة الأبّ والكلالة والجدّ والجدّتين إلى نوادر أخرى ؟ أليس هو الآخذ بالسنة الشريفة من نظراء المغيرة بن شعبه ومحمّد بن مسلمة وعبد الرحمن بن سهيل إلى أناس آخرين عاديّين ؟ .

كان ابن حجر يقيس الناس إلى نفسه ويحسبهم ولائد حَجَر لا يعقلون شيئاً وهم يسمعون ، ألا يقول الرجل ما الذي فهمه الصحابة من هتاف رسول الله ﷺ يوم هتف بقوله :

- ١ - ما بين قبري ومنبري روضةً من رياض الجنّة وقوله ﷺ :
- ٢ - ما بين بيتي ومنبري روضةً من رياض الجنّة . وقوله ﷺ :
- ٣ - ما بين حجرتي إلى منبري روضةً من رياض الجنّة . وقوله ﷺ :
- ٤ - ما بين المنبر وبيت عائشة روضةً من رياض الجنّة . وقوله ﷺ :

٥ - من سرّه أن يصلّي في روضة من رياض الجنة فليصل بين قبري ومنبري ؟ .

وهذه الأحاديث أخرجهما باللفظ الأوّل البخاري^(١) وأحمد ، وعبد الرزاق ، وسعيد بن المنصور ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والخطيب ، والبزار ، والطبراني ، والدارقطني ، وأبو نعيم ، وسمويه ، وابن عساكر من طريق جابر ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وأبي سعيد الخدري .

راجع تاريخ الخطيب ج ١١ ص ٢٢٨ ، ٢٩٠ ، إرشاد الساري للقسطلاني ج ٤ ص ٤١٣ وصحّح إسناده البزار وقال : عند البزار بسند رجاله ثقات ، كنز العمال ج ٦ ص ٢٥٤ ، شرح النووي لمسلم هامش الإرشاد ج ٦ ص ١٠٣ ، تحفة الباري في ذيل الإرشاد ج ٤ ص ٤١٢ ، وحكاة السمهودي في وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ عن الصحيحين ، وصحّحه من طريق البزار .

وأخرجها باللفظ الثاني البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وأحمد ، والدارقطني ، وأبو يعلى ، والبزار والنسائي ، وعبد الرزاق ، والطبراني ، وابن النجار ، من طريق جابر وعبد الله بن عمر ، وعبد الله المازني ، وأبي بكر .

راجع صحيح البخاري كتاب الصلّاة : باب فضل ما بين القبر والمنبر ، وكتاب الحجّ ، وصحيح مسلم كتاب الحجّ ، باب : فضل ما بين قبره ﷺ ومنبره ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٣٢٣ ، تمييز الطيب ص ١٣٩ ، فقال : متّفق عليه ، كنوز الدقائق ص ١٢٩ ، كنز العمال ج ٦ ص ٢٥٤ ، الجامع الصغير وصحّحه وقال : حديث متواتر كما في الفيض القدير ج ٥ ص ٤٣٣ ، تحفة الباري في ذيل الإرشاد ج ٤ ص ٤١٢ ، وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ وصحّحه بإسناد أحمد والبزار .

وأخرجه باللفظ الثالث أحمد ، والشاشي ، وسعيد بن منصور ، والخطيب من طريق جابر وعبد الله المازني كما في تاريخ الخطيب ج ٣ ص ٣٦٠ ، وكنز العمال

(١) حكاة الأنصاري عن نسخة من صحيحه في تحفة الباري المطبوع في ذيل إرشاد الساري ج ٤ ص ٤١٢ .

ج ٦ ص ٢٥٤ ، وشرح النووي لمسلم هامش الإرشاد ج ٦ ص ١٠٣ .
واللفظ الرابع : تجده في الأوسط للطبراني من طريق أبي سعيد الخدري كما
في إرشاد الساري ج ٤ ص ٤١٣ ، ووفاء الوفا ج ١ ص ٣٠٣ .
والخامس منها أخرجه الديلمي من طريق عبيد الله بن لييد كما في كنز العمال
ج ٦ ص ٢٥٤ .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ١٩٣ : قلت : كيف اختلفوا في
موضع دفنه وقد قال لهم : فضعوني على سرير في بيتي هذا على شفير قبري .
وهذا تصريح بأنه دفن في البيت الذي جمعهم فيه وهو بيت عائشة . اهـ .
وهذا الحديث أخرجه ابن سعد ، وابن منيع ، والحاكم ، والبيهقي ،
والطبراني في الأوسط من طريق ابن مسعود كما في الخصائص الكبرى للحافظ
السيوطي ج ٢ ص ٢٧٦ .

أبى ابن حجر أن الصحابة بعد تلکم الأحاديث كانوا غير عارفين تلك
الروضة المقدسة التي أنبأهم بها نبيهم الأقدس ، وأمرهم بالصلاة عليها ؟ أو يراهم
أنهم عرفوا القبر والمنبر وما بينهما من الروضة ، ووقفوا على حدودها من كُتب أخذاً
منه عليه السلام ثم اختلفوا في المدفن الشريف ، فباح به أبو بكر فأصبح بذلك أعلمهم
على الإطلاق ؟ .

على أنه لو صحت رواية الدفن لوجب أن يوح بها رسول الله عليه السلام لمن
أوصاه بغسله ودفنه^(١) لمن ولي غسله وكفنه وإجنازه^(٢) لمن يعلم أنه يباشر دفنه
ويولي إجنازه في منتصف الليل من دون حضور غير أهله كما مر في ص ٩٠ لا الذي
يغيب عن ذلك المشهد ، وغلبت على أجفانه عند ذاك سنة الكرى ، وتعين
المدفن من أهم ما يوصى به عند كل أحد فضلاً عن سيد البشر ، وهذا الاعتبار
يعاضد ما أخرجه أبو يعلى من حديث عائشة أيضاً وإن يعارض حديثها عن أبيها .

(١) طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٧٩٨ ، ٨٠١ ، الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٢) طبقات ابن سعد ص ٧٩٨ .

قالت : اختلفوا في دفنه (ﷺ) فقال علي : إِنَّ أَحَبَّ البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيّه .

[الخصائص ج ٢ ص ٢٧٨]

ولعلّ تجاه هذا الحديث اختلفت رواية الدفن .

ولو كان عند دفن جثمان القداسة حواراً كما وصفه ابن حجر لتناقضته الألسن وتداولته السير والمدونات نقلاً عن الصحابة الحضور يوم ذاك الواقفين على الجلبة ، والمستمعين للغط ، ولما اختصّت بوصفه صفحات الصواعق أو ما يشاكله من كتب المتأخرين ولا تفرّدت برواية شيء منها عائشة ، وكيف تفرّدت بها ؟ وهي التي تقول : ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل (١) .

ثمّ إنّ أوّل مفنّد لهذه السنّة المزعوم إطرادها هو مدفن أوّل الأنبياء آدم عليه السلام فإنه توفي بمكة ودفن عند الجبل الذي اهبط منه في الهند ، وقيل بجبل أبي قبيس بمكة (٢) .

وقد اشترى إبراهيم الخليل على نبيّنا وآله وعليه السلام مغارة في حبرون (٣) من عفرون بن صخر فدفن فيها سارة ثمّ دفن فيها هو وابنه إسحاق .

وتوفي يعقوب عليه السلام في مصر واستأذن يوسف سلام الله عليه ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله فأذن له وخرج معه أكابر مصر فدفنه في المغارة بحبرون (٤) .

المظهر الرابع : أمّا رواية الإرث فسرعان ما ناقض ابن حجر فيها نفسه .

(١) راجع ما مرّ في ٩٠ .

(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ٨٠ ، ٨١ ، العرائس للثعلبي ص ٢٩ ، الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢٢ ، تاريخ ابن كثير ج ١ ص ٩٨ .

(٣) في تاريخ الطبري : جيرون . والصحيح : حبرون .

(٤) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٦١ ، ١٦٩ ، معجم البلدان ج ٣ ص ٢٠٨ ، تاريخ ابن كثير ج ١ ص ١٧٤ ، ١٩٧ ، ٢٢٠ .

فتراه يحسب ههنا في ص ١٩ : أنها مختصة بأبي بكر ، وهي من الأدلة الواضحة على أعلميته ، وهو يعتقد في صفحة ٢١ : إنه رواها علي والعباس وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد وأمّهات المؤمنين وقال : كلهم كانوا يعلمون أن النبي ﷺ قال ذلك : وإن أبا بكر إنما انفرد باستحضاره أولاً ثم استحضره الباقون .

ما هذا التهافت بين كلامي الرجل ؟ وما أذهله أخيراً عما جاء به أولاً ؟ وهل الأعلمية مترشحة من محض الاستحضار أولاً ؟ أو السبق إلى التهافت به ؟ وكل منهما كما ترى لا يفيد مزية إلا في الحفظ دون العلم .

ثم لو كان رسول الله ﷺ قال ذلك لوجب أن يفشيه إلى آله وذويه الذين يدعون الوراثة منه ليقطع معاذيرهم في ذلك بالتمسك بعمومات الإرث من أي القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فلا يكون هناك صخبٌ وحوارٌ تتعقبهما محنٌ وإحـنٌ ، ولا تموت بضعة الطاهرة وهي واجدة على أصحاب أبيها^(١) ويكون ذلك كله مثاراً للبغضاء والعداء في الأجيال المتعاقبة بين أشياع كل من الفريقين ، وقد بُعث هو ﷺ لكسح تلك المعرّات وعقد الإخاء بين الأمم والأفراد .

ألم يكن ﷺ على بصيرة ممّا يحدث بعده من الفتن الناشئة من عدم إيقاف أهله وذويه على هذا الحكم المختص به ﷺ المخصّص لشرعة الإرث ؟ حاشاه . وعنده علم المنايا والبلايا والقضايا والفتن والملاحم .

وهل ترى أن دعوى الصديق الأكبر أمير المؤمنين وحليلته الصديقة الكبرى . صلوات الله عليهما وآلهما على أبي بكر ما استولت عليه يده ممّا تركه النبي ﷺ من ماله كانت بعد علم وتصديق منهما بتلك السنة المزعومة صفحاً منهما عنها لاقتناء حطام الدنيا ؟ أو كانت عن جهلٍ منهما بما جاء به أبو بكر ؟ نحن نقدرُ ساحتها [أخذاً بالكتاب والسنة] عن علمٍ بسنة ثابتة والصفح عنها ، وعن جهلٍ يربكهما في الميزان .

(١) سيوافيك في هذا الجزء تفصيل ذلك .

ولماذا يُصدَّق أبو بكر في دعواه الشاذة عن الكتاب والسنة ، فيما لا يُعلم إلا من قِبَل ورثته عليه السلام ووصيِّه الذي هتَفَ عليه السلام به وبوصايته من بدء دعوته في الأندية والمجتمعات^(١) ، ولم تكن أذن واعية لدعوى الصديقة وزوجها الطاهر يكون فذك نحلة لها من رسول الله عليه السلام وهي لا تُعلم إلا من قِبَلهما ؟ قال مالك بن جعونة عن أبيه أنه قال : قالت فاطمة لأبي بكر : إن رسول الله ﷺ جعل لي فذك فأعطني إياها ، وشهد لها عليُّ بن أبي طالب ، فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أم أيمن : فقال : قد علمت يا بنت رسول الله ! أنه لا تجوز إلا رجلين أو رجل وامرأتين وانصرفت .

وفي رواية خالد بن طهمان : إن فاطمة رضي الله عنها قالت لأبي بكر رضي الله عنه : أعطني فذك فقد جعلها رسول الله ﷺ لي فسألها البيِّنة فجاءت بأم أيمن ورباح مولى النبي ﷺ فشهد لها بذلك فقال : إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين^(٢) .

ثمَّ مِمَّ كان غضب الصديقة الطاهرة سلام الله عليها ؟ وهي التي جاء فيها عن أبيها الأقدس : أن الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها^(٣) أمِنَ حكم صدَّع به والدها وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيُّ يوحى ؟ وحاشاها . أم لأن ذلك الحكم البات رواه عنه صديق أمين يريد بثَّ حكم الشريعة وتنفيذه وهي مصدِّقة له ؟ نحاشي ساحة البضعة الطاهرة بنصَّ آية التطهير عن هذه الخزية ، فلم يبق إلا شقُّ ثالث وهو : أنها كانت تتهم الراوي ، أو تعتقد خللاً في الرواية ، وتراه حكماً خلاف الكتاب والسنة ، وهذا الذي دعاها إلى أن لاثت خمارها على رأسها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذبولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ، ثم أنت أنة أجش لها القوم بالبكاء ، وارتجَّ المجلس ، ثم مهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم ، وهدأت فورتهم ، افتتحت

(١) راجع الجزء الثاني صفحة ٣٢٣ .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٨ .

(٣) راجع ج ٣ ص ٤٠ وسيأتيك في هذا الجزء .

كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ . ثم قالت ما قالت وفيما قالت : أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ يا بن أبي قحافة ! أترث أباك ولا أترث أبي ؟ لقد جئت شيئاً فرياً ، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشر ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والوعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون . ثم انكفأت إلى قبر أبيها ﷺ فقالت :

قد كان بعدك أنباء وهنبة لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب
إننا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
فليت بعدك كان الموت صادفنا لما قضيت وحالت دونك الكتب^(١)

وهذا الذي تركها غضباء على من خالفها وتدعو عليه بعد كل صلاة حتى لفظت نفسها الأخيرة صلى الله عليها كما سيوافيك تفصيله .

وهل هذا الحكم مطرد بين الأنبياء جميعاً ؟ أو أنه من خاصة نبينا ﷺ ؟ والأول ينقضه الكتاب العزيز بقوله تعالى : ﴿ وورث سليمان داود ﴾^(٢) وقوله سبحانه عن زكريا : ﴿ فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾^(٣) .

ومن المعلوم أن حقيقة الميراث إنتقال ملك الموروث إلى ورثته بعد موته بحكم المولى سبحانه ، فحمل الآية الكريمة على العلم والنبوة كما فعله القوم خلاف الظاهر لأن النبوة والعلم لا يورثان ، والنبوة تابعة للمصلحة العامة ، مقدرة لأهلها من أول يومها عند بارئها ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولا مدخل للنسب فيها كما لا أثر للدعاء والمسألة في اختيار الله تعالى أحداً من عباده نبياً ، والعلم موقوف على من يتعرض له ويتعلمه .

على أن زكريا سلام الله عليه إنما سأل ولياً من ولده يحجب مواليه « كما هو

(١) بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٩٣ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٨ .

(٢) سورة النمل ؛ الآية : ١٦ .

(٣) سورة مريم ؛ الآية : ٦ .

صريح الآية» من بني عمّه وعصبته من الميراث ، وذلك لا يليق إلاّ بالمال ، ولا معنى لحجب الموالي عن النبوة والعلم .

ثم إن إشتراطه ﷺ في وليّه الوارث كونه رضىً بقوله : ﴿واجعله ربّ رضىً﴾ . لا يليق بالنبوة ، إذ العصمة والقداسة في النفسيات والملكات لا تفارق الأنبياء ، فلا محصل عندئذ لمسألته ذلك . نعم يتم هذا في المال ومن يرثه فإنّ وارثه قد يكون رضىً وقد لا يكون .

وأما كون الحكم من خاصّة رسول الله ﷺ فالقول به يستنزم تخصيص عموم آي الإرث مثل قوله تعالى : ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين﴾^(١) ، وقوله سبحانه : ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾^(٢) ، وقوله العزيز : ﴿إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين والأقربين بالمعروف﴾^(٣) ولا يسوغ تخصيص الكتاب إلاّ بدليل ثابت مقطوع عليه لا بالخبر الواحد الذي لم يصحّ الأخذ بعموم ظاهره لمخالفته ما ثبت من سيرة الأنبياء الماضين صلوات الله على نبينا وآله وعليهم .

لا بالخبر الواحد الذي لم يخبت إليه صدّيقة الأئمة وصدّيقها الذي ورث علم نبّيها الأقدس ، وعدّه المولى سبحانه في الكتاب نفساً لنبيّه صلى الله عليهما وآلهما .

لا بالخبر الواحد الذي لم يُنبأ عنه قطّ خبيرٌ من الأئمة وفي مقدّمها العترة الطاهرة وقد اختصّ الحكم بهم وهم الذين رُحزحوا به عن حكم الكتاب والسنة الشريفة ، وحرّموا من وراثه أبيهم الطاهر ، وكان حقّاً عليه ﷺ أن يخبرهم بذلك ، ولا يؤخر بيانه عن وقت حاجتهم ، ولا يكتمه في نفسه عن كل أهله وذويه وصاحبته وأمّته إلى آخر نفس لفظه .

لا بالخبر الواحد الذي جرّ على الأئمة كلّ هذه المحن والإحن ، وفتح عليها

(١) سورة النساء ؛ الآية : ١١ .

(٢) سورة الأنفال ؛ الآية : ٧٥ .

(٣) سورة البقرة ؛ الآية : ١٨٠ .

باب العداء المحتدم بمصراعيه ، وأجج فيها نيران البغضاء والشحناء في قرونها الخالية ، وشق عصا المسلمين من أول يومهم ، وأقلق من بينهم السلام والوئام وتوحيد الكلمة . جزى الله محدثه عن الأمة خيراً .

ثم إن كان أبو بكر على ثقة من حديثه فلم ناقضه بكتاب كتبه لفاطمة الصديقة سلام الله عليها ، بفذك ؟ غير أن عمر بن الخطاب دخل عليه فقال : ما هذا ؟ فقال : كتاب كتبه لفاطمة بميراثها من أبيها . فقال : ممّا ذا تنفق على المسلمين ، وقد حاربتك العرب كما ترى ؟ ثم أخذ عمر الكتاب فشقه . ذكره سبط ابن الجوزي كما في السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩١ .

وإن كان صحّ الخبر وكان الخليفة مصدّقاً فيما جاء به تلکم الآراء المتضاربة بعد الخليفة ؟ وإليك شطراً منها :

١ - لما ولي عمر بن الخطاب الخلافة ردّ فذكاً إلى ورثة رسول الله ﷺ فكان عليّ بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها . فكان عليّ يقول : إن رسول الله ﷺ جعلها في حياته لفاطمة . وكان العباس يأبى ذلك ويقول : هي ملك رسول الله وأنا وارثه . فكانا يتخاصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول : أنتما أعرف بشأنكما أمّا أنا فقد سلّمتهما إليكما .

راجع صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب فرض الخمس ج ٥ ص ٣-١٠ ، صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب : حكم الفبيء ، الأموال لأبي عبيد ص ١١ ذكر حديث البخاري وبتره ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٢٩٩ ، معجم البلدان ج ٦ ص ٣٤٣ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٨٨ ، تاج العروس ج ٧ ص ١٦٦ ،

لفت نظر : نحن لا نناقش فيما نجده من المخازي في أحاديث الباب كأصل التنازع المزعوم بين ، عليّ والعباس ، وما جاء في لفظ مسلم في صحيحه من قول العباس لعمر : يا أمير المؤمنين ! اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن .

أهكذا كان العباس يقذف سيّد العترة الطاهرة المطهّر بهذا السباب المقذع وبين يديّة آية التطهير وغيرها ممّا نزل في عليّ أمير المؤمنين في آي الكتاب العزيز؟ فما العباس وما خطره عندئذ؟ وبماذا يُحكم عليه أخذاً بقول النبيّ الطاهر: من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله كبّه الله على منخره في النار^(١).

لاها الله. نحن نحاشي العباس عن هذه النسب المخزية، ونرى القوم راقهم سبّ مولانا أمير المؤمنين فنحتوا هذه الأحاديث وجعلوها للنيل منه قنطرة ومعدرة والله يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون. وإلى الله المشتكى.

٢ - أقطع مروان بن الحكم فداً في أيام عثمان بن عفان كما في سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠١ وما كان إلّا بأمر من الخليفة.

٣ - لمّا ولي معاوية بن أبي سفيان الأمر أقطع مروان بن الحكم ثلث فداً، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن عليّ فلم يزالوا يتداولونها حتّى خلصت لمروان بن الحكم أيام خلافته فوهبها لعبد العزيز إبّنه فوهبها عبد العزيز لابّنه عمر بن عبد العزيز.

٤ - ولمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب فقال: إنّ فداً كانت ممّا أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب فسألته إيّاها فاطمة فقال: ما كان لك أن تسأليني وما كان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل، ثمّ ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ﷺ ثمّ ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك فصارت لي وللوليد وسليمان فلمّا ولي الوليد سأله حصّته منها فوهبها لي، وسألت سليمان حصّته منها فوهبها لي فاستجمعتها، وما كان لي من مال أحبّ إليّ منها، فاشهدوا أنّي قد رددتها إلى ما كانت عليه.

٥ - فكانت فداً بيد أولاد فاطمة مدّة ولاية عمر بن عبد العزيز فلمّا ولي

(١) مر الإيعاز إليه في الجزء الثاني ص ٣٤٧ وسيوافيك تفصيل مصادره إن شاء الله.

يزيد بن عبد الملك قبضها منهم فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها حتى انتقلت الخلافة عنهم .

٦ - ولما ولي أبو العباس السفاح ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي أمير المؤمنين .

٧ - ثم لما ولي أبو جعفر المنصور قبضها من بني الحسن .

٨ - ثم ردها المهدي بن المنصور على ولد فاطمة سلام الله عليها .

٩ - ثم قبضها موسى بن المهدي وأخوه من أيدي بني فاطمة فلم تنزل في أيديهم حتى ولي المأمون .

١٠ - ردها المأمون على الفاطميين سنة ٢١٠ وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة :

أما بعد : فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسوله ﷺ والقراية به ، أولى من استن بسنته ، ونفذ أمره ، وسلم لمن منحه منحة ، وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته ، وإليه - في العمل بما يقرب إليه - رغبته ، وقد كان رسول الله ﷺ أعطى فاطمة بنت رسول الله فذكاً ، وتصدق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ﷺ ، ولم تنزل تدعي منه ما هو أولى به من صدق عليه ، فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها ، ويسلمها إليهم تقرّباً إلى الله تعالى بإقامة حقّه وعدله ، وإلى رسول الله ﷺ بتنفيذ أمره وصدقته ، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه ، والكتاب إلى عماله ، فلئن كان ينادى في كل موسم بعد أن قبض نبيّه ﷺ أن يذكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك ، فيقبل قوله ، وتنفذ عدته ، أن فاطمة رضي الله عنها لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله ﷺ لها .

وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برّد فذك على ورثة فاطمة بنت رسول الله ﷺ بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها ، وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك ، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها .

فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين ، وما ألهمه الله من طاعته ، ووفقه له من التقرب إليه وإلى رسول الله ﷺ ، وأعلمه من قبلك ، وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري ، وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله ، والسلام .

وكتب يوم الأربعاء ليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ٢١٠ هـ .

١١ - ولما استخلف المتوكل على الله أمر بردها إلى ما كانت عليه قبل المأمون .

راجع فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٩ - ٤١ ، تاريخ يعقوبي ج ٣ ص ٤٨ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٣٢٣ ، معجم البلدان ج ٦ ص ٣٤٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٢٠٠ وله هناك تحريف دعه إليه شنشنة أعرفها من أخزم ، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٠٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٤ ، جمهرة رسائل العرب ج ٣ ص ٥١٠ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢١١ .

كل هذه تضاد ما جاء به الخليفة من خبره الشاذ عن الكتاب والسنة ، فأني لابن حجر ومن لف لفه أن يعدّه من الأدلة الواضحة على علمه وهذا شأنه ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟ .

التمسك بالأفائك :

والعجب العجاب قول ابن حجر في الصواعق ص ٢٠ : لا يُقال بل عليّ أعلم من أبي بكر للخبر الآتي في فضائله : أنا مدينة العلم وعليّ بابها . لأننا نقول : سيأتي أنّ ذلك الحديث مطعون فيه ، وعلى تسليم صحته أو حسنه فأبو بكر محرابها . ورواية فمن أراد العلم فليأت الباب لا تقتضي الأعلمية فقد يكون غير الأعلم يُقصد لما عنده من زيادة الإيضاح والبيان والتفرغ للناس بخلاف الأعلم . على أنّ تلك الرواية معارضة بخبر الفردوس : أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ،

وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ، وعلي بابها . فهذه صريحة في أن أبا بكر أعلمهم ، وحينئذ فالأمر بقصد الباب إنما هو لنحو ما قلناه لا لزيادة شرفه على ما قلته لما هو معلوم ضرورة أن كلاً من الأساس والحيطان والسقف أعلى من الباب . اهـ .

قال الأميني : إنَّ الطعن في حديث أنا مدينة العلم لم يصدر إلا من ابن الجوزي ومن يشاكله من رماة القول على عواهنه ، وقد عرفت في الجزء السادس ص ٨٣ - ١٠٤ نصوص العلماء على صحّة الحديث ، واعتبار قوم حسنه ، وتقرير آخرين ما صدر ممّن تقدّمهم إلى ذينك الوجهين وتزييف ما ارتآه ابن الجوزي .

وأما ما ذكره من رواية الفردوس فلا يختلف اثنان في ضعفها وضعف ما يقاربها في اللفظ ممّا تدرّج نحته في الأزمنة المتأخرة تجاه ما يثبتته هتاف النبي الأعظم من فضيلة العلم الراية لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وابن حجر نفسه من أولئك الذين زيّفوه وحكموا عليه بالضعف كما في كتابه الفتاوى الحديثية ص ١٩٧ فقال : حديث ضعيف ، ومعاوية حلقتهما فهو ضعيف أيضاً . فأذهله لجاحه في حجاجه عن حكمه ذاك ، ورأى ما حكم عليه بالضعف نصّاً في أعلمية أبي بكر .

وقال العجلوني في كشف الخفا ج ١ ص ٢٠٤ : روى الديلمي في «الفردوس» بلا إسناد عن ابن مسعود رفعه : أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ؛ وعلي بابها . وروى أيضاً عن أنس مرفوعاً : أنا مدينة العلم ، وعلي بابها ، ومعاوية حلقتهما . قال في المقاصد : وبالجمله فكلّها ضعيفة وألفاظ أكثرها ركيكة .

وقال السيّد محمّد درويش الخوت في أسنى المطالب ص ٧٣ : أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها وذلك لا ينبغي ذكره في كتب العلم لا سيّما مثل ابن حجر الهيثمي ذكر ذلك في الصواعق والزواجر وهو غير جيّد من مثله . اهـ .

فلم يبق إذن مجالاً للمناقشة بالتعبير بالباب لمولانا صلوات الله عليه

وبالأساس والحيطان والسقف والحلقة لغيره ، حسب المسكين ناحت هذه المهزأة مدينةً خارجيّة يرمق إليها ، ويتجوّل بين جدرانها ، ويتفياً تحت سقفها ، ويدقّ بابها بالحلقة ، وقد عزب عنه أنّه عليه السلام يريد أنّ السبب الوحيد للإستفادة من علوم النبوة هو خليفته مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، كما أنّ المدخل الوحيد للمدينة بابها ، فهو معنى كنائيّ جيء به لإفادة ما ذكرناه ، والأساس لافضيلة له غير أنّه يقوم عليه سياج المدينة المشاد للوقاية من الغارات والسرقات ، وأمّا معنويّات المدينة فلا صلة لها بشيء من ذلك ، والإستفادة بالسقف على فرض تصويره في المدين ليس إلّا الإستظلال ودفع عائدة الحرّ والقرّ ولذلك لا يسقف إلّا المحال التي يتصور فيها ذلك كالبيوت والحمامات والحوانيت والربط وأمثالها . فقاصد المدينة للإستفادة ممّا فيها من علمٍ أو ثروة أو أيّ من أقسام النفع معنويّة وماديّة لا يتوصّل بها إلّا بالدخول من الباب ، فهو أهمّ ممّا جاء به ابن حجر من الأساس والجدار والسقف . وأمّا الحلقة فيحتاج إليها لفتح الباب وسدّه والدقّ إذا كان مرتجاً غير أنّ باب علم النبوة غير موصود ، ولا يزال مفتوحاً على البشر بمصراعيه أبد الدهر .

ثمّ إنّ من الواضح أنّ المراد من التعبير بالباب ليس الولوج والخروج فحسب وإنّما هو الإستفادة والأخذ ، ولا يتمّ هذا إلّا أن يكون عنده كلّ علم النبوة الذي أراد عليه السلام سوق الأمة إليه ، وحصر الطريق إلى ذلك بمن عبّر عنه بالباب تأكيداً للحصر ثمّ زاد في التأكيد بقوله : فمن أراد المدينة فليأت الباب .

فعليّ أمير المؤمنين هو الباب المبتلى به الناس ، ومن عنده كلّ علم النبوة وكلّ ما يحتاج إليه البشر من فقه أو عظة أو خلق أو حكم أو حزم أو سياسة أو حزم أو عزم ، فهو أعلم الناس لا محالة ، وأمّا زيادة الإيضاح والبيان والتفرّع للناس ، فلا يجوز أن تنفك عمّن سيق إليه البشر لغاية التفهّم ، وإزاحة الجهل ، لا لمحض البيان وجودة السرد ، لأنّ وضوح البيان بمجرّده غير واف للغرض ، لارتباك صاحبه عند الجهل بما يقدّم إليه من المعضلات ، كارتباك الأعم عند التفهيم إذا أعوزه البيان عن الإفهام ، فمن الواجب أن يجتمعا في إنسان واحد الذي هو مرجع الأمة جمعاء ، وهو قضية اللطف الواجب عليه سبحانه ، فذلك

الإنسان هو عدل الكتاب العزيز وهما الثقلان خليفتا النبي الأقدس لا يتفرقا حتى يردا عليه الحوض ، ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (١) .

٢ - شجاعة الخليفة

لم يؤثر عن الخليفة قبل الإسلام مشهد يدل على فروسيته ، كما أنه لم نجد له في مغازي النبي ﷺ مع كثرتها وشهوده فيها موقفاً يشهد له بالبسالة ، أو وقفة تعطل له الذكر في التاريخ ، أو خطوة قصيرة في ميادين تلك الحروب الدامية تُعرب عن شيء من هذا الجانب الهام غير ما كان في واقعة خيبر من فراره عن مناضلة مرحب اليهودي كصاحبه عمر بن الخطاب ، قال عليّ وابن عباس : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى خيبر فرجع منهزماً ومن معه ، فلما كان من الغد بعث عمر فرجع منهزماً يُجبن أصحابه ويُجنبه أصحابه .

أخرجه الطبراني والبرّار كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٤ ورجال إسناده البرّار رجال الصحيح غير محمد بن عبد الرحمن ومحلّه الصدق ، وذكر انهزام الرجلين يوم خيبر القاضي عضد الإيجي في المواقف وأقرّه شراحه كما في شرحه ج ٣ ص ٢٧٦ ، وذكره القاضي البيضاوي في طوابع الأنوار كما في المطالع ص ٤٨٣ .

ويُعرب عن فرارهما يوم ذاك قول رسول الله ﷺ بعد ما فرّا : لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّ الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرار . وفي لفظ : كرّار غير فرار . وفي لفظ : والذي كرّم وجهه محمّد لأعطينها رجلاً لا يفرّ ، وفي لفظ : لأدفعنّ إلى رجل لن يرجع حتى يفتح الله له . وفي لفظ : لا يولي الدبر (٢) .

(١) سورة الكهف ؛ الآية : ٢٩ .

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٩١ ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٤ ، طبقات ابن سعد ص ٦١٨ ، ٦٣٠ رقم التسلسل ط مصر ، مسند أحمد ج ١ ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، خصائص النسائي ص ٤ - ٨ ، سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٨٦ ، مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٠٩ ، حلية الأولياء ج ٢ ص ٦٢ ، اسد الغابة ج ٤ ص ٢١ ، الإمتاع للمقريزي =

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي فيما يعزى إليه من القصيدة العلوية :

وما أنسَ لا أنسَ اللذين تقدّما وفرّهما والفرّ قد علما حوب^(١)
وللراية العظمى وقد ذهبابها ملابس ذلّ فوقها وجلابيب
يشلّهما من آل موسى شمردلّ طويل نجاد السيف أجيد يعبوب^(٢)
يمجّ منونا سيفه وسنانه ويلهب ناراً غمده والأنابيب
أحضرهما أم حضر أخرج خاضب وذان هما أم ناعم الخد مخضوب^(٣)
عذرتكما إن الحمام لمبغض وإن بقاء النفس للنفس محبوب
ليكره طعم الموت والموت طالب فكيف يلدّ الموت والموت مطلوب

ومما ينبئنا عن هذا الجانب حديث كعّ الخليفة عن ذي الثدية لما أمره رسول الله ﷺ بقتله وهو في صلاته غير شاك السلاح ، فرأى مخالفة الأمر النبويّ أهون من قتل الرجل ، فأب إليه عليه السلام معتذراً بما سيوافيك تفصيله إن شاء الله ،

نعم يراه ابن حزم في كتاب «المفاضلة بين الصحابة» ومن لفّ لفّه أشجع الصحابة على الإطلاق ونحتوا له حديثاً على أمير المؤمنين أنّه قال : أخبروني من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت ، قال : أما إني ما بارزت أحداً إلّا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس ؟ قالوا : لا نعلم : فمن ؟ قال : أبو بكر ، إنّه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحدٌ من المشركين ؟ فوالله ما دنا منا أحدٌ إلّا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس

= ص ٣١٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ١٨٥ - ١٨٧ ، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٢٧ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٨٤ - ١٨٨ . وهناك مصادر كثيرة تأتي في محلها إن شاء الله تعالى .

(١) الحوب : الإثم .

(٢) شمردل مرّ في ص ٦٨ ، يريد من طول النجاد طول القامة . الأجد : الطويل الجيد وهو العنق . العيوب : الفرس الكثير الجري . أطلق على مرحب هذه اللفظة لشدة وسرعة حركته .

(٣) الحضر : العدو . الاخرج : ذكر النعام الذي فيه بياض وسواد . الخاضب : الذي أكل الربيع فاحمرّ طنبوباه أو اصفر . ناعم الخد مخضوب : كناية عن المرأة . يعني : هما رجلان أم امرأتان في ضعفهما ورقة قلوبهما ؟ ! .

رسول الله لا يهوي إليه أحدٌ إلا هوى إليه ، فهو أشجع الناس . الحديث (١) .

ليت القوم لم يحذفوا سند هذه الأثرية المفتعلة وكانوا يروونها بالإسناد حتى نعرف الملاء العلمي بالذي اختلقها ، وحسبنا أن الحافظ الهيثمي ذكرها بلا إسناد في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٦١ وضعفه وقال : فيه من لم أعرفه .

وتكذبها صحيحة ابن إسحاق قال : كان رسول الله ﷺ «يوم بدر» في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشح بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كره العدو (٢) .

ثم إن حراسة النبي ﷺ لم تكن تنحصر بيوم بدر ولا بأبي بكر بل في كل موقف من مواقفه ﷺ كان يتعهد أحد من الصحابة بحراسته ، فكانت الحراسة لسعد بن معاذ ليلة بدر وفي يومه لأبي بكر على ما ذكره الحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٥٣ ، ولمحمد بن مسلمة يوم أحد ، وللزبير بن العوام يوم الخندق ، وللمغيرة بن شعبة يوم الحديبية ، ولأبي أيوب الأنصاري ليلة بنى بصفية ببعض طرق خيبر ، ولبلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد قيس بوادي القرى ، ولابن أبي مرثد الغنوي ليلة وقعة حنين (٣) .

وكانت هذه السيرة في الحراسة مستمرة إلى أن نزل قوله تعالى في حجة الوداع ﴿والله يعصمك من الناس﴾ . فترك الحرس (٤) فأبو بكر رديف أولئك الحرس بعد تسليم ما جاء في حراسته .

ولو صدق النبأ وكانت يوم بدر لأبي بكر تلك الأهمية الكبرى لكان هو أولى

(١) الرياض النضرة ج ١ ص ٩٢ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥ .

(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) عيون الأثر ج ٢ ص ٣١٦ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٨٣ ، السيرة الحلبي ج ٣ ص ٣٥٤ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٤ .

(٤) مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣١٣ ، تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٤٤ ، تفسير ابن جزى الكلبي ج ١ ص ١٧٣ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٨ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٢٦ عن الترمذي والحاكم والبيهقي وأبي نعيم .

وأحقّ بنزول القرآن فيه يوم ذاك دون عليّ وحمزة وعبيدة لما نزل فيهم ذلك اليوم : ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ (١)(٢) .

ولو صحّت المزعمة لما خُصَّ عليّ وحمزة وعبيدة بقوله تعالى : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ (٣)(٤) .

ولما نزل في عليّ أمير المؤمنين قوله تعالى : ﴿هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين﴾ (٥) . ولما ورد فيها عن النبيّ الأعظم ممّا أسلفناه بالجزء الثاني ص ٦٤ - ٦٩ .

ولما خُصَّ لمولانا عليّ قوله : ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ (٦) ، كما ذكره القرطبي في تفسيره ج ٣ ص ٢١ وفصلنا القول فيه في الجزء الثاني ص ٦٥ - ٦٧ .

وكان حقّاً على رضوان منادي الله يوم بدر بقوله :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

أن ينوّه باسم أبي بكر وبسيفه المشهور على رأس رسول الله ﷺ ثم هل تنحصر مغازي النبيّ الأعظم وحروبه الدامية ببدر؟ وهل العريش كان في بدر فحسب دون سائر الغزوات؟ وهل سيّد العريش النبيّ الأعظم كان يلازم عريشه ولم يحضر قطّ في ميادين القتال؟ أو كان ينزل بالمعارك ويستخلف صاحبه على العريش (٧) ؟

(١) سورة الحج ؛ الآية : ١٩ .

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٩٨ كتاب التفسير ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٥٥٠ ، طبقات ابن سعد ص ٥١٨ ، مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣٨٦ وصححه هو والذهبي ، تفسير القرطبي ج ١٢ ص ٢٥ ، ٢٦ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١٢ ، تفسير ابن جزري ج ٣ ص ٣٨ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٣) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢٣ .

(٤) راجع ما مرّ في الجزء الثاني ص ٧٠ .

(٥) سورة الأنفال ؛ الآية : ٦٢ .

(٦) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٧ .

(٧) راجع ما أسلفناه في الجزء الثاني صفحة ٧٨ - ٨٠ .

ما أعوز النبي الأعظم يوم خيبر مجاهد كَرَّارٌ غير فرَّار لا يولي الدبر ، وكان معه الخليفة الأشجع ؟ أكان فرَّاراً غير كَرَّار ؟ وَمَنْ المعني في قول المؤرخين من أنَّ النبي ﷺ دفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئاً^(١) ؟ أهذا الرجل وصاحبه نكرتان لا يُعرفان ؟ لاها الله .

وَأَيْن كان الأشجع ؟ يوم خرجت كتائب اليهود يقدمهم ياسر فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ في موقفه ، فاشتدَّ ذلك على رسول الله ﷺ وأمسى مهموماً^(٢) .

ولماذا بعث ﷺ يوم ذاك - وكان الأشجع معه - سلمة بن الأكوع إلى علي ؟ وكان قد تخلف بالمدينة لرمد عينيه ، وكان لا يبصر موضع قدمه فذهب إليه سلمة وأخذ بيده يقوده^(٣) وملأ المسامع قوله ﷺ لأعطين الراية إلى رجل كَرَّار غير فرَّار .

أكان الأشجع في العريش يوم خيبر؟ لَمَّا قاتل المصطفى بنفسه يوم ذاك أشدَّ القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر ، وهو على فرس يُقال له: الطرب^(٤) وفي يده قناة وترس كما في السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ .

أكان الأشجع في العريش يوم أحد يوم بلاء وتمحيص ؟ حتى خلص العدو إلى رسول الله فُدَّت بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته ، وشجَّ في وجهه ، وكلمت شفته ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم^(٥) .

(١) الإمتاع للمقريزي ص ٣١٣ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ .

(٢) الإمتاع للمقريزي ص ٣١٤ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ .

(٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٢ ، سنن البيهقي ج ٩ ص ١٣١ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٨٦ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤١ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٤) من أشهر خيله ﷺ وأعرفها ، سُمِّي بذلك لكبره أو لسمنه أو لقوته وصلابته تشبيهاً له بالجبل . قالوا : أهده له ﷺ فروة بن عمرو الجذامي . أو : ربيعة بن أبي البراء . أو : جنادة بن المعلی .

(٥) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٧ ، طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٤٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ =

أكان الأشجع في العريش ؟ يوم قال فيه علي : لَمَّا تَخَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ نَظَرْتُ فِي الْقَتْلَى فَلَمْ أَرِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا كَانَ لِيَفْرَ وَمَا أَرَاهُ فِي الْقَتْلَى ، وَلَكِنَّ اللَّهَ غَضِبَ عَلَيْنَا بِمَا صَنَعْنَا ، فَرَفَعَ نَبِيَّهُ ، فَمَا فِي خَيْرٍ مِنْ أَنْ أُقَاتَلَ حَتَّى أُقْتَلَ ، فَكَسَرْتُ جَفَنَ سَيْفِي ثُمَّ حَمَلْتُ عَلَى الْقَوْمِ فَأَفْرَجُوا لِي فَإِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ ، وَقَدْ أَصَابَتْ عَلِيًّا يَوْمَ ذَلِكَ سِتُّ عَشْرَةَ ضَرْبَةً كُلُّ ضَرْبَةٍ تَلْزِمُهُ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ يَرْفَعُهُ إِلَّا جَبْرِيلُ .

[اسد الغابة ج ٤ ص ٢٠]

أكان الأشجع في العريش يوم وقع رسول الله في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ؟ فأخذ علي بن أبي طالب بيده ﷺ واحتضنه ورفعته طلحة حتى استوى قائماً^(١) .

أكان الأشجع في العريش يوم رُئي رسول الله في ميدان النزال وهو لا يسر درعين : درعه ذات الفضول ودرعه فضة ، أو يوم حنين وله درعان : درعه ذات الفضول والسعدية .

[شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٢٤]

أكان الأشجع في العريش يوم ضرب وجه النبي بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها ؟ .

[المواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٤]

أكان الأشجع في العريش يوم بايع رسول الله على الموت ثمانية ؟ هم : علي ، والزبير ، وطلحة ، وأبو دجانة ، والحارث بن الصمة ، وحباب بن المنذر ، وعاصم بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، ورسول الله يدعوهم في إخراجهم .

[الإمتاع للمقريزي ص ١٣٢]

أكان الأشجع في العريش يوم كان علي يذب عن رسول الله من ناحية ، وأبو

= ص ٢٣ ، ٢٩ ، إمتاع المقريزي ص ١٣٥ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٣٧ .
(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٧ ، الإمتاع للمقريزي ص ١٣٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٢٤ ،
عيون الأثر ج ٢ ص ١٢ .

دجانة مالك بن خرشة من ناحية ، وسعد بن أبي وقاص يذب طائفة ، والحباب بن المنذر يحوش المشركين كما تُحاش الغنم ؟ .

[الإمتاع للمقرئ ص ١٤٣]

أكان الأشجع في العريش يوم حمي الوطيس ، وجلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار ؟ وأرسل إلى عليّ أن قدّم فقدّم عليّ وهو يقول : أنا أبو القصم^(١) .

أكان الأشجع في العريش يوم انتهى رسول الله إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنية فوالله صدقني اليوم ! يوم ملأ عليّ درقته ماءً من المهراس فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه ، وغسل عن وجهه الدّم وصبّ على رأسه ، وأخذت فاطمة (سلام الله عليها) قطعة حصير فأحرقته فألصقته عليه فاستمسك الدم^(٢) .

أكان الأشجع في العريش لما ملأ الفضاء نداء جبرائيل :
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ
أكان الأشجع في العريش يوم نظم حسان بن ثابت .

جبريل نادى معلناً والنقع ليس بمنجلي
والمسلمون قد أحدقوا حول النبي المرسل
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ^(٣)

أكان الأشجع في العريش يوم حمراء الأسد ؟ وقد خرج رسول الله ﷺ وهو مجروح في وجهه ، مشجوج في جبهته ، ورباعيته قد شظيت ، وشفته السفلى قد كلمت

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٩ ، شرح المواهب للزرقاني ج ٢ ص ٣١ .
(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٩٠ رقم التسلسل ٢٥٢ ، سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٤ ، ٥١ ، الإمتاع ص ١٣٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٣٥ ، عيون الأثر ج ٢ ص ١٥ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٥ ، شرح الزرقاني ج ٢ ص ٥٦ .
(٣) راجع ما مرّ في الجزء الثاني صفحة ٧٨ - ٨٠ .

في باطنها ، وهو متوهّن منكبه الأيمن من ضربة ابن قميثة ، وركبتاه مجحوشتان .
[طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٥٣]

أكان الأشجع في العريش يوم حُنين ؟ لَمّا حمي الوطيس وفرّ الناس عن النبي ﷺ ولم يبق معه إلا أربعة : ثلاثة من بني هاشم ورجلٌ من غيرهم : عليّ ابن أبي طالب والعبّاس وهما بين يديه ، وأبو سفيان بن الحارث أخذ بالعنان ، وابن مسعود من جانبه الأيسر ، ولا يقبل أحدٌ من المشركين إلى جهته ﷺ إلاّ قتل .

[السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٣]

أكان الأشجع في العريش يوم الأحزاب ؟ وكان رسول الله ﷺ ينقل مع صحبه من تراب الخندق وقد وارى التراب بياض بطنه ويقول :

لا همّ لولا أنت ما هتدينا ولا تصدّقنا ولا صليّنا
فأنزلن سكينه علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا
إنّ الأولي قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

[طبقات ابن سعد رقم التسلسل ٥٧٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٩٦]

أكان الأشجع في العريش يوم قال ﷺ : لضربة عليّ خيرٌ من عبادة الثقلين وفي لفظ : قتل عليّ لعمرؤ أفضل من عبادة الثقلين . وفي لفظ : لمبارزة عليّ لعمرؤ بن ودّ أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة^(١) ؟ .

نعم . للرجل موقفٌ يوم أحد لَمّا طلع يومئذ عبد الرّحمن بن أبي بكر (وكان من المشركين) فقال : من يبارز وارتنج يقول :

لم يبق إلاّ شكّة ويعبوب وصارم يقتل ضلّال الشيب

فنهض إليه أبو بكر رضي الله عنه وهو يقول : أنا ذلك الأشيب ثم ارتجز فقال :

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٢ ، المواقف للقاضي الإيجي ج ٣ ص ٢٧٦ ، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٨ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٤٩ وهناك كلمة رداً على ابن تيمية في رده على هذا الحديث ، هداية المرتاب في فضائل الأصحاب ص ١٤٨ .

لم يبق إلاّ حسبي وديني وصارمٌ تقضي به يميني
فقال له عبد الرحمن : لولا أنك أبي لم أنصرف .

[الإمتاع ص ١٤٤]

حجاج بالعريش :

قال المحاملي : كنت عند أبي الحسن بن عبدون وهو يكتب لبدر ، وعنده جمع فيهم أبو بكر الداودي وأحمد بن خالد المدرائي - فذكر قصة مناظرته مع الداودي في التفضيل إلى أن قال - : فقال الداودي : والله ما نقدر نذكر مقامات عليّ مع هذه العامة . قلت : أنا والله أعرفها : مقامه ببدر ، وأحد ، والخندق ، ويوم حنين ، ويوم خيبر . قال : فإن عرفتها ينفعني أن تقدّمه على أبي بكر وعمر ، قلت : قد عرفتها ومنه قدّمت أبا بكر وعمر عليه . قال : من أين ؟ قلت : أبو بكر كان مع النبي ﷺ على العريش يوم بدر مقامه مقام الرئيس ، والرئيس ينهزم به الجيش ، وعليّ مقامه مقام مبارز ، والمبارز لا ينهزم به الجيش .

ذكره الخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٢١ ، وابن الجوزي في المنتظم ج ٦ ص ٣٢٧ ، وأحسب أن مبتدع هذه الباكورة ، ومؤسس فكرة العريش والاستدلال بها في التفضيل هو الجاحظ قال في خلاصة كتاب العثمانية ص ١٠ : والحجة العظمى للقائلين بتفضيل عليّ قتله الأقران وخوضه الحروب ، وليس له في ذلك كبير فضيلة ، لأن كثرة القتل والمشي بالسيف إلى الأقران لو كان من أشد المحن وأعظم الفضائل وكان دليلاً على الرياسة والتقدم ، لوجب أن يكون للزبير وأبي دجانة ومحمد بن مسلمة وابن عفراء والبراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله ﷺ ! لأنه لم يقتل إلاّ رجلاً واحداً ولم يحضر الحرب يوم بدر ولا خالط الصفوف ، وإنما كان معزلاً عنهم في العريش ومعه أبو بكر . وأنت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الأقران ، ويجندل الأبطال ، وفوقه من العسكر من لا يقتل ولا يبارز وهو الرئيس ، أو ذو الرأي والمستشار في الحرب ، لأنّ للرؤساء من الإكتراث والاهتمام وشغل البال والعناية والتفقد ما ليس لغيرهم ، ولأنّ الرئيس هو المخصوص بالمطالبة وعليه مدار الأمور ، وبه يستبصر المقاتل ويستنصر ، وباسمه ينهزم

العدو ، ولو لم يكن له إلا أن الجيش لو ثبت وفرّ هو لم يغن ثبوت الجيش كلّه وكانت الدبرة عليه ، ولو ضيع القوم جميعاً وحفظ هو لانتصر وكانت الدولة له ، ولهذا لا يُضاف النصر والهزيمة إلا إليه . ففضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد عليّ ذلك اليوم وقتله أبطال قريش . اهـ .

قال الأميني : نحن لا ننس في الجواب عن هذه الأساطير المشمجة بينت شفة ، وإنما تقتصر فيه بما أجاب به عنها أبو جعفر الإسكافي المعتزلي البغدادي المتوفى سنة ٢٤٠ قال في الردّ عليها^(١) :

لقد أعطي أبو عثمان مقولاً وحرّم معقولاً ، إن كان يقول هذا على اعتقاد وجدّ ، ولم يذهب به مذهب اللعب واللهو ، أو على طريق التفاسيح والتشادق وإظهار القوّة والسلطة وذلاقة اللسان وحدّة الخاطر والقوّة على جدال الخصوم . ألم يعلم أبو عثمان أن رسول الله ﷺ كان أشجع البشر وأنه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الأبواب ، وبلغت القلوب الحناجر ؟ فمنها يوم أحد ووقوفه بعد أن فرّ المسلمون بأجمعهم ولم يبق معه إلا أربعة : عليّ . والزبير . وطلحة . وأبو دجانة ، فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيته نبله وانكسرت سيّة قوسه ، وانقطع وتره ، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال : يا رسول الله لا يبلغ الوتر ، فقال : أوتر ما بلغ . قال عكاشة : فوالذي بعثه بالحقّ لقد أوترت حتى بلغ وطويت منه شبراً على سيّة القوس ، ثم أخذها فما زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطّمت ، وبارز أبي بن خلف فقال له أصحابه : إن شئت عطف عليه بعضنا ؟ فأبى وتناول الحربه من الحارث بن السمّ ثم انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير قالوا : فتطايروا عنه تطاير الشعارين فطعنه بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور ، ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله : ﴿ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم ﴾ فكونه ﷺ في أخراهم وهم يصعدون ولا يلوون هاربين دليل على أنه ثبت ولم يفرّ . وثبت يوم حنين في تسعة من أهله ورهطه الأدينين ، وقد فرّ المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به ، العبّاس آخذ بحكمة

(١) رسائل الجاحظ ص ٥٤ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٧٥ .

بغلته ، وعليّ بين يديه مصلت سيفه ، والباقون حول بغلته يُمْنَةً ويُسْرَةً ، وقد انهزم المهاجرون والأنصار ، وكلّما فرّوا أقدم هو ﷺ وصمّم مستقدماً يلقي السيوف والنبال بنحره وصدره ، ثم أخذ كفّاً من البطحاء وحصب المشركين وقال : شأته الوجوه . والخبر المشهور عن عليّ وهو أشجع البشر : كنّا إذا اشتدّ البأس وحمي الوطيس إتّقينا برسول الله ﷺ ولذا به . فكيف يقول الجاحظ : إنّه ما خاض الحروب ولا خالط الصفوف ؟ وأيّ فرية أعظم من فرية من نسب رسول الله ﷺ إلى الإحجام واعتزال الحرب ؟ ثمّ أيّ مناسبة بين أبي بكر ورسول الله في هذا المعنى ؟ ليقبسه وينسبه إلى رسول الله صاحب الجيش والدعوة ورئيس الإسلام والملة ، والملحوظ بين أصحابه وأعدائه بالسيادة ، وإليه الإيماء والإشارة ، وهو الذي أحقّ قريشاً والعرب ، وورى أكبادهم بالبراءة من آلهتهم وعيب دينهم وتضليل أسلافهم ، ثمّ وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم ، وحقّ لمثله إذا تنحّى عن الحرب واعتزلها أن يتنحّى ويعتزل ، لأنّ ذلك شأن الملوك والرؤساء إذ كان الجيش منوطاً بهم وبيقاتهم ، فمتى هلك الملك هلك الجيش ، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه ، وإن عطب جيشه بأن يستجدّ جيشاً آخر ، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك الحرب بنفسه ، وخطأوا الإسكندر لما بارز فور ملك الهند ونسبوه إلى مجانبة الحكمة ومفارقة الصواب والحزم ، فليقلّ لنا الجاحظ : أيّ مدخل لأبي بكر في هذا المعنى ؟ ومن الذي كان يعرفه من أعداء الإسلام ليقصده بالقتل ؟ وهل هو إلّا واحدٌ من عرض المهاجرين حكمه حكم عبد الرّحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما ؟ بل كان عثمان أكثر منه صيتاً ، وأشرف منه مركباً ، والعيون إليه طمح ، والعدوُّ عليه أحقّ وأكلب . ولو قُتل أبو بكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثّر قتله في الإسلام ضعفاً ؟ أو يحدث وهناً ؟ أو يخاف على الملة لو قُتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تندرس وتُغفى آثارها وتنطمس منارها ؟ ليقول الجاحظ : إنّ أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله ﷺ في مجانبة الحروب وإعتزالها . نعوذ بالله من الخذلان . وقد علم العقلاء كلّهم ممّن له بالسير معرفة وبالأثار والأخبار ممارسة حال حروب رسول الله ﷺ كيف كانت ، وحاله عليه الصلّاة والسّلام فيها كيف كان ، ووقوفه حيث وقف وحربه حيث حارب ، وجلوسه في العريش يوم جلس ،

وَأَنْ وَقُوفَهُ ﷺ وَقُوفَ رِئَاسَةٍ وَتَدْبِيرٍ ، وَوَقُوفَ ظَهْرٍ وَسَنْدٍ ، يَتَعَرَّفُ أُمُورَ أَصْحَابِهِ وَيَحْرُسُ صَغِيرَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ بِوَقُوفِهِ مِنْ وَرَائِهِمْ وَتَخَلُّفِهِ عَنِ التَّقَدُّمِ فِي أَوَائِلِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ مَتَى عَلِمُوا أَنَّهُ فِي أَخْرَاهُمْ إِطْمَأَنَّتٌ قُلُوبِهِمْ وَلَمْ تَتَعَلَّقْ بِأَمْرِهِ نَفُوسُهُمْ ، فَيَسْتَغْلُوا بِالْإِهْتِمَامِ بِهِ عَنْ عَدُوهِمْ ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِتْنَةٌ يَلْجَأُونَ إِلَيْهَا وَظَهْرًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَتَى كَانَ خَلْفَهُمْ تَفَقَّدَ أُمُورَهُمْ وَعِلْمَ مَوَاقِفِهِمْ وَأَوَى كُلِّ إِنْسَانٍ مَكَانَهُ فِي الْحِمَايَةِ وَالنَّكَايَةِ وَعِنْدَ النَّازِلَةِ فِي الْكُرِّ وَالْحِمْلَةِ ، فَكَانَ وَقُوفُهُ حَيْثُ وَقَفَ أَصْلَحَ لَأَمْرِهِمْ ، وَأَحْمَى وَأَحْرَسَ لِبِضْتِهِمْ ، وَلَأنَّهُ الْمَطْلُوبُ مِنْ بَيْنِهِمْ ، إِذْ هُوَ مَدْبِرٌ أُمُورِهِمْ وَوَالِي جَمَاعَتِهِمْ ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ مَوْقِفَ صَاحِبِ اللِّوَاءِ مَوْقِفَ شَرِيفٍ ؟ وَأَنَّ صَلَاحَ الْحَرْبِ فِي وَقُوفِهِ ، وَأَنَّ فَضِيلَتَهُ فِي تَرْكِ التَّقَدُّمِ فِي أَكْثَرِ حَالَاتِهِ ، فَلِلرَّئِيسِ حَالَاتٌ : الْأُولَى : حَالَةٌ يَتَخَلَّفُ وَيَقِفُ آخِرًا لِيَكُونَ سِنْدًا وَقُوَّةً وَرَدَاءً وَعُدَّةً ، وَلِيَتَوَلَّى تَدْبِيرَ الْحَرْبِ وَيَعْرِفَ مَوَاضِعَ الْخُلَلِ . وَالحَالَةُ الثَّانِيَّةُ : يَتَقَدَّمُ فِيهَا فِي وَسْطِ الصَّفِّ لِيَقْوِيَ الضَّعِيفُ وَيُسْجَعَ النَّاكِسُ : وَحَالَةٌ ثَالِثَةٌ : وَهِيَ إِذَا اصْطَدَمَ الْفِيلَقَانِ ، وَتَكَافَحَ السِّيفَانِ ، إِعْتَمَدَ مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ مِنَ الْوُقُوفِ حَيْثُ يَسْتَصْلِحُ ، أَوْ مِنْ مَبَاشَرَةِ الْحَرْبِ بِنَفْسِهِ فَإِنَّهَا آخِرُ الْمَنَازِلِ وَفِيهَا تَظْهَرُ شَجَاعَةُ الشُّجَاعِ النُّجْدِ ، وَفَسَالَةُ الْجَبَانَ الْمَمُوءِ . فَأَيْنَ مَقَامُ الرِّئَاسَةِ الْعِظَمَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ وَأَيْنَ مَنَزَلَةُ أَبِي بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمَنَزَلَتَيْنِ ، وَبِنَاسِبِ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ ؟ وَلَوْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ شَرِيكًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الرِّسَالَةِ وَمَمْنُوحًا مِنَ اللَّهِ بِفَضِيلَةِ النُّبُوَّةِ ، وَكَانَتْ قَرِيشُ وَالْعَرَبُ تَطْلُبُهُ كَمَا تَطْلُبُ مُحَمَّدًا ﷺ ؟ لَكَانَ لِلْجَاحِظِ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ ، فَأَمَّا وَحَالُهُ وَهُوَ أَوْضَعُ الْمُسْلِمِينَ جَنَانًا وَأَقْلَهُمْ عِنْدَ الْعَرَبِ تَبَرَّةً لَمْ يَرْمِ قَطُّ بِهِمْ ، وَلَا سَلَّ سِيفًا ، وَلَا أَرَاقَ دَمًا ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَتْبَاعِ غَيْرِ مَشْهُورٍ وَلَا مَعْرُوفٍ وَلَا طَالِبٍ وَلَا مَطْلُوبٍ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ مَقَامَهُ وَمَنْزِلَتَهُ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْزِلَتَهُ ؟ وَلَقَدْ خَرَجَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أَحَدٍ فَرَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَمَقَامَ مَغِيظًا عَلَيْهِ فَسَلَّ مِنَ السِّيفِ مَقْدَارَ إصْبَعٍ يَرُومُ الْبُرُوزَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا أَبَا بَكْرٍ ! شِمِّ سَيْفَكَ وَأَمْتَعْنَا بِنَفْسِكَ . وَلَمْ يَقُلْ لَهُ (وَأَمْتَعْنَا بِنَفْسِكَ) إِلَّا لَعَلَّمَهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا لِلْحَرْبِ وَمِلَاقَةِ الرِّجَالِ وَأَنَّهُ لَوْ بَارَزَ لَقُتِلَ .

وكيف يقول الجاحظ : لا فضيلة لمباشرة الحروب ولقاء الأقران وقتل أبطال

الشرك ؟ وهل قامت عمد الإسلام إلا على ذلك ؟ وهل ثبت الدين واستقر إلا بذلك ؟ أتراه لم يسمع قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ ؟ والمحبة من الله تعالى هي إرادة الثواب ، فكل من كان أشد ثبوتاً في هذا الصف وأعظم قتالاً كان أحب إلى الله ، ومعنى الأفضل هو الأكثر ثواباً ، فعلي عليه السلام : إذاً هو أحب المسلمين إلى الله لأنه أثبتهم قدماً في الصف المرصوص ، لم يفر قط بإجماع الأمة ، ولا بارزه قرن إلا قتله ، أو تراه لم يسمع قول الله تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ؟ وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ ثم قال سبحانه : مؤكداً لهذا البيع والشرء ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ فمواقف الناس في الجهاد على أحوال ، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض ، فمن دلف إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنة كان أنقل على أكتاف الأعداء لشدة نكايته فيهم ممن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم ، وكذلك من وقف في المعركة وأعان ولم يقدم إلا أنه بحيث تناله سهام والنبل أعظم عناء وأفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك ، ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرئاسة بقلة بسط الكف وترك الحرب وإن ذلك يشاكل فعل النبي صلى الله عليه وآله ، لكان أوفر الناس حظاً في الرئاسة وأشدهم لها استحقاقاً حسناً بن ثابت ، وإن بطل فضل علي في الجهاد لأن النبي صلى الله عليه وآله كان أقلهم قتالاً - كما زعم الجاحظ - ليطلق على هذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أقلهم مالاً ، وأنت إذا تأملت أمر العرب وقريش ونظرت السير وقرأت الأخبار عرفت أنها تطلب محمداً صلى الله عليه وآله وتقصد قصده وتروم قتله ، فإن أعجزها وفاتها طلبت علياً وأرادت قتله ، لأنه كان أشبههم بالرسول حالاً ، وأقربهم منه قرباً ، وأشدهم عنه دفعاً ، وإنهم متى قصدوا علياً فقتلوه أضعفوا أمر محمد صلى الله عليه وآله وكسروا شوكرته ، إذ كان أعلى من ينصره في البأس والقوة والشجاعة والنجدة والإقدام

والبسالة . ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر ، وقد خرج هو وأخوه شيبه وابنه الوليد بن عتبة فأخرج إليهم الرسول نقرأ من الأنصار فاستنسبواهم فانتسبوا لهم فقالوا : إرجعوا إلى قومكم ، ثم نادوا : يا محمد ! أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال النبي ﷺ لأهله الأذنين : قوموا يا بني هاشم ! فانصروا حقكم الذي آتاكم الله على باطل هؤلاء ، قم يا علي ! قم يا حمزة ! قم يا عبيدة ! ألا ترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أحد لأنه اشترك هو وحمزة في قتل أبيها يوم بدر ؟ ألم تسمع قول هند ترثي أهلها :

ما كان لي من عتبة من صبر أبي وعمي وشقيق صدي
أخي الذي كان كضوء البدر بهم كسرت يا علي ! ظهري

وذلك لأنه قتل أخاها الوليد بن عتبة وشرك في قتل أبيها عتبة ، وأما عمها شيبه فإن حمزة تفرّد بقتله . وقال جبير بن مطعم لوحشي مولاه يوم أحد : إن قتلت محمداً فأنت حر ، وإن قتلت علياً فأنت حر ، وإن قتلت حمزة فأنت حر ، فقال : أما محمد فسيمنعه أصحابه ، وأما علي فرجل حذر كثير الالتفات في الحرب ، ولكني سأقتل حمزة . فقعد له وزرقه بالحربة فقتله .

ولما قلنا من مقاربة حال علي في هذا الباب لحال رسول الله ﷺ ومناسبتها إيّاه ما وجدناه في السيرة والأخبار من إشفاق رسول الله ﷺ وحذره عليه ودعائه له بالحفظ والسلامة ، قال رسول الله ﷺ يوم الخندق وقد برز علي إلى عمرو ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه : اللهم إنك أخذت مني حمزة يوم أحد ، وعبيدة يوم بدر ، فاحفظ اليوم علياً ، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين . ولذلك ضنّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً في كلها يحجمون ويقدم علياً فيسأل الإذن له في البراز حتى قال له رسول الله ﷺ : إنه عمرو فقال : وأنا علي . فأدناه وقبله وعممه بعمامته وخرج معه خطوات كالمودع له ، القلق لحاله ، المنتظر لما يكون منه . ثم لم يزل ﷺ رافعاً يده إلى السماء مستقبلاً لها بوجهه والمسلمون صموت حوله كأنما على رؤوسهم الطير حتى ثارت الغبرة وسمعوا التكبير من تحتها فعلموا أن علياً قتل عمراً . فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين . ولذلك قال

حذيفة بن اليمان : لو قُسمت فضيلة عليّ بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم . وقال ابن عباس : في قوله تعالى : ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ : قال : بعليّ بن أبي طالب . اهـ .

الغريق يتشبّث بكلّ حشيش :

أعيت القوم شجاعة الخليفة ، وأصلّتهم عن المذاهب ، وجعلتهم في الرونة ، وأركبتهم على الزحلوقة تسفّ بهم تارة وتُعليهم أخرى ، فلم يجدوا مهيعاً يوصلهم إلى ما يرومون من إثباتها له مهما وجدوا غضون التاريخ خالية عن كلّ عين وأثر يسعهم الركون إليه في الحجاج لها ، فتشبّثوا بالتفلسف فيها فهذا يبيّن فلسفة العريش ، والآخر ينسج نسج العناكب وبعدّ ثباته في موت رسول الله ﷺ وعدم تضعضعه في تلك الهائلة دليلاً على كمال شجاعته ، قال القرطبي في تفسيره ج ٤ ص ٢٢٢ في سورة آل عمران الآية ١٤٤ عند قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً ﴾ : هذه الآية أدلّ دليل على شجاعة الصديق وجراته فإنّ الشجاعة والجرأة حدّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ فظهرت عنده شجاعته وعلمه وقال الناس : لم يمّت رسول الله ﷺ منهم عمر ، وخرس عثمان ، واستخفى عليّ ، واضطرب الأمر فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسُّنح (١) .

وهذا الاستدلال أقرّه الحلبي في سيرته ج ٣ ص ٣٥ وقال : لمّا توفي رسول الله ﷺ طاشت العقول فمنهم من خبل ، ومنهم من أقعد ولم يطق القيام ، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ، ومنهم من أضنى ، وكان عمر رضي الله عنه ممّن خبل ، وكان عثمان رضي الله عنه ممّن أخرس ، فكان لا يستطيع أن يتكلّم ، وكان عليّ رضي الله عنه ممّن أقعد فلم يستطع أن يتحرّك ، وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدّاً ، وكان أثبتهم : أبو بكر الصديق رضي الله عنه - إلى أن قال - : قال

(١) بضم أوله وسكون النون وقد تضم : موضع خارج المدينة بينها وبين منزل النبي ميل .

القرطبي : وهذا أدل دليل على كمال شجاعة الصديق . الخ .

قال الأميني : يوهم القرطبي أن في كتاب الله العزيز ما يدل على شجاعة الخليفة وعلمه ، وليس فيما جاء به أكثر من أنه استدل بالآية الشريفة يوم ذاك على موت رسول الله ﷺ فأئى صلة بها إلى شجاعة الرجل ؟ ! وأي قسم فيها من أنحاء الدلالة الثلاثة فضلاً عن أن تكون أدل دليل ؟ فإن يكن هناك شيء من الدلالة - وأين وأئى فهو في ثبات جأشه وتمسكه بالآية الكريمة لا في الآية نفسها .

ثم كيف خفي على الرجل وعلى من تبعه الفرق بين ملكتي الشجاعة والقسوة ؟ وإن هذا النسج الذي هو أوهن من بيت العنكبوت إنما نسجته يد السياسة لدفع مشكلات هناك ، فخبّلوا عمر بن الخطاب «وحاشاه الخبل» تصحيحاً لإنكاره موت رسول الله ﷺ وأنه كان من ذلك القلق كما مر في ص ٢١٠ ، وأقعدوا علياً لإيهام العذر في تخلفه عن البيعة ، وأخرسوا عثمان لأنه لم ينس في ذلك الموقف بنت شفة .

على أن ما جاء به القرطبي من ميزان الشجاعة يستلزم كون الخليفة أشجع من رسول الله ﷺ أيضاً إذ لم يُرو عن أبي بكر في رزية النبي الأعظم أكثر من أنه كشف عن وجه النبي وقبله وهو يبكي وقال : طبت حياً وميتاً^(١) وقد فعل ﷺ أكثر وأكثر من هذا في موت عثمان بن مظعون فإنه ﷺ إنكب عليه ثلاث مرّات مرّة بعد أخرى وقبله باكياً عليه وعيناه تذرفان والدموع تسيل على وجنتيه وله شهيق^(٢) وشتان بين عثمان بن مظعون وبين سيّد البشر روح الخليفة وعلة العوالم كلّها ، وشتان بين المصيّتين .

كما يستدعي مقياس الرجل كون عمر بن الخطاب أشجع من النبي الأقدس لحزنه العظيم في موت زينب وبكائه عليها ، وعمر كان يوم ذاك يضرب النسوة

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٨١ ، كتاب المغازي ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٤ ، طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٧٨٥ ، تاريخ الطبري ج ٣٤ ص ١٩٨ .

(٢) سنن البيهقي ج ٣ ص ٤٠٦ ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٠٥ ، الإستهباب ج ٢ ص ٤٩٥ ، اسد الغابة ، الغدير ج ٣ ص ٤٦١ ، الإصابة ج ٢ ص ٤٦٤ .

الباقيات عليها بالسوط كما مرّ في الجزء السادس ص ١٥٩ ط ٢ فضلاً عن عدم تأثره بتلك الرزية .

وعلى هذا الميزان يغدو عثمان بن عفّان أشجع من رسول الله ﷺ لوجوده لموت إحدى بنتيه : رقية أو أم كلثوم زوجة عثمان . وبكائه عليها ، وعثمان غير متأثر به ولا بانقطاع صهره من رسول الله ﷺ ، غير مشغول بذلك عن مقارفة بعض نساته في ليلة وفاتها كما في صحيحة أنس (١) .

وقبل هذه كلّها ما ذكره أعلام القوم في موت أبي بكر من طريق ابن عمر من قوله : كان سبب موت أبي بكر موت رسول الله ﷺ ما زال جسمه يجري حتّى مات . وقوله : كان سبب موته كمداً لحقه على رسول الله ﷺ ما زال يذّيه حتّى مات . وفي لفظ القرماني : مازال جسمه ينقص حتّى مات .

راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٦٣ ، أسد الغابة ج ٣ ص ٢٢٤ ، صفة الصفوة ج ١ ص ١٠٠ ، الرياض النضرة ج ١ ص ١٨٠ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٣ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٤٩ ، الصواعق ص ٥٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٥٥ ، أخبار الدول للقرماني هامش الكامل ج ١ ص ١٩٨ ، نزّهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٩٧ ، مصباح الظلام للجرداني ج ٢ ص ٢٥ .

كأنّ هذا الحديث عزب عن القرطبي والحلي ، فأخذوا بهذا مشفوعاً بكلامهما المذكور في شجاعة أبي بكر يكون هو شاكلة عبد الله بن أنيس في موتها كمداً على رسول الله ﷺ ، ولم ينبأ قطّ خبير بموت أحدٍ من الصحابة غيرهما بموته ﷺ ، وهذا دليل على ضعف قلبهما عند حلول المصائب ، فهما أجبن الصحابة على الإطلاق إذا وُزنا بميزان القرطبي وفيها عين .

وراء هذه المغلاة في شجاعة الخليفة وعدّه من أشجع الصحابة ما عزاه القوم إلى ابن مسعود من أنّه قال : أوّل من أظهر الإسلام بسيفه محمّد ﷺ وأبو بكر ،

(١) مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧ ، الإستيعاب ج ٢ ص ٧٤٨ وصححه ، الإصابة ج ٤ ص ٣٠٤ ، ٤٨٩ الغدير ج ٣ ص ٤٤ .

والزبير بن العوام رضي الله عنهم^(١) وما يُعزى إلى رسول الله ﷺ من أنه قال : لولا أبو بكر الصديق لذهب الإسلام^(٢) .

قال الأميني : لقد كانت على الأبصار غشاوة عن رؤية هذا السيف الذي كان بيد الخليفة ، فلم يؤثر أنه تقلده يوماً ، أو سلّه في كريبه ، أو هابه إنسان في معمرة ، حتّى يقرن برسول الله ﷺ الذي كان منذ بعث سيفاً لله تعالى مجرداً
إن الرسول لنور يستضاء به مهنّد من سيوف الله مسلول^(٣)

أو يقرن بمثل الزبير الذي عرفته وسيفه الحرب الزبون فشكرته ، وقد سجّل التاريخ مواقفه المشهودة ، وسجّل للخليفة يوم خيبر وأمثاله .

وأنا لا أدري بأيّ خصلة في الخليفة نيط بقاء الإسلام ، أبشجاعته هذه ؟ أم بعلمه الذي عرفته كميته ؟ أم بماذا ؟ «فُظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر» .

٣- ثبات الخليفة على المبدأ

عن أبي سعيد الخدري : إنّ أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إنّي مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشّع حسن الهيئة يصلي . فقال له رسول الله ﷺ : إذهب إليه فاقتله . قال : فذهب إليه أبو بكر فلمّا رآه على تلك الحالة كره أن يقتله فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ لعمر : إذهب إليه فاقتله . قال فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآها أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال : يا رسول الله ! إنّي رأيته متخشّعاً فكرهت أن أقتله قال : يا عليّ ! إذهب فاقتله . فذهب عليّ فلم يره فرجع فقال : يا رسول الله ! إنّي لم أره . فقال النبي ﷺ : إنّ هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتّى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شرّ البرية^(٤) .

(١) نزّهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٨٢ .

(٢) نور الأبصار للشبلنجي ص ٥٤ .

(٣) البيت من قصيدة لكعب بن زهير المشهورة ببيان سعاد .

(٤) مسند أحمد ج ٣ ص ١٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٩٨ .

وعن أنس بن مالك قال : كان في عهد رسول الله ﷺ رجلٌ يعجبنا تعبُّده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا : هو هذا . قال : إنَّكم لتخبروني عن رجل إنَّ في وجهه لسفعةٌ من الشيطان فأقبل حتَّى وقف عليهم ولم يسلم فقال له رسول الله ﷺ أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس : ما في القوم أحدٌ أفضل منِّي أو خير منِّي ؟ قال : اللّهُمَّ نعم . ثمَّ دخل يصلي فقال رسول الله ﷺ : من يقتل الرجل ؟ فقال أبو بكر أنا ، فدخل عليه فوجده يصلي فقال : سبحان الله ! أقتل رجلاً يصلي ؟ وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلِّين ، فخرج . فقال رسول الله ﷺ : ما فعلت ؟ قال : كرهت أن أقتله وهو يصلي وأنت قد نهيت عن قتل المصلِّين . قال : مَنْ يقتل الرجل ؟ قال عمر : أنا . فدخل فوجده واضعاً جبهته فقال عمر : أبو بكر أفضل منِّي ولم يقتله فخرج فقال له النبيُّ ﷺ مه ؟ قال : وجدته واضعاً وجهه لله فكرهت أن أقتله . فقال : مَنْ يقتل الرجل ؟ فقال، عليٌّ : أنا . فقال : أنت إن أدركته . فدخل عليه فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال له : مه ؟ قال : وجدته قد خرج . قال : لو قتل ما اختلف من أمّتي رجلان كان أولهم وآخرهم (١) .

صاحب القصة هو ذو النُدبة رأس الفتنة يوم النهروان قتله أمير المؤمنين الإمام عليُّ يوم ذاك كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود ، قال الثعالبي في ثمار القلوب ص ٢٣٢ : ذو النُدبة شيخ الخوارج وكبيرهم الذي علّمهم الضلال ، وكان النبيُّ ﷺ أمر بقتله وهو في الصّلاة فكعّ عنه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فلمّا قصده عليُّ رضي الله عنه لم يره ، فقال له النبيُّ ﷺ : أما إنَّك لو قتلته لكان أوّل فتنة وآخرها ، ولمّا كان يوم النهروان وجده بين القتلى فقال عليُّ رضي الله عنه : اتّوني بيده المخدجة . فأُتي بها فأمر بنصبها .

قال الأميني : هلم معي نسائل الرّجلين ممّن أخذنا أن الصّلاة تحقن دم

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣١٧ ، ج ٣ ص ٢٢٧ ، مسند البزار من طريق الأعمش ، وأبو يعلى في مسنده كما في تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٩٨ ، الإصابة ج ١ ص ٤٨٤ .

صاحبها ؟ هل أخذها عن شريعة غاب الصانع بها ، فارتبكا بين قوله ؟ أليست هي الشريعة المحمّديّة وصاحبها هو الذي أمر بقتل الرجل ؟ وهو ينظر إليه من كُتب ، ويعلم أنّه يصلي ، وقد أخبرته الصحابة وفيهم الرجلان بخضوعه وخشوعه في صلاته ، وإعجابهم بتعبّده واجتهاده ، وفي المخبرين أبو بكر نفسه ، غير أنّ رسول الله ﷺ عرف بواسع علمه النبويّ أنّ كلّ ذلك عن دهاء وتصنّع يريد به إغراء الدهماء للحصول على أمّنيّته الفاسدة التي لم يتمكّن منها إلّا على عهد الخوارج فأراد عليه السلام قمع تلك الجرثومة الخبيثة بقتله ، ولقد أراد عليه السلام تعريف الناس بالرجل وإيقافهم على ما انطوت عليه أضالعه فاستحفاه عمّا دار في خلدّه حين وقف على القوم وفيهم النبيّ ﷺ وأراد أن يعلموا أنّه يجد نفسه خيراً أو أفضل منهم ومنه عليه السلام .

أيّ كافر هذا يجب قتله لاسيّما بعد قوله عليه السلام : إنّ في وجهه لسفعة من الشيطان ؟ وأيّ شقيّ هذا يقف على المنتدى وقد ضمّ صدره نبيّ العظيمة ولم يسلم ؟ وأيّ صفيق يُعرب عن سوء ما هجس في ضميره بكلّ صراحة ، غير محتشم عن موقفه ، ولا مكترث لمقاله ؟ .

نعم لذلك كلّ أمر عليه السلام بقتله وهو لا ينطق عن الهوى إنّ هو إلّا وحيّ يوحى ، لكن الشيخين رؤفاً به حين وجداه يصليّ تثبّثاً على المبدأ ، وتحفظاً على كرامة الصلّاة ومن أتى بها ، وزاد عمر : إنّ أبا بكر خيرٌ مني ولم يقتله . أو لم يكن النبيّ الأمر بقتله خيراً منهما ؟ أو لم يكن هو مشرّع الصلّاة والآتي بحرمتها ؟ أو لم يكن مصدّقاً لدى الصديق وصاحبه في قوله حول الرجل وإعراجه عن نواياه ؟ .

كان خيراً للشيخين أن يتركا هذا التعلّل الواضح فساده ويتعلّلا بما في لفظ أبي نعيم في الحلية من أنّهما هابا أن يقتلاه ، وبما أسلفناه عن ثمار القلوب للثعالبي من أنّهما كعا عن الرجل . أي جبنا وضعفا وتهيّهما الرجل وإن كان مصليّاً غير شاك السلاح ، فلعلّه يكون معذراً لهما عن ترك الإمثال ، فلا يكلف الله نفساً إلّا وسعها ، لكنهما يوم عرفا نفسيهما كذلك والإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لماذا لم يقدموا على قتل الرجل ، ففوّتا على النبيّ ﷺ طلبته وعلى الأُمّة

السَّلام والأمن ولو بعد لأي من عمر الدهر عند ثورات الخوارج ؟ وأبو بكر هذا هو الذي يحسبه ابن حزم والمحَبُّ الطبري والقرطبي والسيوطي أشجع الناس كما مرَّ ص ٢٢٧ وقد يهابه ظلُّ الرجال في مصلاهم .

وللرجل (ذي الثُدَيَّة) سابقة سوء عند الشيخين من يوم قَسَم رسول الله ﷺ غنيمة هوازن قال ذو الثُدَيَّة للنبي ﷺ : لم أرك عدلت . أو : لم تعدل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فغضب رسول الله ﷺ وقال : ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ فقال عمر : يا رسول الله ألا أقتله ؟ قال : لا ، سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قومٌ يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميَّة لا يجاوز إيمانهم تراقيهم . تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٤٨ ، الإمتاع للمقرئ ص ٤٢٥ .

٤ - تهالك الخليفة في العبادة

لم يؤثر عن الخليفة دأب على العبادة على العهد النبويَّ أو بعده غير أشياء لا تُنجم من أثبتها له إلا بعد تحمُّل متناول ، أو تفلسف في القول لو أجدت الفلسفة على لا شيء .

روى المحَبُّ الطبري في الرياض النضرة ج ١ ص ١٣٣ : أن عمر بن الخطاب أتى إلى زوجة أبي بكر بعد موته فسألها عن أعمال أبي بكر في بيته ما كانت فأخبرته بقيامه في الليل وأعمال كان يعملها ثم قالت : إلا أنه كان في كلِّ ليلة جمعة يتوضأ ويصلي ثم يجلس مستقبل القبلة رأسه على ركبتيه فإذا كان وقت السحر رفع رأسه وتنفس الصعداء فيشمُّ في البيت روائح كبِدٍ مشويٍّ . فبكى عمر وقال : أتى لابن الخطاب بكبدٍ مشويٍّ .

وفي مرآة الجنان ج ١ ص ٦٨ : جاء أن أبا بكر كان إذا تنفَّس يشمُّ منه رائحة الكبِد المشويَّة .

وفي عمدة التحقيق للعبد المالك ص ١٣٥ : لما مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه كان يتبع آثار الصديق رضي الله عنه

ويتشبه بفعله فكان يتردد كل قليل إلى عائشة واسماء رضي الله تعالى عنهما ويقول لهما : ما كان يفعل الصديق إذا خلا بيته ليلاً ؟ فيقال له : ما رأينا له كثير صلاة بالليل ولا قيام إنما كان إذا جنّه الليل يقوم عند السحر ويقعد القرفصاء ويضع رأسه على ركبتيه ثم يرفعها إلى السماء ويتنفس الصعداء ويقول : أخ . فيطلع الدخان من فيه . فيبكي عمر ويقول : كل شيء يقدر عليه عمر إلا الدخان . فقال :

وأصل ذلك أن شدة خوفه من الله تعالى أوجبت إحتراق قلبه ، فكان جليسه يشم منه رائحة الكبد المشوي ، وسببه أن الصديق لم يتحمل أسرار النبوة الملقاة إليه وفي الحديث : أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه . فالمعرفة التامة تكشف عن جلال المعروف وجماله ، وكلاهما أمر عظيم جداً تتقطع دونه الغايات ولولا أن الله تعالى ثبت من أراد ثباته وقواه على ذلك ما استطاع أحد الوقوف ذرة على كليهما جللاً وجمالاً ، والغاية في الطرفين قد نالها الصديق رضي الله عنه . فقد ورد : ما صبّ في صدري شيء إلا صببته في صدر أبي بكر . ولو صبّه جبرائيل عليه السلام في صدر أبي بكر ما أطاقه لعدم مجراه من المماثل ، لكن لما صبّ في صدر النبي ﷺ وهو من جنس البشرية فجري في قناة مماثلة للصديق ، فبواسطتها أطاق حمله ، ومع ذلك احترق قلبه . الخ .

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول ص ٣١ و ٢٦١ ، عن بكر بن عبد الله المزني قال : لم يفضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صوم ولا صلاة إنما فضلهم بشيء كان في قلبه . وذكر أبو محمد الأزدي في شرح مختصر صحيح البخاري ج ٢ ص ٤١ ، ١٠٥ ، وج ٣ ص ٩٨ . وج ٤ ص ٦٣ ، والشعراني في اليواقيت والجواهر ج ٢ ص ٢٢١ . واليافعي في مرآة الجنان ج ١ ص ٦٨ ، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٣ : إن في الحديث ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره .

قال الأميني : لو صحّ حديث الكبد المشوية لوجب اطّراده في الأنبياء والرسل ويقدمهم سيّد المرسلين محمد ﷺ لأنهم أخوف من الله من أبي بكر وخاتم النبيين أخوفهم ، ولوجب أن تكون الرائحة فيهم أشدّ وأنشر ، فإنّ الخوف فرع الهيبة المسيّبة عن إحاطة العلم بما هناك من عظمة وقهر وجبروت ومنعة ،

وينبئنا عن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) قال ابن عباس: يريد إنَّمَا يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزّتي وسلطاني . وقيل: عظموه وقدرّوا قدره ، واخشّوه حقّ خشيته ، ومن ازداد به علماً ازداد به خشية .

[تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥]

وفي الحديث: أعلمكم بالله أشدكم له خشية .

[تفسير ابن جزري ج ٣ ص ١٥٨]

وفي خطبة له عليه السلام : فوالله إنني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية^(٢) .

وفي خطبة أخرى له عليه السلام : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً^(٣) .

وقال مولانا أمير المؤمنين: أعلمكم أخوفكم .

[غرر الحكم للأمدي ص ٦٢]

وقال مقاتل: أشد الناس خشية لله أعلمهم .

[تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥]

وقال الشعبي ومجاهد: إنمّا العالم من خشي الله^(٤) .

وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله تعالى فليس بعالم^(٥) .

ومن هنا قوله عليه السلام : إنني أعلمكم بالله وأخشاكم لله^(٦) ولذلك تجد أن أزلّف الناس إلى السلطان يتهيّب أكثر ممّن دونه في الزلّف . فترى الوزير يكبره ويخافه أبلغ ممّن هو أدنى منه ، والأمر على هذه النسبة في رجال الوظائف ، حتّى

(١) سورة فاطر: الآية: ٢٨ .

(٢) صحيح مسلم كتاب المناقب . باب علمه بالله وشدة خشيته ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الرقاق . باب لو تعلمون ما أعلم ، مسند أحمد ج ٦ ص ١٦٤ ،

تيسير الوصول ج ٢ ص ٢٦ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٤) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٣٤٣ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٥) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٣٤٣ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٢٥ .

(٦) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٣٠٢ ، اللمع لأبي نصر ص ٩٦ .

تنتهي إلى أبسطها كالشرطي مثلاً ، ثم إلى سائر أفراد الرعية .

وهلّمّ معي إلى الأولياء والمقربين والمتهاككين في الخشية من الله والمتفانين في العبادة وفي مقدّمهم سيّدهم مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي كان في حلك الظلام يتملّل وتملّل السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويتأوّه ويتفوّه بما ينمّ عن غاية الخوف والخشية ، وهو قسيم الجنة والنار بنصّ من الرّسول الأمين كما مرّ في الجزء الثالث ص ٣٦١ ، وكان يُغشى عليه عدّة غشوات في كلّ ليلة ، ولم يشم أحدٌ منه ولا منهم رائحة الكبد المشويّة .

ولو اطّرد ما يزعمونه لوجب تكيف الفضاء من لدن آدم إلى عهد الخليفة بتلك الرائحة المنتشرة من تلكم الأكباد المشويّة ، ولأسودّ وجه الدنيا بذلك الدخان المتصاعد من الأكباد المحترقة .

أيحسب راوي هذه المهزأة أنّ على كبد المختشي ناراً موقدة يعلوها ضرماً ، ويتولّد منها دخانٌ ؟ فلمّ لم تُحرق ما في الحشى كلّه ويكون إنضاجها مقصوراً على الكبد فحسب ؟ وهل للكبد حالّ المعذبين الذين كلّما نضجت جلودهم بُدّلوا جلوداً أخرى ؟ وإلاّ فالعادة قاضيةٌ بفناء الكبد بذلك الحريق المتواصل .

وإن تعجب فعجب بقاء الإنسان بعد فناء كبده ، ولعلّك إذا أحفيت الراوي السؤال عن هذه لأجابه بأنّها كلّها معاجز تخصّ بالخليفة .

وأحسب أنّ صاحب المزاعم من المتطفّلين على موائد العربيّة فإنّ العربيّ الصميم جدّ عليم بكثير الكناية والاستعارة في لغة الضاد فإذا قالوا : إنّ نار الخوف أحرقت فلاناً لا يريدون لهاً متقدّماً يصعد منه الدخان أو تشمّ منه رائحة شيء الأكباد ، وإنّما يعنون لهفةً شديدة ، وحرقةً معنويّة تشبّه بالنيران .

وأما ما سرده العبيدي من فلسفة ذلك الحريق في كبد الخليفة فإنّها من الدعاوى الفارغة وفيها الغلوّ الفاحش وإن شئت قلت : إنّما هي أوهام لم تقم لها حجّة ، وليس من السهل أن يدعمها ببرهنة يمسخها عن الترحيح ، فهي كالريشة في مهبّ الريح تجاه ججاج المجادل ، ووجه سيرة الخليفة نفسه ، وما عزاه إلى الرواية من حديث خرافة : ما صبّ الله في صدري شيئاً إلّاّ وصبته في صدر أبي

بكر . فهو على تنصيب العلماء على وضعها كما مرّ في ج ٥ ص ٣٨٣ لا يلزم به الخصم ، ولا يثبت به المدعى ، وفيه من سرّف القول ما لا يخفى على العارف بالرجال وتاريخهم .

٥ - تبرّز الخليفة في الأخلاق

لم نقف من أخلاقيات الخليفة على شيء يرفع الإنسان من هذه الناحية عدا ما في صحيح البخاري في كتاب التفسير من طريق ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير قال: قد قديم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: أمر الأقرع بن حابس^(١) . فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي ، فقال عمر: ما أردت خلاfk . فتماريا حتّى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك : ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله واتّقوا الله إنّ الله سميعٌ عليمٌ﴾^(٢) .

وأخرج البخاري من طريق ابن أبي مليكة أيضاً قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع . وأشار الآخر برجل آخر . قال نافع : لا أحفظ اسمه . فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي . قال : ما أردت خلاfk . فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله : ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾^{(٣)(٤)} .

قال الأميني : ألا تعجب من الرجلين أنّهما طيلة مصاحبتهما هذا النبيّ المعظم ﷺ لم يحدهما التأثير بأخلاقه الكريمة إلى الحصول على أدب محاضرة

(١) الأقرع بن حابس هو ذلك الأعرابي الذي رآه النبي ﷺ وهو يبول في المسجد ، وقد أخرج حديثه البخاري في صحيحه . راجع إرشاد الساري ج ١ ص ٢٨٤ .

(٢) سورة الحجرات ؛ الآية : ١ .

(٣) سورة الحجرات ؛ الآية : ٣ .

(٤) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٢٥ ، الاستيعاب في ترجمة القعقاع ج ٢ ص ٥٣٥ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٣٠٠ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٥ ، تفسير الخازن ج ٤ ص ١٧٢ ، الإصابة ج ١ ص ٥٨ وج ٣ ص ٢٤ .

العظماء والمثول بين أيديهم لاسيما هذا العظيم ، العظيم خلقه بنصّ الذكر الحكيم ، وما عرفاً أنّ الكلام بين يديه لا بدّ وأن يكون اتخافنا وهمساً إكباراً لمقامه وإعظاماً لمرتبه . وأن لا يتقدّم أحدٌ إليه بالكلام إلّا أن يكون جواباً عن سؤال ، أو ما ينمّ عن امتثال أمر ، أو إخباراً عن مهمّة ، أو سؤالاً عن حكم لكنهما تقدّما بالكلام الخارج عن ذلك كلّ ، وتمازيا واحتدم الحوار بينهما ، وارتفعت أصواتهما في ذلك ، وكاد الخيران أن يهلكا حتّى جعلاً أعمالهما في مظنة الإحباط فنزلت الآية الكريمة .

وما أخرجه ابن عساكر عن المقدم أنّه قال : استبّ عقيل بن أبي طالب وأبو بكر وكان أبو بكر سبّاباً . وكأنّ ابن حجر استشعر من هذه الكلمة ما لا يروقه فقال : سبّاباً أو نسّاباً . لكن الرجل أنصف في التردد وقد جاء بعده السيوطي فحذف كلمة : سبّاباً . وجعلها نسّاباً بلا تردد^(١) والمنقّب يعلم أنّ لفظة نسّاباً لا صلة لها بقول استبّ بل المناسب كونه سبّاباً ، وكأنّ الراوي يريد بذلك أنّه فاق عقيلاً بالسبّ لأنّه كان ملكة له ، وإن كان يسع المحوّر أن يقول بإرادة كونه نسّاباً أنّه كان عرافاً بحلقات الأنساب ومواقع الغمز فيها ، فكان إذا استبّ يطعن مستابّه في عرضه ونسبه ، لكنه لا يجدي المتمحلّ نفعاً فإنّه من أشنع مصاديق السبّ ، وفيه القذف وإشاعة الفحشاء .

ويظهر من لفظ الحديث كما في الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٨٦ أنّ السباب بين أبي بكر وعقيل كان بمحضر من رسول الله ﷺ وكان ذلك في أخريات أيامه ﷺ .

ومن شواهد كونه سبّاباً (وسباب المسلم فسوق)^(٢) ما مرّ في صفحة ١٧٦ من قوله للسائل عن القدر : يابن اللخناء . وقوله لعمر : ثكلتك أمك وعدمتك يابن

(١) الصواعق ص ٤٣ ، تاريخ الخلفاء ص ٣٧ .

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٤١١ ، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٤٦١ ، تاريخ الخطيب ج ٥ ص ١٤٤ ، وصححه السيوطي في الجامع الصغير ، وقال النووي في رياض الصالحين ص ٣٢٣ : متفق عليه .

الخطاب . لما بلغه طلب الأنصار أن يوَلِّي عليهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة فأخذ بلحيته فقال : استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه (١) ؟ .

على أنه وهم في قوله هذا من ناحيتين : إحداهما أن الذي يجب أن لا يعزل من منصوبي رسول الله ﷺ هو الخليفة فحسب لا يتسرّب إليه الرأي والمقاييس ، كما لا يتطرّقان إلى الأحكام والسنن المشرّعة ، لأنّه ﷺ نصبه يوم نصب بأمر من المولى سبحانه رئيساً عالمياً مدى أمد حياته ، كما أنّه شرّعها أحكاماً عالميّة مدى أمد الدهر . بخلاف أمراء الجنود والولاة والعمّال فإنّه ﷺ كان يوَلِّيهم الأمر لمصالح وقتيّة بعد الفراغ من تأهلهم للإمارة والولاية والعمل ، وإذا انقضى ظرف المصلحة أو تبدّلت بأخرى أو سلب التأهل من أحدهم كان يزحزحه من عمل إلى عمل ، أو يسقطه عن الوظيفة نهائياً ، أو إلى أمد تعود بعده إليه جدارته . وكذلك شأن الخليفة من بعده فإنّه قائم مقامه ﷺ وله النصب والنزع ، والخفض والرفع ، ولذلك أمر أبو بكر نفسه خالد بن سعيد على مشارق الشام في الردّة ، وكان قد استعمله النبي ﷺ على ما بين زمع وزبيد إلى حدّ نجران أو على صدقات مذحج ومات ﷺ وهو على عمله .

واستعمل أبو بكر نفسه أيضاً يعلى بن أميّة على حلوان ، ثمّ عمل لعمر على بعض اليمن ، ثمّ استعمله عثمان على صنعاء ، وكان رسول الله ﷺ قد استعمله على الجند وتوفي وهو على عمله .

واستعمل أبو بكر عكرمة على عمّان ثمّ عزله واستعمل عليها حذيفة بن محصن وكان قد استعمل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص على عمان فمات رسول الله ﷺ وهو أميرها ، واستعمل عكرمة على صدقات هوازن عام وفاته .

واستعمل عمر عثمان بن أبي العاص على عمان والبحرين سنة ١٥ ، وكان قد استعمله النبي ﷺ على الطائف وأقرّه أبو بكر بعد وفاته ﷺ .

واستعمل عمر عبد الله بن قيس أبا موسى الأشعري على البصرة ، ثمّ عزله

(١) التمهيد للباقلاني ص ١٩٣ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٢ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١١٧ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٩ . تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٥٦ ، الروض الأنف ج ٢ ص ٣٧٥ .

عثمان وأقره على الكوفة ، ثم عزله عليٌّ عليه السلام عنها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ومخالف اليمى .

وقال أبو الفدا فى تاريخه ج ١ ص ١٦٦ : أقر عثمان ولاية عمر سنة لأنه كان أوصى بذلك ثم عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة ، وولاه سعد بن أبى وقاص ، ثم عزله وولى الكوفة الوليد بن عقبة وكان أخا عثمان من أمه .

راجع تاريخ الطبرى ، والكامل لابن الأثير ، والإستيعاب ، واسد الغابة ، وتاريخ أبى الفدا ، وتاريخ ابن كثير ، والإصابة ، وغيرها من كتب التاريخ ومعاجم التراجم .

وكم وكم لهؤلاء الولاية المذكورين من نظير ، فليس أسامة ببدع من هؤلاء ، وإنما هو كأحدكم ، له ما لهم وعليه ما عليهم .

فاقتصار الخليفة فى الحجاج بنصب رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة فى غير محله ، إلا أن يقيده بأن ما ارتآه صلى الله عليه وآله من المصلحة يوم ذاك باقية بعد من غير حاجة إلى أي من القول والفعل اللذين ارتكبهما .

الناحية الثانية : إن طلبه الأنصار هذه متخذة عن عمل الخليفة نفسه وصاحبيه حيث قدّماه يوم السقيفة بكر سنّه وشيئته كما مرّ فى صفحة ١٠٨ ، ١٠٩ فلا غضاضة على الأنصار إذن أن يتحرّوا للإمارة عليهم من هو أقدم سنّاً من أسامة تأسيساً بالخلافة ، وإذا كان تولية الرسول صلى الله عليه وآله أسامة للقيادة مانعة عن نزعه فما بال منصوبه صلى الله عليه وآله للخلافة يوم غدير خمّ بمشهد من مائة ألف أو يزيدون ، وفى مواقف أخرى متكررة يعزل عن الأمر ؟ ولا منكرٌ يصاخ إليه ، ولا وازعٌ يسمع منه ، هب أن قيساً أخذ بلحية عمر يوم ذاك كما أخذ بها أبو بكر يوم أسامة ، واحتجّ آخرون لأمير المؤمنين عليه السلام واحتدم الحوار ، لكن : لا رأى لمن لا يطاع .

نعم : أخرج ابن جرّان فى خلق الخليفة من طريق إسماعيل بن محمّد الكذاب الوضع مرفوعاً عن جبرائيل أنّه قال : أبو بكر لفى السّماء أشهر منه فى الأرض فإنّ الملائكة لتسميه حلّيم قريش . الخ . وقد أسلفناه فى الجزء الخامس ص ٤١٦ : وبيننا هناك أنّه كذب موضوع .

ولو كان الخليفة حليم قريش أو كان يرث النبي الأعظم شيئاً من خلقه العظيم لما توفيت بضعته الطاهرة سلام الله عليها وهي واجدة عليه من جراء ما تلقت منه من غلظة وعنف في كشف بيتها الذي تمنى تركه عند وفاته ، ولم يكن يأمر بقتال من فيه^(١) إلى هنات وهنات .

أخرج البخاري في باب فرض الخمس ج ٥ ص ٥ عن عائشة : إن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : لا نورث ما تركنا صدقة . فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة حتى توفيت .

وأخرج في الغزوات باب غزوة خيبر ج ٦ ص ١٩٦ عن عائشة قالت : إن فاطمة «إلى أن قالت» : فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرت فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها .

ويوجد الحديث في صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٢ ، مسند أحمد ج ١ ص ٦ ، ٩ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٢ ، مشكل الآثار للطحاوي ج ١ ص ٤٨ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، كفاية الطالب ص ٢٢٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٨٥ وقال في ج ٦ ص ٣٣٣ : لم تزل فاطمة تبغضه مدة حياتها ، وذكره بلفظ الصحيحين الدياربكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٣ .

ولأيّ الأمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى ويعفى ثراها ؟

بلغت من موجدتها أنها أوصت بأن تدفن ليلاً ، وأن لا يدخل عليها أحد ، ولا يصلي عليها أبو بكر ، فدفنت ليلاً ولم يشعر بها أبو بكر ، وصلى عليها عليّ وهو الذي غسلها مع أسماء بنت عميس^(٢) .

(١) راجع صفحة ٩٣ و ١٩٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ، رسائل الجاحظ ص ٣٠٠ ، حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٣ ، مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٦٣ ، طرح التشريب ج ١ ص ١٥٠ ، اسد الغابة ج ٥ ص ٢٥٤ ، الاستيعاب ج ٢

وقال الواقدي كما في السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩٠ : ثبت عندنا أن علياً كرم الله وجهه دفنها رضي الله عنها ليلاً وصلى عليها ومعه العباس والفضل ولم يعلموا بها أحداً .

وقال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٣٧٩ ، والزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ٢٠٧ : روى الواقدي من طريق الشعبي قال : صلى أبو بكر على فاطمة . وهذا فيه ضعف وانقطاع ، وقد روى بعض المتروكين عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه نحوه ووهاه الدارقطني وابن عدي ، وقد روى البخاري عن عائشة : أنها لما توفيت دفنها زوجها علياً ليلاً ، ولم يؤذن بها أبو بكر وصلى عليها .

قال الأميني : حديث مالك عن جعفر بن محمد أسلفناه في الجزء الخامس صحيفة ٤٢٣ ولفظه : توفيت فاطمة ليلاً فجاء أبو بكر وعمر وجماعة كثيرة فقال أبو بكر لعلي : تقدّم فصل . قال : لا والله لا تقدّمت وأنت خليفة رسول الله ، فتقدّم أبو بكر فصلى أربعاً . وقد بينّا هنالك أنه من موضوعات عبد الله بن محمد القدامي المصيصي كما عدّه الذهبي في الميزان ج ٢ ص ٧ من مصائبه .

ومن جرّاء تلك الموجدة مُنعت عن أن تدخلها يوم ذاك عائشة كريمة أبي بكر فضلاً عن أبيها ، فجاءت تدخل فمنعتها أسماء فقالت : لا تدخلني . فشكت إلى أبي بكر وقالت : هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ فوقف أبو بكر على الباب وقال : يا أسماء ! ما حملك على أن منعت أزواج النبي ﷺ أن يدخلن على بيت رسول الله ﷺ ، وقد صنعت لها هودج العروس ؟ قالت : هي أمرتني أن لا أدخل عليها أحد ، وأمرتني أن أصنع لها ذلك .

راجع الإستيعاب ج ٢ ص ٧٧٢ ، ذخائر العقبى ص ٥٣ ، أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٤ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣ ، كنز العمال ج ٧ ص ١١٤ ، شرح صحيح مسلم للسبكي ج ٦ ص ٢٨١ ، شرح الآبي لمسلم ج ٦ ص ٢٨٢ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٢١ .

= ص ٧٥١ ، مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٨٣ ، إرشاد الساري للقسطلاني ج ٦ ص ٣٦٢ ، الإصابة ج ٤ ص ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣ .

إعتذار الخليفة إلى الصديقة :

هذه المذكورات كلها وبعضٌ سواها تكذب ما اختلقته رُماة القول على عواهنه من رواية الشعبي أنه قال : جاء أبو بكر إلى فاطمة وقد اشتد مرضها فاستأذن عليها فقال لها علي : هذا أبو بكر على الباب يستأذن فإن شئت أن تأذني له ؟ قالت : أو ذاك أحب إليك ؟ قال : نعم . فدخل فاعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه .

وعن الأوزاعي قال : بلغني أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ غضبت على أبي بكر فخرج أبو بكر حتى قام على بابها في يوم حار ثم قال : لا أبرح مكاني حتى ترضى عني بنت رسول الله ﷺ فدخل عليها علي فأقسم عليها لترضى فرضيت^(١) .

ما قيمة هذه الرواية تجاه تلکم الصحاح ؟ ولا يوجد لها أثر في أي أصل من أصول الحديث ومسانيد الحفاظ ، وقد بلغت إلى الأوزاعي المتوفى سنة ١٥٧ وأرسل بها الشعبي المتوفى سنة ١٠٤/٥/٦/٧/٩/١٠ ولا يُعرف من بلغها ، ومن أتى بها ، ومن أوحاها إلى الرجلين . نعم تساعد نصوص الصحاح ما أتى به ابن قتيبة والجاحظ قال الأول : إن عمر قال لأبي بكر رضي الله عنهما : انطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلّما فادخلهما عليها ، فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط فسَلّما عليها فلم تردّ عليهما السّلام فتكلّم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله ! والله إن قرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي ، وإنك لأحب إليّ من عائشة إبتني ، ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده ، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله ؟ إلا أني سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول : لا نورث ما تركنا فهو صدقة . فقالت أرأيتهما إن حدّثكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به ؟ فقالا : نعم . فقالت : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب فاطمة إبتني فقد أحبّني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٨٩ .

قالا : نعم سمعناه من رسول الله ﷺ . قالت : فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي لأشكوكما إليه . فقال أبو بكر : أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ! ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول : والله لأدعوك عليك في كل صلاة أصليها . ثم خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم : بيت كل رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتُموني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم ، أقبلوني بيعتي^(١) .

وقال الجاحظ في رسائله ص ٣٠٠ : وقد زعم أناس أن الدليل على صدق خبرهما «يعنى أبا بكر وعمر» في منع الميراث وبراءة ساحتهما ترك أصحاب رسول الله ﷺ النكير عليهما . . ! قد يُقال لهم : لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ، أن ترك المتظلمين والمحتجين عليهما والمطالبين لهما دليل على صدق دعواهم ، أو استحسان مقالتهن ، ولاسيما وقد طالت المناجاة ، وكثرت المراجعة والملاحاة ، وظهرت الشكوى ، واشتدت الموجدة ، وقد بلغ ذلك من فاطمة أنها أوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر . ولقد كانت قالت له حين أنته مطالبة بحقها ومحتجة لرهطها : من يرثك يا أبا بكر إذا مت ؟ قال : أهلي وولدي قالت : فما بالناس لا نرث النبي ﷺ^(٢) ؟ فلمّا منعها ميراثها ، وبخسها حقها واعتلّ عليها ، وجلح أمرها ، وعاينت التهضم ، وأيست في التورّع ، ووجدت نشوة الضعف وقلة الناصر ، قالت : والله لأدعوك الله عليك . قال : والله لأدعوك الله لك . قالت والله لا كلمتك أبداً قال : والله لا أهجرك أبداً . فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعها ، أن في ترك النكير على فاطمة دليلاً على صواب طلبها ؟ وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت ، وتذكيرها ما نسيت ، وصرفها عن الخطأ ، ورفع قدرها عن البذاء ، وأن تقول هجراً ، وتجوّر عادلاً ، أو تقطع واصلاً ، فإذا لم نجد لهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأمور واستوت

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤ ، أعلام النساء ج ٣ ص ١١٤ .

(٢) هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند ج ١ ص ١٠ ، والبلاذري في فتوح البلدان ص ٣٨ ، وابن كثير في تأريخه ج ٥ ص ٢٨٩ .

الأسباب ، والرجوع إلى أصل حكم الله في المواريث أولى بنا وبكم ، وأوجب علينا وعليكم .

فإن قالوا : كيف تظنّ به ظلمها والتعدّي عليها ، وكلّما ازدادت عليه غلظة ازداد لها ليناً ورقّة . حيث تقول له : والله لا أكلمك أبداً . فيقول : والله لا أهجرِكَ أبداً . ثمّ تقول : والله لأدعوك الله عليك . فيقول : والله لأدعوك الله لك . ثمّ يتحمّل منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه وما يجب لها من الرفعة والهيبة ، ثمّ لم يمنعه ذلك عن أن قال معتذراً متقرباً كلام المعظم لحقها . المكبر لمقامها ، الصائن لوجهها ، المتحنن عليها : ما أخذُ أعزُّ عليّ منك فقراً ، ولا أحبُّ إليّ منك غنى ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة .

قيل لهم : ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم والسّلامة من الجور ، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم ، وذلّة المنتصف ، وحذب الوامق ، ومقت المحقّ . وكيف جعلتم ترك النكير حجّة قاطعة ودلالة واضحة ؟ وقد زعمتم أنّ عمر قال على منبره : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ : متعة النساء ومتعة الحجّ ، أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما^(١) فما وجدتم أحداً أنكر قوله ، ولا استشنع مخرج نهيه ، ولا خطّاه في معناه ، ولا تعجّب منه ولا استفهمه .

وكيف تقضون بترك النكير ؟ وقد شهد عمر يوم السقيفة وبعد ذلك أنّ النبي ﷺ قال : الأئمة من قريش^(٢) ثمّ قال في شكايته : لو كان سالم حيّاً ما تخالجنِي فيه الشك^(٣) حين أظهر الشكّ في استحقاق كلّ واحد من الستّة الذين جعلهم

(١) راجع الجزء السادس من كتابنا هذا ص ٢٥٢

(٢) أخرجه غير واحد من الحفاظ وصححه ابن حزم في الفصل ج ٤ ص ٨٩ فقال : هذه رواية جاءت مجيء التواتر ، ورواها أنس بن مالك وعبد الله بن عمر ومعاوية ، وروى جابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها ، ومما يدل على صحة ذلك إذعان الأنصار به يوم السقيفة . هـ .

(٣) أخرجه ابن سعد ، والباقلاني ، وأبو عمر ؛ والحافظ العراقي كما مرّ ص ١٦٦ .

شورى وسالم عبدٌ لامرأة من الأنصار وهي أعتقته وحازت ميراثه ، ثم لم ينكر ذلك من قوله منكراً ، ولا قابل إنساناً بين قوله ولا تعجب منه ، وإنما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وصواب عمله ، فأما ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة والأمر والنهي والقتل والإستحياء والحبس والإطلاق فليس بحجة تشفي ولا دلالة تضيء . إنتهت كلمة الجاحظ .

نظرة في كلمة قارصة :

لا يسعنا أن نفوه في الدفاع عن الخليفة بما قال ابن كثير في تاريخه ج ٥ ص ٢٤٩ من أن فاطمة حصل لها - وهي امرأة من البشر ليست براجية العصمة - عتبٌ وتغضب ، ولم تكلم الصديق حتى ماتت . وقال في ص ٢٨٩ : وهي امرأة من بنات آدم تأسف كما يأسفون ، وليست بواجبة العصمة ، مع وجود نص رسول الله ﷺ ومخالفة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . اهـ .

أنى لنا السرف والمجازفة في القول بمثل هذا تجاه آية التطهير في كتاب الله العزيز النازلة فيها وفي أبيها وبعلمها وبنيتها ؟ .

أنى لنا بذلك وبين يدينا هتاف النبي الأقدس ﷺ : فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني ؟ .

وفي لفظة : فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ، ويغضبني ما أغضبها .

وفي لفظة : فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ، ويسطني ما يسطها .

وفي لفظة : فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ، وينصبني ما أنصبها . في

تاج العروس : أي يتعبي ما أتعبها .

وفي لفظة : فاطمة بضعة مني يريني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها .

وفي لفظة : فاطمة بضعة مني يسعني ما يسعها ، في تاج العروس : أي

ينالني ما ينالها ، ويلم بي ما يلّم بها .

وفي لفظة : فاطمة شجنة مني يسطني ما يسطها ، ويقبضني ما يقبضها .

وفي لفظة : فاطمة مضغعة مني فمن آذاها فقد آذاني .

وفي لفظة : فاطمة مضغعة مني يقبضني ما قبضها ، ويبسطني ما بسطها .

وفي لفظة : فاطمة مضغعة مني يسرني ما يسرها .

أخرجها على اختلاف ألفاظها أئمة الصحاح الست وعدة أخرى من رجال الحديث في السنن والمسانيد والمعاجم وإليك جملة ممن رواها :

١ - ابن أبي مليكة المتوفى سنة ١١٧ كما في رواية البخاري ومسلم وابن ماجة وابن داود وأحمد والحاكم .

٢ - أبو عمر بن دينار المكي المتوفى سنة ١٢٥/٦ كما في صحيح البخاري ومسلم .

٣ - الليث بن سعد المصري المتوفى سنة ١٧٥ كما في إسناد ابن ماجة وابن داود وأحمد .

٤ - أبو محمد ابن عيينة الكوفي المتوفى سنة ١٩٨ كما في الصحيحين .

٥ - أبو النضر هاشم البغدادي المتوفى سنة ٢٠٥/٧ كما في مسند أحمد .

٦ - أحمد بن يونس اليربوعي المتوفى سنة ٢٢٧ كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود .

٧ - الحافظ أبو الوليد الطيالسي المتوفى سنة ٢٢٧ كما في صحيح البخاري .

٨ - أبو المعمر الهذلي المتوفى سنة ٣٣٦ كما في صحيح مسلم .

٩ - قتيبة بن سعيد الثقفي المتوفى سنة ٢٤٠ روى عنه مسلم وأبو داود .

١٠ - عيسى بن حماد المصري المتوفى سنة ٢٤٨/٩ روى عنه ابن ماجة .

١١ - إمام الحنابلة أحمد المتوفى سنة ٢٤١ في مسنده ج ٤ ص ٣٢٢ ،

١٢ - الحافظ البخاري أبو عبد الله المتوفى سنة ٢٥٦ في صحيحه في المناقب ج ٥ ص ٢٧٤ .

١٣ - الحافظ مسلم القشيري المتوفى سنة ٢٦١ في صحيحه في الفضائل ج ٢ ص ٢٦١ .

١٤ - الحافظ أبو عبد الله ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٢ في سننه ج ١ ص ٢١٦ .

١٥ - الحافظ أبو داود السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ في سننه ج ١ ص ٣٢٤ .

١٦ - الحافظ أبو عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٥ في جامعه ج ٢ ص ٣١٩ .

١٧ - الحكيم أبو عبد الله الترمذي المحدث المتوفى سنة ٢٨٥ في نوادر الأصول ص ٣٠٨ .

١٨ - الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ في خصائصه ص ٣٥ .

١٩ - أبو الفرج الأصبهاني المتوفى سنة ٣٠٣ في الأغاني ج ٨ ص ١٥٦ .

٢٠ - الحاكم أبو عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ في المستدرک ج ٣ ص ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .

٢١ - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ في حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٠ .

٢٢ - الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ في السنن الكبرى ج ٧ ص ٣٠٧ .

٢٣ - أبو زكريا الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ في مشكاة المصابيح ص ٥٦٠ .

رواة حديث فاطمة بضعة مني ٢٦٣

٢٤ - الحافظ أبو القاسم البغوي المتوفى سنة ١٦/٥١٠ في مصابيح السنة
ج ٢ ص ٢٧٨ .

٢٥ - القاضي أبو الفضل عياض المتوفى سنة ٥٤٤ في الشفاء ج ٢ ص ١٩ .

٢٦ - أخطب الخطباء الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨ في مقتله ج ١ ص ٥٣ .

٢٧ - الحافظ أبو القاسم ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ في تاريخه ج ١
ص ٢٩٨ .

٢٨ - أبو القاسم السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ في الروض الأنف ج ٢
ص ١٩٦ .

وقال : إن أبا لبابة رفاعة بن عبد المنذر ربط نفسه في توبة وإن فاطمة أرادت
حلّه حين نزلت توبته فقال : قد أقسمت ألا يحلّني إلا رسول الله ﷺ فقال رسول
الله ﷺ : إن فاطمة مضغة مني . فصلّى الله عليه وعلى فاطمة ، فهذا حديث يدلّ
على أنّ من سبّها فقد كفر ، ومن صلّى عليها فقد صلّى على أبيها ﷺ .

٢٩ - ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى سنة ٥٨٦ في شرح النهج ج ٢
ص ٤٥٨ .

٣٠ - أبو الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ في صفة الصفوة ج ٢
ص ٥ .

٣١ - الحافظ أبو الحسن بن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠ في اسد الغابة
ص ٥٢١ .

٣٢ - أبو سالم ابن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ في مطالب السؤل
ج ٦ ص ٧ .

٣٣ - سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى سنة ٦٥٤ في التذكرة ص ١٧٥ .

٣٤ - الحافظ الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ في الكفاية ص ٢٢٠ .

٣٥ - الحافظ محب الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ في ذخائر العقبي
ص ٣٧ .

٣٦ - الحافظ أبو محمد الأزدي الأندلسي المتوفى سنة ٦٩٩ في شرح
المختصر من صحيح البخاري ج ٣ ص ٩١ .

٣٧ - الحافظ الذهبي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٧ في تلخيص المستدرک .

٣٨ - القاضي الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦ في المواقف كما في شرحه ج ٣
ص ٢٦٨ .

٣٩ - جمال الدين محمد الزرندي الحنفي المتوفى في بضع و ٧٥٠ في درر
السمطين .

٤٠ - أبو السعادات اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ في مرآة الجنان ج ١
ص ٦١ .

٤١ - الحافظ زين الدين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ في طرح الشريب ج ١
ص ١٥٠ .

٤٢ - الحافظ نور الدين الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ في مجمع الزوائد ج ٩
ص ٢٠٣ .

٤٣ - الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ في تهذيب التهذيب
ج ١٢ ص ٤٤١ .

٤٤ - الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ في الجامع الصغير
والكبير .

٤٥ - الحافظ أبو العباس القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ في المواهب اللدنية
ج ١ ص ٢٥٧ .

٤٦ - القاضي الديار بكري المالكي المتوفى سنة ٩٦٦/٨٢ في الخميس
ج ١ ص ٤٦٤ .

٤٧ - ابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٤ في الصواعق ص ١١٢ ، ١١٤ .

٤٨ - صفى الدين الخزرجي المتوفى سنة في الخلاصة ص ٤٣٥ .

٤٩ - زين الدين المناوي المتوفى سنة ١٠٣١/٥ في كنوز الدقائق ص ٩٦ .

وقال في شرح الجامع الصغير ج ٤ ص ٤٢١ : استدلل به السهيلي على أن من سبها كفر لأنه يغضبه ، وأنها أفضل من الشيخين قال الشريف السمهودي : ومعلوم أن أولادها بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه ، ومن ثم لما رأت أم الفضل في النوم أن بضعة منه وضعت في حجرها أولها رسول الله ﷺ بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها ، فولدت الحسن فوضع في حجرها ، فكل من يشاهد الآن من ذريتها بضعة من تلك البضعة ، وإن تعددت الوسائط ، ومن تأمل ذلك إنبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنب بغضهم على أي حال كانوا عليه .

قال ابن حجر : وفيه تحريم أذى من يتأذى المصطفى ﷺ بتأذيه ، فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به فالنبي ﷺ يتأذى به بشهادة هذا الخبر، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها ، ولهذا عرف بالإستقرار معالجة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد .

٥٠ - الشيخ أحمد المغربي المالكي المتوفى سنة ١٠٤١ في فتح المتعال

ص ٣٨٥ . قال في قصيدة كبيرة يمدح بها رسول الله ﷺ :

فما كسبني رسول الله من أحد	ولا يضاهايهما في الفخر مفتخر
وهل كفاطمة الزهراء أمهما	بنت النبي المصطفى بشر ؟
فإنها بضعة منه وما أحد	كبضعة المصطفى إن حقق النظر

٥١ - الشيخ أحمد باكثير المكي الشافعي المتوفى سنة ١٠٤٧ في وسيلة

المال .

٥٢ - أبو عبد الله الزرقاني المالكي المتوفى سنة ١١٢٢ في شرح المواهب

ج ٣ ص ٢٠٥ فقال : استدلل به السهيلي على أن من سبها كفر . وتوجيهه أنها تغضب ممن سبها وقد سوى بين غضبها وغضبه ومن أغضبه كفر .

٥٣ - الزبيدي الحنفي المتوفى سنة ١٢٠٥ في تاج العروس ج ٥ ص ٢٢٧
وج ٦ ص ١٣٩ .

٥٤ - القندوزي الحنفي المتوفى سنة ١٢٩٣ في ينابيع المودة ص ١٧١ .

٥٥ - الحمزاوي المالكي المتوفى سنة ١٣٠٣ في النور الساري هامش
البخاري ج ٥ ص ٢٧٤ .

٥٦ - الشيخ مصطفى الدمشقي المتوفى سنة في مرقاة الوصول
ص ١٠٩ .

٥٧ - السيد حميد الدين الألوسي المتوفى سنة ١٣٢٤ في نشر اللآلي
ص ١٨١ .

٥٨ - السيد محمود القراغولي البغدادي الحنفي في جوهرة الكلام
ص ١٠٥ .

٥٩ - عمر رضا كحالة في أعلام النساء ج ٤ ص ١٢٤ .

ثم أنى لنا القول بمقال ابن كثير وملء الأسماع قول رسول الله ﷺ : فاطمة
قلبي وروحي التي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني^(١) . وقوله : إن الله يغضب
لغضب فاطمة ويرضى لرضاها . أو : إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك قاله
لفاطمة ؟ !! .

راجع معجم الطبراني ، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٤ وصححه ، مسند ابن
النجار ، مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٥٢ ، تذكرة السبط ص ١٧٥ ، كفاية الطالب للكنجي
ص ٢١٩ ، ذخائر العقبى للمحب الطبري ص ٣٩ ، ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٧٢ ،
مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٣ ، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤٣ ، كنز العمال ج ٧
ص ١١١ ، أخبار الدول هامش الكامل ج ١ ص ١٨٥ ، كنوز الدقائق للمناوي ص ٣٠ ،
شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٢ ، الإسعاف ص ١٧١ ، ينابيع المودة ص ١٧٣ ،
١٧٤ ، الشرف المؤبد ص ٥٩ .

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٤٠ .

هذه مطلقات تشمل جميع موجبات الرضا والغضب من الصديقة سلام الله عليها حتى المباحات شأن أبيها الأقدس كما فهمه القسطلاني والحمزاوي في شرح البخاري ، وذلك يكشف عن أنها صلوات الله عليها لا ترضى إلا لما فيه مرضاة المولى سبحانه ، ولا تغضب إلا على ما يغضبه ، حتى أنها لورضيت أو غضبت على أمر مباح فإن هناك جهة شرعية تدخله في الراجحات ، أو تجعله من المكروهات ، فلن تجد منها في أي من الرضا والغضب وجهة نفسية أو صبغة شهوية ، وذلك معنى العصمة التي نفاها المتحذلق - ابن كثير - بعد أن تصامم أو تعامى عن دلالة آية التطهير النازلة فيها وفي أبيها وبعلمها وبنيتها : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .



هذه أبحاث مجملة تمثل لنا نفسيّات الخليفة ، وملكاته الفاضلة ، نقتصر بها في هذه العجالة وإن لم تزحفنا ولم يتأت بها القصوى ، غير أنّ فيها بلغةً في إيقاف الباحث على حدّ الخليفة ، ومقياساً يُعرف به القالي له من الغالي فيه ، والمقتصد فيه من القاسط عليه ، ويمتاز به سرف القول في امتداحه عن جزاف الإمتداح عليه ، فيهمّنا عندئذ ذكر نزر يسير ممّا سرده القوم من فضائله التي فيها من الغلو الفاحش ما لا يخفى على أيّ أحد ثمّ نشفعه بما جاء في غيره حتى يُعرف أهل الغلو في الفضائل .

١ - الشمس على العجلة :

ذكر الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في كتابه «عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق»^(١) نقلاً عن كتاب «العقائق» والصفوري في «نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤» نقلاً عن «عيون المجالس» قالوا :

روي أنّ النبي ﷺ قال يوماً لعائشة رضي الله عنها : إنّ الله تعالى لما خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة وأربعين مرةً وجعلها على عجلة ، وخلق للعجلة ثمانمائة وستين عروة ، وجعل في كلّ عروة سلسلة من الياقوت

(١) ص ١٨٤ هامش روض الرياحين للياضي المطبوع بمصر سنة ١٣١٥ .

الأحمر ، وأمر ستين ألفاً من الملائكة المقربين أن يجروها بتلك السلاسل مع قوتهم التي اختصهم الله بها ، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهي تدور في القبة الخضراء ، وتجلو جمالها على أهل الغبراء ، وفي كل يوم تقف على خط الاستواء فوق الكعبة لأنها مركز الأرض وتقول : يا ملائكة ربي إني لأستحي من الله عز وجل إذا وصلت إلى محاذاة الكعبة التي هي قبة المؤمنين أن أجوز عليها ، والملائكة تجر الشمس لتعبر على الكعبة بكل قوتها فلا تقبل منهم وتعجز الملائكة عنها ، فالله تعالى يوحى إلى الملائكة وحي إلهام فينادون : أيها الشمس بحرمة الرجل الذي إسمه منقوش على وجهك المنير ألا رجعت إلى ما كنت فيه من السير . فإذا سمعت ذلك تحركت بقدرة المالك ، فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ! من هو الرجل الذي إسمه منقوش عليها ؟ قال : هو أبو بكر الصديق يا عائشة ! قبل أن يخلق الله العالم علم بعلمه القديم أنه يخلق الهواء ، ويخلق على الهواء هذه السماء ، ويخلق بحراً من الماء ، ويخلق عليه عجلة مركباً للشمس المشرقة على الدنيا ، وإن الشمس تتمرّد على الملائكة إذا وصلت إلى الاستواء ، وإن الله تعالى قدر أن يخلق في آخر الزمان نبياً مفضلاً على الأنبياء وهو يعلك يا عائشة ! على رغم الأعداء ، ونقش على وجه الشمس اسم وزيره أعني أبا بكر صديق المصطفى ، فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشمس ، وعادت إلى سيرها ، بقدرة المولى ، وكذلك إذا مرّ العاصي من أمّتي على نار جهنم وأرادت النار على المؤمن أن تهجم ، فلحمة محبة الله في قلبه ونقش إسمه على لسانه ترجع النار إلى ورائها هاربة ، ولغيره طالبة .

قال الأميني : إن ممّا يغمرني في الحيرة أن هذه العجلة ، لم لم يكشف عنها علماء الهيئة قديماً وحديثاً ، مع توفر أدوات الكشف ومحصلاته لأهل الهيئة الجديدة خاصّة ؟ وأنهم لماذا استقرّت آراؤهم بعد تقدّم العلم واستفحال أمره وكثرة اكتشافاته على دوران الأرض على الشمس ؟ .

وتعلمنا الرواية عن أن البخار لم يكن مستخدماً عند إنشاء تلك العجلة فيمدّها الله سبحانه به حتى لا يشعر بإرادة مريد ، ولا حياء من يستحي ، فيمضي بالعجلة ويوصلها في أسرع وقت إلى حيث شيء لها قدماً ، ولكن العجب أن الله

سبحانه : لِمَ لَمْ يَسْتَبْدِلْ بِالْبَخَارِ عَنْ الْمَلَائِكَةِ بَعْدَ اكْتِشَافِهِ فَيَطْلُقُ صِرَاحَ أُوْلُوكِ
الْآلَافِ الْمُؤَلَّفَةِ الْمُقَيَّدَةِ بِسُلَّاسِلِ بَلَاءِ الْعَجَلَةِ ، وَيَعْتَقُهُمْ عَنْ مَكَابِدَةِ تَمَرُّدِ الشَّمْسِ فِي
كُلِّ يَوْمٍ ؟ .

وهناك مسألة لا أدري من المجيب عنها وهي : إِنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ الْفَائِقَةَ
عَلَى كُلِّ قُوَّةٍ جَامِحَةٍ وَهِيَ تَمْسِكُ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، وَتَسِيرُ الْجِبَالُ تَحْسِبُهَا
جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ، لِمَ لَمْ تَقُمْ مَقَامَ
أُوْلُوكِ الْمُسَخَّرِينَ لَجَرِّ الشَّمْسِ حَتَّى لَا يَوْقِفُهَا تَمَرُّدٌ ، وَلَا تَحْتَاجَ إِلَى عَرَى
وَسُلَّاسِلٍ ، أَوْ الْأَقْسَامِ بِمَنْ كَتَبَ إِسْمَهُ عَلَيْهَا ؟ وَمَا الَّذِي أَحْوَجَ الْمُؤَلَّى سَبْحَانَهُ فِي
تَسْيِيرِ الشَّمْسِ إِلَى هَذِهِ الْأَذْوَاتِ مِنَ الْعَجَلَةِ وَالْعَرَى وَالسُّلَّاسِلِ ، وَخَلَقَ أُوْلُوكَ الْجَمِّ
الْغَفِيرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَاسْتَعْدَاهُمْ بِالْجَرِّ الثَقِيلِ ، وَهُوَ الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَكُونَ
يَقُولُ لَهُ : كُنْ ، فَيَكُونُ ؟ .

ثُمَّ إِنَّ الشَّمْسَ هَلَّا كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ مَاضِيَةٌ عَلَيْهَا بِجَرِّيْهَا إِلَى
الْغَايَةِ الْمَقْصُودَةِ ؟ فَمَا هَذَا التَّوَقُّفُ وَالتَّمَرُّدُ ؟ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِعَظَمَةِ الْكَعْبَةِ وَشَرَفِهَا
مِنْهَا وَقَدْ جَعَلَهَا فِي خُطَّةٍ سِيرَهَا . أَنَّى لِلشَّمْسِ أَنْ تَجْهَلَ بِهَا ؟ وَهِيَ الشَّاعِرَةُ
بِخُطِّ الْإِسْتِواءِ ، وَمَحَاذَاةِ الْكَعْبَةِ وَوُصُولِهَا إِلَى تِلْكَ النُّقْطَةِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَهِيَ الْعَارِفَةُ
بِمَقَامَاتِ الصَّدِّيقِ ، وَأَنَّ إِسْمَهُ مَنْقُوشٌ عَلَيْهَا ، وَأَنَّ مِنْ وَاجِبِهَا أَنْ تَنْقَادَ وَلَا تَجْمَحَ
عَلَى مَنْ أَقْسَمَ بِهِ عَلَيْهَا .

وَعَنْ عَوِيصَاتٍ لَا تَنْحَلُّ : تَجْدِيدِ الشَّمْسِ تَمَرُّدَهَا كُلَّ يَوْمٍ ، ﴿ وَالشَّمْسُ
تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ^(١) ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ
الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ^(٢) .

وَأَعْوَصُ مِنْ ذَلِكَ : إِنْشَادُ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهَا فِي كُلِّ نَهَارٍ بِتِلْكَ الْأَنْشُودَةِ الضَّخْمَةِ
وَوَحْيِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ بِهَا طِيلَةَ عَمْرِ الدُّنْيَا .

(١) سورة يس : الآية : ٣٨ .

(٢) سورة يس : الآية : ٤٠ .

هكذا تشوه رواية السوء سمعة السنة الشريفة ، وهي مقدسة عن هذه الأوهام الخرافية وإن هذه كلها من جراء الغلو الممقوت في الفضائل ، ولو كان مختلق هذه المرسله المقطوعة عن الإسناد يعلم ما ذكرناه من الفضائح المترتبة على افتعالها لما اقتحم هذا الإقتحام المزري .

٢ - التوسل بلحية أبي بكر :

ذكر الياضي في روض الرياحين^(١) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : بينما نحن جلوس بالمسجد وإذا نحن برجل أعمى قد دخل علينا وسلم فرددنا عليه السلام وأجلسناه بين يدي النبي ﷺ فقال : من يقضيني حاجة في حب النبي ﷺ ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : ما حاجتك يا شيخ ؟ فقال : إن لي أهلاً ولم يكن عندي ما نقتات به ، وأريد من يدفع لنا شيئاً نقتات به في حب رسول الله ﷺ . قال فنهض أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال : نعم أنا أعطيك ما يقوم بك في حب رسول الله ﷺ . ثم قال : هل من حاجة أخرى ؟ فقال : نعم إن لي ابنة أريد من يتزوج بها في حياتي حباً في محمد ﷺ . فقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا أتزوج بها في حياتك حباً في رسول الله ﷺ ، هل من حاجة أخرى ؟ فقال : نعم أريد أن أضع يدي في شية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حباً في محمد ﷺ . فنهض أبو بكر رضي الله عنه ووضع لحيته في يد الأعمى وقال : أمسك لحيتي في حب محمد ﷺ . قال : فقبض الأعمى بلحية أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال : يا رب أسألك بحرمة شية أبي بكر إلا رددت علي بصري . قال : فرد الله عليه بصره لوقته ، فنزل جبرائيل عليه السلام على النبي ﷺ وقال : يا محمد ! السلام يقرئك السلام ، ويخصك بالتحية والإكرام ، ويقول لك : وعزته وجلاله لو أقسم علي كل أعمى بحرمة شية أبي بكر الصديق لرددت عليه بصره ،

(١) طبع بمصر في المطبعة السعيدية هامش العرائس للثعلبي توجد الرواية في ص ٤٤٣ ينقل عنه القسطلاني في المواهب ، وقال الزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ١٥٧ : مؤلف حسن ، وطبع للياضي كتاب آخر مستقلاً في مصر سنة ١٣١٥ باسم روض الرياحين أيضاً ، وهو تأليفه الآخر غير المطبوع في حاشية العرائس .

وما تركت على وجه الأرض أعمى ، وهذا كله ببركتك وعلو قدرك وشأنك عند ربك .

قال الأمين : ﴿إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ . حقاً إن هذا الضرير قد عمى قلبه قبل بصره ، فلم يعقل أن القسم بشيعة رسول الله ﷺ أولى من شيعة أبي بكر ، فهي مقدمة قداسة وشرفاً وزلفة عند الله سبحانه ، وهو عليه السلام أكبر من أبي بكر سناً وأكثر شيعة ، فما أعمى الرجل عنها إن كان يريد مقسماً به يبر الله سبحانه به قسمه ؟ أو أنه كان له في شيعة أبي بكر غاية لم نعرفها ؟ ثم أين عن هذه الشيعة عميان أهل السنة ، وما أغفلهم عن الوحي المنزل فيها ؟ فيقسمون على الله بها فيكشف عن أبصارهم ، وما بال الحفاظ وأئمة الحديث أرجأوا نشر هذه الرواية إلى القرن الثامن في عهد اليافعي ؟ هل بخلوا على عميان الأمة بمثل هذا النجاح الباهر وفي الوحي المزعوم قوله سبحانه : وعزتي وجلالي لو أقسم على كل أعمى . الخ ؟ أو أنهم وجدوا مولد هذا الحديث بعد عصورهم فلم يشيدوا بذكره ؟ أو رأوا فيه غلوفاً فاحشاً بتقديم لحية أبي بكر على شيعة رسول الله ﷺ فطروا عن روايته كشحاً ؟ أو عقلوا فيه مهزاة بالله ووحيه وأمينه ونبيه فضربوا عنه صفحاً ؟ .

وللقوم حول شيعة أبي بكر روايات منها ما أسلفناه في الجزء الخامس ص ٤١٧ من أنه عليه السلام كان إذا اشتاق إلى الجنة قبل شيعة أبي بكر . ومر هنالك أنها من أشهر المشهورات من الموضوعات ، ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل كما قاله الفيروزآبادي والعجلوني .

ومنها ما ذكره العجلوني في كشف الخفا ج ١ ص ٢٣٣ من أن لإبراهيم الخليل وأبي بكر الصديق شيعة في الجنة .

ثم قال في المقاصد نقلاً عن شيخه ابن حجر : لم يصح أن للخليـل في الجنة لحية ولا للصديق ، ولا أعرف ذلك في شيء من كتب الحديث المشهورة ولا الأجزاء المثورة . ثم قال : وعلى تقدير ثبوت وروده فيظهر لي أن الحكمة في ذلك : أمّا في حق الخليل فلكونه منزلاً منزلة الوالد للمسلمين لأنه الذي سمّاهم

بالمسلمين وأمروا باتباع ملته ، وأما في حقِّ الصديق فلأنه كالوالد. الثاني للمسلمين ، إذ هو الفاتح لهم باب الدخول على الإسلام .

قال الأُميني : إنَّ الذي سمَّى الأُمَّة المرحومة بالمسلمين هو الله سبحانه كما في قوله تعالى : ﴿جاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملَّة أبيكم إبراهيم . هو سَمَّاكم المسلمين من قبل وفي هذا﴾^(١) .

وإن أمكنت التسمية من إبراهيم من قبل فإنَّها غير ممكنة منه في هذا وهو القرآن الكريم ، وإنما وقع ذكر ملَّة إبراهيم في البين إمتناناً منه سبحانه على الأُمَّة بجعل الإسلام شريعة سهلة لا حرج فيها ترغيباً في الدخول فيه . فالقول بأنَّ إبراهيم سَمَّاهم مسلمين لا يتمُّ مع قوله تعالى : ﴿وفي هذا﴾ يعني في القرآن ، قال القرطبي : هذا القول مخالفٌ لقول عظماء الأُمَّة . وقال القرطبي : هذا لا وجه له لأنَّه من المعلوم أنَّ إبراهيم لم يسمَّ هذه الأُمَّة في القرآن المسلمين .

وقال ابن عباس : الله سَمَّاكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدِّمة وفي الذِّكر . وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل وقتادة وابن مبارك .

وتدلُّ على تعيين هذا القول قراءة أبي بن كعب : الله سَمَّاكم المسلمين . كما في تفسير البيضاوي ج ٢ ص ١١٢ ، وكشاف الزمخشري ج ٢ ص ٢٨٦ ، وتفسير الرازي ج ٦ ص ٢١٠ ، وتفسير ابن الجزي الكلبي ج ٣ ص ٤٧ .

واستقره الرازي في تفسيره فقال : لأنَّه تعالى قال : ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ . فبيِّن أنَّه سَمَّاهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق إلَّا بالله .

واستصوبه ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٢٣٦ وقال : لأنَّه تعالى قال : ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ . ثمَّ حثَّهم وأغراهم على ما جاء به الرِّسول صلوات الله عليه بأنَّه ملَّة أبيهم الخليل ، ثمَّ ذكر منته تعالى على هذه الأُمَّة بما نوه به من ذكرها والثناء عليه في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء يتلى

على الأخبار والرهبان فقال: ﴿هو سَمَّاكم المسلمين من قبل﴾ . أي من قبل هذا القرآن . وفي هذا .

وبهذا تعرف قيمة ما حسبه المتفلسف من أن تنزيل إبراهيم منزلة الأب للمسلمين لمحض التسمية فإنه ممَّا لا يُقام له وزنٌ وإلَّا لوجب اتِّخاذ من سَمَّى أحداً باسمٍ (أباً) تنزيليّاً ومن المعلوم بطلانه، وإنَّما سَمَّاه الله أباً للمسلمين لأنَّه عليه السلام أبو الرسول الأمين وإنَّ قريشاً من ذريّته وهو عليه السلام أبو الأُمّة وأُمّته في حكم أولاده وأزواجه أُمّهاتهم كما ورد عنه عليه السلام من قوله : إنّما أنا لكم كالوالد . أو : مثل الوالد^(١) .

أنا لا أدري ما هي الخاصّة في الأب التنزيليّ لأُمّة خاصّة أن تكون له لحية في الجنّة دون الأب الحقيقيّ للأُمم جمعاء ، وهو أبو البشر آدم عليه السلام ، ولا لحية له ؟ مع ما ورد عن كعب الأخبار أنّه قال : ليس أحدٌ في الجنّة له لحية إلّا آدم ، له لحية سوداء إلى سرّته . ذكره ابن كثير في تاريخه ج ١ ص ٩٧ .

وإن كانت الحكمة في لحية إبراهيم الخليل وأبي بكر ما زعمه العجلوني من الأبوة فما الحكمة في لحية موسى بن عمران ؟ وقد جاء في الحديث : ليس أحدٌ يدخل الجنّة إلّا جرد مرد إلّا موسى بن عمران فإنّ لحيته إلى سرّته .

[السيرة الحليّة ج ١ ص ٤٢٥]

ثم إنّ للأُمّة المسلمة أباً تنزيليّاً روحياً هو أحقُّ بالأبوة من الخليل عليه السلام وهو نبيّها الأقدس محمّد عليه السلام كما مرّ حديثه ، وبه حياتها الحقيقيّة ، وهو الذي يدعوهم لما يحييهم ، ومنه كيانه المستقرّ ، وعزّها الخالد ، فهو أولى باللحية من أبيه الخليل وصاحبه أبي بكر .

والعجب كلّ العجب في عدّ أبي بكر أباً ثانياً للأُمّة لأنّه فتح لها باب الدخول إلى الإسلام ، وإنّ الذي فتح باب الإسلام بمصراعيه لدخول الأُمم فيه ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، هو رسول الله عليه السلام بدعوته الكريمة ،

(١) تفسير الخازن ج ٣ ص ٣١٤ ، تفسير النسفي هامش الخازن ج ٣ ص ٣١٤ .

وبراهينه الصادقة ، ومعاجزه المعلومة ، ونواميسه المقدسة ، وخلائقه الرضيّة ، ومغازيه الدامية ، فهو أولى بأن تكون له لحية في الجنة .

على أنّ الأمة قطُّ لم تعرف باباً فتحه الخليفة لها إلى الإسلام ، ولم يدر أيّ أحد أنّه متى فتحه ، وأين فتحه ، ولماذا فتحه ، وأيّ باب هو . نعم لا تخفى على الأمة جمعاء أنّه غلق باباً عليها وحرّمها من خير أهلها وعلمه ورشده وهده ، ألا : وهو باب مدينة علم النبيّ مولانا أمير المؤمنين بالنصّ المتواتر ، وهو الباب الذي منه يؤتى إلى الله ، وإليه يتوجّه الأولياء ، فلولا انتزاع الأمر منه لانتشرت علومه ، وزهرت معالمه ، وتبلّغت حكمه ، وعمل بأحكامه ، فأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، منهم أمةٌ مقتصدة وكثيرٌ منهم ساء ما يعملون ، لكنّه عليه السلام منع عن حقّه فجعلت العباد ، وأجذبت البلاد ، وصوّحت المرباع ، وظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ، وإلى الله المشتكى .

وإن أراد القائل من فتح الباب بدء الفتوح في أيام الخليفة ؟ فالخليفة الثاني على ذلك أجدر باللّحية منه ، لأنّ عمدة الفتوح وقعت في أيامه .

نعم : إن يكن هناك من يحقُّ أن يُعدَّ للأمة أباً ثانياً تنزيلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي به كان تمام الدعوة والنجاح في المغازي ، وهو نفس النبيّ القدسيّة وخليفته المنصوص عليه ، ولذلك جاء من طريق أنس بن مالك عنه عليه السلام قوله : حقّ عليّ على هذه الأمة كحقّ الوالد على الولد ، ومن طريق عمّار وأبي أيوب الأنصاري قوله : حقّ عليّ على كلّ مسلم حقّ الوالد على ولده^(١) .

٣ - شهادة أبي بكر وجبرائيل :

ذكر النسفي أنّ رجلاً مات بالمدينة فأراد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يصليّ عليه فنزل جبرائيل وقال : يا محمّد لا تصلّ عليه . فامتنع فجاء أبو بكر فقال : يا نبيّ الله صلّ

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٢ نقلاً عن الحاكمي ، كنوز الدقائق ص ٦٤ نقلاً عن الديلمي ، مناقب الخوارزمي ص ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، فرائد السمطين لشيخ الإسلام الحموي ، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٢ .

عليه فما علمتُ منه إلا خيراً . فنزل جبرائيل وقال : يا محمد صلّ عليه ، فإنّ شهادة أبي بكر مقدّمة على شهادتي .

[مصباح الظلام للجرداني ج ٢ ص ٢٥ ، نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤]

قال الأميني : هلّمّ معي نناقش راوي هذه السفسطة الحساب بعد أن لم نقف لها على إسناد نناقش رجاله ، ونسائله عن أنّ ما أدّاه جبرائيل من الشهادة أكان من عند نفسه ؟ ولم يكن لأمين الله على وحيه أن يأتي رسوله بشيء من قبل نفسه فحاجي أبا بكر بتقديم شهادته أم كان وحيّاً من المولى سبحانه ؟ - وهو المطّرد في كلّ هبوط له إلى الرسول الأمين - فأبطل ذلك الوحي المبين مجازفةً لمحض أنّ أبا بكر شهد بضدّ ما جاء به ؟ وأيّاً ما كان فإنّ إخباره كان لا محالة عن عدم تأهل الرجل في الواقع للصلاة عليه في صورة نهّي مفيد للتحريم ، ومؤدّاه أنّ الله سبحانه ييغض أن ترفع إليه صلاة على مثله من نبيّه المحبوب ، فهل يكون قول أبي بكر بتأهله المستنبط من ظاهر الحال الذي يخطيء ويصيب ، ولا شك أنّه مخطيء في هذا المورد بالخصوص لنزول الوحي بخلافه ، فهل يكون قول هذا شأنه مبطلاً للوحي المبين ؟ تبصّر واحكم .

٤ - خاتم النبيّ وسجلّه :

روي أنّ النبيّ ﷺ دفع خاتمه إلى أبي بكر وقال : اكتب عليه : لا إله إلاّ الله ، فدفعه أبو بكر إلى النقّاش وقال : اكتب عليه : لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله . فكتب عليه ، فلمّا جاء به أبو بكر إلى النبيّ ﷺ وجد عليه لا إله إلاّ الله محمد ، رسول الله ، أبو بكر الصّدّيق . فقال : ما هذه الزيادة يا أبا بكر ؟ فقال : ما رضيت أن أفرّق اسمك عن اسم الله ، وأمّا الباقي فما قلته فنزل جبرائيل وقال : إنّ الله سبحانه وتعالى يقول : إني كتبت اسم أبي بكر لأنّه ما رضي أن يفرّق اسمك عن اسمي ، فأنا ما رضيت أن أفرّق اسمه عن اسمك . نزهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٨٥ نقلاً عن تفسير الرازي ، مصباح الظلام للجرداني ص ٢٥ .

قال الأميني : المتسالم عليه بين المحدثين أنّ نقش خاتم رسول الله ﷺ

كان «محمد رسول الله» بلا أي زيادة ففي الصحاح عن أنس أنه ﷺ صنع خاتماً من ورق ونقش فيه : محمد رسول الله . وقال : فلا ينقش أحد على نقشه .

صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٩ . صحيح مسلم ج ٢ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٣٢٤ ، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، سنن النسائي ج ٨ ص ١٧٣ .

وفي رواية البخاري والترمذي عن أنس قال : كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر : محمد ، سطر ، ورسول ، سطر ، والله ، سطر .

[صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٩ ، صحيح الترمذي ج ١ ص ٣٢٥]

وروى ابن سعد في طبقاته من مرسل ابن سيرين أن نقشه كان : بسم الله محمد رسول الله . وقال ابن حجر : ولم يتابع على هذه الزيادة . ذكره عنه الزرقاني في شرح المواهب ج ٥ ص ٣٩ .

وأخرج أبو الشيخ في الأخلاق النبوية من رواية عرعة بن البرند عن أنس قال : كان مكتوباً على فص خاتم رسول الله ﷺ : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . قال ابن حجر في فتح الباري ج ١٠ ص ٢٧٠ : عرعة ضعفه ابن المديني وزيادته هذه شاذة . وقال الزرقاني في شرح المواهب ج ٥ ص ٣٩ : كان نقش الخاتم النبوي كما في الصحيحين وغيرهما . محمد رسول الله . فلا عبرة بهذه الرواية كرواية أنه كان فيه كلمتا الشهادة معاً ؛ ورواية ابن سعد عن أبي العالية أن نقشه : صدق الله . ثم ألحق الخلفاء : محمد رسول الله .

فما قيمة ما جاء به من النقش صَوَاغ القرون المتأخرة ، وصاغته يد الإفك والغلو بعد لأي من وفاة النبي الأعظم وانقطاع الوحي عنه ، ولا يوجد في تأليف الأولين منه عين ولا أثر ؟ وأنت ترى السلف حاكمين في حديث زيادة كلمة الإخلاص والبسملة بالشذوذ وأنه لا عبرة به ولا يُتابع عليه ، ولا يبحث أي متضلع في الفن عن هذه الزيادة المختلفة التي لا صلة لها بالموضوع ، وليست هي إلا استهزاء بالله ونبيه ووحيه وأمين وحيه .

ثم قد صحَّ عند القوم أن ذلك الخاتم المنقوش الخاص بالنبي ﷺ «وكان

يتختم به ويختم ﷺ ولم يكن له خاتم غيره ولم يحتمل التعدد قطُّ أحد في رفع اختلاف أحاديث النقش» كان عند أبي بكر في يمينه بعد رسول الله ﷺ ، وبعده في يد عمر ، وبعده عند عثمان في يمينه وسقط سنة ثلاثين من يده أو : من يد غيره ، في بئر أريس^(١) واتخذ له خاتماً آخر^(٢) وفي رواية ابن سعد عن الأنصاري كما في فتح الباري ج ١٠ ص ٢٧٠ وسنن النسائي ج ٨ ص ١٧٩ : إنه كان في يد عثمان ست سنين من عمله . فلو كانت تلكم الأسطورة صحيحة وكان إسم الخليفة منقوشاً في خاتم كان يلبسه النبيُّ الأقدس طيلة حياته وتنظر إليه الصحابة من كُتب وترى بريقه في خنصره كما في صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ كان حقاً على الخليفة والخاتم بيده أن يحتجَّ بها يوم تسنم عرش الخلافة ، وكان هناك حوارٌ وصخبٌ ، لكنه لم يحتج لأنَّ ذلك الخاتم ما كان مصوغاً بعد ولا منقوشاً ، ولم يُعط من المغيب أنه يُستنحت له ذلك بعد قرون متطاولة . وكان حقاً على الصحابة الملتائين به أن يحتجوا بذلك النقش المصنوع في عالم الملكوت ، فإنَّ الاحتجاج به أولى من الاحتجاج بكبر السنِّ وأمثاله ، لكنهم تركوا الاحتجاج لأنَّ هذا المولود لم يكن يولد بعد ، وإنما ولدته أمُّ الغلوِّ في الفضائل في آخر الدهر .

ولا يتأتَّى لأحد عرفان سرِّ ما جاء به جبرائيل الخيالي من القران بين اسم النبيِّ الأعظم وبين اسم أبي بكر في ذلك النقش المصوغ في عالم الغيب ، أكان أبو بكر نفس النبيِّ الأعظم بنصَّ القرآن الكريم ، أم كان قرينه في العصمة والقداسة في الذكر الحكيم ؟ أم نزلت فيه آية التبليغ مع ذلك الإرهاب ؟ أم أكمل الله به الدين ، وأتمَّ به النعمة كما بدأ بالنبيِّ الطاهر ؟ أم كان رديف النبيِّ الأقدس في الإسلام والدعوة إلى الله من أوَّل يومه ؟ أم كان وصيِّه وخليفته المنصوص عليه من بدء الدعوة ؟ أم قرنت طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته كما في صحاح جاءت عنه ﷺ ؟ أم كان نظيره في أمته بنصِّ منه ﷺ ؟ أم ؟ أم ؟ إلى مائة أم . لماذا

(١) هي مليون من المدينة وهي من أقل الأبار ماء .

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٠٦ ، صحيح مسلم ج ٢ ص ٢١٤ ، سنن النسائي ج ٨ ص ١٧٩ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٥٥ ، تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٢٣ ، ٢٦٩ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٦٨ .

ذلك القرآن ؟ أنا لا أدري ، ومختلق الرواية أيضاً لا يدري .

٥ - عرض جنة أبي بكر :

قال الصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٣ : رأيت في الحديث أنَّ الملائكة اجتمعت تحت شجرة طوبى فقال ملكٌ : وددت أنَّ الله تعالى أعطاني قوَّة ألف ملك ، وكساني ريش ألف طير ، فأطير حول الجنة حتى أبلغ طرفها ، فأعطاه الله ذلك فطار ألف سنة حتى ذهب قوته وتساقط ريشه ، ثمَّ أعطاه الله قوَّةً وأجنحة فطار ألف سنة ثانية حتى ذهب قوَّته وتساقط ريشه ، ثمَّ أعطاه الله تعالى قوَّةً وأجنحة فطار ألف سنة ثالثة حتى ذهب قوَّته وتساقط ريشه ، فوقع على باب قصر باكيةً فأشرفت عليه حوراء فقالت : أيُّها الملك ما لي أراك باكيةً وليست هذه بدار بكاء وحزن ، وإنَّما هي دار فرح وسرور ؟ فقال : لأنِّي عارضت الله في قدرته . ثمَّ أعلمها بحديثه ، فقالت له : لقد خاطرت بنفسك أتدري كم طرت في هذه الثلاثة آلاف سنة ؟ قال : لا . قالت : وعزَّة ربِّي ما طرت أكثر من جزء واحد من عشرة آلاف جزء ممَّا أعدَّه الله تعالى لأبي بكر الصديق رضي الله عنه . وذكره الجرداني في مصباح الظلام ج ٢ ص ٢٥ .

قال الأميني : فمجموع ما أعدَّه الله تعالى لأبي بكر في الجنة هو مسير ثلاثين ألف ألف سنة لطائر يطير بقوة ألف ملك وريش ألف طير ، جلَّت قدرة الباري .

أنا أكل حساب هذه الرواية إلى الشباب النباه العصري المتخرِّج من المدارس العالية في أرجاء العالم . كما أرى النظرة في رجال سندها من وظائف رجال الغيب إذ من المستحيل أن يقف عليه متبَّع ، ويعرفه حافظٌ ضليع ، أو محدِّث بعيد الطَّنء ، أو رجالي واسع الخطوة من رجال عالم الشهود .

٦ - الله يستحيي من أبي بكر :

عن أنس بن مالك قال : جاءت امرأة من الأنصار فقالت : يا رسول الله ! رأيت في المنام كأن النخلة التي في داري وقعت ، وزوجي في السفر . فقال : يجب عليك الصبر فلن تجتمعي به أبداً . فخرجت المرأة باكيةً فرأت أبا بكر ،

فأخبرته بمنامها ولم تذكر له قول النبي ﷺ ، فقال : إذهي فإنك تجتمعين به في هذه الليلة . فدخلت إلى منزلها وهي متفكرة في قول النبي ﷺ وقول أبي بكر ، فلما كان الليل وإذا بزوجها قد أتى ، فذهبت إلى النبي ﷺ وأخبرته بزوجها ، فنظر إليها طويلاً فجاءه جبرائيل وقال : يا محمد ! الذي قلتَهُ هو الحق ، ولكن لما قال الصديق إنك تجتمعين به في هذه الليلة استحيى الله منه أن يجري على لسانه الكذب ، لأنه صديق فأحياءه كرامة له .

[نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤]

قال الأميني : ليتنا كنّا نقف على رجال هذا الخيال النبهاء الذين أرادوا كسح معرة الكذب عن ساحة الصديق فجروها إلى الساحة النبوية ، فكأن الله لم يبال بأن يجري الكذب على لسان نبيه الصادق المصدق ، حيث أنه لم يخبر عن موت الرجل وإنما أخبر امرأته بأنها لن تجتمع به أبداً بكلمة لن المفيدة لتأييد النفي المؤكد بقوله أبداً فظهر خلافه ، لكنه استحي من أبي بكر بعد أن رجم بالغيب إفكاً ظاهراً فأراد أن يرحض عنه ذلك بإحياء الرجل وعدم إمامته كرامة له ، وهل يرحضه ذلك بعد أن وقع الكذب ؟ أنا لا أدري .

وهل كانت كرامة أبي بكر على الله أعظم من كرامة رسوله عليه ؟ حيث لم يرض بظهور الكذب عليه ورضيه على مصطفاه ؛ ولم يكن في انتشاره عنه كسر للإسلام لكن انتشاره عن النبي ﷺ فت في عضد الدين .

ثم اعجب من تعليل الرواية بأن أبا بكر كان صديقاً . أو لم يكن رسول الله ﷺ سيد الصديقين أجمع ؟ وهب أن وحي هذه المزعمة خفف عن ساحة النبوة شيئاً يمكن أن يفوه به من اختلقها بأن الأمر كان كما أخبر به رسول الله ﷺ لكن أحياء الله الرجل للغاية التي ذكرها فلا كذب عليه ﷺ لكن يدفعه ما قدمناه من أنه ﷺ لم يخبر عن موت الرجل وإنما أخبر عن أنها لن تجتمع به أبداً وقد وقع خلاف ما أنبأ به . نعم : لعل ما مر من رأي الخليفة من جواز تقديم المفضول على الفاضل ، أو الغلو في الفضائل ، يرخّصان بكل ما ذكر .

٧ - كرامة دفن أبي بكر :

أخرج ابن عساكر في تاريخه قال : رُوي أن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لمن حضره : إذا أنا متُ وفرغتم من جهازي فاحملوني حتى تقفوا بباب البيت الذي فيه قبر النبي ﷺ فقفوا بالباب وقولوا : السلام عليك يا رسول الله ! هذا أبو بكر يستأذن . فإن أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقاً بقفل فأدخلوني وادفنوني ، وإن لم يفتح الباب فأخرجوني إلى البقيع وادفنوني به ، فلما وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وإذا بهاتف يهتف من القبر : أدخلوا الحبيب إلى الحبيب فإنَّ الحبيب إلى الحبيب مشتاق .

وذكره الرازي في تفسيره ج ٥ ص ٣٧٨ ، والحلي في السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٩٤ ، والديار بكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦٤ ، والقرماني في أخبار الدول هامش الكامل ج ١ ص ٢٠٠ ، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٩٨ .

قال الأميني : أراد رواية هذه الرواية تصحيح عمل القوم في دفن الخليفة في موطن القداسة [حجرة النبي ﷺ] بعد أن أُعيتهم المشكلة وعجزوا عن الجواب ، فإنَّ الحجرة الشريفة إما أن تكون باقية على ملكه ﷺ كما هو الحق المبين . أو أنها عادت صدقة يؤول أمرها إلى المسلمين أجمع ؟ وعلى الأول كان يشترط فيه رضا أولاد وارثته الوحيدة السبطين الإمامين وأخواتهما ولم يستأذن منهم أحدٌ . وعلى الثاني كان يجب على الخليفة أو على من تولَّى الأمر بعده أن يستأذن الجامعة الإسلامية ولم يكن من أيٍّ منهما شيءٌ من ذلك ، فبقي الدفن هنالك خارجاً عن ناموس الشريعة . وإن قيل : إنه دفن بحق ابنته ؟ فأبي حق لها بعدما جاء به أبوها من قوله : إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ؟ على أننا أسلفنا في الجزء السادس ص ٢٢٩ : أنه لم يكن للأمهات المؤمنات إلا السكنى في حجرهن كالمعتدة ولم يكن لهن ترتيب آثار الملك على شيء منها . وقدّمنا هنالك أيضاً أن على فرض الميراث وعلى تقدير الإرث من العقار فإنَّ لعائشة تسع الثمن من حجرتها لأنه عليه السلام توفي عن تسع ، ومساحة المحل لا يسع تسع ثمنها جثمان

إنسان مهما كبرت الحجرة . على أن حقها كان مشاعاً وليس لها التصرف فيه بغير إذن شريكاتها في الميراث .

أراد القوم التقصي عن هذه المشكلات فكونوا ما يستتبع مشكلة بعد مشكلة وهي : أن الخليفة هل قال ما قاله بعهد من النبي ﷺ أو أنه أحاط علماً بالمغيب ؟ أما الثاني فلا أحسب أحداً يدعي له ذلك بعدما أحطنا خبراً بكل ما قيل في فضائله ، وبعدهما أوقفناك على مبلغ علمه في المشهودات ، فأين هو عن الغيوب ؟ .

وأما الأول فلو كان ذلك لما كان لترديده بين الدفن في الحجرة إن فتح الباب وسقط القفل ، وبين الذهاب به إلى البقيع إن لم يكن ذلك ، فإن ما أخبر به النبي ﷺ لا بد أن يكون ، فلا ترديد فيه .

نعم : من المحتمل أنه ﷺ لم يعهد ذلك لنفس أبي بكر وإنما رواه عنه من لا يثق به الخليفة ولذلك نوه بما قال بالترديد ، أو أن الرواية لا صحة لها ، ولذلك لم تنتشر في الصحاح والمسانيد إلى عهد الحافظ ابن عساكر ، وهي على فرض صحتها مكرمة عظمى وقعت بمشهد الصحابة ومزدهم المهاجرين والأنصار يوم شيعوه إلى مقره الأخير ، وكان يجب والحالة هذه أن يتواصل الهاتف بها ، وبذلك الهاتف المسموع من القبر الشريف منذ ذلك العهد إلى منصرم الدهر ، ولم يكن يوم ذاك في الأبصار غشاوة ، ولا في الأذان وقر ، ولا في الألسنة بكم ، لكنه ويا للأسف لم ينبس أحدٌ عنها ببنت شفة ، وما ذلك إلا لأن المكرمة لم تقع ، والقفل ما سقط ، والباب ما انفتح ، والهاتف لم يكن ، وأدخلوا الحبيب إلى الحبيب ، فإن الحبيب إلى الحبيب مشتاق مهزأة نشأت من الغلو في الفضائل تنبىء عن روح التصوف في مخترق الرواية . نعم :

ماكل من زار الحمى سمع النداء من أهله أهلاً بذاك الزائر

هذه الكرامة المنحوتة المنحولة ذكرها الرازي ومن بعده مرسلين إياها إرسال المسلم ، محتجين بها في عداد فضائل أبي بكر ، غير مكترئين لما في إسنادها من العلل أو جاهلين بها ، وإنما أخرجها ابن عساكر من طريق أبي طاهر موسى بن

محمد بن عطاء المقدسي عن عبد الجليل المدني عن حبة العرني فقال : هذا منكر ، وأبو الطاهر كذاب ، وعبد الجليل مجهول . وفي لسان الميزان ج ٣ ص ٣٩١ : خبر باطل . اهـ .

وأبو الطاهر المقدسي كذبه أبو زرعة وأبو حاتم . وقال النسائي ليس بثقة . وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه كان يضع الحديث . وقال ابن عدي : كان يسرق الحديث . وقال العقيلي : يحدث عن الثقات بالأباطيل والموضوعات ، منكر الحديث وقال منصور بن إسماعيل : كان يضع الحديث على مالك . راجع المصادر المذكورة ج ٥ ص ٢٨٣

٨ - جبرائيل يسجد مهابة من أبي بكر :

حدث عالم الأمة الشيخ يوسف الفيشي المالكي قال : كان جبرائيل إذا قدم أبو بكر على النبي ﷺ وهو يحادثه يقوم إجلالاً للصدِّيق دون غيره ، فسأله النبي ﷺ عن ذلك ؟ فقال جبرائيل : أبو بكر له عليّ مشيخة في الأزل ، وما ذاك إلا أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم حدثني نفسي بما طرد به إبليس فحين قال الله تعالى : ﴿ اسجدوا ﴾ . رأيت قبة عظيمة عليها مكتوبٌ . أبو بكر أبو بكر . مراراً وهو يقول : أسجد . فسجدت من هبة أبي بكر فكان ما كان .

ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق في هامش روض الرياحين ص ١١١ فقال : وحدثني أيضاً شيخنا الأستاذ محمد زين العابدين البكري بما يقارب ما قاله الفيشي وسمعتها من أغلب مشايخنا بالأزهر .

قال الأميني : عجباً لهؤلاء القوم لم يسلم منهم حتى أمين الله على وحيه - جبرائيل - المعصوم من الزلزل من أوّل يومه فجعلوه في عداد إبليس اللعين الطريد لولا أن أبا بكر تدارك أمره .

عجباً لهذا الملك المزعوم يأتّمه المولى سبحانه ثم يرتاب في أمره ، ولا يصلح ذلك الشنار القول بأنّه إنّما اتّمه بعد زلّته تلك ، فإنّه سبحانه لا يأتّم من يمكن في حديث نفسه الكفر ، فلعلّ تلك الخاطرة دبّت فيه ولم يحصل من يسدّه فتعود هاجسته كفراً صريحاً .

عجباً لهذا الملك المقرب تروجه هبة أبي بكر ولا تأخذه هبة الإله العظيم
فيطيع أبا بكر وهو يهيم أن يطيع الله في أمره بالسجدة ، وأي سجدة هذه وما قيمتها
من مثل جبرائيل وقد وقعت من هبة أبي بكر لا بصفة القربان إلى المولى سبحانه
والزلفى لديه والإمثال لأمره فكأن هبة أبي بكر في الملائكة الأعلى أعظم وأفخم من
هبة بارئه جلّت عظمته .

ثم أين كانت قبة أبي بكر من مستوى عالم الملكوت ؟ ومن الأحرى أن
تضرب هناك قبة نبي العظمة حتى يسدّد فيها من شارف الزلّة لا قبة إنسان من
الممكن أن تكتنفه المآثم ، وتموت بضعة المصطفى وهي واجدة عليه .

ومن أين علم أبو بكر بهاجسة جبرائيل وحديث نفسه ؟ أو هل كان يعلم
الغيب ؟ أو أوحى إليه بواسطة غير أمين الوحي ؟ لك الحكم في هذه كلّها أيها
القارئ الكريم .

ثم العجب من مشايخ الأزهر الذين أجبثوا إلى هذه الخزاية فاثبتوها في
الكتب ولهجوا بها في الأندية ، وخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون
عرض هذا الأدنى فنشروها في الملائكة العلمي وشوّوها بها صفحة التاريخ وسمعة
الإسلام المقدّس ، نعم : أرادوا نحت فضيلة للخليفة فأعماهم الغلو في الفضائل
فنحتوها رذيلة لجبرائيل الأمين ، كلّ ذلك لأنهم افتعلوها من غير بصيرة في الدين ،
أو روية شاعرة في المبادئ الإسلامية .

وأحسب أن من اختلق هذه الرواية أراد إثباتها تجاه ما يروى لمولانا أمير
المؤمنين عليه السلام من تسديده لجبرائيل يوم خاطبه الله سبحانه : من أنا ومن أنت ؟
فتروى قليلاً وقد أخذته هبة الجليل سبحانه حتى أدركته نورانية مولانا
الإمام عليه السلام ، فعلمه أن يقول : أنت الجليل وأنا عبدك جبرائيل . وقد نظم ذلك
الشاعر المبدع الشيخ صالح التميمي من قصيدة له في مدح مولانا أمير
المؤمنين عليه السلام وخمّسها الشاعر المفلق عبد الباقي افندي العمري كما في ديوانه
ص ١٢٦ وفي ديوان صاحب الأصل ص ٤ قال :

روضة أنت للعقول ودوح يجتنى من طوباك رشّد ونصح
ومتى هب من عبيرك نفح شمل الروح من نسيمك روح

حين من ربّه أتاه النداء
طالما للأملاك كنت دليلاً ولنا موسهم هديت سيلاً
يوم نادى ربّ السما جبرئيلاً قائلاً : مَنْ أنا فروى قليلاً
وهو لولاك فاته الإهتداء^(١)
لك شكلٌ نتيجةً للقضايا لك قلبٌ للعالمين مرايا
لك فعلٌ حوى رفيع المزايا لك إسمٌ رآه خير البرايا
مذ تدلى وضّمه الإسرائ

وليست هذه كقصّة أبي بكر، فليس فيها أن جبرائيل نوى ما نواه إبليس من المروق عن أمره سبحانه ، ولا فيها أن أمير المؤمنين أنبأ عن مغيب ، ولا أن هيئته غلبت هيئة الله العظيم ، ولا أن جبرائيل سجد من هيئته ، ولا أن له هنالك قبة عظيمة مكتوبٌ عليها : علي علي ، ولا أنه هتف مخاطباً لجبرائيل بقوله : أسجد . وروّعه بذلك ، ليست فيها هذه كلّها لأنّ الشيعة في المتأى عن الغلو في الفضائل .

٩ - قصّة فيها كرامة لأبي بكر :

أخبر أبو العباس ابن عبد الواحد عن الشيخ الصالح عمر بن الزغبى قال : كنت مجاوراً بالمدينة المشرفة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام فخرجت يوم عاشوراء الذي تجتمع فيه الإمامية في قبة العباس وقد اجتمعوا في القبة قال : فوقفت أنا على باب القبة وقلت : أريد في محبة أبي بكر شيئاً . فخرج إليّ شيخ منهم وقال : إجلس حتى نفرغ ونعطيك ، فجلست حتى فرغوا ثم خرج ذلك الرجل وأخذ بيدي ومضى بي إلى داره وأدخلني الدار وأغلق ورائي الباب وسلّط عليّ عبيدين فكثفاني وأوجعاني ضرباً ، ثم أمرهما بقطع لساني فقطعاه ، ثم أمرهما فحلاً كتافي ، وقال : أخرج إلى الذي طلبت في محبته ليردّ إليك لسانك . قال : فخرجت من عنده إلى الحجرة الشريفة النبوية وأنا أبكي من شدة الوجد والألم فقلت في نفسي : يا رسول الله ! قد تعلم ما أصابني في محبة أبي بكر فإن كان صاحبك حقاً ؟ فأحب أن يرجع إليّ لساني وبث في الحجرة قلقاً من شدة الألم

(١) يعني الإهتداء إلى ذلك الجواب الحسن الجميل .

فأخذتني سنة من النوم فنمت فرأيت في منامي أن لساني قد عاد إلى حاله كما كان فاستيقظت فوجدته في في صحيحاً كما كان وأنا أتكلّم فقلت : الحمد لله الذي ردّ عليّ لساني وازددت محبة في أبي بكر رضي الله عنه ، فلمّا كان العام الثاني في يوم عاشوراء اجتمعوا على عاداتهم فخرجت إلى باب القبّة وقلت : أريد في محبة أبي بكر ديناراً ، فقام إليّ شاب من الحاضرين وقال لي : إجلس حتّى نفرغ . فجلست فلمّا فرغوا خرج إليّ ذلك الشاب وأخذ بيدي ومضى بي إلى تلك الدار فادخلني فيها ووضع بين يديّ طعاماً ، ولمّا فرغنا قام الشاب وفتح عليّ باباً على بيت في الدار وجعل يبكي فقمّت لأنظر ما سبب بكائه فرأيت في البيت قرداً مربوطاً فسألته عن قضيتّه فزاد بكاءً فسكنته حتّى سكن ، فقلت له : بالله أخبرني عن حالك ، فقال : إن حلفت لي أن لا تخبر أحداً من أهل المدينة أخبرتك ، فحلفت له ، فقال : اعلم أنّه أتانا في عام أوّل رجلٍ وطلب في محبة أبي بكر رضي الله عنه شيئاً في قبة العباس يوم عاشوراء فقام إليه أبي وكان من أكابر الإماميّة والشيعة فقال له : إجلس حتّى نفرغ . فلمّا فرغوا أتى به إلى هذه الدار وسلّط عليه عبيدين فضرباه ، وأمر بقطع لسانه فقطع ، وأخرجه فمضى لسبيله ولم نعرف له خبراً ، فلمّا كان الليل ونمنا صرخ أبي صرخة عظيمة فاستيقظنا من شدة صرخته فوجدناه قد مسخه الله قرداً ففرعنا منه وأدخلناه هذا البيت وربطناه ، وأظهرنا للناس موته وهو ذا نبكي عليه بكرة وعشيّاً . فقلت له : إذا رأيت الذي قطع أبوك لسانه تعرفه ؟ قال : لا والله : فقلت : أنا هو والله ، أنا الذي قطع أبوك لساني ، وقصصت عليه القصة فأكبّ عليّ يقبل رأسي ويدي ثمّ أعطاني ثوباً وديناراً وسألني كيف ردّ الله عليّ لساني ؟ فأخبرته وانصرفت .

مصباح الظلام للجرّداني ص ٢٣ من الطبعة الرابعة المصريّة المطبوعة بمطبعة الرّحمانيّة بمصر سنة ١٣٤٧ هـ ، ونزهة المجالس للصفوري ج ٢ ص ١٩٥ .

قال الأميني : ما أحوج القوم إلى اختلاق هذه الأساطير المشمّرجة وهي لا يصدّقها أيّ قارئٍ وبإدّ مهمّا يُقرّها قصّاص في أذنيه ، ولا يصير بها الأمر إلى قراره مهمّا حبكت نسقها يد الإفك ، وأبدعت في نسجها مهرة الإفعال .

أَنِّي يَصْدُقُ ذُو مَسْكَةٍ بِأَنَّ رَجُلًا شَهِيرًا يُعَدُّ مِنْ عَلَيْهِ قَوْمٌ وَمِنْ أَكْبَرِ أُمَّةٍ يُمَسَّخُ وَيُرْبَطُ فِي دَارِهِ وَهُوَ بَعْدُ مَجْهُولٌ لَا يَعْرِفُ اسْمَهُ ، وَلَا يَنْبِئُ عَنْهُ خَبِيرٌ ، وَيَسْعُ لَخَلْفِهِ إِخْفَاءُ أَمْرِهِ بِدَعْوَى مَوْتِهِ ، وَلَمْ يُسَأَلْ أَهْلُهُ عَنْ تَجْهِيزِهِ وَتَشْيِيعِهِ وَدَفْنِهِ وَمَقْبَرِهِ وَسَبَبِ مَوْتِهِ ، وَتَنَاقَتْ لَوْلَدَةِ الْغَشِيَةِ عَلَيْهَا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ وَأَسْمَاعِهِمْ كَأَنَّ فِي أَذَانِهِمْ صَمَمًا وَفِي أَبْصَارِهِمْ عَمًى .

ولماذا أخذه ابن الجاني - الذي لم يُخلق بعدُ لا هو ولا أبوه - ضيفه إلى والده وهو لا يعرف الرجل ولم يخش من الفضيحة ، ولماذا أوقفه على أمر أبيه وعواره وقد كان يستخفيه ويُظهر للناس موته ؟ .

وَأَنِّي يُصَدَّقُ بِأَنَّ رَجُلًا قُطِعَ لِسَانُهُ دُونَ مَبْدِئِهِ وَحَبَّ لَخَلِيفَتِهِ قَدْ اسْتَخْفَى قَصَّتَهُ ، وَمَا أَشَاعَ بِهَا ، وَمَا صَاحَ وَمَا بَاحَ بِمَظْلَمَتِهِ ، وَمَا أَبَانَ أَمْرَهُ عِنْدَ قَوْمِهِ ، وَمَا أَفَاضَ عَنْ شَأْنِهِ بِكَلِمَةٍ ، وَلَا يَتَمَمُّ قَاضِيًا وَلَا حَاكِمًا وَلَا الدَّوَائِرَ الْحُكُومِيَّةَ الصَّالِحَةَ لِلنَّظَرِ فِي مَظْلَمَتِهِ مِنْ عَدْلِيَّةٍ أَوْ دَائِرَةِ شَرْطَةٍ ، وَعَقِيرَتِهِ مَرْفُوعَةٌ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ ، وَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ يَتَرَبَّصُونَ الدَّوَائِرَ عَلَى الشَّيْعَةِ ، وَيَخْتَلِقُونَ عَلَيْهِمْ طَائِمَاتٍ كَهَذِهِ .

وَأَنِّي يُصَدَّقُ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ دَارِ مَنْ جَنَى عَلَيْهِ وَهُوَ مَقْصُوصُ اللِّسَانِ وَقَدْ مَلَأَ فَمَهُ دَمُهُ ، وَلَاذَ بِالْحَجَرَةِ الشَّرِيفَةِ بَاكِيًا قَلَقًا مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ ، مَا تَنَبَّهَ لَهُ أَيُّ أَحَدٍ ، وَمَا عُرِفَتْ مَعَ هَذِهِ كُلِّهَا مِنْ أَمْرِهِ قُدَّ عَمَلَةٌ ، وَلَا تَنَبَّهَ لِأَمْرِهِ سَدَنَةُ الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ ؟ .

وما بال الرجل لم يُمط الستر في وقته عن جناية عدو خليفته ، ولم يُفش سره ، ولم يُعلن كرامة الصديق ، ولم يفضح عدوه ، ولم يُعرب عن هذه المكرمة الغالية ، ولم يقرط الأذان بسماعها ، وينس أمره ولم ينبشه ، كأن لسانه بعدُ مقطوعٌ ، وأنه لم يجده في فيه صحيحاً ؟ أو رضي بأن يفشفش^(١) بعده أعلام قومه ؟ .

وإن تعجب فعجبٌ عود هذا الشحاذ الجريء إلى سؤاله مرة ثانية في سنته

(١) فشش : أفرط في الكذب ، وانتحل ما لغيره .

القابلة بعد أن رأى ما رأى قبل عام ، ووقوفه في ذلك الموقف الخطر في قبة العباس يوم عاشوراء ، ومضيئه من دون أي تحاش إلى تلك الدار التي وقعت فيها واقعة الخطرة الهائلة ، ودخوله فيها رابطاً جأشه ، وإلقاء نفسه إلى التهلكة ، ولم يكن يعرف شيئاً من قصة الشيعة ومسخره ، ولا من حنو الشاب وعطفه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ .

ولعله كان في هذه كلها على ثقة وطمأنينة من أنه قط لا يبقى بلا لسان ، وأن لسانه مهما قطع يرد إليه كما كان من بركة الخليفة ، وهو في حسبان هذا وقدمه إلى المهالك مجتهد وله أجره وإن أخطأ كاجتهاد سلفه .

وقد أنصف الشيخ الصالح المدني في اختلاق هذه القصة على شيعة كبير لم يولد بعد ولم تسمه أمه . وجاء غيره بأسطورة معتوه قموص الحنجرة^(١) وافتجر^(٢) في القول وأفجس^(٣) ألا وهو الشيخ عليا المالكي ، قال الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في عمدة التحقيق المطبوع بمصر في هامش روض الرياحين ص ١٢٣ : سمعت خالي العالم الشيخ عليا المالكي يقول : إن الرافضي إذا أشرف على الموت يقلب الله صورة وجهه وجه خنزير فلا يموت إلا إذا مسخ وجهه وجه خنزير ، ويكون ذلك علامة على أنه مات على الرفض ، فيستبشرون بذلك الروافض ، وإن لم يقلب وجهه عند الموت يحزنون ويقولون : إنه مات سنياً . انتهى .

وتخرق بعض الثقات في تاريخ حلب شاهداً على هذه المخرفة فقال : لما مات ابن منير^(٤) خرج جماعة من شبان حلب يتفرجون فقال بعضهم لبعض : قد سمعنا أنه لا يموت أحد ممن كان يسب أبا بكر وعمر إلا ويمسحه الله تعالى في قبره خنزيراً ولا شك أن ابن منير كان يسبهما ، فأجمعوا رأيهم على المضي إلى

(١) يُقال فلان قموص الحنجرة : أي كذاب .

(٢) افتجر في الكلام : أي اختلقه وذكره من غير أن يسمعه من أحد .

(٣) أفجس : افتخر بالباطل .

(٤) أحد شعراء الغدير مَرَّت ترجمته في الجزء الرابع ص ٣٧٢-٣٨٢ مات في دمشق ثم نقل إلى حلب فدفن بها .

قبره ، فمضوا ونبشوه فوجدوا صورته خنزيراً ووجهه منحرفاً عن جهة القبلة إلى جهة الشمال ، فأخرجوا على قبره ليشاهده الناس ثم بدا لهم أن يحرقوه فأحرقوه بالنار وأعادوه في قبره وردّوا عليه التراب وانصرفوا .

وذكره العلامة الجرداني في مصباح الظلام المؤلّف سنة ١٣٠١ والمطبوع بمصر سنة ١٣٤٧ وقرّطه جمعٌ من الأعلام ألا وهم كما في آخر الكتاب : العالم العفيف السيّد محمود أنسي الشافعي الديماطي ، والعلامة الشيخ محمّد جودة ، والعلامة الأوحّد الشيخ محمّد الحمامصي ، وحضرة الفاضل اللبيب الشيخ عطية محمود قطارية ، والعالم العامل الشيخ محمّد القاضي ، وحضرة الشاعر اللبيب محمّد أفندي نجل العلامة الشيخ محمّد النشار .

ليست هذه النفثات إلّا كتيبت^(١) الإحن ، ونفران^(٢) الشحناء . وإن شئت قلت : إنّها سكرة الحبّ ، وسرف المغالاة . قد أعمت الأهواء بصائر أولئك الرجال فجاءوا بهذه المخاريق المخزية ، والأفائك المزخرفة ، وبيّتوها غير مكترئين لمعبة صنيعهم ، ولا متحاشين عن معرفة قيلهم ، وشتان بينها وبين أدب الدين ، وأدب العلم ، وأدب التأليف ، وأدب العقّة ، وأدب الدعاية والنشر . إنّهم ليقولون منكرّاً من القول وزوراً ، ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيّتون ما لا يرضى من القول .

كأنّ هؤلاء يحدثون عن أمّة بائدة لم يبق لها الملوان من يشاهده أحد من^(٣) الأجيال الحاضرة ، أو ليست الشيعة هؤلاء الذين هم مبثوثون في أرجاء العالم وأجواء الأمم ، يشاهدهم كلّ ذي بصر وبصيرة أحياء وأمواتاً ؟ فمن ذا الذي شهد أحدهم أنّه انقلب عند موته خنزيراً غير أولئك الشبّان الموهومين الذين شاهدوا ابن منير في قبره ؟ وهل الشيخ عليا المالكي هو وجد أحداً من الشيعة كما وصفه ؟ أو روي له ذلك الإفك فوثق به كما وثق العبيدي ؟ وهل كان يمكنه أن يقف على الموتى جميعاً أو أكثرهم وليس هو بمغسل الموتى أو من حفّاري القبور ولا من نبّاشيها ؟ .

(١) الكتيبت : صوت غليان القدر والنبذ ونحوهما .

(٢) نغر الرجل عن فلان نغراً ونفراناً : غلا جوفه عليه غضباً .

على أن التشيع ليس من ولائد تلکم العصور وإنما بدىء به منذ العهد النبويّ ، فهل كان السلف الشيعي من الصحابة والتابعين يموتون كذلك وكان فيهم من يعرف بالتشيع كأبي ذر وسلمان وعمّار والمقداد وأبي الطفيل ؟ فهل يسحب هذا الرجل ذيل مزعمته الى ساحة أولئك الأعظم ؟ قطعت جهيزة قول كل خطيب^(١) .

١٠ - أبو بكر شيخ يُعرف ، والنبي شاب لا يُعرف :

عن أنس بن مالك قال : أقبل النبي ﷺ إلى المدينة ، وأبو بكر شيخ يُعرف والنبي ﷺ شاب لا يُعرف فيلقى الرجل أبا بكر^(٢) فيقول : يا أبا بكر ! من هذا الذي بين يديك ؟ فيقول : يهديني السبيل ، فيحسب الحاسب أنه يهديه الطريق وإنما يعني سبيل الخير .

وفي لفظ : إن أبا بكر كان رديف النبي ﷺ وكان أعرف بذلك الطريق فيراه الرجل يعرفه فيقول : يا أبا بكر ! من هذا الغلام بين يديك ؟ وفي لفظ أحمد : كانوا يقولون : يا أبا بكر ! ما هذا الغلام بين يديك ؟ فيقول : هذا يهديني السبيل . وفي لفظ : قالوا : يا أبا بكر ! من هذا الذي تعظمه هذا الإعظام ؟ قال : هذا يهديني الطريق وهو أعرف به مني .

وفي رواية : ركب رسول الله ﷺ وراء أبي بكر ناقته . وفي التمهيد لابن عبد البر : أنه لما أتى براحلة أبي بكر سأل أبو بكر رسول الله ﷺ أن يركب ويردّفه فقال رسول الله ﷺ : بل أنت اركب وأردفك أنا فإن الرجل أحقّ بصدر دابّته . فكان إذا قيل له : من هذا وراءك ؟ قال هذا يهديني السبيل .

وفي لفظ : لما قدم ﷺ المدينة تلقاه المسلمون فقام أبو بكر للناس ، وجلس النبي صامتاً ، وأبو بكر شيخ والنبي شاب ، فطفق من جاء من الأنصار ممّن لم ير رسول الله ﷺ يجيء أبا بكر فيعرفه بالنبي ﷺ حتّى أصابت الشمس رسول الله ﷺ

(١) مثل يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها .

(٢) في الإنشغال من بني عمرو . كذا قاله القسطلاني في إرشاد الساري ج ٦ ص ٢١٤ وبنو عمرو بن عوف هم من الأنصار النازلين بقاء كان قد نزل عليهم رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة كما يأتي تفصيله .

فأقبل أبو بكر حتى ظلَّ عليه بردائه فعرفه الناس عند ذلك .

صحيح البخاري باب هجرة النبيّ ج ٦ ص ٥٣ . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٩ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٢٢ ، مسند أحمد ج ٣ ص ٢٨٧ ، معارف ابن قتيبة ص ٧٥ ، الرياض النضرة ج ١ ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ٨٦ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٦ ، ٦١ .

قال الأميني : ما أنزل الدهر نبيّ الإسلام حتى قيل : إنّه شابٌ لا يُعرف . كأنّه غلامٌ نكرةٌ اتَّخذه شيخٌ انتشر صوته كصيته بين الناس دليلاً في مسيره يرتدّفه تارة ويمشيّه بين يديه أخرى ومهما سئل عنه يقول : هذا يهديني الطريق وهو أعرف به مني ، كأنّ نبيّ الإسلام عليه السلام لم يكن ذلك الذي كان يعرض نفسه على القبائل في كلّ موسمٍ فعرفوه على بكرة أبيهم من آمن منهم ومن لم يؤمن ، خصوصاً الأنصار المدثيون منهم وفيهم رجال الأوس والخزرج ، وقد بايعوه عند العقبة الأولى مرة ، وبايعه منهم مرةً ثانية عند العقبة ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتان .

وكأنّه عليه السلام لم يكن ذلك الذي أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة قبله ، وكان بتلك الهجرة غلقت أبواب ، وخلت دور أناس من السكّنى ، وهاجر أهلها رجالاً ونساءً وكان في مقدّم المهاجرين ما يناهز ستين رجلاً ، فلم يبق في مكة المعظّمة من أسلم معه عليه السلام إلاّ أمير المؤمنين وأبو بكر ، وكانّ المدينة ليست بدار بني النجار وهم خوؤلة النبيّ الأقدس .

وكأنّه عليه السلام لم يكن الذي اتَّخذ المدينة قاعدة ملكه ، وعاصمة حكومته ، ومعسكر نهضته ، فبث فيها رجاله وخاصّته من أهلها ومن المهاجرين فكانوا يرقبون مقدمه الشريف في كلّ حين حتى إذا وافوه مقبلاً عليهم استقبلوه بقضّهم وقضيضهم وفيهم أهل البيعتين ومن تقدّمه من المهاجرين وكلّهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإنّه عليه السلام مكث في قباء عند بني عمرو بن عوف أياماً وليالي حتى أسّس مسجده الشريف فيها ، فعرفه كلّ من في قباء ممّن لم يكن يعرفه قبل من رجال الأوس والخزرج ، واتّصل به كلّ من قدمها من المدينة فعرفوه جميعاً ، وقد صلّى الجمعة في قباء وفي بطن الوادي ، وادي رانونا ، واثمّ به من حضر من المسلمين عامّة .

وبقضاء من الطبيعة أن الناس عند التطلع إلى رؤيته ﷺ كان يومي إليه كل عارف ، ويسأل عنه كل جاهل ، ويتقدم المبايعون إلى التعرف به والتزلف إليه ، فلا يبقى في المجتمع جاهل به حتى يسأل أبا بكر عنه في انتقاله من بني عمرو بقوله : من هذا الغلام بين يديك يا أبا بكر ؟ ! .

فكان القادم رجل عادي ما دوخ صيته الأقطار ، ولم يره بشر من ذلك الجمع الحافل ، ولم يحتفل به ذلك الإحتفال ، ولا احتفى به تلك الحفاوة ، وما سعدت ذوات الخدور على الأجاجير^(١) وما هزجت الصبيان والولائد بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكأنه قدم في صورة منكرة بلا أيّ مقدمة إلى بلد لا يعرفه فيه أحد حتى خصّ السؤال عنه بأبي بكر فحسب .

ثم ما هذه التعمية في جواب أبي بكر بقوله : إنه يهديني السبيل . يريد سبيل السعادة فيحسب الحاسب أنه يهديه الطريق ؟ أالخوف كانت ؟ ولم يرد رسول الله ﷺ إلا على العدة والعدد والمنعة والعزة ، وقد بايعته الأنصار على التفاني دونه . أو كان يخاف أبو بكر قريشاً وهو في حصن الدين المنيع ودرعه الحصينة ؟ أم كانت لغير ذلك ؟ فاسأل عنه خبيراً . والعجب كل العجب أن رجلاً هذه سيرته في التقية عن الناس في عاصمة الإسلام بين فرسان المهاجرين والأنصار كيف صح عنه ما جاء عن ابن مسعود وما روي عن مجاهد مرسلًا من قولهم : إن أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ، أبو بكر . الخ^(٢) .

على أن الحالة كانت تقتضي أن يسأل كل قادم إلى المدينة يوم ذاك عن شخص رسول الله ﷺ وأوان نزوله بها لا عن الغلام بين يدي أبي بكر .

(١) جمع الآجار بكسر الأول وتشديد الجيم : السطح .

(٢) تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٥٨ ، تاريخ ابن عسكـر ج ٦ ص ٤٤٨ .

والعجب أن الجهل برسول الله في مزعمة هذا الراوي كان مستمراً بين مستقبله ، وكلهم نفوسهم نزاعة إلى عرفانه والتبرك برؤيته ، حتى ظلله أبو بكر بردائه فعرفه الناس عند ذلك .

ومتى كان أبو بكر شيخاً والنبي شاباً وهو عليه السلام أكبر منه بسنتين وعدة أشهر كما يأتي تفصيله إن شاء الله ؟ وابن قتيبة أخذ هذا الحديث بظاهره فقال في المعارف ص ٧٥ : هذا الحديث يدل على أن أبا بكر كان أسن من رسول الله ﷺ بمدة طويلة ، والمعروف عند أهل الأخبار ما حكيناه . اهـ . وحكى قبل هذا أن رسول الله ﷺ هو أكبر سنّاً من أبي بكر .

نعم : عرف شراح البخاري من المتأخرين موضع الغمز فأولوا كون أبي بكر شيخاً بظهور الشيب في لحيته . وكون النبي شاباً بسواد كريمته ، والعارف بأساليب الكلام يعلم أنه تمحل محض ، وأن المفهوم من تلك كما فهمه ابن قتيبة : كون أبي بكر شيخاً ورسول الله شاباً لا غير ذلك . وإلا فما معنى قولهم : ما هذا الغلام بين يديك ؟ و : من هذا الغلام بين يديك ؟ ومن المعلوم أن الغلام لا يطلق على من عمره خمسون سنة تقريباً مهما اسود عارضه .

وعلى صحة هذا التأويل أين المؤولون من صحيحة ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ! قد شبت ؟ قال : شيتني هود والواقعة . الحديث . وروى مثله الحفاظ عن ابن مسعود ، وفي لفظ أبي جحيفة : قالوا : يا رسول الله ! نراك قد شبت ؟ قال : شيتني هود وأخواتها^(١) .

فهذه الصحيحة تعرب عن أنه عليه السلام كان قد بان فيه الشيب على خلاف الطبيعة ، وأسرع فيه حتى أصبح مسؤولاً عنه وعمّا أثره فيه ﷺ ، فأين منها ذلك التأويل البارد ؟ .

(١) أخرجه الحافظ الترمذي في جامعه ، والحكيم الترمذي في نوارد الاصول ، وأبو يعلى ، والطبراني ، وابن أبي شيبه ، والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٣٤٣ وصححه هو وأقره الذهبي ، والقرطبي في تفسيره ج ٧ ص ١ ، وأبو نصر في اللع ص ٢٨٠ ، وابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٤٣٥ ، والخازن في تفسيره ج ٢ ص ٣٣٥ .

وربما يُقال في حلّ مشكلة (يُعرف ولا يُعرف) : إنّ أبا بكر كان تاجراً عرّفه الناس في المدينة عند اختلافه إلى الشام ، لكنّه على فرض تسليم كونه تاجراً ، وعلى تقدير تسليم سفره إلى الشام ودون إثباته خرط القتاد ، مقابل بأنّ رسول الله ﷺ أيضاً كان يحاول التجارة ، ويستطرق المدينة إلى الشام ، فلو كانت التجارة بمجردها تستدعي معرفة الناس بالتاجر فهو في النبيّ الأعظم أولى لأنّ شرفه المكتسب ، وشهرته بالأمانة ، وعظمته في النفوس ، وتحليّه بالفضائل ، وبروز عصمته وقداسته عند الناس من أوّل يومه ، وشرفه الطائل في نسبه ، أجلب لتوجّه النفوس إليه ، بخلاف التاجر الذي هو خلوّ من كلّ ذلك .

على أنّ التاجر متى هبط مصرّاً فعارفوه رجالٌ معدودون ممّن شاركوه في الحرفة ، أو شارفوه في المعاملة ، وهذا التعارف يخصّ بأناس تُعدّ بالأنامل لا عامّة الناس كما حسبه . وأنّي هذا من سفر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأبو بكر يوم ذلك يرضع من ثدي أمّه ، خرجت به ﷺ أمّ أيمن لما بلغ ستّ سنين من عمره إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزور به أخواله ، فنزلت به في دار النابغة رجلٌ من بني عدي بن النجار فأقامت به شهراً . ومّا وقع في تلك السفرة :

قالت أمّ أيمن : أتاني رجلان من اليهود يوماً نصف النهار بالمدينة فقالا : أخرجني لنا أحمد . فأخرجته ونظرا إليه وقلّبا مليّاً ثمّ قال أحدهما لصاحبه : هذا نبيّ هذه الأمّة ، وهذه دار هجرته ، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسيي أمرٌ عظيمٌ . قالت أمّ أيمن : وعيت ذلك كلّ من كلامهما^(١) أبعد هذه كلّها ، وبعد تلکم الإرهاصات للنبوّة التي ملأت بين الخافقين ، وبعد ذلك الصيت الطائل الذي دوّخ الأقطار ، وبعد مضيّ خمسين سنة من عمره الشريف ﷺ يزعمون أنّ رسول الله شابٌّ لا يُعرف وأبو بكر شيخٌ يُعرف ، يُسأل عنه : من هذا الغلام بين يديك ؟

ولأيضاح هذه الجمل من الحريّ أن نسرد كيفيّة هجرته ﷺ حتى تزيد بصيرة القارئ على موقع الإفك من هذه المجهولة المأثورة في الصّحاح والمسانيد الصادرة عن الغلوّ في الفضائل عمياً وصمّاً . فأقول :

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ج ١ ص ٥٠ ؛ صفة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٢٠ ؛ تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٧٩ ؛ بهجة المحافل ج ١ ص ٤٤ .

الأنصار في البيعتين :

كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم إذا كان يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل فعرض نفسه على كندة ، وعلى بني عبد الله بطن من كلب ، وعلى بني حنيفة ، وعلى بني عامر بن صعصعة ، وعلى قوم من بني عبد الأشهل . فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه ، وإعزاز نبيه ﷺ وإنجاز مواعده له خرج في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً وفيهم : أسعد بن زرارة أبو أمانة النجاري ، وعوف بن الحرث بن عفراء ، ورافع بن مالك ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعقبة بن عامر بن نابي ، وجابر بن عبد الله .

فكلّمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن فأجابوه فيما دعاهم إليه ثم انصرفوا عنه ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتّى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلّا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ حتّى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلحقوه بالعقبة الأولى فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب ، وهم : أبو أمانة أسعد بن زرارة ، وعوف بن عفراء ، ومعاذ بن عفراء ، ورافع بن مالك ، وذكوان بن عبد قيس ، وعبادة بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة ، والعبّاس بن عبادة ، وعقبة بن عامر ، وقطبة بن عامر ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن ساعدة .

قال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى : على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنّي ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفترقه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف .

فلما انصرف القوم عنه ﷺ بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن

هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، ويقيم فيهم الجمعة والجماعة ، وكان مصعب يسمّى بالمدينة : المقرئ ، وكان منزله على أسعد بن زرارة أبي أمانة النجاري ، وكان يصلي بهم الجمعة فأقام عنده يدعوان الناس إلى الإسلام حتى لم تبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق . قال كعب : فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا ، ثم دعوناه إلى الإسلام فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً ، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا مع رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نساينا : نسيبة بنت كعب أم عمارة ، وأسماء بنت عمرو أم منيع .

قال : فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك عما نمنع منه أزرنا^(١) فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابراً عن كابر فقال رسول الله ﷺ : أخرجوا إليّ منكم إثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم إثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وهم :

- ١ - أبو أمانة أسعد بن زرارة الخزرجي .
- ٢ - سعد بن الربيع بن عمرو الخزرجي .
- ٣ - عبد الله بن رواحة بن امرئ القيس الخزرجي .
- ٤ - رافع بن مالك بن العجلان الخزرجي .

(١) أزرنا : يعني نساءنا ، والمرأة يكنى عنها بالإزار .

- ٥ - البراء بن معرور بن صخر الخزرجي .
- ٦ - عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي .
- ٧ - عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي .
- ٨ - سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي .
- ٩ - المنذر بن عمرو بن خنيس الخزرجي .
- ١٠ - اسيد بن حضير بن سماك الأوسي .
- ١١ - سعد بن خيثمة بن الحرث الأوسي .
- ١٢ - رفاعه بن عبد المنذر بن زبهر الأوسي . وقد يعدُّ بمكانه أبو الهيثم بن التيهان .

فقال رسول الله ﷺ للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيلٌ على قومي : يعني المسلمين . قالوا : نعم .

قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري : يا معشر الخزرج ! هل تدرون علام تباعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتل أسلمتموه ؟ فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإننا نأخذ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة . قالوا : أبسط يدك فبسط يده فباعوه .

فقال له العباس بن عبادة : والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غداً بأسيفنا ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : لم تؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رجالكم . فرجعوا إلى مضاجعهم . فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك ، وكان أهل بيعة العقبة الآخرة ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين وهم :

أسيد بن حضير النقيب أبو الهيثم بن التيهان النقيب سلمة بن سلامة الأشهلي
 ظهير بن رافع الخزرجي أبو بردة بن نيار بن عمرو نير بن الهيثم الحارثي

سعد بن خيثمة النقيب
 معن بن عدي بن الجلد
 معاذ بن الحارث الأنصاري
 أوس بن ثابت الخزرجي
 عمرو بن غزية الخزرجي
 عبد الله بن رواحة النقيب
 عقبة بن عمرو الخزرجي
 خالد بن قيس الخزرجي
 عبادة بن قيس الخزرجي
 بشر بن البراء الخزرجي
 معقل بن المنذر الخزرجي
 الضحاك بن حارثة الخزرجي
 الطفيل بن مالك الخزرجي
 قطبة بن عامر الخزرجي
 صيفي بن سواد الخزرجي
 عبد الله بن أنيس السلمي
 جابر بن عبد الله السلمي
 خديج بن سلامة بن الفرافر
 عبادة بن الصامت النقيب
 أبو عبد الرحمن الخزرجي
 عقبة بن وهب الجشمي
 عوف بن الحارث الأنصاري
 عباد الله بن زيد مناة الخزرجي .

رفاعه بن عبد المنذر النقيب
 عويم بن ساعدة الأوسي
 أسعد بن زرارة النقيب
 أبو طلحة زيد بن سهل
 سعد بن الربيع النقيب
 بشير بن سعد الخزرجي
 زياد بن لبيد الخزرجي
 رافع بن مالك النقيب
 الحارث بن قيس الخزرجي
 سنان بن صيفي الخزرجي
 يزيد بن المنذر الخزرجي
 يزيد بن خزام الخزرجي
 كعب بن مالك الخزرجي
 يزيد بن عامر الخزرجي
 ثعلبة بن غنمة السلمي
 خالد بن عمرو السلمي
 ثابت بن ثعلبة السلمي
 معاذ بن جبل الخزرجي
 غنم بن عوف الخزرجي
 عمرو بن الحرث الخزرجي
 سعد بن عبادة النقيب
 معوذ بن الحارث الأنصاري

عبد الله بن جبير بن النعمان
 أبو أيوب خالد الأنصاري
 سهيل بن عتيك النجاري
 قيس بن أبي صعصعة النجاري
 خارجة بن زيد الخزرجي
 خلاد بن سويد الخزرجي
 فروة بن عمرو الخزرجي
 ذكوان بن عبد قيس الخزرجي
 البراء بن معرور النقيب
 الطفيل بن النعمان الخزرجي
 مسعود بن يزيد الخزرجي
 جبار بن صخر الخزرجي
 سليم بن عمرو الخزرجي
 كعب بن عمرو الخزرجي
 عمرو بن غنمة السلمي
 عبد الله بن عمر النقيب
 عمير بن الحارث السلمي
 أوس بن عباد الخزرجي
 العباس بن عبادة الخزرجي
 رفاعه بن عمرو الخزرجي
 المنذر بن عمرو النقيب
 عمارة بن حزم الأنصاري

نبأ الهجرة :

فلما عنت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ،
 وكذبوا نبيه ﷺ ، وعذبوا ونفوا من عبده ووحد صدق نبيه واعتصم بدينه أذن الله

عزَّ وجلَّ لرسوله ﷺ في القتال فنزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ الآية . ثم أنزل الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ .

فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب وتابعه هذا الحيُّ من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن أتبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللاحق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ بها . فخرجوا أرسالاً وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فهاجر بنو جحش فغلقت دورهم هجرة تخفق أبوابها يبأبا ، ليس فيها ساكنٌ ، خلاء من أهلها ، وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة نسائهم ورجالهم ، ثم تتابع المهاجرون وفيهم :

أبوسلمة بن عبد الأسد	عامر بن ربيعة الكعبي	عبد الله بن جحش	عبد بن جحش أبو أحمد
عكاشة بن محصن	شجاع بن وهب	عقبة بن وهب	عربد بن حمير
منقذ بن نباتة	سعيد بن رقيش	محرز بن نضلة	يزيد بن رقيش
قيس بن خابر	عمرو بن محصن	مالك بن عمرو	صفوان بن عمرو
ثقف بن عمرو	ربيعة بن أكثم	الزبير بن عبيدة	تمام بن عبيدة
سخبرة بن عبيدة	محمد بن عبد الله بن جحش	عمر بن الخطاب	عياش بن أبي ربيعة
زيد بن الخطاب	عمرو بن سراقه	عبد الله بن سراقه	خنيس بن حذافة
إياس بن البكير	عاقل بن البكير	عامر بن البكير	خالد بن البكير
طلحة بن عبيد الله	حمزة بن عبد المطلب	صهيب بن سنان	زيد بن حارثة
كنار بن حصين	عبيدة بن الحارث	الطفيل بن الحارث	الحصين بن الحرث
مسطح بن أثانة	سويبط بن سعد	طليب بن عمير	خباب مولى عتبة
عبد الرحمن بن عوف	الزبير بن عوام	أبوسبرة بن أبي رهم	مصعب بن عمير
أبو حذيفة بن عتبة	سالم مولى أبي حذيفة	عتبة بن غزوان	عثمان بن عفان
أنس مولى رسول الله	أبو كبشة مولى رسول الله		

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلّا من حُبس أو فتن ، إلّا عليّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما حتّى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه ، وما كان يعلم بخروجه ﷺ أحد حين خرج إلّا عليّ بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر ، أما عليّ فإنّ رسول الله ﷺ أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعد بمكة ، حتّى يؤدّي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلّا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ .

فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج فخرج ومعه أبو بكر ثمّ عمد إلى غار بشور جبل بأسفل مكة فدخله فأقام فيه رسول الله ﷺ ثلاثاً ومعه صاحبه .

ثمّ خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة ثمّ مضى بهما على الساحل أسفل من عسفان^(١) ، ثمّ سلك بهما على أسفل أمج^(٢) ، ثمّ استجاز بهما حتّى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قديداً^(٣) ، ثمّ أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار^(٤) ، ثمّ سلك بهما ثنية^(٥) المرة ، ثمّ سلك بهما لقفاً^(٦) ، ثمّ استبطن بهما مدلجة مجاج^(٧) ثمّ سلك بهما مرجح مجاج ثمّ تبطن بهما مرجح^(٨) من ذي العضوين - العضوين - ثمّ بطن ذي كشر^(٩) ثمّ أخذ بهما على الجداجد^(١٠) ، ثمّ

(١) بضم الأول ثم السكون : محل من مكة على مرحلتين .

(٢) بفتح الهمزة والميم : بلد من أعراض المدينة .

(٣) بضم الأول وفتح الدال : موضع فيه ماء بين مكة والمدينة . بها منازل خزاعة .

(٤) بفتح المعجمة وتشديد الراء : موضع قرب الجحفة .

(٥) ثنية المرة مخفف الراء .

(٦) يُقال : لقف بالتحريك . ويفتح اللام وسكون الفاء . وبكسر اللام وسكون الفاء .

(٧) بفتح الميم وتسره بجيمين وصححه بعض بفتح الميم ثم المعجمة وآخره مهملة .

(٨) بفتح الميم وسكون الراء بعدها معجمة مكسورة وآخره مهملة .

(٩) بفتح الكاف وسكون الشين وآخره مهملة .

(١٠) بالمعجمتين والمهملتين بينهما ألف . من الآبار القديمة .

على الأجرد^(١) ، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعدا مدلجة تعهن^(٢) ، ثم على العبايد^(٣) ، ثم أجاز بهما الفاجعة^(٤) ، ثم هبط بهما العرج^(٥) فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يُقال له : أوس بن حجر على جمل له يُقال له : ابن الرداء ، إلى المدينة وبعث معه غلاماً يُقال له مسعود بن هُنيدة ، ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر^(٦) عن يمين ركوبه^(٧) حتى هبط بهما بطن رثم^(٨) ، ثم قدم بهما قباء^(٩) على بني عمرو بن عوف حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل .

ولما دنوا من قباء بعثوا رجلاً من أهل البادية إلى أبي أمامة وأصحابه من الأنصار فثار المسلمون إلى السلاح واستقبله زهاء خمسمائة من الأنصار فوافوه وهو مع أبي بكر في ظل نخلة ، ثم قالوا لهما : اركبا آمنين مطاعين . فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقاء في دار بني عمرو بن عوف فأقام رسول الله ﷺ بقاء في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده وقد يُقال كما في سنن أبي داود ج ١ ص ٧٤ : إنه أقام في قباء أربعة عشر ليلة ، وحكى موسى بن عقبة إثنين وعشرين ليلة ، وقال البخاري : بضع عشرة ليلة ، وبقاء كانت منازل الأوس والخزرج .

(١) اسم جبل هناك .

(٢) تعهن بكسر أوله وهائه وتسكين العين وآخره نون : اسم عين ماء سُمي به على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة ، ويُقال في ضبطه غير هذا .

(٣) ويُقال : العبايب ، ويُقال العثانة .

(٤) ويُقال : الفاجعة بالمهمل . والقاحه . مدينة على ثلاثة مراحل من المدينة .

(٥) بفتح العين وسكون الراء : عقبة بين مكة والمدينة .

(٦) قال محمد محيي الدين المصري في حاشية سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٨ : لم يذكر

ياقوت العائر لا بالعين المهملة ولا بالعين المعجمة . أقول : ذكره في العين المهملة ج ٦

ص ١٠٣ وقال : جبل بالمدينة . وفي حديث الهجرة : ثنية العائر عن يمين ركوبه . ويُقال :

ثنية الغائر بالعين المعجمة ، اهـ ملخصاً .

(٧) بفتح الراء : ثنية صعبة عند العرج .

(٨) بكسر الراء المهملة موضع على أربعة برد من المدينة . وقيل : ثلاثة برد .

(٩) بضم أوله : قرية على ميلين من المدينة .

ثم أخرجهم الله من بين أظهرهم يوم الجمعة فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلّاها في المسجد الذي في بطن الوادي ، وادي رانواء ، فكانت أول جمعة صلّاها بالمدينة .

قال عبد الرحمن بن عويم : حدّثني رجالٌ من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة وتوكّفنا^(١) قدومه كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهر حرّتنا ننتظر رسول الله ﷺ ، فوالله ما نبرح حتّى تغلبنا الشمس على الظلال ، فإذا لم نجد ظلًّا دخلنا ، وذلك في أيام حارة .

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وصلّى الجمعة أتاه عتيان بن مالك وعبّاس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ! أقم عندنا في العدد والعُدّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة - يعني ناقته - فخلّوا سبيلها فانطلقت ، حتّى إذا وازنت دار بني بياضة تلقّاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا : يا رسول الله ! هلمّ إلينا إلى العدّد والعُدّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة . فخلّوا سبيلها . فانطلقت حتّى إذا مرّت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عباد والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا : يا رسول الله ! هلمّ إلينا إلى العدّد والعُدّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة ، فخلّوا سبيلها فانطلقت حتّى إذا وازنت دار بني الحرث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحرث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله ! هلمّ إلينا إلى العدّد والعُدّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة . فخلّوا سبيلها فانطلقت ، حتّى إذا مرّت بدار بني عدي بن النجار اعترضها سليط بن قيس ، وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عدي فقالوا : يا رسول الله ! هلمّ إلى أحوالك إلى العدّد والعُدّة والمنعة . قال : خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة . فخلّوا سبيلها فانطلقت حتّى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مبرد^(٢) لغلّامين يتيمين

(١) استشعرناه وانتظرناه .

(٢) بكسر الميم وفتح الباء بينهما مهملة ساكنة أصله الموضع الذي يجفف فيه التمر .

من بني النجار : سهل وسهيل ابني عمرو ، فلما بركت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ثم تحلحلت^(١) ورزمت^(٢) ووضعت جرانها^(٣) فنزل عنها رسول الله ﷺ فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المريد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله ﷺ لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما منه فاتخذ مسجداً .

راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣١ - ١١٤ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٣ - ٢٤٩ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٠١ - ٢٢٤ ، عيون الأثر ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٩ ، الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٨ ، ٤٤ تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٣٨ - ٢٠٥ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٢١ - ١٢٤ ، الإمتاع للمقريزي ص ٣٠ - ٤٧ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣ - ٦١ .

١١ - أبو بكر أسن من النبي :

عن يزيد^(٤) بن الأصم أن النبي ﷺ قال لأبي بكر : أنا أكبر أو أنت ؟ قال : لا بل أنت أكبر مني وأكرم وخير مني ، وأنا أسن منك .

أخرجه ابن الضحاك ، وذكره أبو عمر في الاستيعاب ج ٢ ص ٢٢٦ ، والمحجب الطبري في الرياض النضرة ج ١ ص ١٢٧ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧٢ نقلاً عن خليفة بن خياط ، وأحمد بن حنبل ، وابن عساكر .

قال الأميني : أو لا تعجب من أكذوبة تعدُّ أكرومة ؟ متى تصحُّ رواية يزيد بن الأصم عن النبي ﷺ ولم يُدركه ، فإنَّ الرجل توفي سنة ٤/٣/١٠١ وهو ابن ثلاث وسبعين سنة فولادته بعد وفاة النبي ﷺ بدهر .

(١) تحلحلت : تحركت . وقد يُقال : تلحلت . أي لزمت مكانها .

(٢) وعند ابن الأثير : أرزمت . أي رغت ورجعت في رغائها .

(٣) الجران ، ككتاب : قال السهيلي : أي عنقها . وقال غيره : الجران . ما يصيب الأرض من صدرها وباطن حلقها .

(٤) في الرياض : زيد . والصحيح : يزيد .

ثم متى كان أبو بكر أسن من النبي وقد وُلد عليه السلام في عام الفيل ، وُلد أبو بكر بعد عام الفيل بثلاث سنين . وقال سعيد بن المسيب : استكمل أبو بكر بخلافته سن رسول الله ﷺ فتوفي وهو بسن النبي ﷺ ابن ثلاث وستين سنة .
راجع :

المعارف لابن قتيبة ص ٧٥ فقال : إتفقوا على أن عمره ثلاث وستون سنة فكان رسول الله ﷺ أسن من أبي بكر بمقدار سني خلافته . اهـ . صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٨٨ وفيه : أنه ﷺ توفي وهو ابن خمس وستين سنة ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٥ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢٥ وج ٤ ص ٤٧ ، الإستيعاب ج ١ ص ٣٣٥ وقال : لا يختلفون أن سنّه انتهت إلى حين وفاته ثلاثاً وستين سنة إلا ما لا يصح وأنه استوفى بخلافته بعد رسول الله ﷺ سن رسول الله ﷺ وقال في الجزء الثاني ص ٦٢٦ بعد ذكر حديث يزيد الأصم : هذا الخبر لا يعرف إلا بهذا الإسناد ، وأحسبه وهماً لأن جمهور أهل العلم بالأخبار والسير والآثار يقولون : إن أبا بكر استوفى بمدة خلافته سن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ، الكامل ج ١ ص ١٨٥ وج ٢ ص ١٧٦ . اسد الغابة ج ٣ ص ٢٢٣ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٦٥ ، ٦٩ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٠ ، عيون الأثر ج ١ ص ٤٣ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٤١ ، ٣٤٤ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩٦ .

نعم : هذه المسألة وقعت بينه ﷺ وبين سعيد بن يربوع المخزومي كما رواها البغوي وابن مندة^(١) وابن يربوع توفي سنة ٥٤ وله ١٢٠ سنة ، وقيل : وزيادة أربع ، ولما كانت شعبة أبي بكر وكبر سنّه هي الحجة الوحيدة على مخالفه يوم السقيفة فأيدها المغالون في فضائله بأمثال هذه المخاريق المفتعلة ، وتحريف التاريخ عن مواضعه ، والله يعلم أنهم لكاذبون .

١٢ - إسلام أبي بكر قبل ولادة علي :

عن شبابة عن فرات بن السائب قال : قلت لميمون بن مهران : أبو بكر

(١) الإصابة ج ٢ ص ٥١ .

الصدِّيق أوَّل إيماناً بالنبي ﷺ أم علي بن أبي طالب ؟ قال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرا الراهب ، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتَّى أنكحها إياه ، وذلك كلّه قبل أن يولد علي بن أبي طالب .

وعن ربيعة بن كعب^(١) قال : كان إسلام أبي بكر شبيهاً بالوحي من السماء وذلك أنّه كان تاجراً بالشام فرأى رؤيا فقصّها على بحيرا فقال له : من أين أنت ؟ فقال : من مكة . فقال : من أيّها ؟ قال : من قريش . قال : فأيّ شيء أنت ؟ قال : تاجر . قال : إن صدّق الله رؤياك فإنّه يبعث نبيّاً من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته من بعد وفاته . فأسرّ ذلك أبو بكر في نفسه حتَّى بعث النبي ﷺ فجاءه فقال : يا محمّد ما الدليل على ما تدّعي ؟ قال : الرؤيا التي رأيت بالشام فعانقه وقبّل بين عينيه وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّك رسول الله .

وقال الإمام النووي : كان أبو بكر أسبق الناس إسلاماً ، أسلم وهو ابن عشرين سنة ، وقيل : خمس عشرة سنة .

راجع الرياض النضرة ج ١ ص ٥١ ، ٥٤ ، اسد الغابة ج ١ ص ١٦٨ ، تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٣١٩ ، الصواعق المحرقة ص ٤٥ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٩ ، نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٢ .

قال الأميني : هلّمّ معي ننظر إلى هذه المراسيل هل توجد فيها مسحة من الصدق ؟ أمّا رواية ابن مهران سنداً :

١ - فشبابة بن سوار^(٢) أبو عمرو المدائني قال أحمد : تركته لم أكتب عنه للإرجاء وكان داعية ، وقال ابن خراش : كان أحمد لا يرضاه وهو صدوق في الحديث ، وقال الساجي وابن عبد الله وابن سعد والعجلي وابن عدي : إنّهُ كان يقول بالإرجاء .

(١) في الخصائص الكبرى عن كعب . وهو الصحيح .

(٢) في ميزان الاعتدال : سواد .

وقبل هذه كلها يظهر ممّا رواه أبو علي المدائني : أنّه كان يبغض أهل بيت النبيّ صلوات الله عليهم . وضربه الله بالفالج لدعاء من دعا عليه بقوله : اللّهُمَّ إِنْ كان شَبَابَةُ يَبْغُضُ أَهْلَ نَبِيِّكَ فَاضْرِبْهُ السَّاعَةَ بِالْفَالَجِ . ففَلَجَ فِي يَوْمِهِ وَمَاتَ .

[ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٤٠ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٠٢]

٢ - فرات بن السائب الجزري . قال البخاري : منكر الحديث وقال يحيى بن معين : ليس بشيء ، منكر الحديث . وقال الدارقطني وغيره : متروك . وقال أحمد بن حنبل : قريب من محمد بن زياد الطحان في ميمون يتهم بما يتهم به ذاك . ومحمد بن زياد هو اليشكري أحد الكذابين الوضاعين كما مرّ في ج ٥ ص ٣١٥ ، ففرات عند إمام الحنابلة كذاب وضاع . وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، منكر الحديث . وقال الساجي : تركوه . وقال النسائي : متروك الحديث . وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث . وقال ابن عدي : له أحاديث غير محفوظة وعن ميمون مناكير .

[ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٢٥ ، لسان الميزان ج ٤ ص ٤٣٠]

٣ - ميمون بن مهران حسبه ما مرّ في رواية فرات عنه ، أضف إلى ذلك قول العجلي : أنّه كان يحمل على عليّ . كما في تهذيب ابن حجر ج ١٠ ص ٣٩١ . هب أنّه وثّقه من وثّقه ، فما قيمته وقيمة حديثه بعد تحامله على عليّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

ثمّ قد أتى ميمون في حديثه بأمرين : إسلام أبي بكر زمن بحيرا ، واختلافه في زواج رسول الله ﷺ من خديجة . أما اختلافه بينه وبين خديجة فلم ينبىء عنه قطّ خبير . وليس من الجائز أن يكون الوسيط في قران رجل عظيم كمحمد وامرأة من بيت مجد وسؤدد ورياسة كخديجة ، شاب حدث ابن إثنين وعشرين سنة وللزوج أعمام أشرف أعظم كالعبّاس وحمزة وأبي طالب وهو بينهم وفي بيتهم ، وكان عمّه أبو طالب كما يأتي يحبه حبّاً شديداً لا يحبّ أولاده مثله ، وكان لا ينأى إلا إلى جنبه ، ويخرجه معه حين يخرج^(١) وكان هو الذي كلّم خديجة حتّى وكلت

(١) يأتي تفصيل ذلك في الكلام عن أبي طالب عليه السلام .

رسول الله ﷺ بتجارتهما ، كما في الإمتاع للمقريزي ص ٨ .

والذي جاء في السير والتاريخ في أمر هذا القرآن أن خديجة بعثت إلى رسول الله ﷺ ورغبت في زواجه لقربته وأمانته وحسن خلقه وصدق حديثه ، وعرضت نفسها عليه ﷺ ، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأعمامه فخرج معه عمه حمزة وفي لفظ ابن الأثير : خرج معه حمزة وأبو طالب وغيرهما من عمومته . حتى دخل على خويلد بن أسد ، أو على عمرو بن أسد عم خديجة فخطبها إليه فتزوجها عليه وآله الصلوة والسلام وخطب أبو طالب ﷺ خطبة النكاح ، فقال :

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وضئضئ معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسؤاس حرمة ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به شرفاً ونبلًا وفضلاً وعقلاً ، فإن كان في المال قل ؟ فإن المال ظل زائل ، وأمراً حائل ، ومحمد من قد عرفتم قربته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل . فزوجها .

راجع طبقات ابن سعد ج ١ ص ١١٣ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢٧ ، أعلام الماوردي ص ١١٤ ، الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٢٥ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٤ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٩ ، عيون الأثر ج ١ ص ٤٩ ، اسد الغابة ج ٥ ص ٤٣٥ ، الروض الأنف ج ١ ص ١٢٢ ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ١٧٢ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ٥٠ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، شرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٢٠٠ ، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية ج ١ ص ١١٤ .

فأين مزعمة ابن مهران من هذا التاريخ الصحيح المتواتر ؟ :

وأما إسلام أبي بكر قبل ولادة عليّ أمير المؤمنين زمن «بحيرا» الراهب فإنه مأخوذ مما أخرجه ابن مندة^(١) من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن ابن

(١) أبو عبد الله محمد بن إسحاق الأصبهاني الحافظ الرجال المتوفى سنة ٣٥٥ .

عبّاس : إنّ أبا بكر الصّدّيق صحب النبيّ وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبيّ ابن عشرين وهم يريدون الشام في تجارة حتّى إذا نزل منزلاً فيه سدرة قعد في ظلّها ومضى أبو بكر إلى راهب يُقال له : بحيرا يسأله عن شيء . الخ .

هذه الرواية ضعّفها غير واحد من الحفاظ . قال الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٤٣ : عبد الغني ضعّفه ابن يونس . وأقرّ ضعفه ابن حجر في لسانه ج ٤ ص ٤٥ ، وقال في الإصابة ج ١ ص ١٧٧ : أحد الضعفاء المتروكين .

وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٦ فقال : سندٌ ضعيف وضعّفه القسطلاني في المواهب ج ١ ص ٥٠ ، والحلي في السيرة النبويّة ج ١ ص ١٣٠ .

وأفزع من هذا رواية أخرجهما الحفاظ من طريق أبي نوح قراد عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبي موسى قال : خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش فلمّا أشرفوا على الراهب - يعني بحيرا - هبطوا فحلّوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم قال : فنزل وهم يحلّون رحالهم ، فجعل يتخلّلهم حتّى جاء فأخذ بيد النبيّ ﷺ فقال : هذا سيّد العالمين ، هذا رسول ربّ العالمين ، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين ، إلى أن قال :

فبايعوه وأقاموا معه عنده ، فقال الراهب : انشدكم الله أيّكم وليّه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم يزل يناشده حتّى ردّه ، وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وزوّده الراهب من الكعك والزيت .

أخرجه الترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٢٨٤ فقال : حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلّا من هذا الوجه ، والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٦١٦ ، وأبو نعيم في الدلائل ج ١ ص ٥٣ ، والبيهقي في الدلائل ، والطبري في تاريخه ج ٢ ص ١٩٥ ، وابن عساکر في تاريخه ج ١ ص ٢٦٧ ، وابن كثير في تاريخه ج ٢ ص ٢٨٤ ، نقلاً عن الحافظ أبي بكر الخرائطي والحفاظ المذكورين ، وابن سيّد الناس في عيون الأثر ج ١ ص ٤٢ ، والقسطلاني في المواهب ج ١ ص ٤٩ .

رجال الرواية :

١- أبو نوح قراد عبد الرحمن بن غزوان . قال عباس الدوري : ليس في الدنيا أحدٌ يحدث بهذا الحديث غير قراد أبي نوح وقد سمعه منه أحمد ويحيى لغرابته وانفراده .

[تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٥]

وقال الذهبي في الميزان ج ٢ ص ١١٣ : كان يحفظ ، وقوله مناكير ، وأنكر ما له حديث عن يونس «وذكر شطراً من الحديث» فقال : ومما يدلُّ على أنه باطلٌ قوله : وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وبلال لم يكن خلقاً ، وأبو بكر كان صبيّاً .

وقال في تلخيص المستدرک تعليقاً على تصحيحه : قلت : أظنه موضوعاً فبعضه باطلٌ .

وقال ابن حجر في التهذيب ج ٦ ص ٢٤٨ : ذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان يخطيء يتخالف في القلب منه لروايته عن الليث قصّة المماليك ، وقال أحمد : هذا «يعني حديث المماليك» باطلٌ ممّا وضع الناس ، وقال الدارقطني : قال أبو بكر : أخطأ فيه قراد .

٢- يونس بن أبي إسحاق . ضعّف أحمد حديثه عن أبيه ، وقال : حديثه عن أبيه مضطربٌ ، وقال أبو حاتم : كان صدوقاً إلا أنه لا يُحتجُّ بحديثه ، وقال أبو أحمد الحاكم : ربما وهم في روايته .

[تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٤٣٤]

٣- أبو إسحاق السبيعي . قال ابن حبان : مدلسٌ ، وذكره الكرابيسي في المدلسين ، وقال معن : أفسد حديث أهل الكوفة الأعمش وأبو إسحاق للتدليس .

[تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٦٦]

وقال أبو حاتم : صدوقٌ لا يحتجُّ به ، وقال ابن خراش في حديثه لبينٌ ، وقال ابن حزم في المحلّى : ضعّفه يحيى وأحمد جدّاً ، وقال أحمد : حديثه مضطرب .

[ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٣٩]

٤ - أبو بكر بن أبي موسى توفي سنة ١٠٦ ، ضعفه ابن سعد ، وقال أحمد :
لم يسمع من أبيه .

[تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤١ .]

٥ - أبو موسى الأشعري المتوفى سنة ٤٢/٥٠/٥١/٥٣ وهو ابن ٦٣ سنة بلا خلاف أجدده وقد وقعت الواقعة بعد عام الفيل بتسع سنين أو اثني عشر عاماً قبل ولادة أبي موسى الأشعري ١٧/٢٢/٢٣/٢٥ عاماً ، فإن كان أبو موسى هو الشاهد للقصة قبل مولده فحبذا ؟ وإن كان يرويها عن شاهد فممن هو ؟ حتى ننظر في حاله .

هذا شأن الرواية سنداً ، أهذه كلها تخفى على مثل الترمذي ومن بعده من الحفاظ فيحكمون فيها بالحسن ؟ أو بالصحة كما فعله ابن حجر والحلي ؟ أنا لا أدري . نعم : الحبُّ يُعمي أو يُصم .

وأما متن الرواية فهو يكفي في تكذيبها إذ سفر أبي طالب عليه السلام إلى الشام وأخذه معه رسول الله ﷺ كان وقد مضى من عمره عليه السلام تسع سنين على ما قاله أبو جعفر الطبري والسهيلي وغيرهما ، أو إثنا عشر عاماً على ما قاله آخرون^(١) وكان أبو بكر يوم ذاك ابن ست أو تسع سنين : فإين كان هو ؟ وماذا كان يصنع بالشام ؟ وأي اختيار كان له بين شيوخ قريش ؟ ولم تكن تنعقد نطفة بلال يوم ذاك أخذاً بقول من قال : إنه توفي سنة ٢٥ وله بضع وستون سنة^(٢) أو أنه ولد في تلكم السنين أخذاً بقول ابن الجوزي في الصفوة ج ١ ص ١٧٤ من أنه مات سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة . كأنَّ أبو بكر وُلد وهو شيخٌ وبلال عتيقه ، وكان معه من أوَّل يومه ، وكان من يوم ولد له الحلُّ والعقد .

ثم أي بيعة كانت يوم ذاك ؟ وما معنى قول أبي موسى الأشعري : فبايعوه

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٠٢ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢ ، ٢٦٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٥ ، الروض الأنف ج ١ ص ١١٨ ، إمتاع المقرئ ص ٨ ، عيون الأثر ج ١ ص ٤٣ ، شرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ١٩٦ .
(٢) تهذيب التهذيب ج ١ ص ٥٠٣ .

وأقاموا معه عنده ؟ وأي إيمان وإسلام على زعم رواة هذه الأفيكة ، وكان قبل البعثة بإحدى وثلاثين سنة ، أو ثمانية وعشرين عاماً ، أو إثنين وعشرين ، أو سبع عشرة سنة على زعم النووي ؟ ولم تكن للنبي ﷺ يومئذ دعوة ، ولا كلف أحداً بالإيمان به ، فلا يُقال لمن عرف شيئاً من إرهاصات النبوة أنه أسلم يوم عرف وإلاً لكان «بحيرا» الراهب و«نسطور» وأمثالهما من الرهبان والكهنة أقدم إسلاماً من أبي بكر ، وكم هنالك أناس عرفوا أمر الرسالة قبلها وبشروا بها ثم بعد البعثة عاندوا وحسدوا ، فمنهم من مات مشركاً ، ومنهم من أدركته الهداية بعد حين كما يأتي في كعب الأحبار بعيد هذا ، وكيف أثبت ذلك اليوم إيماناً لأبي بكر وصار بذلك أقدم الناس إسلاماً ولم يُثبت لأبي طالب لا ذاك ولا غيره ؟ وأبو موسى لم يستثن أبا طالب من أولئك الذين بايعوا يوم ذاك نظراء أبي بكر وبلال الخيالي .

قال الحافظ الدميطي : في هذا الحديث وهمان : الأول : قوله : فبايعوه وأقاموا معه . والثاني : قوله : وبعث معه أبو بكر بلالاً . ولم يكونا معه ، ولم يكن بلال أسلم ولا ملكه أبو بكر ، بل كان أبو بكر حينئذ لم يبلغ عشر سنين ، ولم يملك أبو بكر بلالاً إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين سنة وكذا ضعفه الذهبي (١) .

وقال الزركشي في الإجابة ص ٥٠ : هذا من الأوهام الظاهرة لأن بلالاً إنما اشتراه أبو بكر بعد مبعث النبي ﷺ وبعد أن أسلم بلال وعذبه قومه ولمّا خرج النبي ﷺ إلى الشام مع عمّه أبي طالب كان له من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وأيام . ولعلّ بلالاً لم يكن بعد ولد . اهـ .

وقال ابن كثير في تاريخه ج ٢ ص ٢٨٥ : إن قوله : وبعث أبو بكر معه بلالاً إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك إثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلال أقل من ذلك ، أفأين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ، كلاهما غريب ، اللهم إلا أن يُقال : إن هذا كان ورسول الله ﷺ كبيراً ، إمّا بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك اثنتي عشرة سنة غير محفوظ فإنه إنما ذكره مقيداً بهذا الواقدي ، وحكى

(١) حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٢٧٥ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٢ .

السهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم .

قال الأميني : إن ابن كثير غَضَّ البصر عمّا في الرواية من خرافة البيعة كأن لم يكن شيئاً مذكوراً . ثم أتى في تصحيح بعث أبي بكر بلائاً بما لا يخفى عليه فساد ، إذ لم يزد سفر رسول الله ﷺ إلى الشام مع أبي طالب عليه السلام على المرأة الواحدة ، وكون عمره عليه السلام إثني عشر عاماً محفوظاً عند ابن سعد وابن جرير وابن عساكر وابن الجوزي ، ولم ينحصر بالواقدي كما حسبه ، وقد سافر رسول الله ﷺ إلى الشام مرة ثانية سنة خمس وعشرين من عام الفيل مع ميسرة غلام السيدة خديجة سلام الله عليها وليس هناك أي ذكر من «بحيرا» وإنما فيه قضية «نسطور» الراهب^(١) .

وقال ابن سيّد الناس في عيون الأثر ج ١ ص ٤٣ مثل مقالة الدمياطي المذكورة وكذلك الحلبي في السيرة النبوية ج ١ ص ١٢٩ ، والحديث أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة ج ١ ص ٢١ ، من طريق داود بن الحصين وليس فيه أثر من الوهمين ولا ذكر من أبي بكر .

نظرة في حديث كعب :

وأما رواية كعب فإنني لم أجدها في أصل من أصول الحديث ، ولم أر لها سنداً قط ، وفي ذكر كعب وهو كعب الأخبار من رجال سندها كفاية ، وحسبنا في كعب ما أخرجه البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قریش بالمدينة وذكر كعب الأخبار فقال : إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب^(٢) .

(١) تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، دلائل النبوة لأبي نعيم ج ١ ص ٥٤ ، الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٢٤ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٤ ، الإجابة للزركشي ص ٥٠ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٤٣٩ ، الإصابة ج ٣ ص ٣١٦ .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٣٦٢ : روى جماعة من أهل السير : أنَّ علياً كان يقول في كعب الأخبار : إِنَّه الكَذَّاب وكان كعب منحرفاً عن عليٍّ عليه السلام .

وأخرج ابن أبي خيثمة بإسناد حسن ابن حجر عن قتادة قال : بلغ حذيفة أنَّ كعباً يقول : إِنَّ السَّماء تدور على قطب كالرحى . فقال : كذب كعب إِنَّ الله يقول : ﴿إِنَّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ ^(١) .

على أنَّ كعباً لو كان يصدِّق نفسه فيما أخبره من الإرهاسات والبشائر لما كان يبقى على دين اليهود طيلة حياة النبي ﷺ وما كان يؤخر إسلامه إلى عهد عمر بن الخطاب ، ولما كان يتعلَّل عندما سُئِلَ عمَّا منعه عن إسلامه في العهد النبوي بقوله : إِنَّ أبي كان كتب لي كتاباً من التوراة فقال : إعمل بهذا . وختم على سائر كتبه وأخذ عليٌّ بحقِّ الوالد على الولد أن لا أفضَّ الختم عنها ، فلمَّا رأيت ظهور الإسلام قلت : لعلَّ أبي غيَّب عني علماً ففتحتها فإذا صفة محمَّد وأُمَّته فجئت الآن مسلماً ^(٢) وكان له يوم توفي رسول الله ﷺ اثنان وثمانون عاماً ^(٣) وأثر الكذب لائح في جلِّ ما جاء به كعب وحسبه ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٦٠ من حديث ذي قربات الذي حكم الحفاظ بعدم صحَّته ، وما جاء به السيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٣١ من حديث إخباره عمر وعثمان بأنَّهما مذكوران بالخلافة في التوراة ، وفيها أنَّ عثمان يُقتل مظلوماً ، ومع هذه كلّها لم يُعلم صدور هذه البشارة منه في أيام إسلامه ولعلَّه كان قبله فلا يُقبل قوله ولا يصدِّق في حديثه .

على أنَّ الأحلام إن صحَّت وصدقت فلمَ لم يحدث أبو بكر أحداً من الصحابة بما أخبره «بحيرا» من البشارة في نفسه من أنه يكون وزيراً وخليفة لرسول الله ﷺ حتى يدور حديثه في دور النبي ﷺ على ألسنتهم ، وتخبَّت إليه

(١) الإصابة ج ٣ ص ٣١٦ .

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٣١٦ .

(٣) راجع الإصابة ، اسد الغابة ، تهذيب التهذيب .

أفندتهم ، وتزهر بمذاكرته أنديتهم ؟ أو أنه حدث بها لكن الصحابة ضربوا عنها صفحاً فلم تنه إلى المحدثين ، ولا انتهت إلى أحد من أرباب الصحاح والمسانيد حتى انتهت النوبة إلى الغلاة في الفضائل من المتأخرين فأرسلوها لإرسال المسلم تجاه الحقائق الراهنة .

ولو كان أبو بكر أول من أسلم بتلكم التقارب فأين كان هو إلى منتهى سبع سنين من البعثة التي يقول رسول الله ﷺ فيها : لقد صلت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين لأنّا كنّا نصلّي وليس معنا أحدٌ يصلّي غيرنا (١) ؟ .

وفي أوليّة أمير المؤمنين في الإسلام أحاديث صحيحة عنه ﷺ وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قدّمناها في الجزء الثالث ، وأسلفنا هناك ما يربو على ستين حديثاً من الصحابة والتابعين في أنّ عليّاً أول الناس إسلاماً وأول من صلّى وآمن من ذكر . وقد مرّت هناك صحيحة الطبري أنّ أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً ، ولو كان أبو بكر أول من أسلم وقد آمن به ﷺ قبل ولادة علي عليه السلام فأين كان هويوم قال العباس لعبد الله بن مسعود : ما على وجه الأرض أحدٌ يعبد الله بهذا الدين إلّا هؤلاء الثلاثة : محمّد وعليّ وخديجة ؟ .

[تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٣١٨]

فلا يحقّ أنشد لأيّ مغالٍ في الفضائل أن يدع تلكم الصحاح عن النبي الأعظم ووصيه الأقدس والصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان ، ويأخذ تجاهها برواية كعب ، وإن هو إلّا كعب ليس إلّا ، ولا يثبت الحقّ بالكعب . ليس بأمانيتكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ، ولا تتبّع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك .

١٣ - أبو بكر أسنّ أصحاب النبي :

أخرج ابن سعد والبرّار بسند حسن عن أنس قال : كان أسنّ أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق وسهيل بن عمرو بن بيضاء .

وأخرجه أبو عمر في الإستيعاب ج ١ ص ٥٧٦ ، وابن الأثير في اسد الغابة

(١) راجع الجزء الثالث من كتابنا هذا ص ٢٧٤ - ٢٧٨

ج ٢ ص ٣٧٠ وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٠ فقال : رواه البزار وإسناده حسن ، ورواه ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٨٥ . وفيه : سهل ، بدل سهيل وهو أخوه ، أو هو هو ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٧٣ نقلاً عن ابن سعد والبزار .

قال الأميني : كنّا نعتقد أنّ المغالاة يمكن أن تقع في النفسيات التي لا تدرك بالحواس الظاهرة كالعلم والتقوى وأمثالها ، وأمّا الغلو في المشهودات فلم يدع المنطق له مساعاً فسرعان ما يظهر فيه كذب الغالي ، ويفتضح به المائن حتى أوقفنا السير على أمثال هذه الأقاويل ، فرأينا الرجل يقول بملء فيه : إنّ أباً بكر أسن أصحاب النبي ﷺ وهو يوجد في معاجم الصحابة كثيرين هم أسن منه بكثير وإليك أسماء أمة منهم :

١ - أمانة بن قيس بن شيبان الكندي . أسلم وقد عاش دهوراً ، ويُقال : أنّه عاش ثلاثمائة وعشرين سنة كما في الإصابة ج ١ ص ٦٣ .
٢ - أمد بن أمد الحضرمي . أدرك هاشم بن عبد مناف وأمّية بن عبد شمس ويُقال : إنّ كان في عهد معاوية له ثلاثمائة سنة .

[صب ج ١ ص ٦٣]

٣ - أنس بن مدرك أبو سفيان الخثعمي . قُتل مع عليّ كان سيّد خثعم في الجاهليّة عاش مائة وأربعاً وخمسين سنة .

[صب ج ١ ص ٧٣]

٤ - أوس بن حارثة الطائي والد خرام صاحب رسول الله ﷺ عاش مائتي سنة ، وأكثر هذه المدّة من أيام الجاهليّة .

[صب ج ١ ص ٨٢]

٥ - ثور - ثوب - بن تلدة . أنشد له الكلبي :

وإن امرأ قد عاش تسعين حجّة إلى مائتين كلّمها هو ذاهب

قال : ولا أدري ما عاش ، بعدما أنشد هذا للمعاوية ، وقد يُقال : إنّ كان له

يوم بدر عشرون ومائة عاماً .

[صب ج ١ ص ٢٠٥]

٦ - الجعد بن قيس المرادي . أسلم ، وكان قد بلغ مائة سنة .

[صب ج ١ ص ٢٣٥]

٧ - حسان بن ثابت الأنصاري . عاش في الجاهلية ستين وفي الإسلام ستين عاماً .

[صب ج ١ ص ٣٢٦]

٨ - حكيم بن حرام الأسدي ابن أخي خديجة زوج النبي ﷺ ولد قبل عام الفيل بثلاثة وعشرين سنة ، وتوفي وهو ابن عشرين ومائة سنة .

[صب ج ١ ص ٣٤٩]

٩ - حمزة بن عبد المطلب عم النبي الأعظم ولد قبله ﷺ بستين أو بأربع .

[صب ج ١ ص ٣٥٣]

١٠ - حنيفة بن جبير بن بكر التميمي . أدرك أحفاده النبي ﷺ ولهم صحبة وكانوا يوم ذاك ذا لحى كما في الإصابة ج ١ ص ٣٥٩ :

١١ - حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس العامري المتوفى سنة ٥٤ له مائة وعشرين عاماً .

[صب ج ١ ص ٣٦٤]

١٢ - حيدة بن معاوية العامري . مات وهو عم ألف رجل وامرأة وأدرك عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ وكان بالغاً مبلغ الرجال .

[صب ج ١ ص ٣٦٥]

١٣ - خنابة بن كعب العبسي . كان له على عهد معاوية بن أبي سفيان مائة وأربعون سنة وله قوله في الإصابة ج ١ ص ٤٦٣ :

حويت من الغايات تسعين حجة وخمسين حتى قيل : أنت المقرع

جمع من الصحابة أسن من أبي بكر ٣١٧

١٤ - خويلد بن مرة الهذلي أبو خراش ، أدرك الإسلام شيخاً كبيراً .

[صب ج ١ ص ٤٦٥]

١٥ - ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم أبو أروى الهاشمي . كان أسن من عمه العباس الآتي ذكره .

[صب ج ١ ص ٥٠٦]

١٦ - سعيد بن يربوع القرشي المخزومي المتوفى سنة ٥٤ وله ٢٤/١٢٠ عاماً .

[صب ج ٢ ص ٥٢]

١٧ - سلمة السلمي ، أقبل إلى النبي ﷺ وأسلم وهو شيخ كبير .

١٨ - سلمان أبو عبد الله الفارسي مات سنة ٦/٣/٣٢ روى أبو الشيخ عن العباس بن يزيد أنه قال : أهل العلم يقولون : عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة ، فأما مائتان وخمسون فلا يشكون فيها .

[صب ج ٢ ص ٦٢]

١٩ - أبو سفيان القرشي الأموي . كان أسن من أبي بكر بإثني عشر عاماً وعدة أشهر .

[صب ج ٢ ص ١٧٩]

٢٠ - صرمة بن أنس أبو قيس الأوسي . أدرك الإسلام فأسلم وهو شيخ كبير عاش نحواً من مائة وعشرين عاماً وهو القائل كما في الإصابة ج ٢ ص ١٨٣ :

بدالي أني عشت تسعين حجة وعشراً وما بعدهالي ثمانيا
فلم ألفها لم مضت وعدتها يحسبها في الدهر لا لياليا

٢١ - صرمة بن مالك الأنصاري ، أدرك الإسلام فأسلم وهو شيخ كبير .

[صب ج ٢ ص ١٨٣]

٢٢ - طارق بن المرقع الكناني ، كان في حجة الوداع شيخاً كبيراً ج ٢

ص ٢٢١ .

٢٣ - الطفيل بن زيد الحارثي ، هو الذي أخبر عمر بأمر رسول الله ﷺ في الجاهلية ، وكان يوم ذلك قد أتت عليه مائة وستون سنة .

[ص ب ج ٢ ص ٢٢٤]

٢٤ - عاصم بن عديّ العجلاني توفي سنة خمس وأربعين وله مائة وعشرون سنة .

[ص ب ج ٢ ص ٢٤٦]

٢٥ - العباس بن عبد المطلب عم النبي الأعظم ، ولد قبل رسول الله بستين أو ثلاث .

[ص ب ج ٢ ص ٢٧١]

٢٦ - عبد الله بن الحارث بن أمية ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير .

[ص ب ج ٢ ص ٢٩١]

٢٧ - عدي بن حاتم الطائي ، مات بعد الستين وبلغ مائة وثمانين كما قاله أبو حاتم السجستاني ، أو مائة وعشرين كما في قول خليفة .

[ص ب ج ٢ ص ٤٦٨]

٢٨ - عدي بن وداع الدوسي ، من رجال الجاهلية أدرك الإسلام فأسلم وغزا وتوفي وله ثلاثمائة سنة .

[ص ب ج ٢ ص ٤٧٢]

٢٩ - عمرو بن المسيّح^(١) الطائي ، مات وله مائة وخمسون عاماً . قال ابن قتيبة : لست أدري أقبض قبل وفاة النبي أم بعده .

[ص ب ج ٣ ص ١٦]

٣٠ - فضالة بن زيد العدواني ، سأله معاوية : كم أتت لك يا فضالة ؟ قال : عشرون ومائة سنة .

[ص ب ج ٣ ص ٢١٤]

(١) بضم الميم وفتح المهملة وتشديد الموحدة كما في الإصابة ج ٣ ص ١٦ ، وفي المعارف لابن قتيبة ص ١٣٦ ؛ المسيح .

جمع من الصحابة أسن من أبي بكر ٣١٩

٣١- قباث بن أشيم ، سأل عثمان بن عفان : أنت أكبر أم رسول الله ؟
فقال : رسول الله أكبر مني وأنا أسن منه .

[صب ج ٣ ص ٢٢١]

٣٢- قردة بن نفثة السلولي ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير وعاش مائة وخمسين سنة وله كما في الإصابة ج ٣ ص ٢٣١ من أبيات :

بأن الشباب فلم أحفل به بالاً وأقبل الشيب والإسلام إقبالا

٣٣- لبيد بن ربيعة بن عامر الكلابي الجعفري ، توفي سنة ٤١ وهو ابن مائة وأربعين أو مائة وسبع وخمسين سنة أو مائة وستين سنة .

[صب ج ٣ ص ٣٢٦]

٣٤- اللجاج الغطفاني ، وفد إلى النبي ﷺ وهو ابن سبعين وعاش مائة وعشرين سنة .

[صب ج ٣ ص ٣٢٨]

٣٥- المستوعز بن ربيعة بن كعب ، كان من فرسان العرب في الجاهلية عاش إلى أيام معاوية وكان له ٣٢٠/٣٠ سنة .

[صب ج ٣ ص ٤٩٢]

٣٦- معاوية بن ثور البكائي ، أسلم بيد النبي وهو شيخ كبير .

[صب ج ١ ص ١٥٦]

وفي بعض المعاجم كان ابن مائة سنة .

٣٧- منقذ بن عمرو الأنصاري ، كان قد أتى عليه مائة وثلاثون في حياة رسول الله ﷺ كما في اسد الغابة .

٣٨- النابغة الجعدي ، عاش في الجاهلية مائتي سنة ، ومات وهو ابن ٢٢٥/٣٠ عاماً وهو القائل كما في الإصابة ج ٣ ص ٥٣٨ :

ألا زعمت بنو أسد بآني أبو ولد كبير السن فاني ؟
فمن يك سائلاً عني ؟ فإني من الفتيان أيام الختان

أتت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وججتان
وقد أبقت صروف الدهر مني كما أبقت من السيف اليماني

وقال أبو حاتم : عاش مائتي سنة وهو القائل :

قال : أمانة كم عمرت زمانه وذبحت من عنز على الأوثان ؟
ولقد شهدت عكاظ قبل محلها فيها وكننت أعد من فتيان
والمنذر بن محرق في ملكه وشهدت يوم هجائن النعمان
وعمرت حتى جاء أحمد بالهدى وقوارع تُتلى من القرآن
ولبت في الإسلام ثوباً واسعاً من سيب لا حرم ولا منان

٣٩ - نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم النبي الطاهر . كان
أسن من أسلم من بني هاشم حتى من عميه حمزة والعباس المذكورين .

[صب ج ٣ ص ٥٧٧]

٤٠ - نوفل بن معاوية بن عروة الدثلي ، كان ممن عاش في الجاهلية ستين
وفي الإسلام ستين سنة .

[صب ج ٣ ص ٥٧٨]

وقبل هؤلاء كلهم أبو قحافة والد الخليفة فإنه كان أكبر سنّاً من الخليفة لا
محالة إن لم تُصغره المعاجز من إبنه كما صغرت رسول الله ﷺ وجعلته غلاماً
وشاباً لا يُعرف بين يدي أبي بكر وهو أكبر منه .

راجع في تراجم هؤلاء المذكورين المعارف لابن قتيبة ، معجم الشعراء
للمرزباني ، الاستيعاب لأبي عمر ، اسد الغابة لابن الأثير ، تاريخ ابن كثير ،
الإصابة لابن حجر ، مرآة الجنان للياضي ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي .
ونحن اقتصرنا منها بذكر الإصابة مرموزاً بـ (صب) روماً للاختصار .

هؤلاء جملة ممن وقفنا على أسمائهم ممن أربوا على أبي بكر في السن من
الصحابة الأولين ، وهب أنا غضضنا الطرف عن كل ذلك فهلاً نسائل القوم عن وجه
الفضيلة في كبر السن ؟ أوليس في الأمم والأجيال من طعنوا في السن فبلغوا من

العمر عتياً ، وفيهم الحالي بالفضائل والعاطل عنها ، وإذا مُدح أحدهم فإنما يُمدح بمآثره لا بطول عمره ، ومهما طال عمر الخليفة فإن أكثره انقضى في الجاهلية ، بُعث النبي ﷺ وللخليفة ثمان وثلاثون سنة وقد مرّ في الجزء الثالث ص ٢٧٤ أنه ﷺ صلى سبع سنين ولم يصلّ معه غير عليّ أمير المؤمنين . إذن فلا بُدّ بكر عند إسلامه خمسة وأربعون عاماً وتوفي وهو ابن ثلاث وستين ، فقد أُشغل في الإسلام ثمانين عشرة سنة ، وهذه المدة الأخيرة هي التي يمكن أن تزدان بشيء من المناقب ، فهل ازدانت أو لا ؟ .

وفي الغاية أحسب أنه ليس للقوم غاية يعتدّ بها في كبر السنّ والاهتمام بذلك غير أنهم جعلوا الحجر الأساسي للخلافة الراشدة أشياء منها : إنَّ أبا بكر قدّم على أمير المؤمنين لأنّه شيخٌ محنك لا ترة لأحد عنده فيُبغض ، وعلى هذا الأساس جعلوه تارة أكبر سنّاً من النبي ﷺ وقد عرفت حاله في صفحة ٣٠٣ وأخرى أنّه كان شيخاً يُعرف والنبيُّ شاباً لا يُعرف ، وأوقفناك على حقيقة الحال في ص ٢٩٠ . وآونة أنّه أسنّ الصحابة ليحسموا مادّة النقض بشيوخ في الصحابة كلّهم أكبر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفيهم رؤساء وأعظم ، وما عرفوا أنّ المستقبل الكشف سيوقف الباحثين على أناس هم أكبر من الرجل سنّاً ، وأوفر علماً ، وأبلغ حنكة ، وأقدم شرفاً ، وأسبق إسلاماً .

١٤ - أبو بكر في كفة الميزان :

أخرج الخطيب في تاريخه ج ١٤ ص ٧٨ من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل عن الهذيل عن مطروح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن عليّ بن زيد^(١) عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة : قال : قال رسول الله ﷺ دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة بين يديّ . فقلت : ما هذا ؟ قال بلال . فمضيت فإذا أكثر أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المسلمين ولم أر فيها أحداً أقلّ من الأغنياء والنساء «إلى أن قال» : ثمّ خرجنا من أحد أبواب الجنة الثانية فلمّا كنت عند الباب أتيت

بكفة فوضعت فيها ووضعت أمّتي في كفة فرجحت بها ، ثم أتى بأبي بكر فوضع في كفة وجيء بجميع أمّتي فوضعوا في كفة فرجح أبو بكر ، ثم أتى بعمر فوضع في كفة وجيء بجميع أمّتي فوضعوا فرجح عمر ، ثم رُفِع الميزان إلى السماء . وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٢٨٨ .

رجال الرواية :

١ - مطرح بن يزيد الكوفي قال الدوري عن ابن معين : ليس بشيء وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث وقال أبو حاتم : ليس بالقويّ ضعيف الحديث يروي أحاديث عن ابن زحر عليّ بن يزيد فلا أدري البلاء منه أو من عليّ بن يزيد . وقال الآجري عن أبي داود : زعموا أن البلية من قبل عليّ بن يزيد : وقال النسائي : ضعيف ليس بشيء وقال ابن عدي : بجانب روايته عن ابن زحر والضعف على حديثه بين .

[ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٧٤ ، تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٧١]

٢ - عبد الله بن زحر الأفريقي ، مجمع على ضعفه كما في الميزان . ضعفه أحمد : وقال ابن معين : ليس بشيء كل حديثه عندي ضعيف . وقال ابن المديني : منكر الحديث . وقال الحاكم : لئّن الحديث . وقال ابن عدي : يقع في أحاديثه ما لا يتابع عليه . وقال أبو مسهر : صاحب كل معضلة . وقال الدارقطني : ضعيف ، وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الأثبات . فإذا روى عن عليّ بن يزيد أتى بالطامات وإذا اجتمع في إسناد خبر عبد الله بن زحر وعليّ بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن لم يكن متن ذلك الخبر إلا ما عملته أيديهم^(١) . قال الأميني : هذه الرواية ممّا اجتمع فيه هؤلاء الثلاثة فهو ممّا عملته أيديهم .

٣ - علي بن يزيد الألهاني . قال ابن معين : عليّ بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ضعاف كلّها ، وقال يعقوب : واهي الحديث كثير المنكرات ، وقال

(١) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٣ .

الجوزجاني : رأيت غير واحد من الأئمة ينكر أحاديثه التي يرويها عنه عبيد الله بن زحر . وقال زرعة : ليس بالقوي ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث أحاديثه منكورة . وقال البخاري : منكر الحديث ضعيف . وقال النسائي : ليس بثقة متروك الحديث . وقال الأزدي والدارقطني والبرقي : متروك . وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث . وقال الساجي : إتفق أهل العلم على ضعفه . وقال أبو نعيم : منكر الحديث . وقال ابن حجر : متهم .

[ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٤٠ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٣ ، ٣٩٦]

٤ - القاسم بن عبد الرحمن الشامي . قال أحمد : هذه المناكير التي يرويها عنه جعفر وبشر ومطرح مناكير مما يرويها الثقات أنها من قبل القاسم . وقال الأثرم : حملها أحمد على القاسم . وقال : ما أرى هذا إلا من قبل القاسم . وقال الحراني : قال أحمد : ما أرى البلاء إلا من القاسم . وقال الغلابي : منكر الحديث . وقال ابن حبان : يروي عن الصحابة المعضلات .

[ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٤ ، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٢٣]

وهذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٩ فقال : رواه أحمد والطبراني وفيهما : مطرح بن زياد وعلي بن يزيد الألهماني وكلاهما مجمع على ضعفه .

قال الأميني : هذا شأن الرواية سنداً ورجاله كما ترى ، واستدل الهيثمي على ضعفه بما في متنه راجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٩ .

١٥ - توسل الشمس بأبي بكر :

قال النبي ﷺ : عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ حَتَّى الشَّمْسُ فَلِئَنِّي سَلَّمْتُ عَلَيْهَا وَسَأَلْتُهَا عَنْ كَسُوفِهَا فَأَنْطَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَتْ : لَقَدْ جَعَلَنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَجَلَةٍ تَجْرِي حَيْثُ يَرِيدُ فَأَنْظُرْ إِلَى نَفْسِي بَعَيْنِ الْعَجَبِ فَتَزَلُّ بِي الْعَجَلَةُ فَأَوْقِعْ فِي الْبَحْرِ فَأَرَى شَخْصَيْنِ أَحَدُهُمَا يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ . وَالْآخَرُ يَقُولُ : يَا رَبُّ مَنْ صَدَقَ . فَأَتَوَسَّلُ بِهِمَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَنْقِذَنِي مِنَ الْكُسُوفِ ، فَأَقُولُ : يَا رَبُّ مَنْ هُمَا ؟ فَيَقُولُ : الَّذِي يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ هُوَ حَبِيبِي مُحَمَّدٌ ﷺ . وَالَّذِي يَقُولُ : صَدَقَ

صدق هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

[نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤]

أنا لا أحكم في هذه الرواية إلا علماء علم الفلك سواء في ذلك القدماء منهم والمحدثون . وقد تكلمنا في صحيفة ٢٦٨ عن العجلة التي حملت الشمس وبحثنا عنها بحثاً ضافياً ، وليت الهيئتين درسوا هذه الرواية فأخذوا عنها علماً غزيراً ، وعرفوا أن الكسوف يكون بغمس الشمس في البحر عقوبة على نظرها إلى نفسها بعين العجب وإن إنجلاءها يتم بالتوسل ، ولعل المستقبل الكشف يأتي بمن يُعلم الأمة بسر خسوف القمر وتتأتى به للمجالس نزهة بعد نزهة .

وهنا أسئلة جمّة :

١ - ليس الكسوف يخص بهذه الأمة فحسب ، ولا بأيام حياة أبي بكر خاصة ، فمن ذا الذي كان يقول : صدق صدق . قبل ميلاد أبي بكر ؟ ومن ذا الذي يقولها بعد وفاته ؟ وبمن كانت الشمس تتوسل قبل ذلك ؟ وبمن تتوسل به بعده ؟

٢ - أين كان يقول أبو بكر : صدق صدق ؟ أيقولها وهو في محله بمرأى من الناس ومسمع فيسمعها الشمس بالإعجاز ؟ أو كان يحضر على ذلك البحر الذي لم يحدّد بأيّ ساحل فيغيب عن الناس وتطوى له المسافة بخرق العادات ؟ فلم لم يحدث عنه ذلك ولو مرة واحدة ؟ أو أنه يذهب هو ويدع قلبه المثالي بين الناس فيحسبونه هو هو ؟ أو أنه يثبت في مكانه فيرسل قلبه ذلك فتحسبه الشمس أنه هو ؟

٣ - هب أن الشمس تحمل حياةً روحيةً فهل تحمل معها نفساً أمارة بالسوء بها تعجب بنفسها ؟ أنا لا أدري . وعلى فرض ثبوت النفس الأمارة فما بالها تدأب على المعصية وهي ترى استمرار العقوبة مع كلّ عصيان ؟ فهل هي تتوب بعد كلّ معصية ثم تعود إليها بنسيان العقاب أو غلبة الشهوة ؟ ومن المعلوم أن الكسوف لم ينقطع ليلة المعراج فهو من الكائنات المتجددة إلى انقراض العالم فكأن الشمس حينئذ كانت تخبر رسول الله ﷺ بتصميمها على الاستمرار على المعصية منذ كلّ

كسوف فمتى تتوب هذه العاصية الشاعرة ؟ أنا لا أدري . وفي ذمة الصفوري صاحب الكتاب الخروج عن عهدة هذه الأسئلة . فهل يخرج ؟ أنا لا أدري ، وهذا أيضاً من الغلو في الفضائل والحب المعمي والمصم .

١٦ - كلبة من الجن مأمورة :

عن أنس بن مالك قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجلٌ من أصحابه وساقه تشخبان دماً فقال النبي ﷺ : ما هذا ؟ قال : يا رسول الله ! مررت بكلبة فلان المناقق فنهشتني . فقال ﷺ : اجلس فجلس بين يدي النبي ﷺ ، فلما كان بعد ذلك بساعة إذ أقبل إليه رجلٌ آخر من أصحابه وساقه تشخبان دماً مثل الأول فقال النبي ﷺ : ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله ! إني مررت بكلبة فلان المناقق فنهشتني قال : فنهض النبي ﷺ : وقال لأصحابه : هلموا بنا إلى هذه الكلبة نقتلها فقاموا كلهم وحمل كل واحد منهم سيفه فلما أتوها وأرادوا أن يضربوها بالسيوف وقعت الكلبة بين يدي رسول الله ﷺ وقالت بلسان طلق ذلق : لا تقتلني يا رسول الله ! فإنني مؤمنة بالله ورسوله فقال : ما بالك نهشت هذين الرجلين ؟ فقالت : يا رسول الله ! إني كلبة من الجن مأمورة أن أنهش من سبَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما . فقال النبي ﷺ : يا هذين ! أما سمعتما ما تقول الكلبة ؟ قالا : نعم يا رسول الله ! إنا تائبان إلى الله عز وجل .

[عمدة التحقيق للعبدي المالكي ص ١٠٥]

قال الأميني : ما أعظم شأن هذه الكلبة وأثبتها في ميدان البسالة حتى استدعى أمرها أن يتجهز لحربها النبي ﷺ ويحمل عليها أصحابه شاهرين السيوف ؟ فهل هي كلبة أو أسد ضار ؟ أو غفري باسل ؟ أو حشدٌ لهم ؟ وأحسب أن اللذين نهشتها كانا من هيابة الصحابة فإن شجعانهم ما كانوا يبالون بالضراغم فضلاً عن الكلاب .

وأين كانت هذه الكلبة عمن كان ينال من أبي بكر غير الرجلين في ذلك العهد وبعد العهد النبوي وهلم جرا ؟ فلم تشهد لها نهشة ، ولا سمع لها عواء ، فليتهياً صاحب عمدة التحقيق لتحليل هذه المسائل وذلك بعد الغض عن اسناده

الموهوم .

ثم ما أخرس السنة أولئك الصحابة الحضور يوم أطلق الله لسان تلك الكلبة الطلقة الذلقة عن بث هذه الفضيلة الرابعة ؟ ومثلها تتوفر الدواعي لنقلها ، وما أذهل الحفاظ وأئمة الحديث وأرباب السير عن روايتها ؟ فلا يجدها الباحث في المسانيد والصحاح والفضائل ومعاجم السير وأعلام النبوة ودلائلها إلى أن بشر بها العبيدي آل الصديق بعد لأي من عمر الدهر وقذف بهذه الأكذوبة أنس بن مالك .

أهكذا تكون المغالاة في الفضائل ؟ ... لعلها تكون .

نعم لله كلاب مفترسة وأسود ضارية سلطها الله على أعدائه بدعاء نبيه الأعظم أو أحد من أولاده الصادقين صلوات الله عليه وعليهم ، منها : كلب سلطه الله على لهب بن أبي لهب بدعاء النبي الأقدس كما مر في الجزء الأول ص ٣٠٩ ومنها ، كلب أخذ برأس عتبة بدعاء رسول الله ﷺ كما مر في ج ١ ص ٣٠٩ قال الحلبي في السيرة النبوية ج ١ ص ٣١٠ : ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق قيل له : هذا فلان ينشد الناس هجاءكم يعني أهل البيت بالكوفة فقال لذلك القائل : هل علق من قوله بشيء ! قال : نعم . قال : فأنشد . فأنشد :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم أزمهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خير من علي وأطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال : اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً من كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الأسد . وإنما سمي الأسد كلباً لأنه يشبه الكلب في أنه إذا بال رفع رجله .

قال الأميني : الشاعر المفترس هو الحكيم الأعور أحد الشعراء المنقطعين إلى بني أمية بدمشق وقصته هذه من المتسالم عليه غير أن في معجم الأدباء كما مر في الجزء الثاني ص ٢٣٢ من كتابنا هذا أن الداعي على الرجل هو عبد الله بن جعفر . وأحسبه تصحيف أبي عبد الله جعفر ، فعلى كل قد وقع من أهله في محله .

١٧ - هبة أبي بكر لمحبيّه :

عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال عليّ رضي الله عنه : كنت جالساَ مع رسول الله ﷺ وليس معنا ثالثٌ إلّا الله عزّ وجلّ فقال : يا عليّ تريد أن أعرفك بسيد كهول أهل الجنة وأعظمهم عند الله قدراً ومنزلة يوم القيامة ؟ فقلت : أي وعيشك يا رسول الله ! قال : هذان المقبلان . قال عليّ : فالتفت فإذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . ثم رأيت رسول الله ﷺ تبسّم ثم قطب وجهه حتّى ولجا المسجد فقال أبو بكر : يا رسول الله ! لما قربنا من دار أبي حنيفة تبسّمت لنا ثم قطبت وجهك فلم ذلك يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : لما صرّتما لجانب دار أبي حنيفة عارضكما إبليس ونظر في وجوهكما ثم رفع يديه إلى السماء أسمعته وأراه وأنتما لا تسمعانه ولا تريانه وهو يدعو ويقول : اللهم إني أسألك بحقّ هذين الرجلين أن لا تعذّبنى بعذاب باغضي هذين الرجلين . قال أبو بكر : ومن هو الذي يبغضنا يا رسول الله ! وقد آمنا بك وآزرناك وأقرنا بما جئت به من عند ربّ العالمين ؟ قال : نعم يا أبا بكر ! قومٌ يظهرون في آخر الزمان يُقال لهم : الرافضة يرفضون الحقّ ، ويتأولّون القرآن على غير صحّته وقد ذكرهم الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز وهو قوله : ﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(١) فقال : يا رسول الله ! فما جزاء من يبغضنا عند الله ؟ قال يا أبا بكر ! حسبك أن إبليس لعنه الله تعالى يستجير بالله تعالى أن لا يعذّبه بعذاب باغضيكما . قال : يا رسول الله ! هذا جزاء من قد أبغض فما جزاء من قد أحبّ ؟ فقال رسول الله ﷺ : أن تهديا له هديّة من أعمالكما . فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله أشهد الله وملائكته اني قد وهبت لهم ربع أجري - أي عملي - منذ آمنت بالله إلى أن نلقاه . فقال عمر رضي الله عنه : وأنا مثل ذلك يا رسول الله . قال رسول الله ﷺ : فضعَا خطكما بذلك . قال عليّ كرم الله وجهه : فأخذ أبو بكر زجاجة وقال له رسول الله ﷺ اكتب . فكتب :

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ يقول عبد الله عتيق بن أبي قحافة : إني قد أشهدت

(١) سورة النساء ؛ الآية : ٤٦ ، وسورة المائدة ؛ الآية : ١٣ .

الله ورسوله ومن حضر من المسلمين أنني قد وهيت ربع عملي لمحبي في دار الدنيا منذ آمنت بالله إلى أن ألقاه ، وبذلك وضعت خطي .

قال : وأخذ عمر وكتب مثل ذلك فلما فرغ القلم من الكتابة هبط الأمين جبرائيل عليه السلام وقال : يا رسول الله ! الربُّ يقرئك السَّلام ويخصُّك بالتحية والإكرام ويقول لك : هات ما كتبه صاحبك . فقال رسول الله ﷺ : هذا هو . فأخذه جبرائيل وعرج به إلى السماء ثم إنه عاد إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : أين ما أخذت يا جبرائيل مني ؟ قال : هو عند الله تعالى وقد شهد الله فيه ، وأشهد حملة العرش وأنا وميكائيل وإسرافيل وقال الله تعالى : هو عندي حتّى يفي أبو بكر وعمر بما قالوا يوم القيامة .

[عمدة التحقيق للعبدي المالكي ص ١٠٥ - ١٠٧]

قال الأميني : أنا لا أحاول إطناباً في تفنيد هذه الرواية الشبيهة بأساطير القصّاصين أو الروايات الخيالية ، فإنَّ كلَّ فصل منها شاهد صدق على عدم صحتها .

أنا لا أحدثش في كهولة الشيخين بما مرَّ في الجزء الخامس ص ٣٧٩ من القول المعزوّ إلى رسول الله ﷺ : يا عليّ أتحبُّ هذين الشيخين ؟ . ولا بما مرَّ في هذا الجزء ص ٢٧٢ من أن أبا بكر له شبيهة في الجنة وليست لأحد لحيه هناك إلّا هو وإبراهيم الخليل ولا بما مرَّ ص ٢٧٢ من أن رسول الله كان يقبل شبيهة أبي بكر ، ولا بما مرَّ في صفحة ٢٩٠ من أن أبا بكر كان يوم هجرة النبي ﷺ إلى المدينة شيخاً والنبي شاباً . ولا بما مرَّ في ص ٣٠٣ من أن أبا بكر كان أكبر من النبي . ولا بما مرَّ في ص ٣١٤ من أنه كان أسنَّ أصحاب النبي .

ولا أتكلّم في عذاب باغضي أبي بكر وعمر وأنه ما الذي أربى به على عذاب من تكبر وتجبّر تجاه المولى سبحانه وعانده وخالف أمره وهو من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يغوي عباد الله ويضلّهم عن سبيل الحق ؟ .

ولا أناقش في أن إبليس كيف كان يصحّ له أن يتعوّذ بالله من عذاب باغضيهما ؟ أكان يحبهما فلماذا هو ؟ أو كان يبغضهما كما يبغض كلُّ مؤمن بالله ؟

فالدعاء لماذا؟ وماذا ينتج له وهو يعلم عذاب مبغضيهما وهو يبغضهما ولا يزال يغري الناس ببغضهما؟ .

ولا أمدُّ يراعي إلى الزجاجة المكتوبة فيها تلك الهبة الموهومة لئلا تنكسر فتحرم الأمة المرحومة من تلك البضاعة الغالية .

ولا أسائل رواة هذه المهزأة عن تلكم الشهادات من الله إلى حملة عرشه إلى أمين وحيه إلى ميكائيل وإسرافيل . لماذا هي كلها؟ وما الذي أحوج المولى سبحانه إلى ذلك الإهتمام البالغ في استحكام ذلك الصك؟ وما الذي أهمَّ أدخاره عند الله حتى يفي أبو بكر وعمر بما قالوا يوم القيامة؟ .

ولا أقول لماذا تركت الأئمة وحفاظ الحديث هذه الفضيلة العظيمة إلى قرن العبيدي المالكي - القرن الحادي عشر - وفيها بشارة كبيرة لمحِبِّ الشيخين وإرشاد للأئمة إلى ما فيه نجاتهم ونجاحهم والمثوبة الجزيلة بجزاء ربعي أعمالهما؟ ولماذا شحَّ أولئك الحفظة على الأئمة وسمع العبيدي؟ .

ولكن هلمَّ معي إلى مفاد الآية الكريمة فهي في موضعين من القرآن الكريم :

١ - ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون سمعنا وعصينا﴾^(١) .

٢ - ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم إثني عشر نقيباً وقال الله : إنني معكم لئن أقمتُم الصلاة وآتيتُم الزكاة وآمنتُم برسلي وعزرتُمهم وأقرضتُم الله قرضاً حسناً لأكفّرُنَّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنّات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلَّ سواء السبيل﴾ * فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾^(٢) .

(١) سورة النساء : الآية : ٤٦ .

(٢) سورة المائدة : الآيتان : ١٢ ، ١٣ .

ألا تعجب من تحريف الكلم بإسناد ما ناء به اليهود وبنو إسرائيل بنص القرآن الحكيم إلى قوم لم يأتوا بعد وسيضمنهم الزمان في أخرياتهم ؟ حاشا رسول الله ﷺ أن يقول ذلك ، ولكنّها ورطات القالة ، واهواء وشهوات ، حبّدت الوقعة في قوم مؤمنين أتبعوا النبيّ الأمين ، وهُدوا إلى الصراط المستقيم ، وهُدوا إلى الطيّب من القول ، وهُدوا إلى صراط الحميد ، ﴿ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم﴾ .

١٨ - أبو بكر في قاب قوسين :

بلغنا أنّ النبيّ ﷺ لما كان قاب قوسين أو أدنى أخذته وحشة فسمع في حضرة الله تعالى بصوت أبي بكر رضي الله عنه فاطمأن قلبه واستأنس بصوت صاحبه . ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق ص ١٥٤ فقال : هذه كرامة للصدّيق انفراد بها رضي الله تعالى عنه .

قال الأميني : لماذا تلك الوحشة ؟ ولماذا ذلك الأنس ؟ وهو ﷺ في ساحة القدس الربوبيّ ، وكان لا يأنس إلا بالله ، وكانت نفسه القدسيّة في كل أناته منعطفة إليها فهل هو يستوحش إذا حصل فيها ؟ وهي أزلف مباءة إلى المولى سبحانه لا تقلّ غيره ، حتّى أنّ جبرائيل الأمين إنكفأ^(١) عنها فقال : إن تجاوزت احترقت بالنار . لما جذبه الله تعالى إليها وحفته قداسة إلهية تركته مستعداً لتلقّي الفيض الأقدس ، وهل هناك وحشة لمثله ﷺ يسكنها صوت أبي بكر ؟ وهل كانت له ﷺ وهو في مقام الفناء لفتة إلى غيره جلّت عظمتة حتّى يأنس بصوته ؟ لاها الله ، وما كان قلب النبيّ ﷺ يقلّ غيره سبحانه فهو مستأنس به ومطمئنّ بآلائه ، فلا مدخل فيه لأيّ أحد يطمئنّ به ، ﴿وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ ، ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ ، ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ؟ ولقد رآه نزلةً أخرى عند سدرة المنتهى﴾ ، ﴿ما زاع البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربّه الكبرى﴾ ، ولم تبرح نفسه الكريمة مطمئنة

(١) الكامل ج ٢ ص ٢١ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٣١ .

ببارئها حتى خوطب بقوله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ اإِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرَضِيَةً﴾ .

هذا مبلغ الرواية من نفس الأمر لكن الغلو في الفضائل أثر أن يعدّوها من فضائل الخليفة وإن كانت مقطوعةً عن الإسناد .

١٩ - الدين وسمعه وبصره :

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لقد هممت أن أبعث إلى الآفاق رجالاً يُعلِّمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى بن مريم الحواريين . قيل له : فأين أنت عن أبي بكر وعمر ؟ قال : إنّه لا غنى بي عنهما إنهما من الدين كالسمع والبصر .

أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٧٤ فقال : هذا حديث تفرد به حفص بن عمر العدني عن مسعر ، وقال الذهبي في تلخيصه : هو وإي .

قال الأميني : قال النسائي : حفص بن عمر ليس بثقة ، وقال ابن عدي : عامة حديثه غير محفوظة ، وقال ابن حبان : كان ممن يُقلَّب الأسانيد لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد ، وقال ابن معين : رجل سوء ، ليس بثقة . وقال مالك بن عيسى : ليس بشيء ، وقال العقيلي : يحدث بالأباطيل ، وقال أحمد : كان مع حماد^(١) في تلك البلايا ، وقال أبو داود : منكر الحديث ، وقال الدارقطني : ضعيف ، ليس بقوي ، متروك^(٢) .

هذا على ما فرّق جمعُ بينه وبين حفص بن عمر بن دينار الإيلي وأما إن كان هو هو فقال ابن عدي : أحاديثه كلّها منكورة المتن والسند وهو إلى الضعف أقرب . وقال أبو حاتم : كان شيخاً كذاباً ، وقال العقيلي : يحدث عن شعبة ومسعر ومالك بن مغول والأئمة بالبواطيل ، وقال الساجي : كان يكذب ، وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث^(٣) .

(١) أحد الكذابين الوضّاعين .

(٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٦٢ ، تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤١٠ .

(٣) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٦٣ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٣٢٤ .

هذا شأن سند الرواية ؛ ولت شعري أي سنة أو فريضة كان يعلمها الرجلان على فرض إرسالها ؟ وبماذا كانا يفتيان في الكلالة وإرث الجدّ والجدة والتميم وشكوك الصلاة إلى مسائل أخرى عرفناك بعضها في الجزء السادس وجملة منها في هذا الجزء ؟ وبماذا كانا يجيبان لو سُئلا عن آيات القرآن وهما يتقاعسان عن معرفة بعض ألفاظها اللغوية فكيف بالغوامض والمعضلات ؟ .

ثمّ بماذا كان غناء الرجلين لرسول الله ﷺ ؟ وبماذا كانا من الدين كالسمع والبصر ؟ أبصولاتهما في الحروب ؟ أم بأياديهما في الجدوب ؟ أم ببصائرهما في الأمور ؟ أم بعلمهما الناجع في الكتاب والسنة ؟ أم بتوقف الدعوة عليهما في عاصمة الإسلام ؟ أم بإناطة تنفيذ الأحكام بهما ؟ إقرأ السير ثمّ استحف الخبر .

وقد مرّ في ج ٥ ص ٣٩٣ عن المقدسي : إنّ أبا بكر وعمر من الإسلام بمنزلة السمع والبصر من موضوعات الوليد بن الفضل الوضع .

وذكر أبو عمر في الاستيعاب ج ١ ص ١٤٦ مرفوعاً لأبي بكر وعمر : هذان منّي بمنزلة السمع والبصر من الرأس وقال : إسناده ضعيف أخبرنا أبو عبد الله يعيش بن سعيد قال : أخبرنا أبو بكر بن محمد بن معاوية : قال جعفر بن محمد الفريابي : قال عبد السلام بن محمد الحرّاني : قال ابن أبي فديك ، عن المغيرة بن عبد الرحمن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه عن جدّه أنّ النبي . . . ليس له غير هذا الإسناد والمغيرة بن عبد الرحمن هذا هو الحزامي ضعيف وليس بالمخزومي الفقيه صاحب الرأي (الخ) وقال في ج ١ ص ٣٤٨ : حديث مضطرب الإسناد لا يثبت . وفي الإصابة ج ٢ ص ٢٩٩ : حديث هذان السمع والبصر . في أبي بكر وعمر قال أبو عمر : حديث مضطرب لا يثبت .

أقول في الإسناد المذكور غير واحد من المجاهيل والضعاف ولا ينحصر ضعفه بمكان المغيرة فحسب ، وقال فيه ابن معين : إنّه ليس بشيء . وقال النسائي : ليس بالقويّ .

[تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٦]

٢٠ - أبو بكر ومنزلته عند الله :

عن ابن عباس قال : كان أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار فعطش عطشاً شديداً فشكا إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : اذهب إلى صدر الغار فاشرب . قال أبو بكر : فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماءً أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكي رائحة من المسك ثم عدت إلى النبي ﷺ فقال : شربت ؟ قلت : نعم . قال : ألا أبشرك يا أبا بكر ؟ قلت : بلى يا رسول الله ! قال : إن الله تبارك وتعالى أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهراً من جنة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبو بكر فقلت : يا رسول الله ! ولي عند الله هذه المنزلة ؟ فقال النبي ﷺ : نعم وأفضل ، والذي بعثني بالحق نبياً لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبياً .

[الرياض النضرة ج ١ ص ٧١ ، مرقاة الوصول ص ١١٤]

قال الأميني : كيف تصح هذه الرواية وقد ضرب عنها حفاظ الحديث وأئمة التاريخ والسير صفحاً ؟ مع ما فيها من نبأ عظيم وكرامة هامة وهي بين أيديهم وهم يهتمون بجمع دلائل النبوة ومعجزات الرسالة ، فلم تخرج في أصل ، ولم تذكر في سيرة ، وإنما ذكرها السيوطي في الخصائص ج ١ ص ١٨٧ فقال : أخرجه ابن عساكر بسند واهٍ .

ولماذا خصت روايتها بابن عباس وقد ولد في شعب أبي طالب قبل الهجرة بقليل فكان يوم الغار ابن سنة أو سنتين ولم يسندها إلى أحد ولم يكن في الغار غير النبي ﷺ وصاحبه ؟ فأين روايتهما إياها ؟ وأين أولئك الصحابة عنها ؟ أيقن لحكيم أو حافظ أن يرسل مثل هذه الواهية إرسال المسلم في عدّ الفضائل ؟ .

نعم : للقوم في محبة أبي بكر وصاحبه روايات تشبه بالقصص الخيالية نسجتها يد الغلو في الفضائل وإليك منها :

١ - عن عبد الله بن عمر مرفوعاً ، لَمَّا وُلِدَ أبو بكر في تلك الليلة اطلع الله على جنة عدن فقال : وعزتي وجلالي لا أدخلك إلا من أحب هذا المولود .

من موضوعات أحمد بن عصمة النيشابوري كما مر في ج ٥ ص ٣٦٥

٢ - عن أبي هريرة مرفوعاً : إِنَّ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثَمَانِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لِمَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ ، وَفِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ثَمَانُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَلْعَنُونَ مَنْ أَبْغَضَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ .

من طامات أبي سعيد الحسن بن علي البصري كما أسلفناه في ج ٥ ص ٣٦٥

٣ - عن أنس : إِنَّ يَهُودِيًّا أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَ مُوسَى وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا إِنِّي لِأُحِبَّكَ فَلَمْ يَرْفَعْ أَبُو بَكْرٍ رَأْسَهُ تَهَانًا بِالْيَهُودِيِّ فَهَبَطَ جِبْرَائِيلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْعَلِيَّ الْأَعْلَى يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : قُلْ لِلْيَهُودِيِّ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَادَ عَنْكَ النَّارَ . الْحَدِيثُ . إقرأ واحكم بعد قراءتك القرآن والتدبر في الآي النازلة في عذاب الكفار . من موضوعات أبي سعيد البصري . راجع الجزء الخامس ص ٣٦٦

٤ - عن أنس مرفوعاً : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ مِائَةَ أَلْفٍ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ إِلَّا رَجُلَيْنِ فَإِنَّهُمَا يَدْخُلَانِ فِي أُمَّتِي وَلَيْسَا مِنْهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْتَقُهُمَا فِيمَنْ عَتَقَ مِنْهُمْ مَعَ أَهْلِ الْكِبَائِرِ فِي طَبَقَتِهِمْ ، مُصَفِّدِينَ مَعَ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ : مَبْغُضِي أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ ، وَلَيْسَ هُمْ دَاخِلِينَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّمَا هُمْ يَهُودُ هَذِهِ الْأُمَّةِ . الخ .

من وضع أبي شاكر مولى المتوكل كما مر في ج ٥ ص ٣٦٨

٥ - عن عبد الله بن عمر مرفوعاً : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ : أَبِي بَكْرٍ ، وَعَمَرَ ، وَعُثْمَانَ ، وَعَلِيٍّ . من بلایا السنجرى كما مر ج ٥ ص ٣٧٥

٦ - عن أبي هريرة مرفوعاً قال لعليّ : أَتُحِبُّ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : أَجِبَهُمَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ . من صناعة الأشناني كما مر ج ٥ ص ٣٧٨

٧ - عن جابر مرفوعاً : لَا يَبْغِضُ أَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَحِبُّهُمَا مُنَافِقٌ .

من موضوعات معلّى الطحان راجع ج ٥ ص ٣٩٢

٨ - عن أبي هريرة مرفوعاً : هذا جبرائيل يخبرني عن الله ما أحبُّ أبا بكر وعمر إلا مؤمن تقيّ ، ولا أبغضهما إلا منافقٌ شقيّ .

من موضوعات إبراهيم الأنصاري كما مرَّ ج ٥ ص ٣٩٤

٩ - عن أبي سعيد مرفوعاً ، من أبغض عمر فقد أبغضني . راجع ج ٥

ص ٣٩٧

١٠ - عن عليّ مرفوعاً : قد أخذ الله بكم الميثاق في أمّ الكتاب لا يحبُّكم «يعني أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّاً» إلا مؤمن تقيّ ، ولا يبغضكم إلا منافق شقيّ .

من موضوعات إبراهيم الأنصاري كما مرَّ ج ٥ ص ٣٩٤

١١ - عن عليّ مرفوعاً في أبي بكر : من أحبَّني فليحبَّه ، ومن أراد كرامتي

فليكرمه مرّ في الجزء الخامس ص ٤٢٨

١٢ - عن أنس مرفوعاً : إنّ لعرش الرّحمن ثلاثمائة وستين قائمة ، كلّ قائمة كطباق الدنيا ستين ألف مرّة ، بين كلّ قائمتين ستون ألف صخرة ، كلّ صخرة مثل الدنيا ستون ألف مرّة ، في كلّ صخرة ستون ألف عالم ، كلّ عالم مثل الثقلين ستون ألف مرّة . قد ألهمهم الله تعالى الإستغفار لمن يحبُّ أبا بكر وعمر ، ويلعنون مبغضهما إلى يوم القيامة^(١) .

كأنّ لعدد ستين ألف خاصّة عند واضع هذه الخرافة فجعل سلسلة الأكوان الخياليّة على ذلك العدد ، ليست هذه كلّها إلا حلقة بلاء جاءت بها رماة القول على عواهنه المغالون في الفضائل تجاه الحقائق الراهنة ، غير أنّنا لا نخدش العواطف ببسط القول في متونها ، ونكل القضاء فيها إلى ضمير الباحث النّابه الحرّ .

(١) عمدة التحقيق للبيدي المالكي ص ١٨٣ نقلاً عن كتاب العقائق .

٢١ - النبي مؤيدٌ بالشيخين :

عن أبي أروى الدوسي قال كنت جالساً عند النبي ﷺ فاطلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال رسول الله ﷺ ؟ الحمد لله الذي أيدني بكما .

قال الأُميني : أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٧٤ من طريق ابن أبي فديك وهو وإن وثقه ابن معين غير أن ابن سعد قال : ليس بحجة ، عن :

عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم ، وابن عدي ، وقال الفروي : ليس بقوي ، وقال الجوزجاني : يضعف حديثه وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال الترمذي : متروكٌ ليس بثقة ، وقال ابن حبان : يخطيء ويخالف وقال أيضاً : منكر الحديث جداً يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات ، وقال ابن الجارود : ليس حديثه بحجة . وتكلم النسائي على أحمد بن صالح حيث وثقه . عن :

سهيل بن أبي صالح قال ابن معين : حديثه ليس بحجة ، وقال أبو حاتم : حديثه لا يُحتج به ، وقال ابن حبان يخطيء ، وقال ابن أبي خيثمة عن يحيى : لم يزل أهل الحديث يتقون حديثه ، وذكر العقيلي عن يحيى أنه قال : هو صويلح وفيه لين . عن :

محمد بن إبراهيم بن الحارث المدني وثقه غير واحد غير أن إمام الحنابلة أحمد قال : في حديثه شيء يروي أحاديث مناكير أو منكراً^(١) والحديث ذكره ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٥ وضعفه . هذا مجمل القول في رجال سند الرواية ، وأما متنه فكما ترى آية في الغلو .

٢٢ - الأشباح الخمسة من ذرية آدم :

عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أخبرني جبرائيل أن

(١) راجع ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤ وج ١ ص ٤٣٢ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٦ ، ٦١ ، وج ٤ ص ٢٦٣ ، ج ٥ وبهذا الطريق أخرجه البزار كما في الصواعق ص ٤٧ .

الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفاحة من الجنة فأعصرها في حلقه فعصرتها في فمه فخلقك الله من النقطة الأولى أنت يا محمد ، ومن الثانية أبا بكر ، ومن الثالثة عمر ، ومن الرابعة عثمان ، ومن الخامسة علي . فقال آدم : من هؤلاء الذين كرمتهم ؟ فقال الله تعالى : هؤلاء خمسة أشباح من ذريتك ، وقال : هؤلاء أكرم عندي من جميع خلقي . قال : فلما عصي آدم ربّه . قال : ربّ بحرمة أولئك الأشباح الخمسة الذين فضلتهم إلّا تبت عليّ فتاب الله عليه .

ذكره الحافظ محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة ج ١ ص ٣٠ ، وابن حجر في الصواعق ص ٥٠ نقلاً عن رياض المحبّ الطبري وقال : عهدته عليه .

قال الأميني : ما بعد المسافة بين من يجوز توسّل آدم أوّل الأنبياء إلى الله تعالى بأناس عاديين في سياق توسّله بأفضل الرسل وسيّد الأوصياء عليهما وآلهما السّلام ، وبين من ينكر التوسّل لأيّ أحد ، بأيّ أحد ، ولا يرى لتوسّل آدم بالنبي الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم أي قيمة وكرامة ، فيعتقد الأوّل صحّة مثل هذه الرواية التي حكم السيوطي بأنها كذبٌ موضوعٌ ، وارتضاه ابن حجر في نقله عنه كما في كشف الخفاء ، وإن عدّه في صواعقه من الفضائل زعماء بأنّ الدهر لم يأت بعده بمن يناقشه في الحساب ، وصافقهما على التكذيب والوضع العجلوني فقال في كشف الخفاء ج ١ ص ٢٣٣ : قال ابن حجر الهيثمي نقلاً عن السيوطي : كذبٌ موضوعٌ .

ومتن الرواية أوضح شاهد على ذلك غير أنّ المغالاة في الفضائل إختلقتها لمعارضة ما ورد في قوله تعالى : ﴿ فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه ﴾ «سورة البقرة» .

أخرج الديلمي في مسند الفردوس كما في الدر المنثور ج ١ ص ٦٠ بإسناده عن عليّ قال سألت النبي ﷺ عن قول الله : ﴿ فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه ﴾ ؟ فقال : إن الله أهبط آدم بالهند وحواء بجدة - إلى أن قال - حتى بعث الله إليه جبرائيل ، وقال : يا آدم ألم أخلقك بيدي ؟ ألم أنفخ فيك من روحي ؟ ألم

أسجد لك ملائكتي ؟ ألم أزوجك حواء أمي ؟ قال : بلى . قال : فما هذا البكاء ؟ قال وما يمنعني من البكاء ؟ وقد أخرجت من جوار الرحمين . قال : فعليك بهؤلاء الكلمات فإن الله قابل توبتك ، وغافر ذنبك . قل : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، عملت سوءاً ، وظلمت نفسي فاعفر لي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم .

وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال : سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ؟ قال : سأل بحقَّ محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إِلَّا تَبَتَّ عَلَيَّ . فتاب عليه .

[الدر المنثور ج ١ ص ٦٠]

وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في المناقب كما في ينابيع المودة ص ٢٣٩ .

وروى أبو الفتح محمد بن علي النطنزي المولود سنة ٤٨٠ في كتابه : الخصائص عن ابن عباس أنه قال - لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فقال : الحمد لله فقال له ربه : يرحمك ربك . فلما أسجد له الملائكة فقال : يا رب خلقت خلقاً هو أحب إليك مني ؟ قال : نعم ولولا هم ما خلقتك . قال : يا رب فأرنيهم فأوحى الله إلى ملائكة الحجب : أن ارفعوا الحجب . فلما رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدام العرش قال : يا رب من هؤلاء ؟ قال : يا آدم هذا محمد نبي ، وهذا علي أمير المؤمنين ابن عم نبي ووصيه وهذه فاطمة بنت نبي ، وهذان الحسن والحسين ابنا علي وولدا نبي ، ثم قال : يا آدم هم ولدك . ففرح بذلك فلما اقترب الخطيئة قال : يا رب أسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي . فغفر الله له ، فهذا الذي قال الله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ . إِنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاها آدَمُ مِنْ رَبِّهِ : اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وفاطمة والحسن والحسين إِلَّا تَبَتَّ عَلَيَّ . فتاب الله عليه .

وهذا الرجل يروى له بسند صحيح توسل عمر - أحد الأشباح المزعومة - بالعباس عم النبي ﷺ في الإستسقاء ، خرج يستسقي به وقد أجذب الناس فقال : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفَعُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ أَنْ تَذْهَبَ عَنَّا الْمَحَل ، وَأَنْ تَسْقِينَا

الغيث . فقال العباس : اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِلَاءٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَلَا يَكْشِفُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ بِي الْقَوْمُ إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ بِالذَّنُوبِ ، وَنَوَاصِينَا بِالتَّوْبَةِ ، وَأَنْتَ الرَّاعِي لَا تَهْمِلُ الضَّالَّةَ ، وَلَا تَدْعُ الْكَاسِرَ بِدَارٍ مُضِيعَةٍ ، فَقَدْ ضَرَعَ الصَّغِيرَ ، وَرَقَّ الْكَبِيرَ ، وَارْتَفَعَتِ الشَّكْوَى ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ السَّرَّ وَأَخْفَى ، اللَّهُمَّ فَأَغْثِهِمْ بَغْيَاثِكَ قَبْلَ أَنْ يَقْنَطُوا فِيهِلَكُوا ، فَإِنَّهُ لَا يِيَّاسَ مِنْ رَحْمَتِكَ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ .

فَمَا تَمَّ كَلَامُهُ حَتَّى أَرَخْتَ السَّمَاءَ مِثْلَ الْحِبَالِ ، فَشَأَتِ السَّحَابُ ، وَهَظَلَتْ السَّمَاءُ ، فَطَفِقَ النَّاسُ بِالْعَبَّاسِ يَمَسْحُونَ أَرْكَانَهُ وَيَقُولُونَ : هَنِيئاً لَكَ سَاقِي الْحَرَمَيْنِ . فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

سَأَلَ الْإِمَامَ وَقَدْ تَابَعَ جَدُّنَا	فَسَقَى الْغَمَامَ بَغْرَةَ الْعَبَّاسِ
عَمَّ النَّبِيَّ وَصَنَوْا لَدَهُ الَّذِي	وَرِثَ النَّبِيَّ بِذَلِكَ دُونَ النَّاسِ
أَحْيَا إِلَهُهُ بِهِ الْبِلَادَ فَأَصْبَحَتْ	مُخْضَرَّةً الْأَجْنَابَ بَعْدَ الْيَاسِ

وَقَالَ ابْنُ عَفِيفٍ النَّصْرِيُّ :

مَازَالَ عَبَّاسُ بْنُ شَيْبَةَ غَايَةً	لِلنَّاسِ عِنْدَ تَنْكَرِ الْأَيَّامِ
رَجُلٌ تَفْتَحُ السَّمَاءَ لَصَوْتِهِ	لَمَّا دَعَا بِدَعَاوَةِ الْإِسْلَامِ
فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُهَا لِمَادَعَا	فِيهَا بِجَنْدِ مُعَلِّمِينَ كِرَامِ
عَمَّ النَّبِيَّ فَلَا كَمَنْ هُوَ عَمَّهُ	وَلَدٌ وَلَا كَالْعَمِّ فِي الْأَقْوَامِ
عَرَفْتُ قَرِيشَ يَوْمَ قَامَ مَقَامُهُ	فَبِهِ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَقْوَامِ

وَقَالَ شَاعِرُ بَنِي هَاشِمٍ :

رَسُولُ اللَّهِ وَالشَّهْدَاءُ مِنَّا	وَعَبَّاسُ الَّذِي بَعِجَ الْغَمَامَا
---------------------------------------	---------------------------------------

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ :

بِعَمِّي سَقَى اللَّهُ الْحَجَّازَ وَأَهْلَهُ	عَشِيَّةً يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عَمْرَ
تَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الْجَدْبِ دَائِماً	إِلَيْهِ فَمَا إِنْ دَامَ حَتَّى أَتَى الْمَطَرَ

ومنّا رسول الله فينا ترائه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر^(١) ؟

فهلاً هذا الرجل هو المتوسّل به في حديث الأشباح - المختلق - الواقع في رديف صاحب الرسالة وسيد الوصيّين صلّى الله عليهما وآلهما ، وهو ومن معه أكرم خلق الله جميعاً باعتراف ممّن خلقهم وفي خلقه سبحانه الأنبياء وأولو العزم من الرّسل والأوصياء والملائكة والمقربون ؟ .

فهلاً هذا الرجل دعا الله بنفسه ؟ وما محلّ توسّله بالعبّاس وهو أكرم عند الله منه ومن أبيه آدم وولده وهلمّ جرّاً ؟ أو أنّه وجد استثناء في العبّاس فحسب فهو أكرم على الله منه ومن كلّ من هو أكرم على الله منه ؟ .

أنا لا أدري ماذا أقول ، ولك الفسحة والمجال لأن تقول الحقّ وما يحدوك إليه ضميرك الحرّ وتقول : كيف يكون المذكورون في الحديث - غير محمّد وصنوه - أكرم على الله من جميع خلقه وفيهم من ذكرناهم من الأنبياء والرسل والأوصياء والأولياء والملائكة ؟ وكيف يتوسّل أبو البشر النبيّ المعصوم بمثل أبي بكر وصاحبيه وهم هم ؟ وسيرتهم بين يديك ، وكيف يكونون رديف النبيّ الأعظم وصنوه المعصوم بنصّ الكتاب العزيز ونفسه المطهر الناطق به القرآن الكريم ؟ وكيف يشاركون معهما في فضيلة الخلقة ، وكرامة التوسّل ؟ ولا أحسب أنّ أحداً من شيعة القوم يوافق رواية هذه الأفيكة على هذه المزاعم ، ولعلّهم يوافقونهم ويجعلونها على عهدتهم كما فعل ابن حجر إذ غلّوهم في الفضائل غير محدود .

وأما الرجل الثاني الذي أربكه التفريط وأسفّ به إلى هوّة الجهل فكالقصيمي الذي أنكر ما جاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا ربّ أسألك بحقّ محمّد لما

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب سؤال الناس الإمام الإستسقاء ، صحيح مسلم كتاب الصّلاة ، الأغاني ج ١٢ ص ٨١ ، أعلام الماوردي ص ٧٨ ، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٤٥ - ٢٤٨ ، مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٣٤ ، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٩٢ ، مرآة الجنان ج ١ ص ٧٢ ، طرح الشريب ج ١ ص ٦٣ ، فتح الباري ج ٢ ص ٣٩٨ وقال : يستفاد من القصة استحباب الإستسقاء بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة ، عمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٨ ، شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩ .

غفرت لي فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله ، محمداً رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله : صدقت يا آدم ! إنه لأحب الخلق إلي ، ادعني بحقه قد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك .

أخرجه البيهقي في دلائل النبوة^(١) والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٦١٥ وصححه ؛ والطبراني في المعجم الصغير ، وأبو نعیم في الدلائل ، وابن عساكر كما في الخصائص ، وأقرّ صحته السبكي في شفاء السقام ص ١٢٠ ، والقسطلاني في المواهب ج ١ ص ١٦ ، والسمهودي في وفاء الوفا ج ٢ ص ٤١٩ ، والزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٦٢ ، والعزّامي في فرقان القرآن ص ١١٧ ، وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى عن عدة من الحفاظ ج ١ ص ٦ .

فقال القصيمي في الصّراع ج ٢ ص ٥٩٣ تبعاً لأثر ابن تيمية في الردّ على هذه المأثرة النبوية الصحيحة : والسؤال بحقّ النبيّ أو بحقّ غيره من الأنبياء والصالحين ليس له من القيمة العملية الدينيّة ما يوجب أن يكون عملاً صالحاً مبروراً فضلاً عن أن يكون أداة غفران وعفو تامّ ، وماذا في قول القائل : أسألك يا الله بحقّ فلان أو فلانة من عمل صالح يؤهل قائله لأن يكون من المغفور لهم ؟ وإنما يغفر للمستغفر .

وقال : وأمّا الألفاظ المجردة فلا وزن لها عند الله ولا ينظر إليها فضلاً عن أن تكون عملاً تحطّ به الذنوب والخطايا الثقيلة ، فما في قول القائل : أسألك بحقّ محمداً لما غفرت لي من الشأن والقيمة ؟ حتّى يُقال له : وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك . وأجهل الناس وأرقهم ديناً وتقوىً وفضيلةً وأشدّهم بعداً عن الله وعن رضاه يقولون ذلك ، ويلهجون به ، وهم على رغمهم لا يجدر بهم الغفران ولا التجاوز والعفو والرضا بل وهم خليقون بالانتقام والطرود والعذاب الأليم الموجه ، ولن تجديهم هذه المقالة ولا هذا التوسل قليلاً ولا كثيراً ، فنحن لا نشكّ في أن

(١) قال الذهبي في الثناء عليه : عليك به فكله هدى ونور .

آدم ما غفر له ذنبه إلا لتوبته ولرجوعه إلى ربه وإقلاعه عن ذنبه ، وإعتذاره واستغفاره الصادرين عن جميع نفسه وقلبه وعقله ، أما السؤال بالحق فلا قيمة ولا وزن له عند الله البتة . اهـ .

نحن لا نقابل هذا المغفل المستهتر البذيء إلا بالسَّلام ، هذا في هذيانه هذا حدو شيخه ابن تيمية ، وقد ردَّ عليه جمعٌ من أئمة الحديث وحفاظه بكلمات ضافية تقتصر منها بكلام السبكي قال في شفاء السقام ص ١٢١ ، قال ابن تيمية : أما ما ذكر في قصة آدم من توسُّله فليس له أصل ، ولا نقله أحدٌ من النبي ﷺ بإسناد يصلح للإعتماد عليه ولا الاعتبار ولا الإستشهاد . ثم ادَّعى ابن تيمية أنه كذب وأطال الكلام في ذلك جداً بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرُّص ، ولو بلغه أن الحاكم صحَّحه لما قال ذلك ، أو لتعرَّض للجواب عنه ، وكأنني به إن بلغه بعد ذلك يطعن في عبد الرحمن بن يزيد راوي الحديث ، ونحن نقول : قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم ، وأيضاً عبد الرحمن بن يزيد لا يبلغ في الضعف إلى الحديث الذي ادَّعاه ، وكيف يحلُّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يردُّه عقل ولا شرع ؟ وقد ورد فيه هذا الحديث ، وأما ما ورد من توسُّل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء فذكره المفسِّرون واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له : ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بالتوسُّل أو الإستعانة أو التشفُّع أو التجوُّه . والداعي بالدعاء المذكور ما في معناه متوسِّل بالنبي ﷺ لأنه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه أو مستغيث به ، والمعنى أنه استغاث الله به على ما يقصده . الخ .

وقد أسلفنا الكلام حول الموضوع في الجزء الخامس ص ١٨٤ - ١٩٧ راجع .

٢٣ - أبو بكر خير أهل السماوات والأرض :

عن أبي هريرة : إنَّ رسول الله ﷺ قال : أبو بكر وعمر خير أهل السماوات والأرض ، وخير الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين . ذكره ابن حجر في الصَّواعق ص ٤٥ نقلاً عن الحاكم وابن عدي ، وأخرجه

الخطيب في تاريخه ج ٥ ص ٢٥٣ وسكت عمّا في سنده من العلل «على عادته الجارية في مناقب الشيخين» وفيه : جبرون بن واقد الأفريقي والراوي عنه محمد بن داود القنطري ، قال الذهبي في الميزان : جبرون متهم فإنه روى بقلّة حياء عن سفيان ، وروى عنه محمد بن داود القنطري ، عن أبي هريرة مرفوعاً : أبو بكر وعمر خير الأولين . الحديث تفرد به وبالذي قبله وهما موضوعان . وزاد ابن حجر في اللسان ج ٢ ص ٩٤ عن ابن عدي أنه قال : لا أعرف له غير هذين الحديثين ولا أعلم من يرويها عنه غير محمد بن داود وهما منكران .

وقال الذهبي في ترجمة محمد بن داود : عن جبرون الأفريقي بحديثين باطلين ذكرهما ابن عدي في ترجمة جبرون وقال تفرد بهما محمد .

وقال ابن حجر في اللسان ج ٥ ص ١٦١ : أحسب الآفة في الحديث من جبرون وقد ساق المؤلف الحديثين في ترجمته وصرّح بأنهما موضوعان وأشار إلى أنّ المشتهر بهما جبرون .

قال الأميني : ومن الحرّي لمثل هذين المبطلين أن يرويا باطلاً كمثّل هذا الذي يرتني مفتعله تفضيل الرّجلين على الملائكة المقرّبين المعصومين من أهل السماوات وفيهم سيّدهم أمين الوحي جبرائيل ، وعلى من ثبتت زلفتهم وقربهم من أولياء الله وأصفيائه وأوصياء الأنبياء ، أنا لا أدري بماذا فضلا عليهم أبعلمهما المتدفّق؟ وقد عرفت مبلغهما منه ، أم بالعصمة عن الخطايا والذنوب ؟ وأنت لا تقول بها ، أو أنّ ما حفظه التاريخ من سيرتهما لا يدع أن تقول بها ، لكن عصمة الملائكة ثابتة لا ريب فيها ، وعصمة الأوصياء واجبة بالبرهنة الصحيحة ، وزلفى المقرّبين كلقمان والخضر وذو القرنين من القضايا التي قياساتها معها ، أم بياسمهما المرهب في ذات الله وعنائهما في سبيل الدين وجهودهما الجبّارة ؟ لا يخفى على أحد حقّ القول في ذلك كلّ ، ضع يدك ههنا على أيّ فضيلة فإنّك لا تجد فيهما منها ما يربي بهما على كثير من الصّحابة والتابعين وهلمّ جرّاً فضلاً عن من ذكرناهم ، غير أنّ الغلوّ في الفضائل حدى صاحبه إلى أن يقول بذلك ، فدعه يقول فإنّ الحقائق الثابتة غير قابلة للزوال ، والأصول الموضوعية لا يركن إليها على كلّ حال .

٢٤ - ثواب النبي (ص) وأبي بكر :

عن علي بن أبي طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي بكر : يا أبا بكر ! إن الله أعطاني ثواب من آمن به منذ خلق آدم إلى أن بعثني ، وإن الله أعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة .

أخرجه الخلعلي والملا كما في الرياض النضرة ج ١ ص ١٢٩ ، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٥ ص ٥٣ من طريق أحمد بن محمد بن عبيد الله أبي الحسن التمار المقرئ فقال : كان غير ثقة روى أحاديث باطلة ذاكرت أبا القاسم الأزهري حال هذا الشيخ وقلت : أراه ضعيفاً لأن في حديثه مناكير . فقال : نعم هو مثل أبي سعيد العدوي .

قال الأميني : أبو سعيد العدوي هو الحسن بن علي العدوي البصري شيخ قليل الحياء كذاب يضع الحديث ، أسلفنا ترجمته في سلسلة الكذابين في الجزء الخامس ص ٢٧٥ ، فقول الأزهري في أبي الحسن التمار (أنه مثل أبي سعيد) يومي إلى أنه أيضاً كذاب وضاع .

وفي الإسناد أبو معاوية الضرير وقد اشتهر عنه الغلو غلو التشيع ، وقال يعقوب بن شيبة : ثقة ربما يدلس «ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٨٢» وفيه أبو البخثري عن علي قال سلمة بن كهيل : ما كان من حديث أبي البخثري فهو حسن ، وما كان عنه فهو ضعيف «ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٤٤» .

هذا شأن سند الرواية وأما متنه فضميرك الحر نعم الحكم فيه .

٢٥ - الحب والشكر الواجبان على الأمة :

عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ حب أبي بكر وشكره واجب على أمتي .

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٥ ص ٤٥٣ من طريق عمر بن إبراهيم الكردي وقال : تفرد به عمر ، وهو ذاهب الحديث . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٤٩ فقال : الحديث منكراً جداً .

ورواه الخطيب في تاريخه ج ٥ ص ٧٣ من طريق عمر الكردي أيضاً بلفظ :
 إِنَّ أَمَّنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَذَاتَ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ ، فَحُبُّهُ وَشُكْرُهُ وَحِفْظُهُ
 وَاجِبٌ عَلَى أُمَّتِي .

قال الأُميني : هذه الرواية من موضوعات عمر الكردي قال الدارقطني :
 كَذَّابٌ خَبِيثٌ ، وقال الخطيب : غير ثقة يروي منكر من الأثبات . راجع ما مر في
 سلسلة الكذابين في الجزء الخامس ص ٣٠١

والعجب من الخطيب في تاريخه أنه مع قوله المذكور في ترجمة الكردي
 ترى عقدة في لسانه لما يذكر الرواية فيسكت عما فيها تارة ولم يتكلم بدأمة تُعرب
 عن وضعها ، ويقتصر أخرى بقوله : تفرد بروايته عمرو وغير عمر أوثق منه . كما قاله
 في الموضع الثاني ، وليست هذه كلها إلا لإغفال القراء عن جليلة الحال ، والتمويه
 على الحقائق الراهنة ، فمن جرأها يأتي الصفوري بعد حين ويذكر الرواية في نزهة
 المجالس ج ٢ ص ١٨٦ مرسلاً إليها إرسال المسلم .

٢٦ - أبو بكر في كفة الميزان :

أخرج الحكيم الترمذي كما في مرقاة الوصول ص ١١٢ قال : حَدَّثَنَا رَزَقُ
 اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْبَاجِي الْبَصْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُؤَمِّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ - الْعَدَوِيُّ الْبَصْرِيُّ - قَالَ :
 حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جَمَهَانَ الْبَصْرِيُّ عَنْ سَفِينَةَ
 مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ :
 أَيُّكُمْ رَأَى اللَّيْلَ رُؤْيَا ؟ قَالَ : فَصَلَّى ذَاتَ يَوْمٍ الصُّبْحَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ :
 أَيُّكُمْ رَأَى اللَّيْلَ رُؤْيَا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُكَ كَأَنَّ مِيزَانًا أُدْلِي مِنْ
 السَّمَاءِ فَوُضِعَتْ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَوُضِعَ أَبُو بَكْرٍ فِي كِفَّةٍ أُخْرَى فَرَجَحَتْ بِأَبِي بَكْرٍ
 فَرَفَعَتْ . وَتَرَكَ أَبُو بَكْرٍ فَجِيءَ بِعَمْرِ فَوُضِعَ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى فَوُزِنَ بِأَبِي بَكْرٍ فَرَجَحَ
 أَبُو بَكْرٍ بِعَمْرِ ، وَرُفِعَ أَبُو بَكْرٍ وَتَرَكَ عَمْرَ مَكَانَهُ فَجِيءَ بِعَثْمَانَ فَوُضِعَ فِي الْكِفَّةِ
 الْأُخْرَى فَرَجَحَ عَمْرُ بِعَثْمَانَ ، وَرَفَعَ عَمْرُ وَتَرَكَ عَثْمَانَ مَكَانَهُ فَجِيءَ بِعَلِيٍّ فَوُضِعَ فِي
 الْكِفَّةِ الْأُخْرَى فَرَجَحَ عَثْمَانُ بِعَلِيٍّ وَرُفِعَ الْمِيزَانُ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ
 قَالَ : خِلَافَةُ نَبْوَةٍ ثَلَاثِينَ عَامًا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا .

رجال إسناده :

١ - رزق الله البصري المتوفى سنة ٢٥٦/٦٠ قال الأندلسي : روى أحاديث منكرة وهو صالح لا بأس به .

[تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧٣]

٢ - مؤمل العدوي البصري المتوفى سنة ٢٠٦ قال أبو حاتم : صدوق شديد في السنة كثير الخطأ ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وقال يعقوب بن سفيان : شيخ جليل سني سمعت سليمان بن حرب يحسن الشاء - عليه - كان مشيختنا يوصون به إلا أن حديثه لا يشبه حديث أصحابه ، وقد يجب على أهل العلم أن يقفوا عن حديثه ، فإنه يروي المناكير عن ثقات شيوخه ، وهذا أشد فلو كانت هذه المناكير عن الضعفاء لكنا نجعل له عذراً ، وقال الساجي : صدوق كثير الخطأ ، وله أوهام يطول ذكرها ، وقال ابن سعد والدارقطني : كثير الخطأ . وقال المروزي : إذا انفرد بحديث وجب أن يتوقف ويتثبت فيه ، لأنه كان سيء الحفظ كثير الغلط .

[ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٢١ ، تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٨١]

٣ - سعيد بن جمهان البصري المتوفى سنة ١٣٦ . قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال الساجي : لا يتابع على حديثه .

[ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٧٧ ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٤]

قال الأميني : ﴿ويل للمطففين﴾ الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ .

هذه الميزان التي جاء بها البصريون وأدليت من سماء البصرة في منجمها عين ، وفي إحدى كفتيها شول ، وفي لسانها عوج . ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ ؟ ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ ؟

كيف يوزن في ميزان العدل والنصفة رسول الله ﷺ وهو مع ابن أبي

قحافة الذي ليس إلا أبو بكر ، أيّ خلائق كريمة ؟ أيّ نفسيّات طاهرة ؟ أيّ ملكات فاضلة ؟ أيّ حكم علميّة أو عمليّة ؟ أيّ عوارف ومعارف راقية ؟ أيّ بصيرة نافذة ؟ أيّ أيّ ؟ جعلت في كفة جعل فيها أبو بكر . هل هذه الموازنة يقبلها الوجدان والمنطق حتّى يُقال بالرجحان في إحدى كفتي الميزان ؟ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً .

ثمّ كيف رجح أبو بكر بعمر وإنهما كانا عكمي بعير في الفضائل كلّها أيام حياتهما غير أنّ فتوحات عمر وأيديه في بسط الإسلام في أرجاء العالم لا تُنسى ، ولم تزل تذكر في صفحات التاريخ ، فله فضيلة الرجحان على أبي بكر إن وزنا بميزان غير معيبة .

وكيف فُصل بين النبيّ الأعظم وبين أمير المؤمنين في الميزان ؟ وهو نفسه بنصّ القرآن الكريم ، وله العصمة بحكم الكتاب العزيز ، وهو وارث علمه ، وباب حكمته ، وهو عدل القرآن وخليفة نبيّ الإسلام بقوله ﷺ : «إني مَخْلُفٌ فيكم إثنين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي . وأيّ فضيلة رابية لعثمان جعلت في كفة الميزان ورجح بها على عليّ رديف رسول الله ﷺ في فضائله . أنا لا أدري .

ثمّ إن كان التعبير الذي عزوه إلى رسول الله ﷺ حقّاً فهو لا محالة بتقدير من الله تعالى ومشيتة منه رعاية للنظام الأصلح ، فلماذا تغيّر وجهه ﷺ ممّا قدره المولى سبحانه وشاء وأحبّه ؟ ولم تكن له غاية إلاّ الحصول على مرضاته والدعوة إليها وإيقاف الأمة عليها أو ليس هذا ممّا ينافي عصمته ويضادّ مقامه الأسمى ؟ لكن الغلوّ في الفضائل قد يصحّ أمثال ذلك . فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

٢٧ - ما أسلم أبو مهاجر ، إلاّ أبو بكر :

أخرج ابن مندة وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلاّ أبو بكر .

[تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٣]

وروى المحبّ الطبري في رياضته ج ١ ص ٤٧ عن الواحدي مرسلًا بلا إسناد

عن عليّ بن أبي طالب أنّه قال في أبي بكر : أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين من أسلم أبواه غيره .

[وذكره القرطبي في تفسيره ج ١٦ ص ١٩٤]

وأخذ غير واحد من المتأخّرين كالشبلنجي ونظراؤه هذين الحديّثين فعّدوهما من فضائل أبي بكر المثّسّال عليها .

قال الأميني : نحن نقدّس ساحة عليّ وعائشة عن مثل هذا الكذب الفاحش الذي ينادي التاريخ بخلافه ، وتكذّبه سيرة الصحابة المهاجرين ، وإنّما الحبّ الدفين قد أعمى رواة هذه الأفيكة وأصمّهم عمّا في غضون الكتب ، فأسرفوا في القول وتغالوا في الفضائل غير مكترئين لمغبة قلوبهم ، أهذا مبلغهم من العلم ؟ أم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون ؟ .

هاجر بنو مظعون من بني جمح . وبنو جحش بن رثاب حلفاء بني أميّة ، وبنو البكير من بني سعد بن ليث حلفاء بني عدي بن كعب . بأهلهم وأموالهم ، وغلقت دورهم بمكة هجرة ليس فيها ساكن كما في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٧٩ ، ١١٧ ، أكانت نساء تلکم الأسر الكبيرة أرامل أو عقائم ؟ أو كانت أبناؤها أيتاماً من الأبوين أيامي ؟ أو كانت أبأوها رجالاً بلا أعقاب . قاتل الله الحبّ كيف يُعْمى ويُصمّ .

وهلّمّ معي نقرأ صحيفة من تراجم المهاجرين هذا عمّار بن ياسر مهاجرٌ عظيمٌ وأبواه في الرعيّل الأوّل من المعذّبين في الإسلام . قال مسدّد كما في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٨ : لم يكن في المهاجرين من أبواه مسلمان غير عمّار بن ياسر . فهذا ينفي إسلام والدي أبي بكر ويكذب ذلك المختلق .

وهذا عبد الله بن جعفر هاجر أبوه ومعه عبد الله وأخواه محمّد وعون ومعهم أمّهم أسماء بنت عَميس .

وهذا عمرو بن أبان بن سعيد الأموي ، من المهاجرين وأبوه شهد خبيراً مع رسول الله ﷺ وأمّه فاطمة بنت صفوان مسلمة .

وهذا خالد بن أبان الأموي أخو عمرو بن أبان المذكور .

وهذا إبراهيم بن الحارث بن خالد التميمي ، هاجر مع أبيه وأمه ريطة بنت الحارث بن جبلة .

وهذا الحاطب بن الحارث الجمحي من المهاجرين ، وهاجر معه أبوه وأمه فاطمة بنت المجلل .

وهذا الحطاب بن الحارث الجمحي ، هاجر مع أبيه وأمه وأخيه الحاطب ومعه امرأته فكيهة بنت يسار .

وهذا حكيم بن الحارث الطائفي ، هاجر مع امرأته وبنيه ومعه أبواه وهما مسلمان .

وهذا خزيمة بن جهم بن قيس العبدري ، هاجر مع أبيه وأخيه عمرو ومعهم أمهما أم حرملة بنت عبد الأسود .

وهذا جابر بن سفيان بن معمر الجمحي ، هاجر هو وأبوه وأمه حسنة .

وهذا جنادة بن سفيان الجمحي ، هاجر ومعه أمه حسنة وأخوه جابر المذكور .

وهذا سلمة بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، هاجر أبوه وهاجرت بعده أمه أم سلمة زوج النبي ﷺ مع ابنها سلمة .

وهذا جناب بن الحارثة بن صخر العذري ، هاجر إلى المدينة وأبوه قد أسلم .

وهذا الحارث بن قيس السهمي ، هاجر مع بنيه الحارث وبشر ومعمر فهم مهاجرون وأبوه الحارث قد أسلم وهاجر .

وهذا السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي ، من المهاجرين وأبوه مهاجر عظيم .

وهذا سليط بن سليط بن عمرو العامري . قال عمر : دلوني على فتى مهاجر هو وأبوه . فدلوه عليه .

وهذا عبد الرحمن بن صفوان بن قدامة ، هاجر هو وأبوه .

وهذا عبد الله بن صفوان بن قدامة ، هاجر هو وأبوه .

وهذا عامر بن غيلان بن سلمة الثقفي ، هاجر إلى رسول الله وأبوه قد أسلم .

وهذا عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي . من المهاجرين ووالده صحابيٌّ

عظيم .

وهذا عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة مهاجر، وهاجر أبوه وأسلم جدُّه

وجدَّته أم الخير على زعم القوم وسيأتي الكلام في إسلامهما .

وهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب . مهاجر وأبوه قد أسلم وهاجر .

وهذا محمَّد بن عبد الله بن جحش . أحد المهاجرين ومعه أبوه وأمّه .

وهذا عبد الله بن المطلب بن أزهر . أحد المهاجرين وأبوه مهاجر .

وهذا معمر بن عبد الله بن نضلة . أحد المهاجرين ووالده مهاجر .

وهذا مهاجر بن قنفذ بن عمير القرشي التيمي . من المهاجرين السابقين إلى

الإسلام وأبوه له صحبة .

وهذا موسى بن الحرث بن خالد القرشي التيمي . مهاجر ابن مهاجر .

وهذا النعمان بن عدي بن نضلة . مهاجر هو ووالده .

راجع سيرة ابن هشام ص ٢١ ، طبقات ابن سعد ، تاريخ الطبري ،

الإستيعاب ، اسد الغابة ، كامل ابن الأثير ، تاريخ ابن كثير ، عيون الأثر لابن سيّد

الناس ، الإصابة ، تهذيب التهذيب ، السيرة الحلبية .

ولعلَّ الباحث يقف في غضون السير وكتب التاريخ ومعاجم التراجم على كثير من

نظراء هؤلاء من المهاجرين الذين أسلم آباؤهم أو آبائهم وأُمَّهاتهم . فما جاء به

المحبُّ الطبري والسيوطي ومَن لفَّ لفَّهما من فضيلة إسلام والد أبي بكر أو والديه

دون سائر الصحابة وعزوه إلى مولانا أمير المؤمنين ليس إلَّا مجهولة ومخرقة نشأت

من الغلوِّ الفاحش في الفضائل .

إسلام والدي أبي بكر :

هلّمّ معي نحاسب إسلام والدي أبي بكر أحقاً هما أسلما ؟ فضلاً عن أن يخصّ بهما الإسلام من بين آباء المهاجرين وأمّهاتهم ، أم لم ينبىء به خير؟ بل هو نبأ كتباً إسلام والدي غيره من المهاجرين يناقش فيه وإنما ولده الغلو في الفضائل . أمّا إسلام أبي قحافة فيقال : إنّه أسلم يوم الفتح وقد أتى به ابنه أبو بكر إلى رسول الله ﷺ ولم يؤثر إتيانه إلى رسول الله ﷺ طيلة حياته غير مرة واحدة في تلك السنة يوم ذاك . وها نحن نذكر جميع ما ورد في إتيانه ذاك ، ونجعل تلکم الروايات المروية فيه قسمين : الأول ما لم يذكر فيه إيعاز إلى إسلامه . والثاني ما يوعز فيه إلى إسلامه .

القسم الأول :

١ - أخرج الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٢٤٥ عن أبي عبد الله محمد بن أحمد القاضي ابن القاضي قال : حدّثني أبي حدّثنا محمد بن شجاع حدّثنا الحسين^(١) بن زياد عن أبي حنيفة عن يزيد بن أبي خالد عن أنس رضي الله عنه قال : كأنني أنظر إلى لحية أبي قحافة كأنه ضرام عرّج من شدّة حمّته فقال رسول الله ﷺ : لو أقررت الشيخ في بيته لأتيته تکرمة لأبي بكر .

سكت الحاكم عمّا في سند هذه الرواية ولم يصحّحه على عادته في الكتاب ، وتبعه في ذلك الذهبي في تلخيصه ، كل ذلك تکرمة لأبي بكر ، وإن بخسا الحق والحقيقة ، فيه :

أ - محمد بن شجاع البغدادي أبو عبد الله ابن الثلجي الفقيه . قال أحمد إمام الحنابلة : مبتدع صاحب هوى . وقال عبد الله بن أحمد : سمعت القواريري قبل أن يموت بعشرة أيام وذكر ابن الثلجي فقال هو كافر . قال : فذكرت ذلك لإسماعيل القاضي فسكت ، فقلت : ما أكفره إلا بشيء سمعه منه . قال : نعم .

وقال زكريا الساجي : فأما ابن الثلجي فكان كذاباً إحتال في إبطال حديث

(١) الصحيح : الحسن بن زياد .

رسول الله ﷺ ورده نصره لمذهبه ، وفي المنتظم : نصره لأبي حنيفة ورأيه .

وقال ابن عدي ، كان يضع أحاديث في التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث يلبسهم بذلك .

وقال الأزدي : كذاب لا تحل الرواية عنه لسوء مذهبه ، وزيفه عن الدين .

وقال الجوزجاني : قال موسى بن القاسم الأشيب : كان كذاباً خبيثاً^(١) وفيه :

٢ - الحسن بن اللؤلؤي الكوفي . قال يحيى بن معين : كذاب .

وقال ابن المديني : لا يكتب حديثه .

وقال محمد بن عبد الله بن نمير : يكذب على ابن جريج .

وقال أبو داود : كذاب غير ثقة .

وقال أبو حاتم : ليس بثقة . وقال الدارقطني : ضعيف متروك .

وقال نضر بن شميل لرجل كتب كتب الحسن : لقد جلبت إلى بلدك شراً .

وقال أبو ثور : ما رأيت أكذب من اللؤلؤي ، كان على طرف لسانه : ابن

جريج عن عطاء .

وقال أحمد بن سليمان : رأيته يوماً في الصلاة وغلّام أمرد إلى جانبه في

الصف فلما سجد مدّ يده إلى خدّ الغلام فقرصه ففقدفته فلا أحدث عنه .

وقال ابن أبي شيبة : كان أبو أسامة يسميه الخبيث .

وقال يعقوب بن سفيان ، والعقيلي ، والساجي : كذاب .

وقال النسائي : ليس بثقة ولا مأمون^(٢) إقرأ واحكم . أتخفى هذه كلّها على

مثل الحاكم والذهبي ؟ لاها الله .

٢ - أخرج الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٢٤٤ عن أبي العباس محمد بن

يعقوب قال : حدّثنا محمد بن إسحاق الصّغاني حدّثنا حسين بن محمد الروزي حدّثنا

عبد الله بن عبد الملك الفهري حدّثنا القاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه عن أبي

(١) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٧١ ، المنتظم لابن الجوزي ج ٥ ص ٥٧ ، تهذيب التهذيب ج ٩

ص ٢٢٠ .

(٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٢٨ ، لسان الميزان ج ٢ ص ٢٠٨ .

بكر رضي الله عنهم قال : جئت بأبي أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ فقال : هلاً
تركت الشيخ حتى آتته ؟ فقلت : بل هو أحقُّ أن يأتني . قال : إنا لنحفظه لأيادي
إبنه عندنا .

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٥٠ فقال : رواه البزار وفيه
عبد الله بن عبد الملك الفهري ولم أعرفه . وقال الذهبي في تلخيص المستدرک :
عبد الله منكر الحديث .

وقال الذهبي في الميزان ج ٢ ص ٥٥ ، وابن حجر في لسانه ج ٢
ص ٣١١ : قال ابن حبان : « عبد الله » لا يشبه حديثه حديث الثقات يروي
العجائب . وقال العقيلي : منكر الحديث لا يتابع عليه ، وقال أبو زرعة : هو
ضعيفٌ يضرب على حديثه . وقال البرقاني : سألت أبا الحسن عنه قلت : ثقة ؟
قال : لا ولا كرامة . إنتهى ما في الميزان ولسانه . وفي السند :

القاسم بن محمد عن أبي بكر ، توفي القاسم بن محمد سنة ٩/١٠٨ وهو
ابن ٧٢/٧٠ سنة كما في صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٢ ص ٥٠ وتوفي والده
محمد سنة ٣٨ فتكون ولادة القاسم سنة وفاة أبيه محمد ، وإن أخذنا قول ابن سعد
من أن القاسم توفي سنة ١١٢ وهو ابن سبعين سنة فيكون القاسم عند وفاة والده
ابن أربع سنين فأئني له الرواية عن أبيه .

وأما رواية محمد عن أبيه أبي بكر فلا يصحُّ إذ محمد ولد عام حجة الوداع
سنة عشرة من الهجرة وتوفي والده في جمادى الآخرة عام ثلاثة عشر ، فأين يكون
مقبل هذه الرواية من الصحة ؟ قال الذهبي في تلخيص المستدرک في تعقيب هذه
الرواية : القاسم لم يدرك أباه ولا أبوه أبا بكر .

٣ - أخرج الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٢٤٤ عن القاضي أبو بكر
محمد بن عمر بن سالم بن الجعابي الحافظ ألا وحدَّثنا أبو شعيب عبد الله بن
الحسن الحراني ، بإسناده عن أنس قال : جاء أبو بكر رضي الله عنه يوم فتح مكة
بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : لو أقررت الشيخ
في بيته لأتيناه .

ليت شعري ما الذي دعا الذهبي إلى تسليم رواية الجعابي هذه وترك الغمز فيها وقد ترجمه في ميزانه ج ٣ ص ١١٣ وقذفه بقوله : إنه فاسقٌ رقيق الدين ، وقال الخطيب : كثير الغرائب ، ومذهبه في التشيع معروفٌ ، ونسب إليه ابن الجوزي ما هو بريء منه ، وحكي عن الحاكم أنه قال : قلت للدارقطني : بلغني أن ابن الجعابي تغير بعدنا . فقال : وأيّ تغير . فقلت : هذا فهمه في الحديث . قال : أي والله حدث عن الخليل بن أحمد صاحب العروض بعشرين حديثاً بأسانيد ليس له فيها أصلٌ . إلى آخر ما أتى به القوم في ترجمته ، راجع تاريخ الخطيب ج ٣ ص ٢٦ ، المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٣٨ ، لسان الميزان ج ٥ ص ٣٢٢ .

ثم كيف خفي عليه وعلى الحاكم أن الجعابي وُلد سنة ٢٨٥ وتوفي سنة ٣٥٥ باتفاق المؤرخين فأنتى تصحُّ روايته عن أبي شعيب عبد الله بن الحسن المتوفى سنة ٢٩٢ ؟ كما أرّخه الذهبي في ميزان الاعتدال ، هذا أخذاً بما في لفظ الذهبي في تلخيصه من حذف حرف «ألاو» من السند وأما على ما في لفظ الحاكم من «ألاو» فيكون الراوي عن أبي شعيب المتوفى سنة ٢٠٢ هو نفس الحاكم المولود سنة ٣٢١ .

على أن الذهبي قال في الميزان ج ٢ ص ٣٠ : كان أبو شعيب غير متهم لكنه أخذ الدراهم على الحديث ؛ وحكى ابن حجر عن ابن حبان في لسان الميزان ج ٣ ص ٢٧١ أنه قال : كان يخطيء ويهم .

٤ - أخرج الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٢٤٤ عن أبي العباس محمد بن يعقوب حدثنا بحر بن نصر حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبي ﷺ فلما وقف به على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : غيروه^(١) ولا تقرّبوه سواداً .

متن هذه الرواية يكذبها كل ما ورد في إتيان أبي قحافة إلى النبي ﷺ فإن في الجميع أن الآتي به هو أبو بكر . ثم مر في حديث أنس أنه نظر إلى لحية أبي

(١) قال الذهبي في تلخيص المستدرک : غيروه يعني الشيب .

قحافة كأنه ضرام عرّج من شدة حمرتها ، فما معنى ما ورد في هذا الرواية من قول رسول الله ﷺ : غَيَّرُوهُ وَلَا تَقْرُبُوهُ سَوَادًا ؟ .

وأما سندها ففيه عبد الله بن وهب قال ابن معين : ابن وهب ليس بذلك . وفي ابن جريج كان يستصغر .

[ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٨٦]

وفيه أبو الزبير محمد بن مسلم الأسدي المكي ففي الميزان ج ٣ ص ١٢٥ : يردّ ابن حزم من حديث أبي الزبير ما يقول : عن جابر ونحوه ، لأنه عندهم ممّن يدلّس فإذا قال : سمعت وأخبرنا أحتجّ به . قال الأُميني : هذا الحديث ممّا قال فيه أبو الزبير عن جابر فهو يُردّ على ما قاله ابن حزم .

وقال أبو زرعة وأبو حاتم : أبو الزبير : لا يُحتجّ به . وقال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعي واحتجّ عليه رجلٌ بحديث عن أبي الزبير فغضب وقال : أبو الزبير محتاج إلى دعامة . وعن ورقاء قال : قلت لشعبة : مالك تركت حديث أبي الزبير ؟ قال : رأيته يزن ويسترجح في الميزان . وقال شعبة : قدمت مكة فسمعت من أبي الزبير فينا أنا جالسٌ عنده إذ جاءه رجلٌ يوماً فسأله عن مسألة فردّ عليه فقلت له : يا أبا الزبير ! تفتري على رجل مسلم قال : إنّه أغضبني . قلت : من يغضبك تفتري عليه ؟ لا رويت عنك حديثاً أبداً . وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٤٠ وحكى تضعيف أيّوب وأحمد وغيرهما إيّاه .

وعن أبي الزبير هذا أخرج الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ٢٤٥ عن جابر أنّه قال : أتى النبي ﷺ يوم الفتح بأبي قحافة ورأسه ولحيته كالثغامة فقال رسول الله ﷺ : اخضبوا لحيته .

٥ - أخرج ابن حجر من طريق محمد بن زكريا العلّائي^(١) عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : جاء أبو بكر بأبي قحافة وهو شيخٌ قد عمي فقال رسول الله ﷺ : ألا تركت الشيخ حتى

(١) الصحيح : الغلابي .

آتيه ؟ قال : أردت أن يؤجره الله ، والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي ، ألتمس بذلك قرّة عينك .

[الإصابة ج ٤ ص ١١٦]

رجال الإسناد :

١ - محمد بن زكريّا الغلابي البصري . قال الذهبي : ضعيف . وقال ابن حبان : يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة . وقال ابن مندة : تكلم فيه . وقال الدارقطني يضع الحديث . وذكر الصولي بإسناده حديثاً فقال : هذا كذب من الغلابي .

[ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٨]

٢ - العباس بن بكار البصري . قال الدارقطني : كذاب . وقال العقيلي : الغالب على حديثه الوهم والمناكير .

[ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٨]

٣ - أبو بكر الهذلي البصري . قال الدوري ليس بشيء وقال أيضاً : ليس بثقة . وقال ابن معين : ليس بشيء . وقال غندر : كان يكذب . وقال أبو زرعة : ضعيف . وقال أبو حاتم : لئن الحديث يكتب حديثه ولا يُحتجّ بحديثه . وقال النسائي : ليس بثقة ولا يكتب حديثه . وقال ابن الجنيّد : متروك الحديث . وقال ابن المديني : ضعيف ليس بشيء ، ضعيف جداً ، ضعيف ضعيف . وقال الجوزجاني : يضعف حديثه . وقال الدارقطني : منكر الحديث متروك . وقال يعقوب بن سفيان : ضعيف ليس حديثه بشيء . وقال المروزي : كان أبو عبد الله يضعف أمره . وقال ابن عمّار : بصريّ ضعيف . وقال أبو إسحاق : ليس بحجة . وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقويّ عندهم . وقال ابن عدي : عامّة ما يرويه لا يتابع عليه .

وقال الذهبي : ضعفه أحمد وغيره . وقال غندر وابن معين : لم يكن بثقة . وقال يزيد بن زريع : عدلت عنه عمداً . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال البخاري : ليس بالحافظ عندهم .

راجع ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٤٥ ، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٦ ، وقال ابن حجر في الإصابة بعد ذكر الحديث : إسناده وإه .

٦ - قال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١١٧ : أخرج أبو قرة موسى بن طارق عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : جاء أبو بكر بأبي قحافة يقوده يوم فتح مكة فقال رسول الله ﷺ : ألا تركت الشيخ حتى تأتيه ؟ قال أبو بكر : أردت أن يؤجره الله ، والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب لو كان أسلم^(١) مني بأبي .

هذا الحديث كسابقه لا يدل على إسلام أبي قحافة وهو نظير قول عمر للعبّاس أنا بإسلامك إذا أسلمت أفرح مني بإسلام الخطّاب يعني لو كان أسلم^(٢) وأمّا رجال إسناده ففيه :

١ - موسى بن طارق . قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يُحتجّ به كما قاله الذهبي في الميزان ج ٣ ص ٢١١ . وفيه :

٢ - موسى بن عبيدة قال الذهبي : قال أحمد : لا يكتب حديثه . وقال النسائي وغيره : ضعيف . وقال ابن عدي : الضعف على روايته بين . وقال ابن معين ليس بشيء . وقال مرة : لا يُحتجّ بحديثه . وقال يحيى بن سعيد : كنا نلقي حديثه . وقال يعقوب بن شيبة : صدوق ضعيف الحديث جداً . ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢١٤ . وفيه :

٣ - عبد الله بن دينار . قال العقيلي : روى عنه موسى بن عبيدة ونظراؤه أحاديث مناكير الحمل فيها عليهم .

[تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٠٢]

(١) هذه الجملة أعني (لو كان أسلم) دخيلة من المتأخرين نظراء ابن حجر ولا توجد في الأصول القديمة راجع الرياض النضرة ج ١ ص ٤٥ .
(٢) الإصابة ج ٤ ص ١١٧ .

القسم الثاني :

لا يوجد في كتاب الحديث ومعجم التراجم ما يدل على إسلام أبي قحافة إلا ما أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٤٩ من طريق ابن إسحاق عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده : أي بنية إظهار بي على أبي قبيس ، قالت : وقد كفّ بصره ، قالت : فأشرفت به عليه فقال : يا بنية ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً . قال : تلك الخيل . قالت : وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً قال : يا بنية ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها ثم قالت : قد والله انتشر السواد فقال : قد والله إذا دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي فانحطت به وتلقته الخيل قبل أن يصل إلى بيته وفي عنق الجارية طوق لها من ورق فتلقاها رجل فاقتلعه من عنقها قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله ! هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه قال : فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له : أسلم ، فأسلم ودخل به أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ورأسه كأنه ثغامة فقال رسول الله ﷺ : غيروا هذا من شعره ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال : أنشد بالله والإسلام طوق أختي فلم يجبه أحد ، فقال : يا أختي : إحتسبي طوقك .

وفي لفظ المحب الطبري في الرياض ج ١ ص ٤٥ : إحتسبي طوقك فوالله إن الأمانة في الناس اليوم قليل .

قال الأميني : هذه الرواية لا تصح لمكان محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المدني نزيل العراق وليست هي إلا من موضوعاته . قال سليمان التيمي : ابن إسحاق كذاب . وقال هشام بن عروة : كذاب .

وقال مالك : دجال من الدجاجة .

وقال يحيى القطان : أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب .

وقال الجوزجاني : الناس يشتهون حديثه ، وكان يرمى بغير نوع من البدع .

وقال ابن نمير : يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة .

وقال أيوب بن إسحاق : سألت أحمد فقلت له : يا أبا عبد الله ! إذا انفرد ابن إسحاق بحديث قبله ؟ قال : لا والله إنني رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا .

وقال أبو داود : سمعت أحمد ذكر محمد بن إسحاق فقال : كان رجلاً يشتبه الحديث فيأخذ كتب الحديث فيضعها في كتبه ، وكان يدلس ، وكان لا يبالي عمّن يحكي عن الكلبي وغيره .

وقال عبد الله بن أحمد : ما رأيت أبي أتعن حديثه قط ، وكان يتبعه بالعلو والنزول ، قيل له : يحتج به ؟ قال : لم يكن يحتج به في السنن .

وقال ابن معين : ليس بذاك ، 'ضعيف' ، ليس بقوي .

وقال النسائي : ليس بقوي .

وقال ابن المديني : كذبه سليمان التيمي ، ويحيى القطان ، وهيب بن خالد .

وقال الدارقطني : لا يحتج به . وقال : اختلفت الأئمة فيه وليس بحجة إنما يعتبر به .

وقال هشام بن عروة : يحدث ابن إسحاق عن امرأتي فاطمة بنت المنذر والله إن رآها قط .

وقال وهيب : سألت مالكاً عنه فاتهمه .

وقال أحمد : هو كثير التدليس جداً^(١) .

وأخرج الحاكم في المستدرک ج ٣ : من طريق الحديث الرابع المذكور عن عبد الله بن وهب عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم رضي الله عنه : إن رسول الله ﷺ هنا أبا بكر بإسلام أبيه .

(١) راجع ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢١ - ٢٤ ، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٨ - ٤٦ .

وفيه مضافاً إلى ما أسلفناه في الحديث الرابع : أنَّ زيد بن أسلم توفي سنة ١٣٦ وعُدَّ ممَّن لقي ابن عمر^(١) فلا تصحُّ روايته عن النبي ﷺ وقد ولد بعده بكثير .

على أنَّ ابن حجر قال في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٧ : ذكر ابن عبد البر في مقدِّمة التمهيد ما يدلُّ على أنَّه كان يدلس . وقال في موضع آخر : لم يسمع من محمود بن لبيد وحكى عن ابن عينة أنَّه قال : كان زيد رجلاً صالحاً وكان في حفظه شيء . ونقل عن غيره قوله : لا أعلم به بأساً إلاَّ أنَّه يفسِّر برأيه القرآن ويكثر منه ، وفي ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٦١ : إنَّه كان يفسِّر القرآن برأيه .

هذا إسلام أبي قحافة وحديثه وليس إلاَّ دعوى مجردة مدعومةً بالواهيات ، ولا يثبت بها إسلام أيِّ أحد ، ويظهر من نفس رواية أحمد أنَّ إتيانه إلى رسول الله ﷺ [على فرض تسليمه] لم يكن إلاَّ لاسترداد ما أخذه المسلمون من إبنته من الطوق ، ولو كان له إسلام ثابت وكان إتيانه للإسلام لكان يعيد زيارته ﷺ مرَّة بعد أخرى ، وكان ينتهز الفرص أيام إقامته تلك في مكَّة ويستفيد من نمير علمه ، ويأخذ منه معالم دينه ، وكان حقاً عليه أن يزوره في حجة الوداع ، ولو كان له إسلام لكان يروي عنه ﷺ ولو حديثاً واحداً ، أو كان يروي عن أصحابه ولو عن واحد منهم ، ولو كان قد أسلم لكان تُنقل عنه كلمة في الإسلام ، أو قول في الذبِّ عنه ، أو حرف واحد في الدعوة إليه أو كان له في التاريخ ذكرٌ عن أيام إسلامه ، ونبأ عن آثار إيمانه بالله وبرسوله ، ولا أقلَّ من روايته هو بحديث إسلامه .

ثمَّ إنَّ صحَّ الخبر ، وقد أكرمه رسول الله ﷺ بقوله : هلاً تركت الشيخ في بيته . الخ . وكان ذلك كما مرَّ تكرمةً لأبي بكر ، فما بال الصحابة تردُّ شفاعته مثل هذا الرجل العظيم ؟ الذي عظمه رسول الله ﷺ بتلك الكلمة القيِّمة التي لم تُؤثر عنه ﷺ في أحد من الصحابة حتَّى في أعمامه ﷺ وفيهم العباس الذي يستسقى به الغمام وهم يسمعونها منه ﷺ ما بالهم يصفحون عن شفاعته في

والده بإعادة الطوق إليه وهو شيخٌ كبيرٌ جديد العهد بالإسلام حريٌّ بأن يُكرم ؟ وما بال أبي بكر الذي أنفق جلَّ ماله لرسول الله ﷺ على زعم القوم يأخذ بيد أخته ويأتي بها إلى مجتمع الثويلة وينشد الحضور بالله والإسلام ويسألهم ردَّ طوقها إليها ؟ وما الطوق وما قيمته والصحابة لم تقبل فيه شفاعته شيخهم يوم ذاك وخليفتهم في الغد ؟ وكيف يستعظم أبو بكر أمر الطوق ويأمر أخته بالاحتساب ويرى الأمانة قليلة في الصحابة يوم ذاك مع حضور نبيهم فيهم ؟ فما كان محلهم من الإمامة بعد يومهم ذاك بثلاث سنين ، وقد ارتحل النبي ﷺ من بين ظهرانيهم ؟ وكيف صاروا بعد فقدهم نبيهم عدولاً ؟ أنا لا أدري .

إسلام أم أبي بكر :

ليس إسلام أم الخير أم أبي بكر إلا كإسلام أبيه أبي قحافة ، لا يُدعم بدليل ولا تقوُّمه البرهنة .

أخرج الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الإطرابلسي قال : حدَّثنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضي المصيصة ، حدَّثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، حدَّثني أبي عبيد الله ، حدَّثني عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : حدَّثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَمَّا اجتمع أصحاب النبي وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال : يا أبا بكر إنا قليلٌ . فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرَّق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أوَّل خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووُطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرِّفهما لوجهه ، وأثر ذلك حتى ما يُعرف أنفه من وجهه ، وجاءت بنو تميم تتعاضد فأجلوا المشركين عن أبي بكر وحملوا أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه بيته ولا يشكُّون في موته ، ورجع بني تميم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن

عتبة ورجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجابهم فتكلم آخر النهار : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فنالوه بالسبتهم وعدلوه ثم قاموا وقالوا لأُم الخير بنت صخر : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما خلت به وألحت جعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : والله ما أعلم بصاحبك . قال : فاذهبي إلي أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه فخرجت حتى جاءت إلى أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله . قالت : ما أعرف أبابكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن تحبني أن أمضي معك إلى ابنك فعلت ؟ قالت : نعم فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً فدنّت منه أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : إن قومنا نالوا منك هذا لأهل فسق وإنني لأرجو أن ينتقم الله لك . قال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أمك تسمع . قال : فلا عين عليك منها قالت : سالم صالح . قال : فأنتي هو ؟ قالت : في دار الأرقم قال : فإن الله عليّ آليت أن لا أذوق طعاماً ولا شرباً أو آتي رسول الله ﷺ فأمهلتاه حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى دخلتا على النبي ﷺ قال : فانكبّ عليه فقبله وانكبّ عليه المسلمون ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي ليس بي إلا ما نال الفاسق من وجهي ، هذه أمي برة بوالديها وأنت مبارك فداعها إلى الله وادع الله عز وجل لها عسى أن يستنقذها بك من النار . فدعاها رسول الله ﷺ فأسلمت^(١) .

قال الأميني : تفرد بهذا الحديث عبيد الله بن محمد العمري ، رماه النسائي بالكذب ، وحكاه عنه الذهبي وابن حجر^(٢) وقال الدارقطني في حديث آخر تفرد به العمري أيضاً : ليس بصحيح تفرد به العمري وكان ضعيفاً .

وبقية رجال السند كلهم تيميون فيهم عبد الله وعبيد الله من أولاد طلحة بن عبيد الله مجهولان لا يعرفان . وعبيد الله ، ومحمد بن عمران ، من أولاد طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، أو : من أولاد طلحة بن عبيد الله أيضاً وهما مجهولان كسابقيهما .

(١) الرياض النضرة ج ١ ص ٤٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٣٠ .

(٢) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٨٠ ، لسان الميزان ج ٤ ص ١١٢ .

على أن أبا بكر لا يعدُّ من المعذِّبين في الإسلام ، ولو كان له هذا الموقف في ذلك اليوم العصبصب وكانت على النبا مسحةٌ من الصَّحَّة لكان يُذكر في صفحة كلِّ تاريخ ، ولم يكن يهمله أيُّ مؤرِّخ ، أمن المعقول أن يحفظ التاريخ في طيَّاته تعذيب الموالي ولم يكن في صفحته ذكرٌ عن مثل هذا الموقف لمثل أبي بكر ؟ .

ثمَّ لو لم يكن الحفَّاظ عدّوا هذه الرواية من موضوعات عبید الله العمري وكان عندهم ثقةٌ برجالها ولو بالعلاج ولو بقیل قائل لما أعرضوا عنها في تلكم القرون الخالية كلّها ، وكان يتلقَّاهَا حافظٌ عن حافظ وإمامٌ عن إمامٍ ولم تكن تخصُّ روايتها بالمحبِّ الطبري وابن كثير المتخصِّصين لذكر الموضوعات والأحاديث المفتعلة أو من يحذو حذوهما . وفي نفس الرواية ما يكذبُها من شتَّى النواحي :

١ - إنَّ عائشة ولدت في السنة الرابعة أو الخامسة من البعثة^(١) والقضيَّة على تسليم قبولها قد وقعت في السادسة من البعثة فأين كانت عائشة يوم ذاك ؟ أشاهدت موقف أبيها وهي على ثدي أمِّها بنت سنة أو سنتين ؟ لماذا لم يُرو ذلك عن أبيها أو عن أمِّها أو عن أمِّ جميل ؟ لعلَّ الرواية من ولائد القرون المتأخِّرة عنهم ، ولدتها أمُّ الفضائل بعد قضاء الدهر على حياة من خلقت لأجله .

٢ - إنَّ في لفظ الرواية : لمَّا اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً . فعلى هذا لم يكن أبو بكر يوم ذاك مسلماً أخذاً بقول النبي ﷺ صلَّت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين لأنَّا كنا نصليَّ وليس معنا أحدٌ يصليَّ غيرنا^(٢) وما مرَّت من الصحيحة عن أمير المؤمنين ع لُقد صلَّيت مع رسول الله ﷺ قبل الناس بسبع سنين^(٣) وما أسلفنا من صحيحة الطبري : أن أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً^(٤) .

٣ - في الرواية : ألحَّ أبو بكر على رسول الله في الظهور فقال : يا أبا بكر !

(١) طرح الشرب ج ١ ص ١٤٧ ، الإصابة ج ٤ ص ٣٥٩ .

(٢) راجع الجزء الثالث ص ٢٧٤

(٣) راجع الجزء الثالث ص ٢٧٥

(٤) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٥ .

إنا قليل فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ . الخ . يكذبه ما في السير من أن رسول الله ﷺ أظهر الدعوة قبل ذلك اليوم بثلاث سنين .

وروى ابن سعد وابن هشام والطبري وغيرهم : أن الله عز وجل أمر نبيه محمداً ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه ، وأن ينادي الناس بأمره ويدعو إليه فقال له : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ ^(١) وكان قبل ذلك في السنين الثلاث من مبعثه إلى أن أمر بإظهار الدعوة إلى الله مستسراً مخفياً أمره ﷺ وأنزل عليه : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾ ^{(٢) (٣)} .

فإظهار النبي ﷺ دعوته كان بأمر من المولى سبحانه من دون سبق أي إلحاح من أي أحد عليه من أبي بكر أو غيره سواء كان أسلم أبو بكر يوم ذاك أو لم يسلم .

على أن أبا بكر عدَّ ممن كان يدعو سراً بعد ذلك اليوم بعد ظهور الدعوة من المسلمين فأين مقيل إلحاحه على رسول الله في الظهور من الصَّحَّة يوم ذاك ؟ قال ابن سعد في طبقاته ج ١ ص ١٨٥ : كان أبو بكر يدعو ناحية سراً ، وكان سعد بن زيد مثل ذلك ، وكان عثمان مثل ذلك ، وكان عمر يدعو علانية وحمزة بن عبد المطلب ، فإسرار أبي بكر في الدعوة يوم إعلان عمر كان بعد ذلك اليوم ، إذ أسلم عمر بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة . بعد أربعين رجلاً ^(٤) وقد مرَّ في الرواية أن القضية وقعت والمسلمون ثمان وثلاثون نسمة .

(١) سورة الحجر ؛ الآية : ٩٤ .

(٢) سورة الشعراء ؛ الآيات : ٢١٤ - ١٧ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٦ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٣ ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٤ ، الكامل ج ٢ ص ٢٣ ، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٦٢ ، عيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ٩٩ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٦ . تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٩ ، تفسير الخازن ج ٣ ص ١٠٩ ، تفسير الشوكاني ج ٣ ص ١٣٩ .

(٤) الإستهباب هامش الإصابة ج ٢ ص ٤٥٩ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٣١ .

وذكر الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٥٩ حديثين في إسلام أم أبي بكر أحدهما عن ابن عباس قال : أسلمت أم أبي بكر وأم عثمان وأم طلحة وأم الزبير وأم عبد الرحمن بن عوف وأم عمار . فقال :

فيه : خازم بن الحسين وهو ضعيف . وقال الذهبي في الميزان ج ١ ص ٣١٥ : قال ابن معين : خازم ليس بشيء . وقال أبو داود : روى مناكير . وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه .

والحديث الثاني للهيثمي عن طريق الهيثم بن عدي قال : هلك أبو بكر فورثه أبواه جميعاً وكانا أسلماً . ثم قال : إسناده منقطع .

قال الأميني : كأنَّ الحافظ الهيثمي يوهم بكلمته الأخيرة أنَّ علَّة الحديث هي انقطاعه فحسب ولم يذكر بقيَّة رجاله حتَّى تقف عليها نظارة التنقيب غير أنَّ في ذكر الهيثم بن عدي الكذاب كفاية . قال البخاري : ليس بثقة كان يكذب . وقال أبو داود : كذاب . وقال النسائي وغيره : متروك الحديث . وقالت جارية الهيثم : كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فإذا أصبح جلس يكذب ، وقال النسائي أيضاً : منكر الحديث . وذكر حديثاً وعدَّه من افتراء الهيثم على هشام بن عروة . وقال أبو حاتم : متروك الحديث وقال أبو زرعة : ليس بشيء . وقال العجلي : كذاب وقد رأيتُه . وقال الساجي : سكن مكَّة وكان يكذب . وقال إمام الحنابلة أحمد : كان صاحب أخبار وتدليس . وقال الحاكم النقاش : حدَّث عن الثقات بأحاديث منكورة . وعدَّ البيهقي والنقاش والجوزجاني الحديث من الموضوعات لكون الهيثم فيه . وقال أبو نعيم : يوجد في حديثه المناكير^(١) .

فإسلام أم أبي بكر كإسلام والده أبي قحافة قط لا يثبت . والذي ذكر إسلامهما من المؤرخين كأبن كثير والديار بكرى والحلبى وغيرهم لا يعول على قولهم بعدما عرفت الحال في مستند أقوالهم ، فلا قيمة للدعوى المجردة والتقول بلا دليل .

(١) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٦٥ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٢٠٩ ، الغدير ج ٥ ص ٣٣٠

ويعرب عن جليلة الحال بقاء أم الخير «أم أبي بكر» في حباله أبي قحافة في مكة ، وقد أسلمت هي على قول من يقول بإسلامها في السادسة من البعثة وأسلم أبو قحافة في الثامن من الهجرة سنة الفتح كما سمعت فتخللت بين إسلامهما ثلاثة عشر عاماً ، فبأي كتاب أم بآية سنة بقيت تلك المسلمة أم مثل أبي بكر تلك السنين المتطاولة في نكاح أبي قحافة الذي لم يسلم بعد ؟ وما الذي جمع بينهما ؟ والفراق بينهما كان أول شعار الإسلام . فأين إسلامها ؟ وبماذا يثبت والحال هذه ؟ .

أبو بكر وأبواه في القرآن :

لعبت أيدي الهوى بكتاب الله ، وحرّفت الكلم عن مواضعها ، وجاء من يؤلف في التفسير وقد أعماه الحب وأصمّه يخبط خبط عشواء ، فتراه كحاطب ليل يروي في كتابه أساطير السلف الأولين من الوضعاين مرسلًا إيّاها إرسال المسلم من دون أي تحقيق وتثبت وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ومع ذلك يرون أنفسهم أئمة وقادة في علم القرآن العزيز . حتى يرون أن قوله تعالى في الأحقاف ، الآية ١٥ : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا ، وَحَمَلَهُ وَفْصَالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ، وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ . نزلت في أبي بكر .

ويروون عن عليّ أمير المؤمنين وابن عباس أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق وكان حملة وفصالة ثلاثين شهراً ، حملته أمه تسعة أشهر وأرضعته إحدى وعشرين شهراً ، أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غداً ، فأوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده . فلما نبيء رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة صدّق أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة قال : ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ ، واستجاب الله له فأسلم والداه وأولاده كلّهم .

الكشاف ج ٣ ص ٩٩ ، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، الرياض

النضرة ج ١ ص ٤٧ ، مرقاة الوصول ص ١٢١ ، تفسير الخازن ج ٤ ص ١٣٢ ،

تفسير النسفي هامش الخازن ج ٤ ص ١٣٢ ، تفسير الشوكاني ج ٥ ص ١٨ .

ألا مسائل هؤلاء الأعلام المغفلين عن أن كون مدّة الحمل والفصال ثلاثين شهراً هل يخصّ بأبي بكر فحسب حتى يُخصّ بالذكر ؟ أم هو مطرّد في خلق الله ، إمّا بكون مدّة الحمل ستة أشهر ومدّة الإرضاع حولين كاملين ، وإمّا بكون الحمل تسعة أشهر والإرضاع واحداً وعشرين شهراً ؟ وإنّ الحريّ بالذكر هو الأوّل لشذوذه عن العادة المطردة .

ثمّ إن كان هذا من خاصّة أبي بكر وحكاية لحمله وفصاله فكيف يصحّ لمولانا أمير المؤمنين وابن عبّاس الاستدلال بالآية مع ما في سورة لقمان على كون أقلّ الحمل ستة أشهر كما مرّ في الجزء السادس ص ١٢٠ - ١٢٢ فالآية الكريمة لا تبين إلّا ما هو السائر الدائر بين البشر بأحد الوجهين المذكورين وبهذا يتمّ الاستدلال . وفيه قال ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ١٥٧ : وهو إستنباط قويّ صحيح ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم . وابن كثير مع إكثاره بنقل الموضوعات لم يوعز إلى نزول الآية في أبي بكر لما يرى في نقله من الفضيحة على نفسه .

ثمّ إنّ في نصّ الآية : إنّ ذلك الإنسان قال ما قاله وقد بلغ أشدّه وبلغ من عمره أربعين عاماً . وأبو بكر لم يكن مسلماً يوم ذاك لا هو ولا أبوه ولا أمّه ، أمّا هو فقد قدّمنا أنّه أسلم بعد سبع من البعثة بنصوص مرّت في الجزء الثالث ص ٢٧٥ -

٢٧٨

وأما أبوه فقد أسلم «إن أسلم» يوم الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وكان لأبي بكر يومئذ ستّ وخمسون سنة أو أكثر .

وأما أمّه فقد أسلمت «إن أسلمت» في السنة السادسة من البعثة وأبو بكر يوم ذاك ابن أربع وأربعين سنة أو أكثر منها .

فماذا أنعم الله عليه وعلى والديه يوم قال : ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ . وكلّهم غير مسلمين ؟ والجملة دعائيّة بالنسبة إلى إلهام الشكر على ما أنعم الله به على والديه فحسب ، وأمّا بالنسبة إلى كونهم

من المنعم عليهم فخبيرة تقتضي سبق تلك النعمة على ظرف الدعاء ، فالقول :
بأن الله سبحانه استجاب له فأسلم والداه وأولاده كلهم ، مهزأة غير مدعومة
بشاهد .

على أن أخبار إسلام والديه «بعد تسليمها والغض عما فيها» تدل على أن
إسلام أمه كان بدعاء رسول الله ﷺ لها بالإسلام . وإسلام أبيه من بركة
مسحه ﷺ يده على صدره ، فأين دعاء أبي بكر ؟ .

وأما ما في ذيل الرواية مما عزي إلى أمير المؤمنين عليه السلام من أنه لم يجتمع
لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غير أبي بكر . فحاشا أمير المؤمنين بقول مثل
ذلك ، وقد عرفت أنك ص ٣٤٨ - ٣٥٠ زرافات من المهاجرين أسلموا هم وآباؤهم
وأُمَّهاتهم ويقدمهم هو سلام الله عليه وبالأولية والأولية .

آية أخرى في أبي بكر وأبيه :

وردت في قوله تعالى من سورة المجادلة : ٦٢ : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم
أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروحٍ منه ، ويدخلهم جنَّات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله
ألا إن حزب الله هم المفلحون .﴾ .

من طريق ابن جريج : إن أبا قحافة سبَّ النبي ﷺ فصكَّه أبو بكر ابنه
صكَّة فسقط منها على وجهه ، ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال : أو فعلته لا
تعد إليه فقال : والذي بعثك بالحق نبياً لو كان السيف مني قريباً لقتلته . فنزلت
قوله : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية .

تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٣٠٧ ، تفسير الزمخشري ج ٣ ص ١٧٢ ، مرقاة
الوصول حاشية نوادر الأصول ص ١٢١ ، تفسير الألوسي ج ٢٨ ص ٣٦ .

قال الأميني : أصفق رجال التفسير على أن سورة الأحقاف التي مرَّت فيها
الآية الأولى مكية ، وعلى أن سورة المجادلة مدنية ، وعلى أن هذه الآية نزلت بعد

ردح من الزمن من نزول الأحقاف ، ويظهر من تفسير القرطبي وابن كثير والرازي أنها نزلت بعد بدر وأحد فيقع نزولها على هذا في السنة الرابعة من الهجرة تقريباً ، فما وجه الجمع بين الآيتين على تقدير تسليم نزولهما في أبي بكر ، والأولى منهما كما مرَّ نصُّ على أنَّ أبا قحافة ممَّن أنعم الله عليه يوم كان لأبي بكر أربعون سنة ، ولمَّا بلغ أشدَّه وبلغ أربعين سنة قال : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴾ . وهذه الآية كما ترى نصُّ في أنَّ أبا قحافة يوم نزولها - وكان يوم ذاك لأبي بكر ثلاث وخمسون سنة تقريباً - كان ممَّن حادَّ الله ورسوله .

والذي يهون الخطب أنَّ متن هذه الرواية كالرواية السابقة الواردة في الآية الأولى يكذب نفسها ، إذ الآية كما سمعت نزلت بالمدينة ، وظاهر الرواية وقوع القصَّة بها ، ويوم ذاك كان أبو قحافة بمكة ، فأين وأنى اجتمع أبو بكر مع أبيه وصكَّه ؟ .

ثم هل يشترط وجوب قتل من سبَّ رسول الله ﷺ بقرب السيف ممَّن سمعه ؟ أو شرَّع هذا الحكم بعد القضية ؟ أو خصَّ أبو قحافة منه بالدليل . سلَّ من أعماه الغلو في الفضائل وأصمَّه ، إنَّهم ليقولون منكرًا من القول وزوراً ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

الغاية للقاله

أحسب أنَّ القوم لم ينسجوا هذا الإفك على نول الجهل بتراجم الرجال فحسب ، ولا أنَّ لهم مأرباً في آباء المهاجرين أسلموا أو لم يسلموا ، أو أنَّ لهم غاية في إسلام أبوي أبي بكر ، لكنَّهم زمروا لما لم يزل لهم فيه مكاء وتصديَّة من تكفير سيِّد الأباطح شيخ الأئمَّة أبي طالب والد مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليهما ، وذلك بعد أن عجزوا عن الوقعة في الولد فوجَّهوها إلى الوالد أو إلى الوالدين كما فعله الحافظ العاصمي في زين الفتى . وكان من تهويلهم في تخفيف تلکم الوطأة أن جرَّوا ذلك إلى والدي النبي المعظم ﷺ وعليهما حتَّى قال العاصمي في زين الفتى عند بيان وجه الشبه بين النبي والمرضى صلَّى الله عليهما وآلهما : أمَّا تشبيه الأبوين في الحكم والتسمية فإنَّ النبي في كثرة ما أنعم الله تعالى

عليه ووفور إحسانه إليه لم يرزقه إسلام أبويه ، وعلى هذا جمهور المسلمين^(١) إلا شردمة قليلون لا يلتفت إليهم ، فكذلك المرتضى فيما أكرمه الله به من الأخلاق والخصال وفنون النعم والإفضال لم يرزقه إسلام أبويه^(٢) . اهـ .

فلم تفتأ لهم في ذلك جلبة ولغظ مكابرين فيهما المعلوم من سيرة شيخ الأبطح وكفالتة لصاحب الرسالة ، وذُرَّته عنه كلَّ سوء وعادية ، وهتافه بدينه القويم ، وخضوعه لناموسه الإلهي في قوله وفعله وشعره ونثره ، ودفاعه عنه بكلِّ ما يملكه من حول وطول .

ولولا أبو طالب وابنه	لما مثل الدّين شخصاً وقاماً
فذاك بمكة آوى وحامى	وهذا بيثرب جسّ الحاماً
تكفل عبد مناف بأمر	وأودى فكان عليّ تاماً
فقل في ثبير مضى بعدما	قضى ما قضاه وأبقى شاماً
فَلِلَّهِ ذا فاتحاً للهدى	وللّه ذا للمعالي ختاماً
وما ضرَّ مجد أبي طالب	جهولٌ لغا أو بصيرٌ تعامى
كما لا يضرُّ إياب الصبا	حَ من ظنَّ ضوء النهار الظلاماً ^(٣)

وهناك طرق لا يمكن التوسّل إلى الإذعان بنفسيات أيّ أحد إلا بها ألا وهي :

١ - إستنباطها ممّا يلفظ به من قول .

٢ - أو ممّا ينوء به من عمل .

٣ - أو ممّا يروي عنه آله وذووه ، فإنَّ أهل البيت أدرى بما فيه .

٤ - أو ممّا أسنده إليه من لاث به وبخع له .

(١) كما فعله الحافظ العاصمي في زين الفتى .

(٢) أفك الرجل على جمهور المسلمين ، فإن الإمامية والزيدية على بكرة أبيهم ومن حذا حذوهم من محققي أهل السنة ذهبوا إلى إسلام والدي النبي الأقدس ، ومن شدَّ عنهم فلا يأبه به ولا يلتفت إليه .

(٣) ذكرها ابن أبي الحديد لنفسه في شرحه ج ٣ ص ٣١٧ .

١ - أقوال أبي طالب سلام الله عليه :

أما أقوال أبي طالب سلام الله عليه فإليك عقوداً عسجديةً من شعره الرائق مثبتة في السير والتواريخ وكتب الحديث :

أخرج الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٦٢٣ بإسناده عن ابن إسحاق قال : قال أبو طالب أحياناً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم يعني عن المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين :

ليعلم خيار الناس أن محمداً
أتانا بهدي مثل ما أتياه
وإنكم تملونه في كتابكم
وأنك ما تأتيك منها عصابة
وقال سلام الله عليه من قصيدة :

فبلغ عن الشحاء أفناء غالب
لأننا سيوف الله والمجد كله
ألم تعلموا أن القطيعة مائمه
وأن سبيل الرشدي علم في غد
فلا تسفهن أحلامكم في محمد
تمنيتم أن تقتلوه وإنما
وإنكم والله لا تقتلونه
ولم تبصروا الأحياء منكم ملاحماً
وتدعوا بأرحام أو أصر بيننا
زعمتم بأننا مسلمون محمداً
من القوم مفضال أبي على العدى
أمين حبيب في العباد مسوم
يرى النأي برهاناً عليه وهيبة

لويّاً وتيمناً عند نصر الكرائم
إذا كان صوت القوم وجي الغمام
وأمر بلاء قاتم غير حاز ؟
وأن نعيم الدهر ليس بدائم
ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم
أمانيتكم هذي كأحلام نائم
ولمّا تروا قطف اللحاء والغلاصم^(١)
تحوم عليها الطير بعد ملاحم
فقد قطع الأرحام وقع الصوارم
ولمّا نقاذف دونه ونزاحم
تمكّن في الفرعين من آل هاشم
بخاتم ربّ قاهر في الخواتم
وما جاهل في قومه مثل عالم

(١) في رواية : والجماجم . الغلاصم جمع الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق .

نبيُّ أتاه الوحي من عند ربِّه ومن قال : لا يقرع بهاسنٌ نادم
تطيف به جرثومة هاشمية تُذِيب عنه كل عاتٍ وظالم

ديوان أبي طالب ص ٣٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٣ :

ومن شعره في أمر الصحيفة التي سنوقفك على قصتها قوله :
ألا أبلغا عني على ذات بينها لويأً وخصاً من لوي بني كعب
ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خطي في أول الكتب ؟
وإن عليه في العباد محبةً ولا حيف فيمن خصه الله بالحب
وأن الذي رقصتم في كتابكم يكون لكم يوماً كراغية السقب^(١)
أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبي^(٢) ويصبح من لم يجن ذنباً كذي ذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا أو اصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً^(٣) وربما أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبیت الله نسلم أحماً لعزاء من عض الزمان ولا كرب^(٤)
ولماتين منا ومنكم سواف وأيد أترت^(٥) بالمهنة الشهب
بمعترك ضنك ترى كسر القنا به والضباع العرج تعكف كالشرب^(٦)
كأن مجال الخيل في حجراته ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شداً أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب ؟
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نشكي ممّا ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفاظ والنهي

(١) في رواية ابن هشام :

وأن الذي الصقتم من كتابكم لكم كائن نحساً كراغية السقب

رقش : كتب و سطر . الراغية من الرغاء : أصوات الإبل . السقب . ولد الناقة .

(٢) في سيرة ابن هشام : الثرى . بدل الزبي .

(٣) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد أخرى . أشد الحروب .

(٤) العزاء : السنة الشديدة ، عض الزمان : شدته وكلبه .

(٥) تبين : تفصل . السواف : صفحات الأعناق . اترت : قطعت .

(٦) ضنك : ضيق . الضباع العرج مرّ ص ٥٨ . الشرب : الجماعة من القوم يشربون . والشط

الثاني في سيرة ابن هشام : به والنسور الطخم يعكفن كالشرب .

سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٣ ،
بلوغ الأرب ج ١ ص ٣٢٥ ، خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٢٦١ ، الروض
الأنف ج ١ ص ٢٢٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٨٧ ، أسنى المطالب ص ٦ ،
١٣ ، طلبة الطالب ص ١٠ .

ومن شعره قوله :

<p>طواني وأخرى النجم لمّا نقحّم وسامر أخرى قاعد لم يُنوم بظلم ومن لا يتقي البغي يُظلم على خائل من أمرهم غير محكم وإن نشدوا في كلِّ بدو وموسم ضرابٌ وطنٌ بالشويع المقوم ولم تختضب سمر العوالي من الدّم جماجم تلقى بالحميم وزمزم حليلاً ويغشى محرمٌ بعد محرم يذبّون عن أحسابهم كلَّ مجرم على حنقٍ لم تخش إعلام معلم نوائح قتلى تدّعي بالتسدم^(١) وغشيانكم في أمرنا كلَّ مأثم وأمرأتى من عند ذي العرش قيّم^(٢) إذا كان في قوم فليس بمسلم لكيلا تكون الحرب قبل التقدّم</p>	<p>ألا ما لهم آخر الليل معتم طواني وقد نامت عيون كثيرة لأحلام أقوامٍ أرادوا محمّداً سعوا سفهاً واقتادهم سوء أمرهم رجاء أمور لم ينالوا نظامها يرجّون مناخطة دون نيلها يرجّون أن نسخي بقتل محمّد كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا وتقطع أرحاماً وتنسى حليلاً وينهض قومٌ بالحديد إليكم هم الأسد اسد الزارتين إذا غدت فيالبنى فهير أفيقوا ولم تقم على ماضى من بغيكم وعقوقكم وظلم نبيٍّ جاء يدعوا إلى الهدى فلا تحسبونا مسلميه ومثله فهذي معاذيرٌ وتقدمة لكم</p>
--	---

ديوان أبي طالب ص ٢٩ : شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٢ .

(١) التسدم من السدم : الهمّ مع الندم . الغيظ مع الحزن .

(٢) في رواية شيخ الطائفة : مبرم .

وله قوله مخاطباً للنبي الأعظم ﷺ :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي
ولقد علمت بأن دين محمد
حتى أوسد في التراب دفينا
وابشر بذلك وقر منك عيونا
ولقد دعوت وكنت ثم أمينا^(١)
من خير أديان البرية دينا

رواها الثعلبي في تفسيره وقال : قد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل ، وعبد الله بن عباس ، والقاسم بن محضرة ، وعطاء بن دينار . راجع خزانة الأدب للبغداد ج ١ ص ٢٦١ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٤٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٠٦ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٢٠ ، فتح الباري ج ٧ ص ١٥٣ ، ١٥٥ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ٦١ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٥ ، ديوان أبي طالب ص ١٢ ، طلبة الطالب ص ٥ ، بلوغ الأرب ج ١ ص ٣٢٥ ، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية ج ١ ص ٩١ ، ٢١١ ، وذكر البيت الأخير في أسنى المطالب ص ٦ فقال : عدّه البرزنجي من كلام أبي طالب المعروف .

لفت نظر : زاد القرطبي وابن كثير في تاريخه على الأبيات :

لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحاً بذلك مينا

قال السيد أحمد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ١٤ : فقيل : إن هذا البيت موضوعٌ أدخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه .

قال الأميني : هب أن البيت الأخير من صلب ما نظمه أبو طالب ﷺ فإن أقصى ما فيه أن العار والسبة اللذين كان أبو طالب ﷺ يحذرهما خيفة أن يسقط محلّه عند قريش فلا تتسنى له نصرة الرسول المبعوث ﷺ إنما منعاه عن الإبانة والإظهار لاعتناق الدين ، وإعلان الإيمان بما جاء به النبي الأمين ، وهو صريح

(١) وفي رواية القسطلاني :

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

قوله : لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً . أي مظهراً ، وأين هو عن اعتناق الدين في نفسه ، والعمل بمقتضاه من النصرة والدفاع ؟ ولو كان يريد به عدم الخضوع للدين لكان تهافتاً بيناً بينه وبين أبياته الأولى التي ينص فيها بأن دين محمد ﷺ من خير أديان البرية ديناً ، وأنه ﷺ صادق في دعوته أمين على أمته .

ومن شعره قوله قد غضب لعثمان بن مظعون حين عذّبه قريش ونالت منه :

أصبت مكتئباً تبكي كمحزون	أمن تذكر دهر غير مأمون
يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين ؟ !	أم من تذكر أقوام ذوي سفه
إنّا غضبنا لعثمان بن مظعون ؟	ألا ترون أذل الله جمعكم
بكل مطرد في الكف مسنون	ونمنع الضيم من يبغي مضيئنا
يُشفى بها الداء من هام المجانين	ومرهفات كأن الملح خالطها
بعد الصعوبة بالأسماع واللين	حتى تقر رجالاً لحلوم لها
على نبي كموسى أو كذي النون (١)	أوتؤمنوا بكتاب مُنزل عجب

ومن شعره يمدح النبي الأعظم ﷺ قوله :

لقد أكرم الله النبي محمداً	فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من اسمه ليحمله	فدوا العرش محمداً وهذا محمد

أخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن يزيد ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ج ١ ص ٦ ، وابن عساكر في تاريخه ج ١ ص ٢٧٥ ، وذكره له ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٥ ، وابن كثير في تاريخه ج ١ ص ٢٦٦ ، وابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١١٥ ، والقسطلاني في المواهب اللدنية ج ١ ص ٥١٨ نقلاً عن تاريخ البخاري ، والديار بكري في تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٤ فقال : أنشأ أبو طالب في مدح النبي أبياتاً منها هذا البيت :

وشق له من اسمه ليحمله

وحسان بن ثابت ضمن شعره هذا البيت فقال :

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٣ .

ألم تر أن الله أرسل عبده
وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيَجْلَّه
بآياته والله أعلى وأمجّد
.....

والزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ١٥٦ وقال : توارد حسان معه أو
ضمنه شعره وبه جزم في الخميس ، أسنى المطالب ص ١٤ .

ومن شعره المشهور كما قاله ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٥ :

أنت النبيُّ محمَّدُ	قَرْمٌ أَغْرُ مَسْوَدُ
لمسوّدين أكارم	طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها	عمرو والخضّم الأوحد
هشم الربيكة في الجفا	نوعيش مكّة أنكد
فجرت بذلك سنّة	فيها الخبيزة تشرّد
ولنا السقاية للحجّ	ج بهايمة العنجد
والمأزمان ^(١) وما حوت	عرفاتها والمسجدُ
أنّى تضام ولم أمت	وأنا الشجاع العريد
وبطاح مكّة لا يرى	فيها نجيع أسود
وبنو أبيك كأنهم	اسد العرين توقّدوا
ولقد عهدتك صادقاً	في القول لا يتزيّد
ما زلتَ تنطق بالصوا	ب وأنت طفلٌ أمرّد

جاء أبو جهل بن هشام إلى رسول الله ﷺ وهو ساجدٌ وبيده حجر يريد أن
يرميه به فلما رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد فقال أبو طالب :

أفيقوا بني غالب ! وانتهاوا	عن الغيِّ من بعض ذا المنطق
والأ فإني إذن خائفٌ	بوائق في داركم تلتقي
تكون لغيركم عبرة	وربّ المغارب والمشرق
كمانال من لان من قبلكم	ثمودٌ وعادٌ وماذا بقي

(١) المأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين .

غداة أتاهم بها صرصرٌ	وناقة ذي العرش قد تستقي
فحلّ عليهم بها سخطه	من الله في ضربة الأزرق
غداة يعرض بعرقوبها	حساماً من الهند ذارونق
وأعجب من ذلك في أمركم	عجائب في الحجر الملتصق
بكفّ الذي قام من خبثه	إلى الصّابر الصادق المتّقي
فأثبتته الله في كفّه	على رغمه الجائر الأحمق
أحيمق مخزومكم إذ غوى	لغيّ الغواة ولم يصدق

ديوان أبي طالب ص ١٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٤ .
قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٤ : قالوا وقد اشتهر عن عبد الله
المؤمن رحمه الله انه كان يقول : أسلم أبو طالب والله بقوله :

نصرت الرسول رسول المليك	ببيض تاللاً كلمع البروق
أذبّ وأحمي رسول الإله	حماية حام عليه شفيق
وما إن أدبّ لأعدائه	دبيب البكار حذار الفنيق ^(١)
ولكن أزيلهم سامياً	كما زار ليث بغيل مضيق

وتوجد هذه الأبيات مع بيت زائد في ديوانه ص ٢٤ .

ولسيّدنا أبي طالب أبيات كتبتها إلى النجاشي بعدما خرج عمرو بن العاص
إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي . يحرّض
النجاشي على إكرام جعفر والإعراض عمّا يقوله عمرو ، منها :

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفرٌ	وعمرو وأعداء النبيّ الأقارب
وهل نال إحسان النجاشيّ جعفرأ	وأصحابه أم عاق عن ذاك شاغب ؟
تعلم أبسيت اللعن أنك ماجدٌ	كريمٌ فلا يشقى إليك المجانب
ونعلم أنّ الله زادك بسطةً	وأسباب خير كلها بك لازب

تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٧٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٤ .
قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٥ : ومن شعره المشهور ايضاً
قوله يخاطب محمّداً ، ويسكن جأشه ، ويأمره بإظهار الدعوة :
(١) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته جمع فتق وأفناق .

لا یمنعنک من حقّ تقوم به أیدّ تصور ولا سلق بأصوات
 فإنّ کفّک کفی إن ملیت بهم ودون نفسك نفسي في الملمات
 قال ابن هشام : ولما خشي أبو طالب دهماء العرب أن یرکبوه مع قومه قال
 قصیدته التي تعوّذ فيها بحرم مکّة وبمكانه منها ، وتودّد فيها أشراف قومه وهو على
 ذلك یخبرهم و غیرهم في ذلك من شعره أنّه غیر مسلم رسول الله ﷺ ، ولا تارکة
 لشيء أبداً ، حتّى یهلك دونه فقال أبو طالب :

خليلي ما أذني لأوّل عادلٍ بصغواء في حقّ ولا عند باطل
 ولمّا رأيت القوم لاودّ فيهم وقد قطعوا كلّ العرى والوسائل
 وقد صار حونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو والمزاييل
 وقد حالقوا قوماً علينا أظنّة^(١) يعضّون غيظاً خلفنا بالأنامل
 صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وأبيض غضب من تراث المقاتل^(٢)

* * *

أعوذ برّبّ الناس من كلّ طاعنٍ علينا بسوء أو ملحّ بباطل
 ومن كاشحٍ يسعى لنا بمعيبةٍ ومن ملحق في الدين مالم نحاول
 وثورٍ ومن أرسى ثبيراً مكانه وراقٍ ليرقى في حراء ونازل^(٣)
 وبالبیت حقّ البیت من بطن مکّة وبالله إنّ الله ليس بغافل
 وبالحجر المسودّ إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل

* * *

كذبتهم وبیت الله نترك مكّة ونضعن إلا أمرکم في بلايل
 كذبتهم وبیت الله نبزي محمّداً ولمّا نطاعن دونه ونناضل
 ونسلمه حتّى نُصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
 وينهض قومٌ بالحديد إليکم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل^(٤)

(١) أظنّة جمع ظنين : المتهم .

(٢) سمراء سمحة : أردا بها قناة لينة تسمح بالإنعطاف عند هزها . الغضب : القاطع . المقاتل أراد بها السادات .

(٣) ثور ، وثبير ، وحراء : جبال في مكة .

(٤) الروايا : الإبل التي تحمل الماء ، وأحدثها : رواية . الصلاصل جمع الصلصلة : الصوت وذات الصلاصل : المزايدات التي فيها بقية من الماء يسمع لها صوت حين تسير الإبل .

وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه
وإنال عمر الله إن جد ما أرى
بكفي فتى مثل الشهاب سميذع
شهوراً وأياماً وحولاً مجرماً (٢)
وماترك قوم - لا أبالك - سيّداً
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
من الطعن فعل الأنكب المتحامل (١)
لنلتبس أسيفنا بالأماثل
أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
علينا وتأتي حجة بعد قابل
يحوط الذمار غير ذرب مواصل (٣)
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده في رحمة وفواصل

* * *

بميزان قسط لا يخيس شعيرة
لقد سفهت أحلام قوم تبدّلوا
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا
فبعد مناف أنتم خير قومكم
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب
أشم من الشم البهاليل ينتمي
لعمري لقد كلّفت جداً بأحمد
له شاهد من نفسه غير عائل (٤)
بني حلف قيصاً بنا والغياطل
وآل قصي في الخطوب الأوائل
علينا العدى من كل طمل وخامل (٥)
فلا تشركوا في أمركم كل واغل (٦)
لدينا ولا نعبأ بقول الأباطل ؟
إلى حسب في حومة المجد فاضل
وأحببته حب الحبيب المواصل

(١) يُقال : ركب ردعه ، أي خرّ صريعاً لوجهه . الأنكب : الذي يمشي على شق .
(٢) حولاً مجرماً : أي مكملًا . يُقال : تجرّمت السنة ، إذا كملت وانقضت .
(٣) الذمار : ما يلزمك أن تحميه . ذرب : فاسد . مواصل : يتكل على غيره .
(٤) لا يخيس من قولهم : خاس بالعهد إذا نقضه وأفسده . ويروى « لا يخس » أي لا ينقص عائل : جائر .

(٥) قيصاً بنا : عوضاً ممّا تقول : قاضه بكذا أي عوضه به . الغيطة : من بني مرة بن عبد مناة أخوة مدلج بن مرة وهي أم الغياطل فليل لولدها : الغياطل وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص .

(٦) الطمل : الرجل الفاحش لا يبالي ما صنع . اللثيم . الأحق . اللص الفاسق .
(٧) كل واغل ، أراد كل ملصق ليس من صميم ، وأصل الواغل الداخِل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى .

فلا زال في الدُّنيا جمالاً لأهلها وزيناً لمن والاه ربُّ المشاكل
فأصبح فينا أحمدٌ في أرومةٍ تقصُّر عنه سورةُ المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلال^(١)
فأيده ربُّ العباد بنصره وأظهر ديناً حقّه غير باطل

هذه القصيدة ذكر منها ابن هشام في سيرته ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٩٨ ، أربعة وتسعين بيتاً وقال : هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة . وذكر ابن كثير منها اثنين وتسعين بيتاً في تاريخه ج ٣ ص ٥٣ - ٥٧ ، وفي رواية ابن هشام ثلاثة أبيات لم توجد في تاريخ ابن كثير وقال في ص ٥٧ : قلت هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نُسبت إليه ، وهي أفحل من المعلقات السبع ، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها ، وقد أوردها الأموي في مغازيه مطوّلة بزيادات أخر والله أعلم .

وذكرها أبو هفان العبدى في ديوان أبي طالب ص ٢ - ١٢ في مائة وأحد عشر بيتاً ولعلّها تمام القصيدة .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٣١٥ بعد ذكر جملة من شعر أبي طالب : فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر لأنّه إن لم يكن أحادها متواترة فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك وهو تصديق محمّد ﷺ ومجموعها متواتر كما أن كلّ واحدة من قتلات عليّ عليه السلام الفرسان منقولة أحاداً ومجموعها متواتر يفيدنا العلم الضروريّ بشجاعته ، وكذلك القول فيما روي من سخاء حاتم وحلم الأحنف ومعاوية وذكاء إياس وخلاعة أبي نواس وغير ذلك . قالوا : وتركوا هذا كلّه جانباً ما قولكم في القصيدة اللامية التي شهرتها كشهرة قفا نيك . وإن جاز الشكُّ فيها أو في شيء من أبياتها جاز الشكُّ في قفا نيك وفي بعض أبياتها .

وقال القسطلاني في إرشاد الساري ج ٢ ص ٢٢٧ : قصيدة جليّة بليغة من بحر الطويل وعدّة أبياتها مائة وعشرة أبيات قالها لمّا تمالاً قريش على النبي ﷺ ونفروا عنه من يريد الإسلام .

(١) حدبت : عطف ومنعت . الذرى جمع ذرة : أعلى ظهر البعير . الكلال جمع كلكل : معظم الصدر .

وذكر منها في المواهب اللدنية ج ١ ص ٤٨ ، أبياتاً فقال : هي أكثر من ثمانين بيتاً قال ابن التين : إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به «بحيرا» وغيره من شأنه . وقال العيني في عمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٤ : قصيدة طنانة وهي مائة بيت وعشرة أبيات أولها :

خليلي ما أذني لأول عاذلٍ بصغواء في حق ولا عند باطل

ذكر منها البغدادي في خزانة الأدب ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٦١ إثنين وأربعين بيتاً مع شرحها وقال أولها :

خليلي ما أذني لأول عاذلٍ بصغواء في حق ولا عند باطل
خليلي إن الرأي ليس بشركة ولأنه عند الأمور البلابل
ولم أرايت القوم لا ودّ عندهم وقد قطعوا كلّ العرى والوسائل

وذكر الألوسي عدّة منها في بلوغ الأرب ج ١ ص ٢٣٧ وذكر كلمة ابن كثير المذكورة وقال : هي مذكورة مع شرحها في كتاب لبّ لباب لسان العرب .

وذكر منها السيّد زيني دحلان أبياتاً في السيرة النبوية هامش الحلبية ج ١ ص ٨٨ فقال : قال الإمام عبد الواحد^(١) السفاسقي في شرح البخاري : إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به «بحيرا» الراهب وغيره من شأنه مع ما شاهده من أحواله ومنها الإستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوته لله جاءت في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره .

قال الأميني : أنا لا أدري كيف تكون الشهادة والإعتراف بالنبوة إن لم يكن منها هذه الأساليب المتنوعة المذكورة في هذه الأشعار ؟ ولو وجد واحدٌ منها في شعر أيّ أحد أو ثرّه لأصق الكلّ على إسلامه ، لكن جميعها لا يدلّ على إسلام أبي طالب . فاعجب واعتبر .

هذه جملة من شعر أبي طالب عليه السلام الطافح من كلّ شطره الإيمان

(١) هو ابن التين المذكور في كلام القسطلاني .

الخالص ، والإسلام الصحيح ، قال العلامة الأوحى ابن شهر آشوب المازندراني في كتابه متشابهات القرآن عند قوله تعالى : ﴿ وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ في سورة الحجج : إِنَّ أشعار أبي طالب الدالة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكشف فيها من يكشف النبي ﷺ ويصحح نبوته . ثم ذكر جملة ضافية ومما ذكر له في قوله في وصيته :

أوصي بنصر نبي الخير أربعة إبني علياً وشيخ القوم عباساً
وحمزة الأسد الحامي حقيقته وجعفرأ أن تدودوا دونه الناسا
كونوا فداءً لكم أمي وما ولدت في نصر أحمد دون الناس أتراساً^(١)

٢ - ما ناء به من عمل بار وقول مشكور :

أمّا ما ناء به سيّد الأباطح أبو طالب سلام الله عليه من عملٍ بارٍّ وسعي مشكور في نصرة النبي ﷺ وكلاءته والدّب عنه والدعوة إليه وإلى دينه الحنيف منذ بدء البعثة إلى أن لفظ أبو طالب نفسه الأخير ، وقد تخلّل ذلك جمل من القول كلّها نصوص على إسلامه الصحيح ، وإيمانه الخالص ، وخضوعه للرسالة الإلهية ، إلى الملتقى . روى القوم :

١ - قال ابن إسحاق : إنّ أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً فلمّا نهياً للرحيل وأجمع السير هبّ له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال : يا عمّ إلى من تكلني لا أب لي ولا أمّ لي ؟ فرقّ له أبو طالب وقال : والله لأخرجنّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً . قال : فخرج به معه فلمّا نزل الركب «بصري» من أرض الشام ونهياً راهب يُقال له : بحيرا ، في صومعة له ، وكان أعلم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة راهب إليه يصير علمهم من كتاب فيهم كما يزعمون يتوارثونه كائناً عن كائن ، فلمّا نزلوا ذلك العام ببخيرا وكانوا كثيراً ما يمرّون عليه قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يتعرّض لهم حتّى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته فصنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب

(١) في النسخة المطبوعة من متشابهات القرآن تصحيف وتحريف في الآيات راجع ج ٢

حين أقبلوا ، وغمامة تظله ﷺ من بين القوم . ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة ونهضت يعني تدلت أغصانها على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها فلما رأى «بحيرا» ذلك نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل إليهم فقال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ! وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحرؤكم وعبدكم فقال له رجل منهم : يا بحيرا : إن لك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنا نمر بك كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟ فقال له بحيرا : صدقت قد كان ما تقولون ولكنكم ضيوف فأحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلكم ، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنّه في رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر «بحيرا» في القوم لم ير الصفة التي يعرفها وهي موجودة عنده فقال : يا معشر قريش ! لا يتخلّف أحدٌ منكم عن طعامي هذا فقالوا : يا بحيرا ! ما يتخلّف عنك أحدٌ ينبغي أن يأتيك إلا غلامٌ هو أحدث القوم سنّاً يتخلّف في رحالهم قال : فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقال رجلٌ من قريش : واللّات والعزى إنّ لهذا اليوم نبأ . أيليق أن يتخلّف ابن عبد الله عن الطعام من بيننا ؟ ثم قام إليه فاحتضنه ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم فلما رآه «بحيرا» جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرّقوا قام «بحيرا» فقال له : يا غلام أسألك باللّات والعزى إلّا أخبرتني عمّا أسألك عنه . فقال رسول الله ﷺ : لا تسألني باللّات والعزى شيئاً قط ، فقال بحيرا : فبالله إلّا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه . فقال : سلني عمّا بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من نومه وهيشته وأموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند «بحيرا» من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده . الحديث . فقال أبو طالب في ذلك :

إنّ ابن أمانة النبيّ محمّداً عندي يفوق منازل الأولاد
لما تعلّق بالزمام رحمته والعيس قد قلّصن^(١) بالأزواد

(١) قلص القوم : اجتمعوا فساووا . قلصت الناقة : استمرت في مضيتها . تقلص : انضم وانزوى . تدانى .

فأرفض من عيني دمع ذارف
راعت فيه قرابة موصولة
وأمرته بالسيرين عمومة
ساروا لأبعد طيبة معلومة
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً
قوم يهود قد رأوا المآراى
ثاروا القتل محمداً فنهاهم
فثنى زبيراً من بحيرافانثنى
ونهى دريساً فأنتهى عن قوله
وقال أيضاً :

ألم ترني من بعدهم همته
بأحمد لما أن شددت مطيتي
بكى حزننا والعيس قد فصلت بنا
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة
فقلت : ترحل راشداً في عمومة
فجاء مع العير التي راح ركبها
فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا
فجاء بحيرا عند ذلك حاشداً
فقال : اجمعوا أصحابكم لطعامنا
يتيم فقال : ادعوه إن طعامنا
بفرقة حرّ الوالدين حرام
برحلي وقد ودّعته بسلام
وأخذت بالكفين فضل زمام
تجود من العينين ذات سجام
مواسير في البأساء غير إمام
شامي الهوى والأصل غير شام
لنا فوق دور ينظرون جسام
لنا بشراب طيب وطعام
فقلنا : جمعنا القوم غير غلام
كثير عليه اليوم غير حرام

(١) مصالت : الماضي في الحوائج . الصلت الجبين : الواضح . أنجاد جمع النجد : الضابط
للأمور يذلل المصائب . الشجاع الماضي فيما يعجز غيره . سريع الإجابة إلى ما دُعي إليه .
(٢) في الموضعين في رواية : طبة . بالموحدة مؤنث الطب بفتح الطاء : الناحية .
(٣) وفي رواية :

ظل الغمامة ناغري الأكباد

قوم يهود قد رأوا ما قد رأوا

فلولا الذي خبرتم عن محمد
فلما رآه مقبلاً نحو داره
حنى رأسه شبه السجود وضمه
وأقبل ركب يطلبون الذي رأى
فشار إليهم خشية لعراهم^(١)
دريس وتمام وقد كان فيهم^(٢)
فجاؤوا وقدهموا بقتل محمد
بتأويله التوراة حتى تيقنوا
أتبغون قتلاً للنبي محمد
وإن الذي نختاره منه مانع
فذلك من أعلامه وبيانه

لكنتم لدينا اليوم غير كرام
يوقيه حرّ الشمس ظل غمام
إلى نحره والصدرأي ضمّام
بحيرا من الأعلام وسط خيام
وكانوا ذوي بغى لنا وعرام
زبير وكل القوم غير نيام
فردّهم عنه بحسن خصام
وقال لهم : رمتم أشدّ مرام
خصصتم على شؤم بطول أنام
سيكفيه منكم كيد كل طغام
وليس نهاراً واضح كظلام

ديوان أبي طالب ص ٣٣ - ٣٥ ، تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٦٩ - ٢٧٢ ،
الروض الأنف ج ١ ص ١٢٠ .

وذكر السيوطي الحديث من طريق البيهقي في الخصائص الكبرى ج ١
ص ٨٤ فقال في ص ٨٥ : وقال أبو طالب في ذلك أبياتاً منها :

فما رجعوا حتى رأوا من محمد
وحتى رأوا أحبار كل مدينة
زبيراً وتماماً وقد كان شاهداً
فقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا
كما قال للرهب الذين تهوّدوا
فقال ولم يترك له النصيح : ردّه
فإنني أخاف الحاسدين وإنه

أحاديث تجلو غم كل فؤاد
سجوداً له من عصبية وفرداد
دريساً وهمّوا كلهم بفساد
له بعد تكذيب وطول بعداد
وجاهدتهم في الله كل جهاد
فإن له إرصاد كل مصاد
لفي الكتب مكتوب بكل مداد

(١) العرام : الشراسة والأذى .

(٢) دريس ، وتمام ، وزبير - في بعض النسخ : زدير . أحبار من اليهود .

٢ - استسقاء أبي طالب بالنبي (ص) :

أخرج ابن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش : يا أبا طالب ! أقحط الوادي ، وأجذب العيال ، فهلّم واستسقى فخرج أبو طالب ومعه غلامٌ كأنه شمسٌ دجن تجلّت عنه سحابةٌ قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فالصق ظهره بالكعبة ، ولاذّ بإصبعه الغلام ، وما في السماء قزعة^(١) فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق وأغدوق وانفجر له الوادي وأخصب البادي والنادي ففي ذلك يقول أبو طالب :

وأبيضُ يُستسقى الغمام بوجهه	ثمّال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان عدل لا يخيس شعيرة	ووزان صدق وزنه غير هائل

شرح البخاري للقسطلاني ج ٢ ص ٢٢٧ ، المواهب اللدنية ج ١ ص ٤٨ ،
الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٦ ، ١٢٤ ، شرح بهجة المحافل ج ١ ص ١١٩ ،
السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٥ ، السيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية ج ١
ص ٨٧ ، طلبة الطالب ص ٤٢ .

ذكر الشهرستاني في الملل والنحل بهامش الفصل ٣ ص ٢٢٥ سيّدنا عبد المطلب وقال : ومما يدلّ على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أنّ أهل مكة لما أصابهم ذلك الجذب العظيم وأمسك السحاب عنهم ستين أمر أبا طالب إبنه أن يحضر المصطفى عليه الصّلاة والسّلام وهو رضيعٌ في قماط فوضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه إلى السّماء وقال : ياربّ بحقّ هذا الغلام . ورماه ثانياً وثالثاً وكان يقول : بحقّ هذا الغلام إسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً . فلم يلبث ساعة أن طَبّق السحاب وجه السّماء وأمطر حتّى خافوا على المسجد وأنشد أبو طالب ذلك الشعر اللّامي الذي منه :

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه	ثمّال اليتامى عصمة للأرامل
----------------------------	----------------------------

(١) القزعة : القطعة من السحاب .

ثُمَّ ذَكَرَ آيَاتاً مِنَ الْقَصِيدَةِ ، وَلَا يَخْفَى عَلَى الْبَاحِثِ أَنَّ الْقَصِيدَةَ نَظَمَهَا أَبُو طَالِبٍ عليه السلام أَيَّامَ كَوْنِهِ فِي الشَّعْبِ كَمَا مَرَّ .

فَاسْتِسْقَاءُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَابْنُهُ سَيِّدُ الْأَبْطَحِ بِالنَّبِيِّ الْأَعْظَمِ يَوْمَ كَانَ عليه السلام رَضِيعاً وَيَافِعاً يُعَرَّبُ عَنْ تَوْحِيدِهِمَا الْخَالِصِ ، وَإِيمَانِهِمَا بِاللَّهِ ، وَعَرَفَانِهِمَا بِالرَّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ ، وَقَدَاسَةِ صَاحِبِهَا مِنْ أَوَّلِ يَوْمِهِ ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ لِهَمَا إِلَّا هَٰذَيْنِ الْمَوْقِفَيْنِ لَكَفَيَاهُمَا كَمَا يَكْفِيَانِ الْبَاحِثَ عَنْ دَلِيلٍ آخَرَ عَلَى اعْتِنَاقِهِمَا الْإِيمَانَ .

٣ - أَبُو طَالِبٍ فِي مَوْلِدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مِيلَادِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ خَيْرِ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي شَبِيهِ الْمَسِيحِ عليه السلام . إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ عَلِيّاً مِنْ نُورِي وَخَلَقَنِي مِنْ نُورِهِ وَكَلَانَا مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَقَلَنَا مِنْ صُلْبِ آدَمَ عليه السلام فِي أَصْلَابِ طَاهِرَةٍ إِلَى أَرْحَامِ زَكِيَّةٍ فَمَا نَقَلْتَ مِنْ صُلْبٍ إِلَّا وَنَقَلَ عَلِيٌّ مَعِيَ فَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى اسْتَوْدَعَنِي خَيْرَ رَحِمٍ وَهِيَ آمَنَةٌ . وَاسْتَوْدَعَ عَلِيّاً خَيْرَ رَحِمٍ وَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ . وَكَانَ فِي زَمَانِنَا رَجُلٌ زَاهِدٌ عَابِدٌ يُقَالُ لَهُ الْمَبْرَمُ بْنُ دَعِيبٍ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى مَائَتِينَ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ حَاجَةً فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَبَا طَالِبٍ فَلَمَّا أَبْصَرَهُ الْمَبْرَمُ قَامَ إِلَيْهِ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : رَجُلٌ مِنْ تَهَامَةٍ . فَقَالَ : مِنْ أَيِّ تَهَامَةٍ ؟ فَقَالَ : مِنْ بَنِي هَاشِمٍ . فَوَثَبَ الْعَابِدُ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ : يَا هَذَا إِنَّ الْعَلِيَّ الْأَعْلَى الْأَهْمَنِي إِلَهَاماً . قَالَ أَبُو طَالِبٍ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : وَلَدٌ يُولَدُ مِنْ ظَهْرِكَ وَهُوَ وَلِيُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا عَلِيٌّ أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ فَخَرَجَ أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ وُلِدَ فِي الْكَعْبَةِ وَلِيُّ اللَّهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ دَخَلَ الْكَعْبَةَ وَهُوَ يَقُولُ :

يَا رَبِّ هَذَا الْغَسَقُ الدَّجِيُّ	وَالْقَمَرُ الْمُنْبِلَجُ الْمَضِيُّ
بَيْنَ لَنَا مِنْ أَمْرِكَ الْخَفِيُّ	مَاذَا تَرَى فِي اسْمِ ذَا الصَّبِيِّ ؟

قَالَ : فَسَمِعَ صَوْتَ هَاتِفٍ يَقُولُ :

يَا أَهْلَ بَيْتِ الْمُصْطَفَى النَّبِيِّ	خَصَصْتُمْ بِالْوَلَدِ الزَّكِيِّ
إِنَّ اسْمَهُ مِنْ شَامِخِ الْعَلِيِّ	عَلِيٌّ مِنْ أَشْتَقُّ مِنَ الْعَلِيِّ

أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ٢٦٠ وقال : تفرّد به مسلم بن خالد الزنجي وهو شيخ الشافعي ، وتفرّد به عن الزنجي عبد العزيز بن عبد الصمد وهو معروف عندنا .

٤ - بدء أمر النبي وأبو طالب :

أخرج فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي بن محمد الدينوري في كتابه - نهاية الطلب وغاية السؤال في مناقب آل الرسول^(١) - بإسناده عن طاوس عن ابن عباس في حديث طويل : إن النبي ﷺ قال للعبّاس رضي الله عنه : إن الله قد أمرني بإظهار أمري وقد أنبأني واستنبأني فما عندك ؟ فقال له العبّاس رضي الله عنه : يا بن أخي تعلم أن قريشاً أشد الناس حسداً لولد أبيك ، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطمء والداهية العظيمة ورمينا عن قوس واحد وانتسفونا نسفاً ، صلبنا ولكن قرّب إلى عمك أبي طالب فإنه كان أكبر أعمامك إن لا ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك ، فأتياه فلما رآهما أبو طالب قال : إن لكما لظنة وخبراً ما جاء بكما في هذا الوقت ؟ فعرفه العبّاس ما قال له النبي ﷺ وما أجابه به العبّاس فنظر إليه أبو طالب وقال له : أخرج ابن أبي فإنك الرفيع كعباً ، والمنيع حزباً ، والأعلى أبا ، والله لا يسلكك لسان إلا سلقته ألسن حداد ، واجتذبتة سيوف حداد ، والله لتذلّن لك العرب ذلّ البهم لحاضنها ، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً ولقد قال : إن من صلبني لنبيّاً لوددت أني أدركت ذلك الزمان فأمّنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به .

قال الأميني : أترى أن أبا طالب يروي ذلك عن أبيه مطمئناً به ؟ فينشط رسول الله ﷺ هذا التنشيط لأوّل يومه ، ويأمره بإشهار أمره والإشادة بذكر الله وهو مخبّت بأنه هو ذلك النبي الموعود بلسان أبيه والكتب السالفة ، ويتكهّن بخضوع العرب له ، أتراه سلام الله عليه يأتي بهذه كلّها ثم لا يؤمن به ؟ إن هذا إلا اختلاق .

(١) راجع الطرائف لسيدنا ابن طاوس ص ٨٥ ، وضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف .

٥ - أبو طالب وفقده النبي (ص) :

ذكر ابن سعد الواقدي في الطبقات الكبرى ص ١٨٦ ج ١ ط مصر وص ١٣٥ ط ليدن حديث ممشى قريش إلى أبي طالب في أمره ﷺ إلى أن قال : فاشمأزوا ونفروا منها (يعني من مقالة محمد) وغضبوا وقاموا وهم يقولون : إصبروا على ألّهتكم ، إنّ هذا لشيء يُراد . ويُقال : المتكلم بهذا : عقبه بن أبي معيط . وقالوا : لا نعود إليه أبداً ، وما خير من أن نقتل محمداً ، فلمّا كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله ﷺ وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه ، فجمع فتیاناً من بني هاشم وبني المطلب ثمّ قال : ليأخذ كلّ واحد منكم حديدة صارمة ، ثمّ ليتبعني إذا دخلت المسجد ، فلينظر كلّ فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم : ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فإنّه لم يغب عن شرّ إن كان محمداً قد قُتل ، فقال الفتیان : نفعل ، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال ، فقال : يا زيد ! أحسست ابن أخي ؟ قال : نعم كنت معه آنفاً . فقال أبو طالب : لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه ؛ فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدّثون ، فأخبره الخبر ، فجاء رسول الله ﷺ إلى أبي طالب ، فقال : يا بن أخي ! أين كنت ؟ أكنت في خير ؟ قال : نعم . قال : أدخل بيتك ، فدخل رسول الله ﷺ فلمّا أصبح أبو طالب غدا على النبي ﷺ فأخذ بيده فوقف به على أندية قريش ومعه الفتیان الهاشميون والمطلبيون فقال : يا معشر قريش ! هل تدرون ما هممت به ؟ قالوا : لا : فأخبرهم الخبر ، وقال للفتیان : إكشفوا عما في أيديكم . فكشفوا ، فإذا كلّ رجل منهم معه حديدة صارمة . فقال : والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً ، حتّى نتفانى نحن وأنتم ، فانكسر القوم وكان أشدّهم إنكساراً أبو جهل .

لفظ آخر :

وأخرج الفقيه الحنبلي إبراهيم بن عليّ بن محمّد الدينوري في كتابه - نهاية الطلب^(١) - بإسناده عن عبد الله بن المغيرة بن معقب قال : فقد أبو طالب رسول

(١) راجع الطرائف لسيدنا ابن طاووس ص ٨٥ .

الله ﷺ فظنَّ أنَّ بعض قريش إغتاله فقتله فبعث إلى بني هاشم فقال : يا بني هاشم أظنُّ أنَّ بعض قريش إغتال محمّداً فقتله فليأخذ كلُّ واحد منكم حديدةً صارمةً وليجلس إلى جنب عظيم من عظماء قريش فإذا قلت : أبغي محمّداً . قتل كلُّ منكم الرجل الذي إلى جانبه ، وبلغ رسول الله جمع أبي طالب وهو في بيت عند الصفا فأتى أبا طالب وهو في المسجد فلمّا رآه أبو طالب أخذ بيده ثمّ قال : يا معشر قريش ! فقدت محمّداً فظننت أنَّ بعضكم اغتاله فأمرت كلَّ فتى شهد من بني هاشم أن يأخذ حديدةً ويجلس كلُّ واحد منهم إلى عظيم منكم فإذا قلت : أبغي محمّداً : قتل كلُّ واحد منهم الرجل الذي إلى جنبه ، فاكشفوا عمّا في أيديكم يا بني هاشم ! فكشف بنو هاشم عمّا في أيديهم فنظرت قريش إلى ذلك فعندها هابت قريش رسول الله ﷺ ثمّ أنشأ أبو طالب :

وكلُّ سرائر منها غرور	ألا أبلغ قريشاً حيث حلّت
وما تتلو السفساسة الشهور ^(٢)	فإنّي والضوايح عاديّات ^(١)
وودّ الصدر منّي والضمير	لآل محمّد راعٍ حفيظ
ولو جرّت مظالمها الجزور	فلست بقاطع رحمي وولدي
بقتل محمّد والأمر زور	أيام جمعهم أبناء فهر
ولا أمّت رشاداً إذ تشير	فلا وأبيك لا ظفرت قريش
وأبيض ماؤه غدق كثير	بُنّي أخي ونوط القلب منّي
وأحمد قد تضمّن القبور	ويشرب بعده الولدان ريّاً
كأنّ جبينك القمر المنير	أيّا بن الأنف أنف بني قصي ^(٣)

لفت نظر :

قال شيخنا العلامة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٣١ روى جامع الديوان - يعني ديوان أبي طالب - نحو هذا الخبر مرسلًا ثمّ ذكر الأشعار هكذا فذكر الأشعار

(١) في تاج العروس ج ٣ ص ٢٧٢ «فإنّي والسوايح كلّ يوم» وفي ص ٣٢٠ «فإنّي والضوايح كلّ يوم» .

(٢) السفساسة : أصحاب الأسفار وهي الكتب . الشهور : العلماء جمع الشهر . كذا فسر البيت كما في تاج العروس ج ٣ ص ٢٧٢ ، ٣٢٠ .

(٣) الأنف : السيد .

وفيهما زيادة عشرين بيتاً على ما ذكر وهي لا توجد في الديوان المطبوع لسيدنا أبي طالب .

لفظ ثالث :

وقال السيد فخار بن معد في كتابه «الحجّة» ص ٦١ : وأخبرني الشيخ الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن الجوزي المحدث البغدادي (وكان ممن يرى كفر أبي طالب ويعتقده) بواسط العراق سنة إحدى وتسعين وخمسمائة بإسناد له إلى الواقي قال : كان أبو طالب بن عبد المطلب لا يغيب صباح النبي ولا مساءه ، ويحرسه من أعدائه ، ويخاف أن يغتالوه ، فلما كان ذات يوم فقد فلم يره وجاء المساء فلم يره وأصبح الصباح فطلبه في مظانه فلم يجده فلزم أحشائه وقال : وا ولداه وجمع عبيده ومن يلزمه في نفسه فقال لهم : إنَّ محمدًا قد فقدته في أمسنا ويومنا هذا ولا أظنُّ إلا أن قريشاً قد اغتالته وكادته وقد بقي هذا الوجه ما جثته وبعيد أن يكون فيه واختار من عبيده عشرين رجلاً ، فقال : امضوا وأعدّوا سكاكين وليمض كل رجل منكم وليجلس إلى جنب سيّد من سادات قريش فإن أتيت ومحمد معي فلا تحدثن أمراً وكونوا على رسلكم حتّى أقف عليكم ، وإن جثت وما محمد معي فليضرب كل منكم الرجل الذي إلى جانبه من سادات قريش فمضوا وشحدوا سكاكينهم حتّى رضوها ، ومضى أبو طالب في الوجه الذي أرادته ومعه رهطه من قومه فوجده في أسفل مكّة قائماً يصلي إلى جنب صخرة فوق وقع عليه وقبله وأخذ بيده وقال : يا بن أخ! قد كدّدت أن تأتي على قومك ، سمر معي ، فأخذ بيده وجاء إلى المسجد وقريش في ناديهم جلوس عند الكعبة فلما رأوه قد جاء ويده في يد النبي ﷺ قالوا : هذا أبو طالب قد جاءكم بمحمد إن له لشأناً ، فلما وقف عليهم والغضب في وجهه قال لعبيده : أبرزوا ما في أيديكم فأبرز كل واحد منهم ما في يده فلما رأوا السكاكين قالوا : ما هذا يا أبا طالب ؟ قال : ما ترون ؛ إني طلبت محمدًا فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم : إن جثت وليس محمد معي فليضرب كل منكم صاحبه الذي إلى جنبه ولا يستأذني فيه ولو كان هاشميّاً فقالوا : وهل كنت فاعلاً ؟ فقال : أي ورب هذه وأومى إلى الكعبة ، فقال له المطعم بن عدي بن

نوفل بن عبد مُناف وكان من أحلافه : لقد كدت تأتي على قومك ؟ قال هو ذلك . ومضى به وهو يقول :

إذهب بُنيَّ فما عليك غضاضةً إذهب وقربْ ذاك منك عيونا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتَّى أوسد في التراب دفيناً
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت قبل أميناً
وذكرت ديناً لا محالة إنَّه من خير أديان البرية ديناً^(١)

فرجعت قريش على أبي طالب بالعتب والإستعطاف وهو لا يحفل بهم ولا يلتفت إليهم .

قال الأميني : هذا الشيخ الأبطح يروقه أن يُضحِّي كلَّ قومه دون نبيِّ الإسلام وقد تأهب لأن يطأ القوميات كلها والأواصر المتشعبة بينه وبين قريش بأخصص الدين . فحيّاها الله من عاطفة إلهية ؛ وأصرة دينية هي فوق أواصر الرّحم .

٦ - أبو طالب في بدء الدعوة :

لَمَّا نزلت : ﴿وأنذر عشيرتَك الأقربين﴾^(٢) . خرج رسول الله ﷺ فصعد على الصفا فهتف : يا صباحاه . فاجتمعوا إليه ، فقال : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدّقي ؟ قالوا : نعم ما جرّبنا عليك كذباً . قال : فإنني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبّاً لك ، أما جمعتنا إلاّ لهذا ؟ ثمّ أحضر قومه في داره فبادره أبو لهب وقال : هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلّم ودع الصبابة^(٣) واعلم أنّه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وإنّ أحقّ من أخذك فحبسك بنو أبيك ، وإنّ أقمت ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن ينبّ لك بطون قريش ، وتمدّهم العرب فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشرّ ممّا اجتئهم به . فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلّم .

(١) راجع ما أسلفناه ص ٣٧٤ .

(٢) مرّ حديثها في الجزء الثاني ص ٣٢٣

(٣) الصبأ : الخروج من دين إلى دين آخر .

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب^(١)

وقد أجاد الحافظ شمس الدين بن ناصر بن الدمشقي في قوله :

تَنَقَّلْ أَحْمَدُ نَوْرًا عَظِيمًا تَلَا فِي جِوَاهِرِ السَّاجِدِينَ
تَقَلَّبَ فِيهِمْ قَرْنًا فَقَرْنًا إِلَى أَنْ جَاءَ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ^(٢)

وهذا هو الذي أراده أبو طالب سلام الله عليه بقوله : نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب . وهو صريح بقیة كلامه ، وقد أراد بهذا السياق التعمية على الحضور لئلا يصابوه العداء بمفارقتهم ، وهذا السياق من الكلام من سنن العرب في محاورتهم ، قد يريدون به التعمية ، وقد يراد به التأكيد للمعنى المقصود كقول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

ولولم يكن لسيدنا أبي طالب إلا موقفه هذا لكفى بمفرده في إيمانه الثابت ، وإسلامه القويم ، وثباته في البدء .

قال ابن الأثير : فقال أبو لهب : هذه والله السوء خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم ، فقال أبو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا . وفي السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٤ : إن الدعوة كانت في دار أبي طالب .

قال عقيل بن أبي طالب : جاءت قریش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي كعبتنا وفي ديارنا ويُسْمَعُنَا ما نكره فإن رأيت أن تكفَّ عنا فافعل . فقال لي : يا عقيل ! إلتمس لي ابن عمك فأخرجته من كبس من كباس أبي طالب فجاء يمشي معي يطلب الفيء يطأ فيه لا يقدر عليه حتى انتهى إلى أبي

(١) طبقات ابن سعد ط مصر رقم التسلسل ٦٦٥ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٩ .

(٢) مسالك الحنفا للسيوطي ص ٤٠ ، الدرج المنيفة ص ١٤ .

طالب فقال : يا بن أخي ! والله لقد كنت لي مطيعاً جاء قومك يزعمون أنك تأتيتهم في كعبتهم وفي ناديتهم فتؤذيهم وتسمعهم ما يكرهون ، فإن رأيت أن تكف عنهم . فحلق بصره إلى السماء وقال : والله ما أنا بقادر أن أرد ما بعثني به ربي ، ولو أن يشعل أحدهم من هذه الشمس ناراً . فقال أبو طالب : والله ما كذب قط فارجعوا راشدين .

قال الأميني : هكذا أخرجه البخاري في تاريخه بإسناد رجاله كلهم ثقات ، وبهذا اللفظ ذكره المحب الطبري في ذخائر العقبى ص ٢٢٣ . غير أن ابن كثير لمّا رأى لكلمة : راشدين . قيمة في إيمان أبي طالب فحذفها في تاريخه ج ٣ ص ٤٢ . حيا الله الأمانة .

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٧١ حديث الدعوة عن عليّ ونبيه : ثم قال لهم ﷺ : من يؤازرني على ما أنا عليه ويجيبني على أن يكون أخي وله الجنة ؟ فقلت : أنا يا رسول الله ، وإنّي لأحدثهم سنّاً ، وأحمشهم ساقاً . وسكت القوم ، ثم قالوا : يا أبا طالب ! ألا ترى إبنك ؟ قال : دعوه فلن يألوا^(١) ابن عمه خيراً .

وروى أبو عمرو الزاهد الطبري عن تغلب عن ابن الأعرابي أنه قال في لغة - العور - إنه الردي من كلّ شيء قال : ومن العور ما في رواية ابن عباس . ثم ذكر حديث عليّ عليه السلام بطوله إلى أن قال : فلمّا أراد النبي ﷺ أن يتكلّم اعترضه أبو لهب فتكلّم بكلمات وقال : قوموا . فقاموا وانصرفوا . قال : فلمّا كان من الغد أمرني فصنعت مثل ذلك الطعام والشراب ودعوتهم فأقبلوا ودخلوا فأكلوا وشربوا فقام رسول الله ﷺ ليتكلّم فاعترضه أبو لهب فقال له أبو طالب : اسكت يا أعور ! ما أنت وهذا ؟ ثم قال : لا يقوم من أحد . فجلسوا ثم قال للنبي ﷺ : قم يا سيدي فتكلّم بما تحبّ وبلغ رسالة ربك فإنك الصادق المصدّق .

والى هذا الحديث وكلمة أبي طالب - اسكت يا أعور ! ما أنت وهذا ؟ - وقع الإيعاز إليه في النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٦ ، والفائق للزمخشري ج ٢ ص ٩٨

نقلًا عن ابن الأعرابي ، وفي لسان العرب ج ٦ ص ٢٩٤ ، تاج العروس ج ٣ ص ٤٢٨ .

قال الأميني : أي كافر طاهر هذا سلام الله عليه وهو يدافع عن الإسلام المقدّس بكلّ حوله وطوله ، ويسلق رجال قومه بلسان حديد ، ويحضّ النبيّ الأعظم على الدّعوة وتبليغ رسالته عن ربّه ، ويراه الصّادق المصدّق ؟ .

٧ - قول أبي طالب لعليّ : إلزم ابن عمّك :

قال ابن إسحاق : ذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصّلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه عليّ بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلّيان الصّلوات فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أنّ يمكثا ، ثمّ إنّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يُصلّيان فقال لرسول الله ﷺ : يا بن أخي ! ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عمّ ! هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم .

وذكروا أنّه قال لعليّ : أي بنيّ ! ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنّت بالله وبرسول الله وصدّقته بما جاء به ، وصليتّ معه لله وأتبعته ، فزعموا أنّه قال له : أما إنّ لم يدعك إلّا إلى خير . فالزمه . وفي لفظ عن عليّ : إنّهُ لمّا أسلم قال له أبو طالب : إلزم ابن عمّك .

سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٥ ، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٤ ، تفسير الثعلبي ، عيون الأثر ج ١ ص ٩٤ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، أسنى المطالب ص ١٠ .

وفي شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٤ : روي عن عليّ قال : قال أبي : يا بنيّ ! إلزم ابن عمّك فإنّك تسلم به من كلّ بأس عاجل وآجل ثمّ قال لي :

إنّ الوثيقة في لزوم محمّد فاشدد بصحبته عليّ يديكا

فقال : ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله :

إنّ عليّاً وجعفرأثقتني عند ملّ الزمان والنوب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأُمِّي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذوحسب

هذه الأبيات الثلاث توجد في ديوان أبي طالب أيضاً ص ٣٦ وذكرها العسكري في كتاب الأوائل قال : إنَّ أبا طالب مرَّ بالنبي ﷺ ومعه جعفر فرأى رسول الله ﷺ يصلي وعليّ معه فقال لجعفر : يا بني ! صل جناح ابن عمك . فقام إلى جنب عليّ فأحسَّ النبي فتقدّمهما وأقبلوا على أمرهم حتّى فرغوا فانصرف أبو طالب مسروراً وأنشأ يقول :

إنَّ عليّاً وجعفر أئقتني عند ملّم الزمان والنوب
وذكر أبياتاً لم يذكرها ابن أبي الحديد ومنها :

نحن وهذا النبي ننصره نضرب عنه الأعداء كالشهب

وأخرج أبو بكر الشيرازي في تفسيره : إنَّ النبي ﷺ لما أنزل عليه الوحي أتى المسجد الحرام وقام يصلي فيه فاجتاز به عليّ عليه السلام وكان ابن تسع سنين فناده : يا عليّ ! إليّ أقبل ، فأقبل إليه ملبياً فقال له النبي : إنني رسول الله إليك خاصّة وإلى الخلق عامّة فقف عن يميني وصلّ معي . فقال : يا رسول الله ! حتّى أمضي وأستأذن أبا طالب والدي ؛ فقال له : إذهب فإنّه سيأذن لك ، فانطلق إليه يستأذنه في اتّباعه ، فقال : يا ولدي ! نعلم أنّ محمّداً أمين الله منذ كان ، إمض إليه واتّبعه ترشد وتفلح . فأتى عليّ عليه السلام ورسول الله ﷺ قائم يصلي في المسجد فقام عن يمينه يصلي معه فاجتاز أبو طالب بهما وهما يصلّيان فقال : يا محمّد ما تصنع ؟ قال : أعبد إله السّموات والأرض ومعّي أخي عليّ يعبد ما أعبد وأنا أدعوك إلى عبادة الواحد القهّار فضحك أبو طالب حتّى بدت نواجذه وأنشأ يقول :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتّى أغيب في التراب دفينا
إلى آخر الأبيات التي أسلفناها ص ٣٧٤ .

٨ - قول أبي طالب : صل جناح ابن عمك :

أخرج ابن الأثير : إنَّ أبا طالب رأى النبي ﷺ وعليّاً يصلّيان وعليّ إلى يمينه

فقال لجعفر رضي الله تعالى عنه : صِل جناح ابن عمِّك ، وصَلِّ عن يساره ، وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه عليٍّ بقليل . وقال أبو طالب :

فصبراً أباي على علي دين أحمد	وكن مظهراً للدين وفقت صابراً
وحط من أتى بالحق من عند ربّه	بصدق وعزم لا تكن حمز كافراً
فقد سرّني إذ قلت : إنك مؤمن	فكن لرسول الله في الله ناصراً
وبادق ريشاً بالذي قد أتيتّه	جهاراً وقل : ما كان أحمد ساحراً

اسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٥ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٦ ، أسنى المطالب ص ٦ وقال : قال البرزنجي : تواترت الأخبار أن أبا طالب كان يُحبُّ النبي ﷺ ويحوطه وينصره ويعينه على تبليغ دينه . ويصدّقه فيما يقوله ؛ ويأمر أولاده كجعفر وعليٍّ باتّباعه ونصرته .

وقال في ص ١٠ : قال البرزنجي : هذه الأخبار كلّها صريحة في أن قلبه طافح وممتلئ بالإيمان بالنبي ﷺ .

٩ - أبو طالب وحنوه على النبي (ص) :

قال أبو جعفر محمّد بن حبيب رحمه الله في أماليه : كان أبو طالب إذا رأى رسول الله ﷺ أحياناً يبكي ويقول : إذا رأيته ذكرت أخي ، وكان عبد الله أخاه لأبويه وكان شديد الحبِّ والحنوِّ عليه ، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحبِّ له ، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عرف مضجعه فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع ابنه عليّاً مكانه ، فقال له عليٌّ ليلة : يا أبت إنني مقتول . فقال له :

إصبرن يا بني فالصبر أحجى	كلُّ حيٍّ مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد	لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الأغرذي الحسب الثا	قب والباع والكريم النجيب
إن تصبك المنون فالنبل تبرى ^(١)	فمصيبٌ منها وغير مصيب

(١) في بعض المصادر : تبرى .

كل حيٍّ وإن تملىَّ بعمر^(١) آخذٌ من مذاقها بنصيب
فأجاب عليٌّ بقوله :

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ؟ ووالله ما قلت الذي قلت جازعاً
ولكنني أحببت أن تر نصرتي وتعلم أنني لم أزل لك طائِعاً
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد نبيُّ الهدى المحمود طفلاً ويافعاً

وذكره ابن أبي الحديد نقلاً عن الأمالي ج ٣ ص ٣١٠ وهناك تصحيّف في البيت الثاني والثالث من أبيات أبي طالب صحّحناه من طبقات السيّد علي خان الناقل عن شرح ابن أبي الحديد المخطوط ، وذكر القصّة أبو علي الموضح العمري العلوي كما في كتابه (الحجّة) ص ٦٩ .

قال الأميني : إنّ القرابة والرحم تبعثان على المحاماة إلى حدّ محدود ، لكنّه إذا بلغت حدّ التضحية بولد كأمير المؤمنين هو أحب العالمين إلى والده فهناك يقف التفاني على موقفه ، فلا يستسهل الوالد أن يعرض ابنه على القتل كلّ ليلة فينيمه على فراش المفدّى ، ويستعوض منه ابن أخيه ، إلّا أن يكون مندفعاً الى ذلك بدافع دينيٍّ وهو معنى اعتناق أبي طالب بالدين الحنيف ، وهو الذي تعطيه المحاورّة الشعريّة بين الوالد والولد فترى الولد يصارح بالنبوة فلا ينكر عليه الوالد بأنّ هذا التهالك ليس إلّا بدافعٍ قوميٍّ غير فاتر عن حصّ ابنه على ما يتغيّه من النصرة ولا متشبّط عن النهوض بها (فسلام الله على والد وما ولد) .

١٠ - أبو طالب وابن الزبير :

قال القرطبي في تفسيره ص ٤٠٦ : روى أهل السير قال : كان النبي ﷺ قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي ، فلمّا دخل في الصلوة قال أبو جهل - لعنه الله - : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ؟ فقام ابن الزبير فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبي ﷺ ، فانفتل النبي ﷺ من صلاته ، ثمّ أتى أبا طالب عمّه فقال : يا عمّ ! ألا ترى إلى ما فعل بي ؟ فقال أبو طالب : من فعل هذا بك ؟!

(١) في مصادر مخطوطة عتيقة : كل حيٍّ وإن تطاول عمراً .

فقال النبي ﷺ عبد الله بن الزبير . فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون فقال أبو طالب والله لئن قام رجل لجللته بسيفي فقعدوا حتى دنا إليهم ، فقال : يا بُنَيَّ من الفاعل بك هذا ؟ فقال : عبد الله بن الزبير ؛ فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم ، وأساء لهم القول .

حديث موقف أبي طالب هذا يوجد في غير واحد من كتب القوم وقد لعبت به أيدي الهوى وسنوقفك إن شاء الله على حق القول فيه تحت عنوان [أبو طالب في الذكر الحكيم] .

١١ - سيدنا أبو طالب وقريش :

قال ابن إسحاق : لما بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام ، وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه فيما بلغني حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون ، وحذب^(١) على رسول الله ﷺ عمّه أبو طالب ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لأمره ، لا يرده عنه شيء .

وقال : إن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا بن أخي ! إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبق عليّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ، قال : فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمّه فيه بداء ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، قال : فقال رسول الله ﷺ : يا عمّ ! والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . قال : ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قال : فلما ولّى ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا بن أخي ! قال : فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

(١) حذب : عطف عليه ومنع له .

ثُمَّ إِنَّ قَرِيشًا حِينَ عَرَفُوا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَى خَذْلَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَإِسْلَامَهُ
وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا
له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتىً في قريش وأجمله ، فخذ به فلك
عقله ونصره. واتَّخذه ولدًا فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك ، هذا الذي قد خالفك
دينك ودين آبائك وفرَّق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله ، فإنَّما هو رجلٌ
برجل ، قال : والله لبئس ما تسومونني ! أتعطونني إبنكم أغذوه لكم وأعطيكم إبنِي
تقتلونه ؟ ! هذا والله مالا يكون أبدًا . قال : فقال المطعم بن عدي بن نوفل : والله
يا أبا طالب ! لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلُّص ممَّا تكرهه ، فما أراك تريد
أن تقبل منهم شيئًا ، فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد
أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ فاصنع ما بدا لك أو كما قال .

قال : فحقب الأمر ، وحملت الحرب ، وتنابد القوم ، وبأدى بعضهم
بعضًا ، فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويَعْمُ من خذله من عبد
مُناف ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سأله وما تباعد من أمرهم :

ألا ليت حظي من حياطتكم بكر ^(١)	ألا قل لعمر ووالوليد ومطعم
يُرش على الساقين من بوله قطر ^(٢)	من الخور حباب كثير رغاؤه
إذا ما علا الفياء قيل له : وير ^(٣)	تخلف خلف الورد ليس بلا حق
إذا سُئلا قالا : إلى غيرنا الأمر	أرى أخويننا من أبينا وأمننا
كما جرحمت من رأس ذي علق صخر ^(٤)	بلى لهما أمر ولكن تجرجما
هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر	أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً
فقد أصبحا منهم أكفهما صفر	هما أغمز اللقوم في أخويهما

(١) البكر : الفتى من الإبل .

(٢) الخور جمع أخور : الضعيف . حباب بالمهملتين : القصير . ويروى بالجيمن
المعجمتين : الكثير الكلام . ويروى بالخاء المعجمة ومعناه : الضعيف .

(٣) الفياء : الأرض القفر . وير : دوية على قدر الهرة .

(٤) تجرجما : سقطا وانحدرا ، يُقال : تجرجم الشيء إذا سقط . ذو علق : جبل في ديار بني
أسد .

هما أشركا في المجد من لا أباله من الناس إلا أن يُرسَّ له ذكر^(١)
وتيمُّ ومخزومٌ وزهرة منهم وكانوا لنا مولىً إذا بُني النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة ولا منهم ما كان من نسلنا شفر^(٢)
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم وكانوا كجفرٍ برئس ما صنعت جفر

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما . قال الأميني : حذف ابن هشام منها ثلاث أبيات لا تخفى على أي أحد غايته الوحيدة فيه ، وإن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره . ألا وهي :

وما ذاك إلا سؤدد خصنا به إله العباد واصطفانا له الفخر
رجالٌ تمالوا حاسدين وبغضة لأهل العلى فبينهم أبدأ وتر
وليد أبوه كان عبداً جدنا إلى عجلة زرقاء جال بها السحر
يريد به الوليد بن المغيرة وكان من المستهزئين بالنبي الأعظم ومن الذين مشوا
إلى أبي طالب عليه السلام في أمر النبي صلى الله عليه وآله وقد نزل فيه قوله تعالى : ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾^(٣) وكان يسمّى : الوحيد . في قومه .

ثم قام أبو طالب - حين رأى قریش يصنعون ما يصنعون - في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه ، وأجابوه ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبي لهب عدو الله الملعون .
فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرج في جهدهم معه وحدهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ؛ ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم ، ومكانه منهم ، ليشد لهم رأيهم ، وليحذبوا معه على أمره ، فقال :
إذا اجتمعت يوماً قریش لمفخرٍ فعبداً منافٍ سرّها وصميمها^(٤)

(١) يرسَّ له ذكر : يذكر ذكراً خفيفاً . رسَّ الحديث : حدّث به في خفاء .

(٢) شفر : أحد . يُقال : ما بالدار شفر ، أي ما بها أحد .

(٣) الروض الأنف ج ١ ص ١٧٣ ، تفسير البضاوي ج ٢ ص ٥٦٢ ، الكشف ج ٣ ص ٢٣٠ ، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٣ ، تفسير الخازن ج ٤ ص ٣٤٥ .

(٤) سرّها وصميمها : خالصها وكريمها . يُقال : فلان من سرّ قومه . أي : من خيارهم ولبابهم وأشرفهم .

فإن حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عِبْدِ مَنْفَاهَا فِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا
وإن فخرت يوماً فإنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سَرِّهَا وَكَرِيمِهَا
تَدَعَتْ قَرِيشُ غَثَّهَا وَسَمِينُهَا عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا^(١)
وكنَّا قديمًا لَا نُقَرُّ ظُلَامَةَ إِذَا مَا ثَنَوْا صُعْرَ الْخُدُودِ نُقِيمُهَا^(٢)
ونحْمِي حِمَاهَا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَنَضْرِبُ عَنْ أَحْجَارِهَا مَنْ يَرُومُهَا
بنا انتعش العود الذَّوَاءُ وَإِنَّمَا بِأَكْنَفَاتِنْدَى وَتَنْمَى أُرُومُهَا^(٣)

سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٨٣ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٦ ،
تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٨ - ٢٢١ ، ديوان أبي طالب ص ٢٤ ، الروض الأنف
ج ١ ص ١٧١ ، ١٧٢ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٠٦ ، تاريخ ابن كثير
ج ٢ ص ١٢٦ ، ٢٥٨ ، وج ٣ ص ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، عيون الأثر ج ١ ص ٩٩ ،
١٠٠ ، تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١١٧ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٦ ، أسنى
المطالب ص ١٥ فقال : هذه الأبيات من غرر مدائح أبي طالب للنبي ﷺ الدالة
على تصديقه إياه ، طلبة الطالب ص ٥ - ٩ .

١٢ - سيد الأباطح وصحيفة قريش :

اجتمع قريش وتشاوروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني
المطلب أن لا ينكحوا إليهم ، ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يتبايعوا ، ولا يقبلوا منهم
صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل ، ويخلوا
بينهم وبينه ، وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة ، أو بخط بغيض بن
عامر ، أو بخط النضر بن الحرث ، أو بخط هشام بن عمرو ، أو بخط طلحة ابن
أبي طلحة ، أو بخط منصور بن عبد ، وعلقوا منها صحيفة في الكعبة في هلال المحرم
سنة سبع من النبوة وكان اجتماعهم بخيف بني كنانة وهو المحصب فانحاز بنو هاشم

(١) طاشت حلومها : ذهبت عقولها .

(٢) ثنوا : عطفوا . صعر جمع أصعر : المائل . يُقال : صعر خده . أي أماله إلى جهة كما
يفعل المتكبر .

(٣) انتعش : ظهرت فيه الخضرة . الذواء : اليابس . الأكفاف : النواحي . الأرومة : الأصل .

وبنو المطلب إلى أبي طالب ودخلوا معه في الشعب إلا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وإنهم جهدوا في الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر .

قال ابن كثير : كان أبو طالب مدّة إقامتهم بالشعب يأمره ﷺ فيأتي فراشه كلّ ليلة حتى يراه من أراد به شراً وغائلة فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمّه أن يضطجع على فراش المصطفى ﷺ ويأمره أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها .

ثم إن الله تعالى أوحى إلى النبي ﷺ أن الأرضة أكلت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط فأخبر النبي ﷺ عمّه أبا طالب بذلك فقال : يا بن أخي ! أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم . قال : والثواب ما كذبتني قط فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر قريش ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا إليهم رسول الله ﷺ فقال أبو طالب : يا معشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم فأتوا بها لعل أن يكون بيننا وبينكم صلح ، وإنما ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها وهم لا يشكون أن أبا طالب يدفع إليهم النبي ﷺ فوضعوها بينهم وقبل أن تفتح قالوا لأبي طالب : قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم ؟ فقال : أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبي : إن الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها إلا اسم الله فقط ، فإن كان كما يقول ؟ فأفيقوا عما أنتم عليه ، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا . وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم ؟ فقالوا : رضينا . ففتحوها فوجدوها كما قال ﷺ . فقالوا : هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغياً وعدواناً .

وإن أبا طالب قال لهم بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به ﷺ : علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة ؟ ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال : اللهم انصرنا على من ظلمنا ، وقطع أرحامنا ، واستحل ما يحرم عليه منا .

وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة فقال أبو طالب :

ألا هل أتى بحرنا^(١) صنع ربنا
فيخبرهم : أن الصحيفة مُزقت
تراوحها إفك وسحر مُجمّع
تداعى لها من ليس فيها بقرقر
وكانت كفاء وقعة بأثيمة
ويظن أهل المكّتين فيهربوا
ويترك حرّاث يقلب أمره
وتصعد بين الأخشبين كتيبة
فمن ينش من حضار مكّة عزّه
نشأنا بها والناس فيها قلائل
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم
جزى الله رهطاً بالحجون تابعوا
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم
أعان عليها كل صقر كأنه
ألا إن خير الناس نفساً والداً
نبيّ الإله والكريم بأصله
جريء على جلى الخطوب كأنه

على نأيهم ؟ والله بالناس أروء^(٢)
وأن كلّ مالم يرضه الله مفسد
ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
فطائرها في رأسها يتردّد^(٣)
ليقطع منها ساعداً ومقلداً
فرائصهم من خشية الشرّ ترعد
أيتهم فيها عند ذاك وينجد^(٤)
لها حُدج سهم وقوس ومرهد^(٥)
فعزّتنا في بطن مكّة أتلد^(٦)
فلن ننّفك نزداد خيراً ونحمد
إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد^(٧)
على ملا يهدي لحزم ويُرشد
مقاولة^(٨) بل هم أعزّ وأمجد
إذا ماشى في رفر الدرع أحرد^(٩)
إذا عدّ سادات البريّة أحمد
أخلاقه وهو الرشيد المؤيد
شهاب بكفي قابس يتوقّد^(١٠)

(١) يريد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر .

(٢) أروء : أرفق .

(٣) القرقر : اللين السهل . وقال السهيلي : من ليس فيها بقرقر : أي ليس بذليل . وطائرها : أي حظها من الشؤم والشرّ ، وفي التنزيل : ﴿ألزمتاه طائره في عنقه﴾ .

(٤) الحرّاث : المكتسب . يتهم : يأتي تهامة . ينجد : يأتي نجداً .

(٥) الأخشبان : جبلان بمكة . المرهد : الرمح اللين .

(٦) ينش : أي ينشأ بحذف الهمزة على غير قياس . أتلد : أقدم .

(٧) المفيضين : الضاربون بقداح الميسر . يريد سلام الله عليه : إنهم يطعمون إذا بخل الناس .

(٨) المقاولة : الملوكة .

(٩) رفر الدرع : ما فصل منها . أحرد : بطيء المشي لثقل الدرع .

(١٠) وفي رواية :

من الأكرمين من لويّ بن غالب
 طويل النجاد^(٢) خارج نصف ساقه
 عظيم الرماد سيّد وابن سيّد
 ويبني لأبناء العشيرة صالحاً
 ألظّ^(٣) بهذا الصلح كلّ مبرراً
 قضوا ما قضوا في ليّهم ثمّ أصبحوا
 هم رجّعوا سهل بن بيضاء راضياً
 متى شرك الأقوام في جُلّ أمرنا
 وكنا قديماً لأنقر ظلاماً
 فيا لقضيّ هل لكم في نفوسكم ؟
 فيائي وإياكم كما قال قائل :

إذا سيم خسفاً وجهه يتربّد^(١)
 على وجهه يسقى الغمام ويسعد
 يحضّ على مقرى الضيوف ويحشد
 إذا نحن طُفنا في البلاد ويمهد
 عظيم اللوا أمره ثمّ يحمد
 على مهلّ وسائر الناس رُقّد
 وسُرّ أبو بكر بها ومحمّد
 وكنا قديماً قبلها ننتوّد
 ونذكر ما شئنا ولا نتشدد
 وهل لكم فيما يجيء به غد ؟
 لديك البيان لو تكلمت أسود^(٤)

طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٧٣ ، ١٩٢ ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩٩ -
 ٤٠٤ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٥١ ، تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٢ ،
 الإستيعاب ترجمة سهل بن بيضاء ج ٢ ص ٥٧٠ ، صفة الصفوة ج ١ ص ٣٥ ،
 الروض الأنف ج ١ ص ٢٣١ ، خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٢٥٢ ، تاريخ ابن
 كثير ج ٣ ص ٨٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، عيون الأثر ج ١ ص ١٢٧ ، الخصائص الكبرى
 ج ١ ص ١٥١ ، ديوان أبي طالب ص ١٣ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٧ - ٣٦٧ ،
 سيرة زيني دحلان هامش الحلبية ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٩٠ ، طلبة الطالب ص ٩ ،
 ١٥ ، ٤٤ ، أسنى المطالب ص ١١ - ١٣ .

= حزم على جل الأمور كأنه شهاب بكفي قابس يتوقّد

(١) سيم - بالبناء للمجهول - : كلف . الخسف : الذل . يتربّد : يتغير إلى السواد .

(٢) النجاد : حمائل السيف .

(٣) ألظّ : ألحّ ولزم .

(٤) أسود : جبل ، قتل فيه قتيل فلم يُعرف قاتله فقال أولياء المقتول : لديك البيان لو تكلمت

أسود . فذهب مثلاً . توجد في ديوان أبي طالب أبيات من هذه القصيدة غير ما ذكر لم نجدتها في غيره .

وذكر ابن الأثير قصّة الصحيفة في الكامل ج ٢ ص ٣٦ فقال : قال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم ، أبياتاً منها :

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة متى ما يُخبر غائب القوم يعجب
محا الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق مُعرب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب

١٣ - وصية أبي طالب عند موته :

عن الكلبي قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب ، فيكم السيّد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلاّ أحرزتموه ، ولا شرفاً إلاّ أدركتموه ، فلکم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حربٌ وعلى حربكم إلب ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه النبّة (يعني الكعبة) فإنّ فيها مرضاةً للرب ، وقواماً للمعاش ، وثباتاً للوطاة ، صلّوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فإنّ صلة الرحم منسأةٌ في الأجل ، وزيادةٌ في العدد ، واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكة القرون قبلكم ، أجبوا الداعي ، وأعطوا السائل فإنّ فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإنّ فيهما محبةٌ في الخاص ، ومكرمة في العام .

وإني أوصيكم بمحمّد خيراً فإنّه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكلّ ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان ، وأنكره اللسان مخافة الشنآن ، وأيم الله كأنني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدّقوا كلمته ، وعظّموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ، ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ، وأصفت له فؤادها ، وأعطته قيادها ، دونكم يا معشر قريش ! ابن أبيكم ، كونوا له ولاةً ولحزبه حماةً ، والله لا يسلك أحدٌ سبيله إلاّ رشّد ، ولا يؤخذ أحدٌ بهديه إلاّ سعد ، ولو كان لنفسي مدّة ، وفي أجلي تأخير ،

لكففت عنه الهزاهز ، ولدافعت عنه الدواهي .

الروض الأنف : ج ١ ص ٢٥٩ ، المواهب ج ١ ص ٧٢ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٩ ، ثمرات الأوراق هامش المستطرف ج ٢ ص ٩ ، بلوغ الأرب : ج ١ ص ٣٢٧ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٥ ، السيرة لزيني دحلان على هامش الحلبية ج ١ ص ٩٣ ، أسنى المطالب ص ٥ .

قال الأميني : في هذه الوصية الطافحة بالإيمان والرشاد دلالة واضحة على أنه عليه السلام إنما أرجأ تصديقه باللسان إلى هذه الآونة التي يش فيها عن الحياة حذار شنان قومه المستتبع لانثيالهم عنه ، المؤدّي إلى ضعف المنة وتفكك القوى ، فلا يتسنى له حينئذ الذب عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإن كان الإيمان به مستقراً في الجنان من أول يومه ، لكنه لما شعر بأزوف الأجل وفوات الغاية المذكورة أبدى ما أجتته أضالعه فأوصى بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بوصيته الخالدة .

١٤ - وصية أبي طالب لبني أبيه :

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى : إن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد ، وما أتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه وترشدوا .

وفي لفظ : يا معشر بني هاشم ! أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا .

وتوجد هذه الوصية في تذكرة السبط ص ٥ ، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٧ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، سيرة زيني دحلان هامش الحلبية ج ١ ص ٩٢ ، ٢٩٣ ، أسنى المطالب ص ١٠ . ورأى البرزنجي هذا الحديث دليلاً على إيمان أبي طالب ونعماً هو ، قال : قلت : بعيد جداً أن يعرف أن الرشاد في اتباعه ويأمر غيره بذلك ثم يتركه هو .

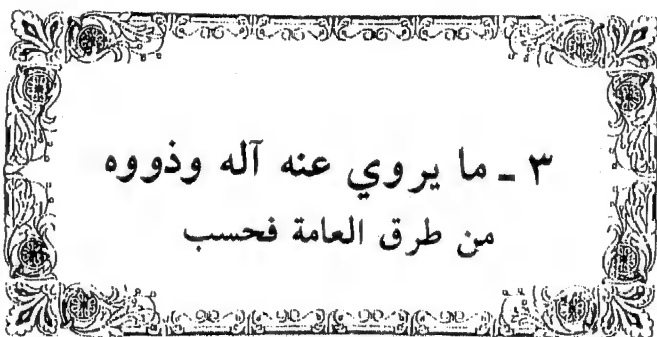
قال الأميني : ليس في العقل السليم مساع للقول بأن هذه المواقف كلها لم تنبعث عن خضوع أبي طالب للدين الحنيف وتصديقه للصادق به صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وإلا فماذا الذي كان يحدوه إلى مخاشنة قريش ومقاساة الأذى منهم وتعكير الصفو من

حياته لا سيما أيام كان هو والصفوة من فئته في الشعب ، فلا حياة هنيئة ، ولا عيش رغد ، ولا أمن يطمأن به ، ولا خطرٌ مدروء ؛ يتحمل الجفاء والقطيعة والقسوة المؤلمة من قومه ؟ فماذا الذي أقدمه على هذه كلها ؟ وماذا الذي حصره وحبسه في الشعب عدّة سنين تجاه أمر لا يقول بصدقه ولا يخبت إلى حقيقته ؟ لاها الله لم يكن كل ذلك إلّا عن إيمانٍ ثابت ، وتصديقٍ وتسليم وإذعان بما جاء به نبي الإسلام ، يظهر ذلك للقارئ المستشفّ لجزئيات كل من هذه القصص ، ولم تكن القربة والقومية بمفردها تدعوه إلى مقاساة تلكم المشاق كما لم تدع أبا لهب أخاه ، وهب أن القربة تدعوه إلى الذبّ عنه عليه السلام لكنها لا تدعو إلى المصارحة بتصديقه وأن ما جاء به حق ، وأنه نبيّ كموسى خطّ في أول الكتب ، وأن من اقتصر أثره فهو المهتدي ، وأن الضالّ من إزور عنه وتخلّف ، إلى أمثال ذلك من مصارحات قالها بملء فمه ، ودعا إليه عليه السلام فيها بأعلى هتافه .

١٥ - حديث عن أبي طالب :

ذكر ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١١٦ من طريق إسحاق بن عيسى الهاشمي عن أبي رافع قال : سمعت أبا طالب يقول : سمعت ابن أخي محمّد بن عبد الله يقول : إنّ ربّه بعثه بصلة الأرحام ، وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره ، ومحمّد الصدوق الأمين .

وذكره السيّد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ٦ وقال : أخرجه الخطيب . وأخرجه السيّد فخار بن معد في كتاب الحجّة ص ٢٦ من طريق الحافظ أبي نعيم الإصبهاني ، وبإسناد آخر من طريق أبي الفرج الإصبهاني . وروى الشيخ إبراهيم الحنبلي في نهاية الطلب عن عروة الثقفي قال : سمعت أبا طالب رضي الله عنه يقول : حدّثني ابن أخي الصادق الأمين وكان والله صدوقاً : إنّ ربّه أرسله بصلة الأرحام ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة . وكان يقول : أشكر ترزق ، ولا تكفر تُعذّب .



٣ - ما يروي عنه آله وذووه

من طرق العامة فحسب

أما رجال آل هاشم ، وأبناء عبد المطلب ، وولد أبي طالب ، فلم يؤثر عنهم إلا الهتاف بإيمانه الثابت ؛ وإن ما كان يؤثره في نصرة النبي الأقدس عليه السلام كان منبعثاً عن تدين بما صدق به عليه السلام وأهل البيت أدرى بما فيه ، قال ابن الأثير في جامع الأصول وما أسلم من أعمام النبي ﷺ غير حمزة والعبّاس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام . اهـ .

نعم : هتفوا بذلك في أجيالهم وأدوارهم بملء الأفواه وبكل صراحة وجبهوا من خالفهم في ذلك .

إذا قالت حذام فصدّقوها فإن القول ما قالت حذام

١ - قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٢ : روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العبّاس بن عبد المطلب وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة : إن أبا طالب ما مات حتى قال : لا إله إلا الله ، محمّد رسول الله . والخبر مشهور أن أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفياً أصغى إليه أخوه العبّاس ^(١) وروي عن علي عليه السلام أنه قال : ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله ﷺ من نفسه الرضا .

وذكر أبو الفدا والشعراني عن ابن عبّاس : إن أبا طالب لما اشتدّ مرضه قال

(١) راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧ ، دلائل النبوة للبيهقي ، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ١٢٣ ، عيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ١٣١ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، المواهب اللدنية ج ١

له رسول الله ﷺ : يا عمّ ! قلها أستحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة يعني الشهادة فقال له أبو طالب : يا بن أخي ! لولا مخافة السبّة وأن تظنّ قريش إنّما قتلها جزعاً من الموت لقلتها فلمّا تقارب من أبي طالب الموت جعل يحرك شفّتيه فأصغى إليه العباس باذنه وقال : والله يا بن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداك يا عمّ^(١) ! .

وقال السيد أحمد زيني دحلان في السيرة الحلبية ج ١ ص ٩٤ : نقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهره التوحيد عن الإمام الشعرائي والسبكي وجماعة أنّ ذلك الحديث أعني حديث العباس ثبت عند بعض أهل الكشف وصحّ عندهم إسلامه .

قال الأميني : ذكرنا هذا الحديث مجاراةً للقوم وإلّا فما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عند الموت إلى التلفّظ بتينك الكلمتين اللّتين كرّس حياته الثمينة بالهتاف بمفادهما في شعره ونثره ، والدعوة إليهما ، والذبّ عنّ صدع بهما ، ومعاناة الأهوال دونهما حتى يومه الأخير ؟ ما كانت حاجة أبي طالب مسيسة عندئذ إلى التفوّه بهما كأمر مستجدّ ؟ فمتى كفر هو ؟ ومتى ضلّ ؟ حتّى يؤمن ويهتدي بهما ، أليس من الشهادة قوله الذي أسلفناه ص ٣٧١ :

ليعلم خيار الناس أنّ محمّداً	وزير لموسى والمسيح ابن مريم
أنا بهدي مثل ما أتيا به	فكلّ بأمر الله يهدي ويعصم
وأنكم تتلونّه في كتابكم	بصدق حديث لا حديث مبرجم

وقوله في ص ٣٧١ :

أمينٌ حبيب في العباد مسوّم	بخاتم ربّ قاهر في الخواتم
نبيّ أتاه الوحي من عند ربّه	ومن قال : لا . يقرع بهاسنّ نادم

وقوله في ص ٣٧٢ :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً	رسولاً كموسى خطّ في أوّل الكتب
-------------------------------	--------------------------------

= ص ٧١ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٢ ، السيرة الدحلانية هامش الحلبية ج ١ ص ٨٩ ، أسنى المطالب ص ٢٠ .

(١) تاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٢٠ ، كشف الغمة للشعرائي ج ٢ ص ١٤٤ .

وقوله في ص ٣٧٣ :

وظلم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى وأمرأتى من عند ذي العرش قيّم

وقوله في ص ٣٧٤ :

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي
ولقد علمت بأنّ دين محمد
وابشر بذلك وقرّ منك عيونا
ولقد دعوت وكنّت ثمّ أمينا
من خير أديان البريّة دينا

وقوله في ص ٣٧٥ :

أو تؤمنوا بكتابٍ مُنزلٍ عجبٍ
على نبيّ كموسى أو كذي النون

وقول في ص ٣٧٧ :

نصرت الرسول رسول المليك
أذبّ وأحمي رسول الإله
ببيض تلاًّلا كلمع البروق
حماية حامٍ عليه شفيق

وقوله في ص ٣٨٠ :

فأيّده ربُّ العباد بنصره
وأظهر ديناً حقّه غير باطل

وقوله في ص ٣٩٧ :

والله لا أخذل النبيّ ولا
نحن وهذا النبيّ ننصره
يخذه من بنيّ ذو حسب
نضرب عنه الأعداء بالشهب

وقوله في ص ٣٨٥ :

أتبغون قتلاً للنبيّ محمّدٍ
خصصتم على شؤم بطول أثام

وقوله في ص ٣٩٨ :

فصبراً أباي على دين أحمد
وحطّ من أتى بالحقّ من عند ربّه
فكن لرسول الله في الله ناصراً
وكن مظهراً للدين وفقت صابراً
بصدقٍ وعزمٍ لا تكن حمز كافراً
فقد سرّني إذ قلت : إنّك مؤمنّ

وقوله وقد رواه أبو الفرج الأصبهاني :

زعمت قريش أن أحمد ساحرٌ كذبوا وربَّ الراقصات إلى الحرم^(١)
مازلت أعرفه بصدق حديثه وهو الأمين على الحرائب والحرم
وقوله المرويُّ من طريق أبي الفرج الإصبهاني كما في كتاب (الحجَّة)
ص ٧٢ ومن طريق الحسن بن محمد بن جرير كما في تفسير أبي الفتوح ج ٤
ص ٢١٢ .

قل لمن كان من كنانة في العزِّ وأهل الندى وأهل المعالي
: قد آتاكم من المليك رسولٌ فاقبلوه بصالح الأعمال
وانصروا أحمداً فإنَّ من الله رداءً عليه غير مدال
وقوله : من أبيات في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٥ :

فخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة^(٢)
ولو كان يؤثر أقلَّ من هذا عن أحد من الصحابة لطُبل له ، وزمَّ من يتشبَّث
بالطحلب في سرد الفضائل لبعضهم مغالاةً فيهم ، لكنِّي أجد إسلام أبي طالب
مستعصياً فهمه على هؤلاء ولو صرخ بألف هتاف من ضرائب هذه . لماذا ؟ أنا لا
أدري .

٢ - أخرج ابن سعد في طبقاته : ج ١ ص ١٠٥ عن عبيد الله بن أبي رافع
عن عليٍّ قال : أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب فبكى ثمَّ قال : إذهب
فاغسله وكفِّنه وواره غفر الله له ورحمه .

وفي لفظ الواقدي : فبكى بكاء شديداً ثمَّ قال : إذهب فاغسله . الخ .
وأخرجه ابن عساكر كما في أسنى المطالب ص ٢١ ، والبيهقي في دلائل
النبوة ، وذكره سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٦ ، وابن أبي الحديد في شرحه
ج ٣ ص ٣١٤ ، والحلي في السيرة ج ١ ص ٣٧٣ ، والسيد زيني دحلان في
السيرة هامش الحلبية ج ١ ص ٩٠ ، والبرزنجي في نجاة أبي طالب وصحَّحه كما
في أسنى المطالب ص ٣٥ وقال : أخرجه أيضاً أبو داود وابن الجارود وابن خزيمة .

(١) أراد بالراقصات إلى الحرم : الإبل الراكضات . رقص الجمل إذا ركض .
(٢) أشار إلى قوله تعالى : ﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل﴾ . وتوجد
الآيات في كتاب الحجَّة للسيد فخار سلام الله عليه ص ٧٤ .

وقال : إنما ترك النبي ﷺ المشي في جنازته إتقاءً من شرِّ سفهاء قريش ، وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ .

عن الأسلمي وغيره : توفي أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين نبيء رسول الله ﷺ ، وتوفيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيام فاجتمع على رسول الله ﷺ عليها وعلى عمه حزناً شديداً حتى سمي ذلك العام عام الحزن .

طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٠٦ ، الإمتاع للمقرئزي ص ٢٧ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٣٤ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٣ ، السيرة لزيني دحلان هامش الحلبية ج ١ ص ٢٩١ ، أسنى المطالب ص ١١ .

لفت نظر :

عين ابن سعد لوفاة أبي طالب يوم النصف من شوال كما سمعت وقال أبو الفدا في تاريخه ج ١ ص ١٢٠ توفي في شوال ، وأوعز القسطلاني في المواهب ج ١ ص ٧١ موته في شوال إلى القيل ، وقال المقرئزي في الإمتاع ص ٢٧ : توفي أول ذي القعدة وقيل : النصف من شوال ؛ وقال الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٢٩١ : مات بعد خروجهم من شعب في ثامن عشر رمضان سنة عشر ؛ وفي الاستيعاب : خرجوا من الشعب في أول سنة خمسين وتوفي أبو طالب بعده بستة أشهر فتكون وفاته في رجب (١هـ) . وهذا الاختلاف موجود في تأليف الشيعة أيضاً .

٣ - أخرج البيهقي عن ابن عباس : إن النبي ﷺ عاد من جنازة أبي طالب فقال : وصلتك رحم ، وجزيت خيراً يا عم ! وفي لفظ الخطيب : عارض النبي جنازة أبي طالب فقال : وصلتك رحم جزاك الله خيراً يا عم ! .

دلائل النبوة للبيهقي ، تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٩٦ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٥ ؛ تذكرة السبط ص ٦ ، نهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنفي كما في الطرائف ص ٨٦ ، الإصابة ج ٤ ص ١١٦ ، شرح شواهد المغني ص ١٣٦ .

وقال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ٢٦ : لما قيل لرسول الله : إن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات

وحبيبه الأيسر ثلاث مرّات ، ثمّ قال : يا عمّ ! ربّيت صغيراً ، وكفّلت يتيماً ، ونصرت كبيراً ، فجزاك الله عنّي خيراً ، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول : وصلتك رحم ، وجزيت خيراً .

٤ - عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال : قال العباس : يا رسول الله ! أترجو لأبي طالب ؟ قال : كلّ الخير أرجو من ربّي .

أخرجه ابن سعد في الطبقات ج ١ ص ١٠٦ بسند صحيح رجالهم كلّهم ثقات رجال الصّحاح وهم : عفّان بن مسلم . وحمّاد بن سلمة . وثابت البناني . وإسحاق بن عبد الله .

وأخرجه ابن عساكر كما في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٧ . والفقيه الحنفي الشيخ إبراهيم الدينوري في نهاية الطلب كما في الطرثف ص ٦٨ . وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١١ ، والسيوطي في التعظيم والمنّة ص ٧ نقلاً عن ابن سعد .

٥ - وعن أنس بن مالك قال : أتى أعرابيّ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! لقد أتيناك وما لنا بغير يث ، ولا صبيّ يصطح ، ثمّ أنشد :

أتيناك والعذراء يدمى لبانها	وقد شغلت أمّ الصبيّ عن الطفل
وألقى بكفّيه الصبيّ استكانة	من الجوع ضعفاً ما يمرّ ولا يحلي
ولا شيء ممّا يأكل الناس عندنا	سوى الحنظل العامي والعلّهمز الفسل
وليس لنا إلّا إليك فرارنا	وأين فرار الناس إلّا إلى الرّسل

فقام رسول الله ﷺ يجرّ رداءه حتّى صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثمّ قال : اللّهُمّ اسقنا غيثاً مغيثاً سحاً طبّقاً غير رايت ، تنبت به الزرع ، وتملأ به الضرع ، وتحبي به الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون .

فما استتمّ الدعاء حتّى التقت السّماء بروقها ، فجاء أهل البطالة يضحّون : يا رسول الله ! الغرق فقال : حوالينا ولا علينا . فانجاب السحاب عن المدينة كالإكليل ، فضحك رسول الله ﷺ حتّى بدت نواجذه وقال : لله درّ أبي طالب لو

كان حيًّا لقرَّت عيناه ، مَنْ الذي ينشدنا شعره ؟ فقال عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله ! كأنك أردت قوله :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال : أجل فأنشده أبياتاً من القصيدة ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر ثم قام رجل من كنانة وأنشد :

لك الحمد والحمد ممّن شكر	سقينابوجه النبيّ المطر
دعا الله خالقه دعوة	وأشخص معها إليه البصر
فلم يك إلا كالقار الردى	وأسرع حتّى رأينا الدرر
دفاق العزاليّ جمّ البعاق ^(١)	أغاث به الله عليا مضر
فكان كما قاله عمّه	أبو طالب أبيض ذو غرر
به الله يسقي صيوب الغمام	وهذا العيان لذاك الخبر

فقال رسول الله ﷺ : إن يك شاعراً يحسن فقد أحسنت .
أعلام النبوة للماوردي ص ٧٧ ؛ بدائع الصنائع ج ١ ص ٢٨٣ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٦ ، السيرة الحلبية ، عمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٥ ، شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٣٦ ، سيرة زيني دحلان ج ١ ص ٨٧ ، أسنى المطالب ص ١٥ ، طلبة الطالب ص ٤٣ .

قال البرزنجي كما في أسنى المطالب : فقول النبي ﷺ : لله درّ أبي طالب يشهد له بأنه لو رأى النبي وهو يستسقي على المنبر لسره ذلك ، ولقرّت عيناه فهذا من النبي ﷺ شهادة لأبي طالب بعد موته أنه كان يفرح بكلمات النبي ﷺ وتقرّ عينه بها ، وما ذلك إلا لسرّ وقر في قلبه من تصديقه بنبوّته وعلمه بكمالاته . اهـ .

قال الأميني : وذكر جمعٌ هذا الحديث في استسقاء النبي ﷺ وحذف منه كلمة [لله درّ أبي طالب] وأنت أعرف مني بالغاية المتوخاة في هذا التحريف ، ولا يفوتنا عرفانها .

٦- قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٦ : ورد في السير والمغازي أنَّ عتبة بن ربيعة أو شيبه لما قطع رجل أبي عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر أشبل عليه عليٌّ وحمزة فاستنقذه منه وخطبا عتبة بسيفهما حتى قتلاه واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش فألقياه بين يدي رسول الله ﷺ وإنَّ مخَّ ساقه ليسيل فقال : يا رسول الله لو كان أبو طالب حيًّا لعلم أنه قد صدق في قوله :

كذبتُم وبيت الله نُخلي محمّداً ولمّا نطاعن دونه ونناضل
وننصره حتّى نصرعّ حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
فقالوا : إنّ رسول الله ﷺ استغفر له ولأبي طالب يومئذ .

٧- عن رسول الله ﷺ أنه قال لعقيل بن أبي طالب : يا أبا يزيد ! انّي أحبُّك
حبّين حبًّا لقربتك منّي ، وحبًّا لما كنت أعلم من حبِّ عمّي أبي طالب إيّاك .

أخرجه أبو عمر في الإستهباب ج ٢ ص ٥٠٩ ، والبغوي ، والطبراني كما في
ذخائر العقبى ص ٢٢٢ ، وتاريخ الخميس ج ١ ص ١٦٣ ؛ وعماد الدين يحيى
العامري في بهجة المحافل ج ١ ص ٣٢٧ ، وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣
ص ٣١٢ وقال : قالوا : إشتهر واستفاض هذا الحديث ، والهيثمي في مجمع
الزوائد ج ٩ ص ٢٧٣ وقال : رجاله ثقات .

هذا شاهد صدق على أن النبي ﷺ كان يعتقد إيمان عمّه وإلاً فما قيمة
حبِّ كافر لأيٍّ أحد حتّى يكون سبباً لحبّه ﷺ أولاده . وقول رسول الله ﷺ
هذا لعقيل كان بعد إسلامه كما نصّ عليه الإمام العامري في بهجة المحافل
وقال : وفيها إسلام عقيل بن أبي طالب الهاشمي ، ولما أسلم قال له النبي ﷺ :
يا أبا يزيد . الخ . وقال جمال الدين الأشعر اليميني في شرح البهجة عند شرح
الحديث : ومن شأن المحبِّ محبة حبيب الحبيب .

ألا تعجب من حبِّ رسول الله ﷺ أبا طالب إن لم يك معتنفاً بدينه - العياذ
بالله - ومن إعرابه عنه بعد وفاته . ومن حبّه عقيلًا لحبِّ أبيه إيّاه ؟ !! .

٨- أخرج أبو نعيم وغيره عن ابن عباس وغيره قالوا : كان أبو طالب يحبُّ

النبي ﷺ حباً شديداً لا يحب أولاده مثله ، ويقدمه على أولاده ، ولذا كان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرجه معه حين يخرج .

ولما مات أبو طالب نالت قريش منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ؛ فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وتبكي ورسول الله ﷺ يقول لها : يا بنية لا تبكي فإن الله مانع أباك ، ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب .

وفي لفظ : ما زالت قريش كاعين (أي جبانين) حتى مات أبو طالب .

وفي لفظ : ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب .

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٢٩ ، تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٢٨٤ ، مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٦٢٢ ، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٢ ، ١٣٤ ، الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٢١ ، الفائق للزمخشري ج ٢ ص ٢١٣ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٣ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٥ ، فتح الباري ج ٧ ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، شرح شواهد المغني ص ١٣٦ نقلاً عن البيهقي ، أسنى المطالب ص ١١ ؛ ٢١ ؛ طلبه الطالب ج ٤ ص ٥٤ .

٩- عن عبد الله قال : لما نظر رسول الله ﷺ يوم بدر إلى القتلى وهم مصرعون قال لأبي بكر : لو أن أبا طالب حي لعلم أن أسيفنا قد أخذت بالأماثل يعني قول أبي طالب :

كذبتهم وبيت الله إن جدماً أرى لتلتبس أسيفنا بالأماثل

الأغاني ج ١٧ ص ٢٨ ، طلبه الطالب ص ٣٨ نقلاً عن دلائل الإعجاز .

١٠- أخرج الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٦٨ : من طريق الحافظ ابن فنجويه عن ابن عباس في حديث مرفوعاً قال لعلي : لو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحد أحق منك لقدمتك في الإسلام ، وقرابتك من رسول الله ، وصهرك عندك فاطمة سيدة نساء المؤمنين وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب ، أتاني حين نزل القرآن وأنا حريص أن أرعى ذلك في ولده بعده .

قال الأميني : إنَّ شيئاً من مضامين هذه الأحاديث لا يتفق مع كفر أبي طالب فهو عليه السلام لا يأمر خليفته الإمام عليه السلام بتكفين كافر ولا تغسيله ، ولا يستغفر له ولا يترحم عليه ، كما في الحديث الثالث ، ولا يرجو له بعض الخير فضلاً عن كُله كما في الحديث الرابع ، ولا يستدرُّ له الخير كما في حديث الإستسقاء ؛ ولا يستغفر له كما في الحديث السادس ؛ ولا يحبُّ عقيلاً لحبه إياه ، فإنَّ الكفر يزع المسلم عن بغض هذه فكيف بكُلِّها فضلاً عن نبيِّ الإسلام عليه السلام وهو الصادق بقول الله العزيز : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَائِكُمْ وَإِخوانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن استَحَبَّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (٤) . إلى آيات أخرى .

الكلم الطيب :

أخرج تمام الرازي في فوائده بإسناده عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهليَّة .

ذخائر العقبى ص ٧ ، الدرج المنيفة للسيوطي ص ٧ ، مسالك الحنفا ص ١٤ ، وقال فيه : أخرجه أبو نعيم وغيره وفيه التصريح بأنَّ الأخ من الرضاة ،

(١) سورة المجادلة ؛ الآية : ٢٢ .

(٢) سورة الممتحنة ؛ الآية : ١ .

(٣) سورة التوبة ؛ الآية : ٢٣ .

(٤) سورة المائدة ؛ الآية : ٨١ .

فالطرق عدّة يشدّ بعضها بعضاً فإنّ الحديث الضعيف يتقوّى بكثرة طرقه وأمثلها حديث ابن مسعود فإنّ الحاكم صحّحه .

وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٦ روي عنه عليه السلام أنّه قال : إنّ الله عزّ وجلّ وعدني في أربعة في أبي وأمي وعمّي وأخ كان لي في الجاهليّة .

أخرج ابن الجوزي بإسناده عن عليّ عليه السلام مرفوعاً : هبط جبرائيل عليه السلام عليّ فقال : إنّ الله يقرئك السّلام ويقول : حرمت النار على صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك ، أمّا الصّلب فعبد الله ، وأمّا البطن فآمنة ، وأمّا الحجر فعمّه يعني أبا طالب وفاطمة بنت أسد . التعظيم والمنة للحافظ السيوطي ص ٢٥ .

وفي شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١١ قال رسول الله عليه السلام : قال لي جبرائيل : إنّ الله مشفّعك في ستّة : بطن حملتك آمنة بنت وهب . وصلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب . وحجر كفلك أبو طالب . وبيت آواك عبد المطلب . وأخ كان لك في الجاهليّة . الخ .

رثاء أمير المؤمنين والده العظيم :

ذكر سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ٦ أن عليّاً عليه السلام قال في رثاء أبي طالب :

أبا طالب عصمة المستجير	وغيث المحول ونور الظلم
لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ	فصلّى عليك وليّ النعم
ولقّاك ربك رضوانه	فقد كنت للطهر من خير عم

هذه الأبيات توجد في ديوان أبي طالب أيضاً ص ٣٦ ، وذكرها أبو علي الموضح كما في كتاب الحجّة ص ٢٤ للسيد فخار بن معد المتوفى سنة ٦٣٠ ، وقال ابن أبي الحديد : قال أيضاً :

أرقت لطيّر آخر الليل غرداً	يذكّرني شجواً عظيماً مجدداً
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى	جواداً إذا ما أصدر الأمر أورداً
فأمسّت قریش يفرحون بموته	ولست أرى حبّاً يكون مخلداً

أرادوا أمورا زينتها حلومهم
يُرجون تكذيب النبي وقتله
كذبتهم وبيت الله حتى نذيقكم
فإمّا تبيدونا وإمّا نبيدكم
والأفان الحيّ دون محمّد
ستوردهم يوماً من الغيّ مورداً
وأن يفتري قدماً عليه ويجحدوا
صدور العوالي والحسام المهندا
وإمّا تروا سلم العشيرة أرشداً
بني هاشم خير البريّة محتداً

هذه الأبيات توجد في الديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام مع
تغيير يسير وزيادة وإليك نصّها :

أرقت لنوح آخر الليل غرّداً
أباطال ماوى الصعاليك ذا الندى
أخا الملك خلّى ثلثة سيسدها
فأمت قريش يفرحون بفقده
أرادت أمورا زينتها حلومهم
يُرجون تكذيب النبي وقتله
كذبتهم وبيت الله حتى نذيقكم
ويبدو منّا منظر ذو كريهة
فإمّا تبيدونا وإمّا نبيدكم
والأفان الحيّ دون محمّد
وإنّ له فيكم من الله ناصراً
نبيّ أتى من كلّ وحي بحظه
أغرّ كضوء البدر صورة وجهه
أمين على ما استودع الله قلبه
يُذكرني شجواً عظيماً مجدداً
وذا الحلم لا خلفاً ولم يك قعدداً
بنو هاشم أويستباح فيهمدا
ولست أرى حيّاً لشيء مغلداً
ستوردهم يوماً من الغيّ مورداً
وأن يفتروا بهتاً عليه ويجحدوا
صدور العوالي والصفيح المهندا
إذا ما تسربلنا الحديد المسردا
وإمّا تروا سلم العشيرة أرشداً
بنو هاشم خير البريّة محتداً
ولست بلاقٍ صاحب الله أوحداً
فسمّاه ربّي في الكتاب محمّداً
جلا الغيم عنه ضوءه فتوقّداً
وإن كان قولاً كان فيه مسدداً

كلمة الإمام السجّاد :

قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١٢ : روي أن علي بن
الحسين عليه السلام سئل عن هذا - يعني عن إيمان أبي طالب - فقال : وأعجبا إن الله
تعالى نهى رسوله أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من

السَّابِقَاتِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَلَمْ تَزَلْ تَحْتَ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى مَاتَ .

كلمة الإمام الباقر :

سُئِلَ عليه السلام عَمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ فَقَالَ : لَوْ وَضَعَ إِيْمَانُ أَبِي طَالِبٍ فِي كِفَّةٍ مِيزَانِ وَإِيْمَانُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى لَرَجَحَ إِيْمَانُهُ ثُمَّ قَالَ : أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عليه السلام كَانَ يُؤْمَرُ أَنْ يَحْجَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنِهِ وَأَبِي طَالِبٍ فِي حَيَاتِهِ ثُمَّ أَوْصَى فِي وَصِيَّتِهِ بِالْحَجِّ عَنْهُمْ ؟ .
[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١١]

كلمة الإمام الصادق :

رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ : إِنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ أَسْرُوا الْإِيْمَانَ وَأَظْهَرُوا الْكُفْرَ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ وَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ أَسْرَ الْإِيْمَانَ وَأَظْهَرَ الشُّرْكَ فَأَتَاهُ اللَّهُ أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ .

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣١٢]

قَالَ الْأَمِينِي : هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ثِقَةُ الْإِسْلَامِ الْكَلِينِي فِي أُصُولِ الْكَافِي ص ٢٤٤ عَنْ الْإِمَامِ الصَّادِقِ غَيْرِ مَرْفُوعٍ وَلَفْظُهُ : إِنَّ مِثْلَ أَبِي طَالِبٍ مِثْلُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَسْرُوا الْإِيْمَانَ وَأَظْهَرُوا الشُّرْكَ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ .

وَبَلَفَظَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ذَكَرَهُ السَّيِّدُ ابْنُ مَعْدٍ فِي كِتَابِهِ (الْحَجَّةُ) ص ١٧ مِنْ طَرِيقِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَالَكِيِّ وَزَادَ فِيهِ : وَمَا خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى أَتَتْهُ الْبَشَارَةُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِالْجَنَّةِ .

كلمة الإمام الرضا :

كُتِبَ أَبَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام : جَعَلْتَ فِدَاكَ إِنِّي قَدْ شَكَّكَتُ فِي إِسْلَامِ أَبِي طَالِبٍ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . الْآيَةُ . وَبَعْدَهَا إِنَّكَ إِنْ لَمْ تَقْرَأْ بِإِيْمَانِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ مَصِيرُكَ إِلَى النَّارِ .

قصارى القول في سيد الأبطح عند القوم

إنَّ كلاً من هذه العقود الذهبية بمفرده كافٍ في إثبات الغرض فكيف بمجموعها ومن المقطوع به أنَّ الأئمة من ولد أبي طالب عليه السلام أبصر الناس بحال أبيهم ، وأنهم لم ينوَّهوا إلَّا بمحض الحقيقة ، فإنَّ العصمة فيهم رادعة عن غير ذلك ، ولقد أجاد مفتي الشافعية بمكة المكرمة في (أسنى المطالب) حيث قال في ص ٣٣ :

هذا المسلك الذي سلكه العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في نجاة أبي طالب لم يسبقه إليه أحدٌ فجراه الله أفضل الجزاء ، وسلكه هذا الذي سلكه يرتضيه كلُّ من كان متصفاً بالإنصاف من أهل الإيمان ، لأنَّه ليس فيه إبطال شيء من النصوص ولا تضعيف لها ، وغاية ما فيه أنَّ حملها على معانٍ مستحسنة يزول بها الإشكال ويرتفع الجدل ، ويحصل بذلك قرّة عين النبي ﷺ ، والسّلامة من الوقوع في تنقيص أبي طالب أو بغضه ، فإنَّ ذلك يؤذي النبي ﷺ وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ . وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

وقد ذكر الإمام أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في شرحه على الكتاب المسمّى بشهاب الأخبار للعلامة محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ : إنَّ بغض أبي طالب كفرٌ . ونصَّ على ذلك أيضاً من أئمة المالكية العلامة عليّ الأجهوري في فتاويه ، والتلمساني في حاشيته على الشفاء فقال عند ذكر أبي طالب : لا ينبغي أن يذكر إلَّا بحماية النبي ﷺ لأنَّه حماه ونصره بقوله وفعله ، وفي ذكره بمكروه أذية للنبي ﷺ ومؤذي النبي ﷺ كافر ، والكافر يقتل ، وقال أبو طاهر : من أبغض أبا طالب فهو كافرٌ .

ومما يؤيد هذا التحقيق الذي حقّقه العلامة البرزنجي في نجاة أبي طالب أنَّ كثيراً من العلماء المحققين وكثيراً من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة أبي طالب منهم : القرطبي والسبكي والشعراني وخلاتق كثيرون وقالوا : هذا الذي

نعتقده وندين الله به ، وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذي سلكه البرزنجي ، فقد اتَّفَق معهم على القول بنجاته ، فقول هؤلاء الأئمة بنجاته أسلم للعبد عند الله تعالى لا سيما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التي أثبتتها العلامة البرزنجي . اهـ .

وذكر السيّد زيني دحلان في أسنى المطالب ص ٤٣ قال : وَلِلَّهِ دَرّ القائل :

قفابمطلع سعد عزّ ناديه وأمليا شرح شوقي في مغانيه
واستقبلا مطلع الأنوار في أفق الـ حجون واحترسا أن تبهرافيه
مغنى به وابل الرضوان منهمرٌ ونائرات الهدى دلت مناديه
قفافذا بلبل الأفراح من طربٍ يروي بديع المعاني في أماليه
واستمليا لأحاديث العجائب عن بحر هناك بديع في معانيه
حامي الذمار مجير الجار من كرمِ منه السجيا فلم يفخر مباريه
عمّ النبيّ الذي لم يثنه حسد عن نصره فتغالى في مرضيه
هو الذي لم يزل حصناً لحضرته موفّقاً لرسول الله يحميه
وكلّ خير ترجّاه النبيّ له وهو الذي قطّ ما خابت أمانيه
فيا مَنْ أمّ العلى في الخالدات غدا أغثٍ لِلْهفّانه واسعف مناديه
قد خصّك الله بالمختار تكلّؤه وتستعزّبه فخراً وتطريه
عنيت بالحبّ في طه ففزت به ومن ينل حبّ طه فهو يكفيه
كم شمت آيات صدق يستضاء بها وتملأ القلب إيماناً وترويه ؟
من الذي فاز في الماضين أجمعهم بمثل ما فزت من طه وباريه ؟
كفلت خير السورى في يتمه شغفأ وبتّ بالروح والأبناء تفدييه
عضدته حين عادته عشيرته وكنت حائطه من بغي شانيه
نصرت مَنْ لم يشمّ الكون رائحة الـ وجود لو لم يقدر كونه فيه
إنّ الذي قمت في تأييد شوكته هو الذي لم يكن شيء يساويه
إنّ الذي أنت قد أحبت طلعتة حبيب مَنْ كلّ شيء في أياديه
لله درك من قنّاص فرصته مذ شمت برق الأماني من نواحيه
يهنيك فوزك أن قدّمت منك يداً إلى مليّ وفيّ في جوازيه

من يسد أحسن معروف لأحسن من
ومن سعى لسعيد في مطالبه
فيا سعيد المساعي في متاجره
مستطراً منك وزن الخير معترفاً
ثم قال : في ص ٤٤ وقيل أيضاً :

إن القلوب لتبكي حين تسمع ما
فإن يكن أجمع الأعلام أن له
أمّا إذا اختلفوا فالرأي أن تردا
تتابع المثبتى الإيمان من زمر
وهم عدول خيار في مقاصدهم
لا تذريهم أتدري من هم فهم
هم السيوطي والسبكي مع نفر^(٣)
وأهل كشف وشعرانيهم وكذا

أبدى أبوطالب في حق من عظم
ناراً لله كل الكون يفعل ما^(١)
موارد أيرتضيها عقل من سلما
في معظم الدين تابعتهم فكما^(٢)
فلا نقل : إنهم لن يبلغوا عظم
هم عرى الدين قد أضحوا به زعما
كعدة النقا حفظ أهل حما
القرطبي والسحيمي الجميع كما^(٤)

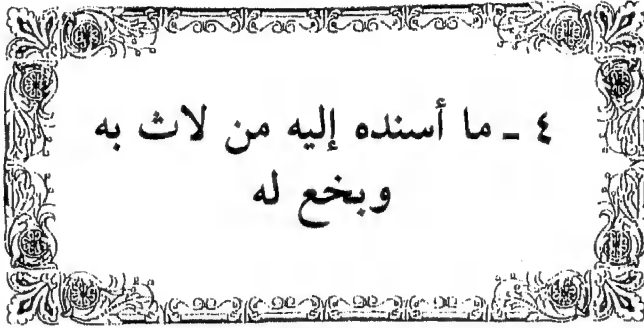
(١) أي يفعل ما يشاء .

(٢) أي كما تابعتهم في معظم الدين نتابعهم في هذا .

(٣) للسيوطي كتاب (بغية الطالب لإيمان أبي طالب وحسن خاتمته) توجد نسخته في مكتبة «قوله» بمصر ضمن مجموعة رقم ١٦ ، وهي بخط السيد محمود فرغ من الكتابة سنة ١١٠٥ .

راجع الذريعة لشيخنا الطهراني ج ٢ ص ٥١١ .

(٤) أي كما ترى في الوثيقة .



٤ - ما أسنده إليه من لا ث به وبخع له

هؤلاء شيعة أهل البيت عليهم السلام لا يشكُّ أحدٌ منهم في إيمان أبي طالب عليه السلام ويروونه في أسمى مراقبه وعلى صهوته العليا آخذين ذلك يداً عن يد حتى ينتهي الدور إلى الصحابة منهم والتابعين لهم بإحسان، ومذعنين في ذلك بنصوص أئمتهم عليهم السلام بعدما ثبت عن جدّهم الأقدس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال المعلّم الأكبر شيخنا المفيد في (أوائل المقالات) ص ٤٥ : إتَّفقت الإماميّة على أن آباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم إلى عبد الله مؤمنون بالله عزّ وجلّ موحدون (إلى أن قال) : وأجمعوا على أن أبا طالب مات مؤمناً ، وأنّ أمنة بنت وهب كانت على التوحيد . الخ . وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في التبيان ج ٢ ص ٣٩٨ : عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهم السلام أن أبا طالب كان مسلماً ، وعليه إجماع الإماميّة لا يختلفون فيه ، ولها على ذلك أدلّة قاطعة موجبة للعلم .

وقال شيخنا الطبرسي في مجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٧ : قد ثبت إجماع أهل البيت على إيمان أبي طالب وإجماعهم حجّة لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهما بقوله : إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا .

وقال سيّدنا ابن معد الفخار : لقد يكفيننا من الاستدلال على إيمان أبي طالب عليه السلام إجماع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وعليهم أجمعين وعلماء شيعتهم

على إسلامه وأتفاهم على إيمانه ، ولو لم يرد عنه من الأفعال التي لا يفعلها إلا المؤمنون ، والأقوال التي لا يقولها إلا المسلمون ، ما يشهد له بصحة الإسلام وتحقيق الإيمان ، إذ كان إجماعهم حجة يعتمد عليها ودلالة يصمد إليها . كتاب الحجة ص ١٣ .

وقال شيخنا الفتال في روضة الواعظين ص ١٢٠ : أعلم أن الطائفة المحقة قد أجمعت على أن أبا طالب . وعبد الله بن المطلب ، وأمنة بنت وهب ، كانوا مؤمنين وإجماعهم حجة .

وقال سيدنا الحجة ابن طاوس في الطرائف ص ٨٤ : إنني وجدت علماء العترة مجمعين على إيمان أبي طالب . وقال في ص ٨٧ : لا ريب أن العترة أعرف بباطن أبي طالب من الأجانب ، وشيعة أهل البيت مجمعون على ذلك ، ولهم فيه مصنفات وما رأينا وما سمعنا أن مسلماً أحوجه ما أحوجهم في إيمان أبي طالب ، والذي نعرفه منهم أنهم يشتون إيمان الكافر بأدنى خبر واحد وبالتلويح ، وقد بلغت عداوتهم لبني هاشم إلى إنكار إيمان أبي طالب مع ثبوت ذلك بالحجج الثواقب إن هذا من جملة العجائب .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣١١ : إختلف الناس في أبي طالب فقالت الإمامية وأكثر الزيدية : ما مات إلا مسلماً ، وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك منهم الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الإسكافي وغيرهما .

وقال العلامة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٩ : قد أجمعت الشيعة على إسلامه وأنه قد آمن بالنبي ﷺ في أول الأمر ولم يعبد صنماً قط بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام واشتهر إسلامه من مذهب الشيعة حتى أن المخالفين كلهم نسبوا ذلك إليهم وتواترت الأخبار من طرق الخاصة والعامة في ذلك ، وصنف كثير من علمائنا ومحدثينا كتاباً مفرداً^(١) في ذلك كما لا يخفى على من تتبّع كتب الرجال .

(١) ستوافيك عدة ممن أفرد التأليف في إيمان أبي طالب عليه السلام .

ومستند هذه الإجماعات إنما هو ما جاء به رجالات بيت الوحي في سيد الأبطح وإليك أربعون حديثاً :

١ - أخرج شيخنا أبو علي الفتال وغيره عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : نزل جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا محمد ! إن ربك يقرئك السلام ويقول : إني قد حرمت النار على صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك . فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب ، والبطن الذي حملك آمنة بنت وهب . وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب . وزاد في رواية : وفاطمة بنت أسد (١) .

[روضة الواعظين ص ١٢١]

راجع الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ٢٤٢ ، معاني الأخبار للصدوق ، كتاب الحجّة للسيد فخار بن معد ص ٨ ، ورواه شيخنا المفسر الكبير أبو الفتوح الرازي في تفسيره ج ٤ ص ٢١٠ ولفظه : إن الله عز وجل حرّم على النار صلباً أنزلك ، وبطناً حملك ، وثدياً أرضعك ، وحجراً كفلك .

٢ - عن أمير المؤمنين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هبط عليّ جبرائيل فقال لي : يا محمد إن الله عز وجل مشفعك في ستة : بطن حملك آمنة بنت وهب . وصلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب . وحجر كفلك أبو طالب . وبيت أهلك عبد المطلب وأخ كان لك في الجاهليّة . وثدي أرضعك حليلة بنت أبي ذؤيب .

رواه السيد فخار بن معد في كتاب الحجّة ص ٨ .

٣ - روى شيخنا المعلم الأكبر الشيخ المفيد بإسناد يرفعه قال : لما مات أبو طالب أتى أمير المؤمنين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذنه بموته فتوجّع توجّعاً عظيماً وحزن حزناً شديداً ثم قال لأمر المؤمنين عليه السلام : إمض يا عليّ فتولّ أمره ، وتولّ غسله وتحنيطه وتكفينه ، فإذا رفعته على سريريه فأعلمني . ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فلما رفعه على السرير اعترضه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرّق وتحزّن وقال : وصلتكم رحم

(١) راجع ما أسلفناه ص ٤٢٠ .

وحزيت خيراً يا عمّ ! فلقد ربّيت وكفّلت صغيراً ، ونصرت وآزرت كبيراً ، ثمّ أقبل على الناس وقال : أمّ والله لأشفعنّ لعمّي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين .

وفي لفظ شيخنا الصدوق : يا عمّ كفّلت يتيماً ، وربّيت صغيراً ، ونصرت كبيراً فجزاك الله عني خيراً^(١) .

راجع تفسير علي بن إبراهيم ص ٣٥٥ ، أمالي ابن بابويه الصدوق ، الفصول المختارة لسيدنا الشريف المرتضى ص ٨٠ ، الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب ص ٦٧ ، بحار الأنوار ج ٩ ص ١٥ ، الدرجات الرفيعة لسيدنا الشيرازي ، ضياء العالمين .

٤ - عن العباس بن المطلب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ فقال : ما ترجو لأبي طالب ؟ فقال : كلّ الخير أرجو من ربّي عزّ وجلّ .

كتاب الحجّة ص ١٥ ، الدرجات الرفيعة . راجع ما أسلفناه ص ٤١٥ .

٥ - عن رسول الله ﷺ أنه قال لعقيل بن أبي طالب : أنا احبُّك يا عقيل حبين : حبّاً لك وحبّاً لأبي طالب لأنّه كان يحبُّك^(٢) .

علل الشرائع لشيخنا الصدوق ، الحجّة ص ٣٤ ، بحار الأنوار ج ٩ ص ١٦ .

٦ - عن رسول الله ﷺ قال : لو قمت المقام المحمود لشفعت في أبي وأمي وعمّي وأخ لي مواخياً في الجاهليّة . تفسير علي بن إبراهيم ص ٣٥٥ ، ٤٩٠ ، تفسير البرهان ج ٣ ص ٧٩٤ . راجع ما أسلفناه في صفحة ٤٢٠ .

٧ - عن الإمام السبط الحسين بن عليّ عن والده أمير المؤمنين أنّه كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجلٌ فقال له : يا أمير المؤمنين ! إنَّك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذبٌ في النار فقال له : مه فضّ الله فاك ، والذي بعث محمداً بالحقّ نبياً لو شفع أبي في كلّ مذهب على وجه الأرض لشفعه الله ، أباي

(١) راجع ما مرّ في صفحة ٤١٥ .

(٢) راجع ما أسلفناه ص ٤١٨ .

معذبٌ في النار وابنه قسيم الجنة والنار؟ والذي بعث محمّداً بالحقّ إنّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلائق إلّا خمسة أنوار : نور محمّد ونور فاطمة ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمة ، ألا إنّ نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام .

المناقب المائة للشيخ أبي الحسن ابن شاذان^(١) كنز الفوائد للكراجكي ص ٨٠ أمالي ابن الشيخ ص ١٩٢ ، احتجاج الطبرسي كما في البحار ، تفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١١ ، الحجّة ص ١٥ ، الدرجات الرفيعة ، بحار الأنوار ج ٩ ص ١٥ ، ضياء العالمين ، تفسير البرهان ج ٣ ص ٧٩٤ .

٨ - عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : والله ما عبّد أبي ولا جدّي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطّ . قيل له : فما كانوا يعبدون ؟ قال : كانوا يُصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسّكين به .

رواه شيخنا الصدوق بإسناده في كمال الدين ص ١٠٤ ، والشيخ أبو الفتوح في تفسيره ج ٤ ص ٢١٠ ، والسيد في البرهان ج ٣ ص ٧٩٥ .

٩ - عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : قال عليّ عليه السلام إنّ أبي حين حضره الموت شهده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرني عنه بشيء خير لي من الدنيا وما فيها .

رواه بإسناده السيّد فخار بن معد في كتاب الحجّة ص ٢٣ ، وذكره الفتوني في ضياء العالمين .

١٠ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : ما مات أبو طالب حتّى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه الرضا . تفسير علي بن إبراهيم ص ٣٥٥ ، كتاب الحجّة ص ٢٣ ، الدرجات الرفيعة ، ضياء العالمين .

١١ - عن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين أنّه قال : كان والله أبو طالب بن

(١) محمد بن أحمد القمي الفامي أحد مشايخ شيخ الطائفة الطوسي والكراجكي ، والكتاب مخطوط موجود عندنا .

عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتُم إيمانه مخافةً على بني هاشم أن تنابذها قريش .

قال أبو علي الموضح : ولأُمير المؤمنين في أبيه يرثيه :

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم
لقد هُذِّفَ ففقدك أهل الحفاظ فصلَّى عليك وليُّ النعم
ولقَّاكَ ربُّكَ رضوانه فقد كنت للمصطفى خير عم^(١)

[كتاب الحجَّة ص ٢٤]

١٢ - عن الأصمغ بن نباته قال : سمعت أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يقول : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً وكانوا يسمونها الفهيرة ويدبحونها على النصب فلم يسلم عليهم فلمَّا انتهى إلى دار الندوة قالوا : يمرُّ بنا يتيم أبي طالب فلا يسلم علينا فأَيُّكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه ؟ فقال عبد الله بن الزبعرى السهمي : أنا أفعل ؛ فأخذ الفرث والدم فانتهى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجد فملاً به ثيابه ومظاهره فانصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتَّى أتى عمّه أبا طالب فقال : يا عم من أنا ؟ فقال : ولم يا بن أخي ؟ فقصَّ عليه القصَّة فقال : وأين تركتهم ؟ فقال : بالأبطح فنأدى في قومه : يا آل عبد المطلب ! يا آل هاشم ! يا آل عبد مناف ! فأقبلوا إليه من كلِّ مكان ملبَّين فقال : كم أنتم ؟ قالوا : نحن أربعون قال : خذوا سلاحكم . فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتَّى انتهى إلى أولئك النفر فلمَّا رأوه أرادوا أن يتفرَّقوا فقال لهم : وربَّ هذه البنيَّة لا يقومَنَّ منكم أحدٌ إلَّا جلَّلتَه بالسيف . ثمَّ أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتَّى قطعها ثلاثة أفهار^(٢) ثمَّ قال : يا محمَّد ! سألتني من أنت ؟ ثمَّ أنشأ يقول ويومي بيده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

أنت النبيُّ محمَّدُ قرمُّ أغرَّ مسوَّد

إلى آخر ما مرَّ في ص ٣٧٦ ثمَّ قال : يا محمَّد ! أيُّهم الفاعل بك ؟ فأشار

(١) راجع ما أسلفناه ص ٤١٨ .

(٢) ثلاثة أفهار : ثلاث قطع كل منها تملأ الكف .

النبي ﷺ إلى عبد الله بن الزبير السهمي الشاعر فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها ثم أمر بالفرث والدم فأمر على رؤوس الملاء كلهم ثم قال : يا ابن أخ أَرْضِيَتْ ؟ ثم قال : سألتني من أنت ؟ أنت محمد بن عبد الله ثم نسبته إلى آدم ﷺ ثم قال : أنت والله أشرفهم حسباً ، وأرفعهم منصباً ، يا معشر قريش ! من شاء منكم يتحرك فليفعل ؛ أنا الذي تعرفوني (١) .

رواه السيد ابن معد في الحجة ص ١٠٦ ، وذكر لدة هذه القضية الصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ١٢٢ وفي طبع ص ٩١ ، وابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ج ٢ ص ٣ نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبي .

١٣ - ذكر ابن فياض في كتابه شرح الأخبار : إن علياً ﷺ قال في حديث له : إنَّ أبا طالب هجم عليّ وعلى النبي ﷺ ونحن ساجدان فقال : أفعلتماها ؟ ثم أخذ بيدي فقال : أنظر كيف تنصره ، وجعل يرغبني في ذلك ويحضني عليه . الحديث .

راجع ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف الفتوني .

١٤ - روي أنَّ أمير المؤمنين ﷺ قيل له : من كان آخر الأوصياء قبل النبي ﷺ ؟ فقال : أبي .

[ضياء العالمين للفتوني]

١٥ - عن الإمام السَّجاد زين العابدين عليّ بن الحسين بن علي ﷺ أنه سُئِلَ عن أبي طالب أكان مؤمناً ؟ فقال ﷺ : نعم . فقليل له : إنَّ ههنا قوماً يزعمون أنه كافر . فقال ﷺ : واعجباً كلُّ العجب أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله ﷺ ؟ وقد نهاه الله تعالى أن يقرَّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن ولا يشكَّ أحدٌ أنَّ فاطمة بنت أسد رضي الله تعالى عنها من المؤمنات السابقات ، فإنَّها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه .

(١) راجع ما أسلفنا ص ٤٠٠ ، ويأتي في الجزء الثامن في الآيات ما يؤيد هذه القصة .

راجع ما مرّ ص ٤٢٢ ، وكتاب الحجّة ص ٢٤ ، والدرجات الرفيعة ؛ ضياء العالمين فقال : قيل إنها متواترة عندنا .

١٦ - عن أبي بصير ليث المرادي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : سيّدي إنّ الناس يقولون : إنّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه . فقال عليه السلام : كذبوا والله إنّ إيمان أبي طالب لو وضع في كفة الميزان وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم . إلى آخر ما مرّ ص ٤٢٢ ، رواه السيّد في كتاب الحجّة ص ١٨ من طريق شيخ الطائفة عن الصدوق ، والسيّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة ، والفتوني في ضياء العالمين .

وروى السيّد ابن معد في كتاب الحجّة ص ٢٧ من طريق آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال : مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً . الخ .

١٧ - عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام قال : إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشّرك فأتاهم الله أجراً مرتّين .

راجع الكافي لثقة الإسلام الكليني ص ٢٤٤ ، أمالي الصدوق ص ٣٦٦ ، روضة الواعظين ص ١٢١ ، كتاب الحجّة ص ١١٥ ، وفي ص ١٧ ولفظه من طريق الحسين بن أحمد المالكي :

قال عبد الرّحمن بن كثير : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّ الناس يزعمون أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار : فقال : كذبوا ، ما بهذا نزل جبرائيل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، قلت : وبم نزل ؟ قال : أتى جبرائيل في بعض ما كان عليه فقال : يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السّلام ويقول لك : إنّ أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشّرك فأتاهم الله أجراً مرتّين ، وإنّ أبا طالب أسّر الإيمان وأظهر الشّرك فأتاه الله أجره مرتّين ، وما خرج من الدنيا حتّى أتته البشارة من الله تعالى بالجنّة ، ثمّ قال : كيف يصفونه بهذا ؟ وقد نزل جبرائيل ليلة مات أبو طالب فقال : يا محمّد أخرج من مكّة فما لك بها ناصراً بعد أبي طالب .

وذكره العلامة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٤ ، والسيّد في الدرجات

الرفيعة ، والفتوني في ضياء العالمين ، وروى شيخنا أبو الفتوح الرازي هذا الحديث في تفسيره ج ٤ ص ٢١٢ .

١٨ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ج ١ ص ٢٤٤ بالإسناد عن إسحاق بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال : قيل له : إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً ، فقال : كذبوا ، كيف وهو يقول :

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطاً في أول الكتب ؟
وذكره غير واحد من أئمة الحديث في تأليفهم رضوان الله عليهم أجمعين .

١٩ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي ج ١ ص ٢٤٤ عن الإمام الصادق قال : كيف يكون أبو طالب كافراً وهو يقول ؟ :

لقد علموا أن ابننا لا مكذبٌ لدينا ولا يعاب بقليل الأباطل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وذكره السيد في البرهان ج ٣ ص ٧٩٥ ، وكذلك غير واحد من أعلام الطائفة أخذاً عن الكليني .

٢٠ - روى شيخنا أبو علي الفتال في روضة الواعظين ص ١٢١ عن الإمام الصادق عليه السلام قال : لما حضر أبا طالب رضي الله عنه الوفاة جمع وجوه قریش فأوصاهم فقال : يا معشر قریش ! أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، وأنتم خزنة الله في أرضه وأهل حرمه ، فيكم السيد المطاع ، الطويل الذراع ، وفيكم المقدم الشجاع ، الواسع الباع ، إعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المفاجر نصيباً إلا حزنتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلكم على الناس بذلك الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب إلى آخر ما مر في ص ٤٠٧ من مواقف سيدنا أبي طالب المشكورة المروية من طرق أهل السنة ، وذكر هذه الوصية شيخنا العلامة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٣ .

٢١ - حدث شيخنا أبو جعفر الصدوق في إكمال الدين ص ١٠٣ بالإسناد عن محمد بن مروان عن الإمام الصادق عليه السلام : إن أبا طالب أظهر الكفر وأسرى الإيمان

فلَمَّا حضرته الوفاة أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى رسول الله ﷺ : أخرج منها فليس لك بها ناصر . فهاجر إلى المدينة .

وذكره سيّدنا الشريف المرتضى في الفصول المختارة ص ٨٠ فقال : هذا يبرهن عن إيمانه لتحقيقه بنصرة رسول الله ﷺ وتقوية أمره .

وذيل الحديث رواه السيّد الحجّة ابن معد في كتابه «الحجّة» ص ٣٠ وقال في ص ١٠٣ : لَمَّا قبض أبو طالب اتَّفَق المسلمون على أن جبرائيل عليه السلام نزل على النبي ﷺ وقال له : ربُّك يقرئك السّلام ويقول لك : إن قومك قد عولوا على أن يُبيّتوك وقد مات ناصرُك فاخرج عنهم وأمره بالمهاجرة . فتأمل إضافة الله تعالى أبا طالب رحمه الله إلى النبي ﷺ وشهادته له أنه ناصره ، فإن في ذلك لأبي طالب أوفى فخر وأعظم منزلة وقريش رضيت من أبي طالب بكونه مخالطاً لهم مع ما سمعوا من شعره وتوجيهه وتصديقه للنبي ﷺ ولم يمكنهم قتله والمنابذة له لأنّ قومه من بني هاشم وإخوانهم من بني المطلب بن عبد مناف وأحلافهم ومواليهم وأتباعهم ، كافرهم ومؤمنهم كانوا معه ، ولو كان نابذ قومه لكانوا عليه كافّة ، ولذلك قال أبو لهب لَمَّا سمع قریشاً يتحدّثون في شأنه ويفيضون في أمره : دعوا عنكم هذا الشيخ فإنّه مغمّ بابن أخيه ، والله لا يُقتل محمّد حتّى يُقتل أبوطالب ، ولا يقتل أبوطالب حتّى تُقتل بنو هاشم كافّة ، ولا تُقتل بنو هاشم حتّى تُقتل بنو عبد مناف ، ولا تقتل بنو عبد مناف حتّى تُقتل أهل البطحاء ؛ فامسكوا عنه وإلّا ملنا معه فخاف القوم أن يفعل فكفّوا ، فلَمَّا بلغت أبا طالب مقالته طمع في نصرته فقال يستعطفه ويرقّقه :

عجبت لحلم يابن شيبة حادث وأحلام أقوام لديك ضعاف

إلى آخر أبيات ذكرها ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٣٠٧ مع زيادة خمسة أبيات لم يذكرها السيّد في الحجّة . وذكرها ابن الشجري في حماسته ص ١٦ .

فقال السيّد : فلَمَّا أبطأ عنه ما أراد منه قال يستعطفه أيضاً :

وإنّ امرأ من قومه أبو معتب^(١) لفي منعة من أن يسام المظالم

(١) يعني به أبا لهب .

أقول له وأين منه نصيحتي : أبا معتب ثبت سوادك قائماً

إلى أبيات خمسة . وقد ذكرها ابن هشام في سيرته ج ١ ص ٣٩٤ مع زيادة أربعة أبيات غير أن البيت الأول فيه :

وإنَّ امرأً أبو عُتَيْبَةٍ عُمُه لفي روضة ما إن يُسام المظالما

وذكرها ابن أبي الحديد في الشرح ج ٣ ص ٣٠٧ ، وابن كثير في تاريخه ج ٣ ص ٩٣ .

٢٢ - عن يونس بن نباتة عن الإمام الصادق عليه السلام قال : يا يونس ! ما يقول الناس في أبي طالب ؟ قلت : جعلت فداك يقولون : هو في ضحضاح من نار يغلي منها أم رأسه فقال : كذب أعداء الله ، إنَّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

كنز الفوائد لشيخنا الكراجكي ص ٨٠ ، كتاب الحجّة ص ١٧ ، ضياء العالمين .

٢٣ - روى الشريف الحجّة ابن معد في كتاب الحجّة ص ٢٢ من طريق شيخنا أبي جعفر الصّدوق عن داود الرقي قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ولي على رجل دين وقد خفت نواه فشكوت ذلك إليه فقال عليه السلام : إذا مررت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصلّ عنه ركعتين ، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين ، وطف عن عبد الله طوافاً وصلّ عنه ركعتين ، وطف عن آمنة طوافاً وصلّ عنها ركعتين ، وعن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلّ عنها ركعتين . ثم ادع الله عزّ وجلّ أن يرّد عليك مالك . قال : ففعلت ذلك ثمّ خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول : يا داود ! جئني هناك فاقض حقّك .

وذكره العلامة المجلسي في البحار ج ٩ ص ٢٤ .

٢٤ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص ٢٤٤ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال : بينا النبي صلّى الله عليه وآله وسلم في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد فألقى المشركون عليه سلاً^(١)

(١) السلا : الجلدة التي يكون فيها الولد .

ناقة فملأوا ثيابه بها فدخله من ذلك ما شاء الله فذهب إلى أبي طالب فقال له : يا عم ! كيف ترى حسبي فيكم ؟ فقال له : وما ذاك يا بن أخي ؟ فأخبره الخبر فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة : خذ السلا ثم توجّه إلى القوم والنبي ﷺ معه فأتى قريشاً وهم حول الكعبة ، فلما رأوه عرفوا الشرّ في وجهه ثم قال لحمزة : أمر السلا على أسبلتهم^(١) ففعل ذلك حتّى أتى على آخرهم ثم التفت أبو طالب إلى النبي فقال : يا بن أخي هذا حسبك فينا .

وذكره جمع من الأعلام وأئمة الحديث في تأليفهم .

٢٥ - أخرج أبو الفرج الأصبهاني بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروي شعر أبي طالب عليه السلام وأن يدوّن وقال : تعلّموه وعلموه أولادكم فإنّه كان على دين الله وفيه علم كثير .

كتاب الحجّة ص ٢٥ ، بحار الأنوار ج ٩ ص ٢٤ ، ضياء العالمين للفتوني .

٢٦ - روى شيخنا الصدوق في أماليه ص ٣٠٤ بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام قال : أوّل جماعة كانت أن رسول الله ﷺ كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب معه إذ مرّ أبو طالب به وجعفر معه قال : يا بني صلّ جناح ابن عمك فلما أحسّه رسول الله تقدّمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول :

إِنَّ عَلِيًّا وَجَعْفَرًا ثَقَتِي عِنْدَ مَلَمِّ الزَّمَانِ وَالْكَرْبِ

إلى آخر أبيات مرّت صحيفة ٣٩٧ وتأتي في ص ٤٤٠ ، والحديث رواه الشيخ أبو الفتوح في تفسيره ج ٤ ص ٢١١ .

٢٧ - أخرج ثقة الإسلام الكليني في الكافي ص ٢٤٢ بإسناده عن درست بن أبي منصور أنّه سأل أبا الحسن الأوّل - الإمام الكاظم - عليه السلام : أكان رسول الله ﷺ محجوجاً بأبي طالب ؟ فقال : لا . ولكنّه كان مستودعاً للوصية فدفعها إليه فقال : قلت : فدفع إليه الوصية على أنّه محجوجٌ به ؟ فقال : لو كان محجوجاً به ما

(١) وفي بعض النسخ . سبّاهم جمع السبلة : مقدمة اللحية . وما على الشارب من الشعر .

دفع إليه الوصية قال : قلت : فما كان حال أبي طالب ؟ قال : أقرّ بالنبيّ وبما جاء به ودفع إليه الوصية ومات من يومه .

قال الأميني : هذه مرتبة فوق مرتبة الإيمان فإنّها مشفوعة بما سبق عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تثبت لأبي طالب مرتبة الوصاية والحجّة في وقته فضلاً عن بسيط الإيمان ، وقد بلغ ذلك من الثبوت إلى حدّ ظنّ السائل أنّ النبيّ ﷺ كان محجوجاً به قبل بعثته ، فنفى الإمام عليه السلام ذلك ، وأثبت ما ثبت له من الوصاية وأنّه كان خاضعاً بالإبراهيميّة ، ثمّ رضخ للمحمديّة البيضاء ، فسلم الوصية للصادق بها ، وقد سبق إيمانه بالولاية العلويّة الناهض بها ولده البارّ صلوات الله وسلامه عليه .

٢٨ - أخرج شيخنا أبو الفتح الكراجكي ص ٨٠ بإسناده عن أبان بن محمّد قال كتبت إلى الإمام الرضا عليّ بن موسى الرضا عليه السلام : جعلت فداك . إلى آخر ما مرّ في ص ٤٢٣ .

وذكره السيّد في كتاب الحجّة ص ١٦ ، والسيّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة ، والعلامة المجلسي في بحار الأنوار ص ٣٣ ، وشيخنا الفتوني في ضياء العالمين .

٢٩ - روى شيخنا المفسّر الكبير أبو الفتوح في تفسيره ج ٤ ص ٢١١ عن الإمام الرضا سلام الله عليه وقال روى عن آبائه بعدّة طرق : إنّ نقش خاتم أبي طالب عليه السلام كان :

رضيت بالله ربّاً ، وبابن أخي محمّد نبياً ، وبابني عليّ له وصياً .

ورواه السيّد الشيرازي في الدرجات الرفيعة ، والأشكوري في محبوب القلوب .

٣٠ - أخرج الشيخ أبو جعفر الصدوق بإسناد له : إنّ عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسني المدفون بالري كان مريضاً فكتب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام : عرفني يابن رسول الله عن الخبر المرويّ : إنّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي

منه دماغه . فكتب إليه الرضا عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار .

كتاب الحجّة ص ١٦ ؛ ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف .

٣١ - أخرج شيخنا الفقيه أبو جعفر الصدوق بالإسناد عن الإمام الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليه السلام في حديث طويل : إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسوله ﷺ إني قد أيدتك بشيعتين : شيعة تنصرك سرّاً ، وشيعة تنصرك علانية ، فأما التي تنصرك سرّاً فسيدهم وأفضلهم عمك أبو طالب ، وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب . ثم قال : وإنّ أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتّم إيمانه .

كتاب الحجّة ص ١١٥ ؛ ضياء العالمين لأبي الحسن الشريف .

٣٢ - أخرج شيخنا الصدوق في أماليه ص ٣٦٥ من طريق الأعمش عن عبد الله بن عباس عن أبيه قال : قال أبو طالب لرسول الله ﷺ : يا بن أخي ! الله أرسلك ؟ قال : نعم . قال : فأرني آية . قال : ادع لي تلك الشجرة . فدعاها فأقبلت حتّى سجدت بين يديه ثمّ انصرفت ، فقال أبو طالب : أشهد أنّك صادق ، يا علي صل جناح ابن عمك .

ورواه أبو علي الفتال في روضة الواعظين ص ١٢١ ، ورواه السيّد ابن معد في الحجّة ص ٢٥ ولفظه : قال أبو طالب للنبي ﷺ بمحضر من قريش ليريهم فضله : يا بن أخي الله أرسلك ؟ قال : نعم . قال : إنّ للأنبياء معجراً وخرق عادة فأرنا آية . قال : ادع تلك الشجرة وقل لها : يقول لك محمد بن عبد الله : أقبلي بإذن الله . فدعاها فأقبلت حتّى سجدت بين يديه ثمّ أمرها بالإنصراف فانصرفت ، فقال أبو طالب : أشهد أنّك صادق . ثمّ قال لابنه علي عليه السلام : يا بني إلزم ابن عمك .

وذكره غير واحد من أعلام الطائفة .

٣٣ - أخرج أبو جعفر الصّدوق قدس الله سره في الأمالي ص ٣٦٦ بإسناده عن سعيد بن جبیر عن عبد الله بن عباس أنّه سأله رجل فقال له : يابن عمّ رسول الله ! أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً ؟ قال : وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل ؟ :

وقد علموا أنّ ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبأ بقليل الأباطل
إنّ أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسروا الإيمان وأظهروا
الشّرك فأثأهم الله أجرهم مرّتين .

ورواه السيّد ابن معد في (الحجّة) ص ٩٤ ، ١١٥ ، وذكره غير واحد من
أئمة الحديث .

٣٤ - أخرج شيخنا أبو علي الفتال النيسابوري في روضة الواعظين ص ١٢٣
عن ابن عباس قال : مرّ أبو طالب ومعه جعفر ابنه برسول الله ﷺ وهو في
المسجد الحرام يصلي صلاة الظهر وعليّ ﷺ عن يمينه فقال أبو طالب لجعفر :
صل جناح ابن عمّك فقدّم جعفر وتأخّر عليّ واصطفا خلف رسول الله ﷺ حتّى
قضى الصّلاة وفي ذلك يقول أبو طالب :

إن عليّاً وجعفرأثقتي	عند ملّم الزمان والنوب ^(١)
أجعلهما عرضة العداء إذا	أترك ميتاً وانتمي إلى حسبي
لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما	أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا	يخذله من بنيّ ذو حسب ^(٢)

وأخرج سيّدنا ابن معد في كتاب الحجّة ض ٥٩ بإسناده عن عمران بن
الحسين الخزاعي قال : كان والله إسلام جعفر بأمر أبيه ، وذلك : مرّ أبو طالب
ومعه ابنه جعفر برسول الله وهو يصلي وعليّ ﷺ عن يمينه فقال أبو طالب
لجعفر : صل جناح ابن عمّك فجاء جعفر فصلّى مع النبي ﷺ ، فلمّا قضى

(١) وفي نسخة : عند احتدام الهموم والكرب .

(٢) راجع فيما أسلفناه ص ٤٣٧ .

صلاته قال له النبي ﷺ : يا جعفر ! وصلت جناح ابن عمك ، إن الله يعرضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنة . فأنشأ أبو طالب رضوان الله عليه يقول :

إن علياً وجعفرأثقتني	عند ملء الزمان والنبوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما	أخي لأمي من بينهم وأبي
إن أبا معتب قد أسلمنا	ليس أبو معتب بذئ حذب ^(١)
والله لا أخذل النبي ولا	يخذله من بني ذوحسب
حتى ترون الرؤوس طايحة	منا ومنكم هناك بالقضب
نحن وهذا النبي أسرته	نضرب عنه الأعداء كالشهب
إن نلتموه بكل جمعكم	فنحن في الناس الأم العرب

ورواه شيخنا أبو الفتح الكراجكي بطريق آخر عن أبي ضوء بن صلصال قال : كنت أنصر النبي ﷺ مع أبي طالب قبل إسلامي ، فإني يوماً لجالس بالقرب من منزل أبي طالب في شدة القيظ إذ خرج أبو طالب إليّ شبيهاً بالملهوف فقال لي : يا أبا الغضنفر هل رأيت هذين الغلامين ؟ يعني النبي ﷺ وعلياً عليه السلام فقلت : ما رأيتهما مذ جلست فقال : قم بنا في الطلب لهما فليست آمن قريشاً أن تكون اغتالهما قال : فمضينا حتى خرجنا من أبيات مكة ، ثم صرنا إلى جبل من جبالها فاسترقيناه إلى قلته فإذا النبي ﷺ وعليٌّ عن يمينه وهما قائمان بإزاء عين الشمس يركعان ويسجدان فقال أبو طالب لجعفر ابنه وكان معنا : صل جناح ابن عمك . فقام إلى جنب عليٍّ فأحس بهما النبي ﷺ فتقدمهما وأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا مما كانوا فيه ثم أقبلوا نحونا فرأيت السرور يتردد في وجه أبي طالب ثم انبعث يقول الأبيات .

٣٥ - عن عكرمة عن ابن عباس قال : أخبرني أبي أن أبا طالب رضي الله عنه شهد عند الموت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

[ضياء العالمين]

(١) أبو معتب كنية أبي لهب كما مر . ذي حذب : ذي تعطف .

٣٦ - في تفسير الوكيل من طريق أبي ذر الغفاري أنه قال : والله الذي لا إله إلا هو ما مات أبو طالب رضي الله عنه حتى أسلم بلسان الحبشة قال لرسول الله ﷺ : أتفقه الحبشة ؟ قال : يا عم ! إن الله علّمني جميع الكلام . قال : يا محمداً ! اسدن لمصافاً قاطالها . يعني أشهد مخلصاً لا إله إلا الله ، فبكى رسول الله ﷺ وقال : إن الله أقرّ عيني بأبي طالب . ضياء العالمين لشيخنا أبي الحسن الشريف .

أحبّ سيّد الأبطح الشهادة بلغة الحبشة في موقفه هذا بعدما أكثرها بلغة الضاد وبغيرها كما فصل القول فيها شيخنا الحجّة أبو الحسن الشريف الفتوني المتوفى سنة ١١٣٨ في كتابه القيم الضخم «ضياء العالمين» وهو أثنى كتاب ألف في الإمامة .

٣٧ - روى شيخنا أبو الحسن قطب الدين الراوندي في كتابه - الخرائج والجرائح - عن فاطمة بنت أسد أنها قالت : لما توفي عبد المطلب أخذ أبو طالب النبي ﷺ عنده لوصية أبيه به وكنت أخدمه وكان في بستان دارنا نخلات وكان أول إدراك الرطب وكنت كلّ يوم ألتقط له حفنة من الرطب فما فوقها وكذلك جاريتي. فاتفق يوماً أن نسيت أن ألتقط له شيئاً ونسيت جاريتي أيضاً ، وكان محمداً نائماً ودخل الصبيان وأخذوا كلّما سقط من الرطب وانصرفوا فنمت ووضعت الكم على وجهي حياءً من محمداً ﷺ إذا انتبه . فانتبه محمداً ﷺ ودخل البستان فلم ير رطبة على وجه الأرض فأشار إلى نخلة وقال : أيتها الشجرة أنا جائع . فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتى أكل منها ما أراد ثم ارتفعت إلى موضعها ، فتعجبت من ذلك وكان أبو طالب رضي الله عنه غائباً فلما أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت فقال : هو إنما يكون نبياً وأنت تلدين له وزيراً بعد ياس . فولدت علياً عليه السلام كما قال .

٣٨ - روى شيخنا الفقيه الأكبر ابن بابويه الصدوق في أماليه ص ١٥٨ بالإسناد عن أبي طالب سلام الله عليه قال : قال عبد المطلب : بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤياً هالتي فأتيت كاهنة قريش وعليّ مطرف خزّ وجمّتي تضرب منكبي ، فلما نظرت إليّ عرفت في وجهي التغير ، فاستوت وأنا يومئذ سيّد قومي فقالت : ما شأن

سيد العرب متغير اللون ؟ هل رابه من حدثان الدهر ريب ؟ فقلت لها : بلى إني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن شجرة قد نبتت على ظهري قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها الشرق والغرب ، ورأيت نوراً يظهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم ساجدة لها ، وهي كل يوم تزداد عظماً ونوراً ، ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شاب من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثياباً فيأخذهم ويكسر ظهورهم ويقلع أعينهم ، فرفعت يدي لأتناول غصناً من أغصانها فصاح بي الشاب وقال : مهلاً ليس لك منها نصيب ، فقلت : لمن النصيب والشجرة مني ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين قد تعلّقوا بها وسيعود إليها ، فانتبهت مذعوراً فزعاً متغير اللون ، فرأيت لون الكاهنة قد تغير ثم قالت : لئن صدقت ليخرجن من صلبك ولد يملك الشرق والغرب ويبنّيء في الناس . فتسرّى عني غمي ، فانظر أبا طالب لعلك تكون أنت ، وكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى ﷺ قد خرج ويقول : كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين .

٣٩- قال السيد الحجّة في كتابه (الحجّة) ص ٦٨ : ذكر الشريف النّسابة العلوي العمري المعروف بالموضح بإسناده : أنّ أبا طالب لما مات لم تكن نزلت الصّلاة على الموتى فما صلى النبي عليه ولا على خديجة ، وإنّما اجتازت جنازة أبي طالب والنبى ﷺ وعليّ وجعفر وحزمة جلوس فقاموا وشيعوا جنازته واستغفروا له فقال قوم : نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضاً ظناً منهم أنّ أبا طالب مات مشركاً لأنّه كان يكتّم إيمانه فنفى الله عن أبي الشرك ونزّه نبيّه ﷺ والثلاثة المذكورين عليهم السلام عن الخطأ في قوله : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾ ، فمن قال بكفر أبي طالب فقد حكم على النبي بالخطأ والله تعالى قد نزّهه عنه في أقواله وأفعاله . الخ .

وأخرج أبو الفرج الإصبهاني بالإسناد عن محمّد بن حميد قال : حدّثني أبي قال : سئل أبو الجهم بن حذيفة : أصلى النبي ﷺ على أبي طالب ؟ فقال : وأين الصّلاة يومئذ ؟ إنّما فرضت الصّلاة بعد موته ، ولقد حزن عليه رسول الله ﷺ وأمر عليّاً بالقيام بأمره وحضر جنازته وشهد له العباس وأبو بكر بالإيمان

وأشهد على صدقهما لأنه كان يكتن إيمانه ولو عاش إلى ظهور الإسلام لأظهر إيمانه .

٤٠ - عن مقاتل : لما رأت قريش يعلو أمر النبي ﷺ قالوا : لا نرى محمداً يزداد إلا كبراً وإن هو إلا ساحرٌ أو مجنونٌ ، فتعاقدوا لئن مات أبو طالب رضي الله عنه ليجمعن القبائل كلها على قتله ، فبلغ أبا طالب فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش فوصاهم بالنبي ﷺ وقال : ابن أخي كلما يقول أخبرنا بذلك آباؤنا وعلمائنا ، وأن محمداً نبي صادق ، وأمين ناطق ، وإن شأنه أعظم شأن ، ومكانه من ربه أعلى مكان ، فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته ، وروموا عدوه من وراء حوضته ، فإنه الشرف الباقي لكم طول الدهر ثم أنشأ يقول :

أوصي بنصر النبي الخير مشهده	علياً ابني وعم الخير عباسا
وحمزة الأسد المخشي صولته	وجعفر أن يذودوا دونه الناسا
وهاشمأ كلها أوصي بنصرته	أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا
كونوا فداء لكم أمي وما ولدت	من دون أحمد عند الروع أتراسا
بكل أبيض مصقول عوارضه	تخاله في سواد الليل مقباسا ^(١)

قال الأميني : هذه جملة مما أوقفنا السير عليه من أحاديث رواة الحق والحقيقة وصفحنا عما يربو على الأربعين روماً للاختصار ، فانت اذا أضفت إليها ما أسلفناه مما يروى عن آل أبي طالب وذويه ، وأشفعتها بما مر من أحاديث مواقف سيد الأباطح ، وجمعتها مع ما جاء من الشهادات الصريحة في شعره تربو الأدلة على إيمانه الخالص وإسلامه القويم على مائة دليل ، فهل من مساغ لذي مسكة أن يصفح عن هذه كلها ؟ وكل واحد منها يحق أن يستند إليه في إسلام أي أحد ، نعم : إن في أبي طالب سرّاً لا يثبت إيمانه بألف دليل ، وإيمان غيره يثبت بقليل مجهول ودعوى مجردة ، اقرأ واحكم .

وقد فصل القول في هذه الأدلة جمع من أعلام الطائفة كشيخنا العلامة الحجة

المجلسي في بحار الأنوار ج ٩ ص ١٤ - ٣٣ ، وشيخنا العلم القدوة أبي الحسن الشريف الفتوني في الجزء الثاني من كتابه القيم الضخم ضياء العالمين (والكتاب موجودٌ عندنا) وهو أحسن ما كتب في الموضوع كما أن ما ألفه السيّد البرزنجي ولخصه السيّد أحمد زيني دحلان أحسن ما ألف في الموضوع بقلم أعلام أهل السنة ، وأفرد ذلك بالتأليف آخرون منهم :

١ - سعد بن عبد الله أبو القاسم الأشعري القمي المتوفى سنة ٣٠١/٢٩٩ ، له كتاب فضل أبي طالب وعبد المطلب وعبد الله أبي النبي ﷺ «رجال النجاشي» ص ١٢٦ .

٢ - أبو علي الكوفي أحمد بن محمد بن عمّار المتوفى سنة ٣٤٦ ، له كتاب إيمان أبي طالب كما في فهرست الشيخ ص ٢٩ ، ورجال النجاشي ص ٧٠ .

٣ - أبو محمد سهل بن أحمد بن عبد الله الدياجي سمع منه التلعكبري سنة ٣٧٠ له كتاب إيمان أبي طالب ، ذكره النجاشي في فهرسته ص ١٣٣ .

٤ - أبو نعيم علي بن حمزة البصري التميمي اللغوي المتوفى سنة ٣٧٥ له كتاب إيمان أبي طالب ، توجد نسخته عند شيخنا الحجة ميرزا محمد الطهراني^(١) في سامراء المشرفة . نقل عنه بعض فصوله الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة أبي طالب واتهم مؤلفه بالرفض .

٥ - أبو سعيد محمد بن أحمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري جدّ المفسّر الكبير الشيخ أبي الفتوح الخزاعي لأمه ، له كتاب (منى الطالب في إيمان أبي طالب) رواه الشيخ منتجب الدين كما في فهرسته ص ١٠ عن سبطه الشيخ أبي الفتوح عن أبيه عنه .

٦ - أبو الحسن علي بن بلال بن أبي معاوية المهلب الأزدی له كتاب (البيان عن خيرة الرحمن) في إيمان أبي طالب وآباء النبي ﷺ ذكره له الشيخ في فهرسته ص ٩٦ ، والنجاشي ص ١٨٨ .

(١) توفي قدس الله سرّه وأبقى آثاراً باثراً تذكر مع الأبد وتشكر .

٧ - أحمد بن القاسم ، له كتاب إيمان أبي طالب ، رآه النجاشي (كما في فهرسته ص ٦٩) بخط الحسين بن عبيد الله الغضائري .

٨ - أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن طرخان الكندي الجرجاني صديق النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ ، ذكر له النجاشي في فهرسته ص ٦٣ كتاب إيمان أبي طالب .

٩ - شيخنا الأكبر أبو عبد الله المفيد محمد بن محمد بن النعمان المتوفى سنة ٤١٣ له كتاب إيمان أبي طالب كما في فهرست النجاشي ص ٢٨٤ .

١٠ - أبو علي شمس الدين السيد فخار بن معد الموسوي المتوفى سنة ٦٣٠ ، له كتاب (الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب) قرطه العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم بقوله :

بشراك (فخار) بما أولا	لك الخالق في يوم المحشر
نزّهت بحجّتك الغرّا	شيخ البطحاء أباحيدر
عمّا نسبوه إليه من الـ	كفر المردود دعاة الشر
أنّى وبه قام الإسلا	م فنال بعلياه المفخر
قسماً بولاء (أبي حسن)	لولاه الدين لما أزهـر
فعليه من الله الرضوا	ن وللاعدا نار تسعر

١١ - سيدنا الحجة أبو الفضائل أحمد بن طاوس الحسيني المتوفى سنة ٦٧٣ ، له كتاب إيمان أبي طالب ، ذكره في كتابه بناء المقالة العلوية لنقض الرسالة العثمانية ، وهو كتاب في الإمامة ألّفه في الردّ على رسالة أبي عثمان الجاحظ .

١٢ - السيد الحسين الطباطبائي اليزدي الحائري الشهير بالواعظ المتوفى سنة ١٣٠٧ له كتاب (منية الطالب في إيمان أبي طالب) فارسيّ مطبوع .

١٣ - المفتي الشريف السيد محمد عباس التستري الهندي المتوفى سنة ١٣٠٦ ، له كتاب (بغية الطالب في إيمان أبي طالب) أحد شعراء الغدير تأتي

ترجمته في القرن الرابع عشر ، إن شاء الله تعالى .

١٤ - شمس العلماء ميرزا محمد حسين الكركاني له كتاب (مقصد الطالب في إيمان آباء النبي وعمه أبي طالب) فارسي طبع في بمبيء سنة ١٣١١ .

١٥ - الشيخ محمد علي ابن ميرزا جعفر علي الفصيح الهندي نزيل مكة المعظمة له كتاب (القول الواجب في إيمان أبي طالب) .

١٦ - شيخنا الحجة الحاج ميرزا محسن ابن العلامة الحجة ميرزا محمد التبريزي .

١٧ - السيد محمد علي آل شرف الدين العاملي^(١) له كتاب (شيخ الأبطح أو أبو طالب) طبع في بغداد سنة ١٣٤٩ في ٩٦ صفحة وقد جمع فيه فأوعى ، ولم يبق في القوس منزعاً .

١٨ - الشيخ ميرزا نجم الدين ابن شيخنا الحجة ميرزا محمد الطهراني ، له كتاب (الشهاب الثاقب لرجم مكفر أبي طالب) .

١٩ - الشيخ جعفر ابن الحاج محمد النقدي «المرحوم» . له كتاب (مواهب الواهب في فضائل ابي طالب) طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٤١ في ١٥٤ صفحة ، فيه فوائد جمّة وطرائف ونوادر .

وقد نظم ذلك كثيرون من أعظم الشيعة في قريضهم ومما يسعنا إثباته ههنا قول السيد أبي محمد عبد الله بن حمزة الحسيني الزيدي من قصيدة :

حماءه أبونا أبوطالب وأسلم والناس لم تسلم
وقد كان يكتم إيمانه وأما الولاء فلم يكتم

وقول الشريف العلامة السيد علي خان الشيرازي^(٢) في الدرجات الرفيعة :

(١) انتقل إلى دار البقاء سنة ١٣٧٢ وأبقى لهفة وجوى في قلوب أمة كبيرة كانت تعرفه بفضائله وفواضله .

(٢) أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته إن شاء الله تعالى .

أبو طالب عم النبي محمد
ويكفيه فخراً في المفاخر أنه
لئن جهلت قومٌ عظيم مقامه
ولولاه ما قامت لأحمد دعوة
أقرب دين الله سرّاً لحكمة
وماذا عليه وهو في الدين هضبة
وكيف يحلّ الذمّ ساحة ماجدٍ
عليه سلام الله ما ذرّ شارقٌ

به قام أزر الدين واشتدّ كاهله
موازره دون الأنام وكافله
فما ضرّ ضوء الصبح من هوجاهله
ولا انجاب ليل الغي وانزاح باطله
فقال عدو الحق ما هو قائله
إذا عصفت من ذي العناد أباطله ؟
وأخره محموداً وأوائله
وما تليت أحسابه وفضائله

ومن قصيدة للشريف الأجل سيّدنا آية الله السيّد ميرزا عبد الهادي
الشيرازي ^(١) :

ولي ندحة في مدحة النذب والبدال
هو العلم الهادي أزين بمدحه
أبو طالب حامي الحقيقة سيّد
أبو طالب والخيّل والليل واللو
أبو الأوصياء الغرّ عم محمد
لقد عرفت منه الخطوب محنكاً
كما عرفت منه الجدوب أخاندي
فذا واحد الدنيا وثان له الحيا
وأني يحيط الوصف غرّ خصاله
حمى المصطفى في باس ندب مدجج
فلولاه لم تنجح لطاهاد عاية
وآمن بالله المهيمن والورى
وجابه أسراب الضلال مصدّقاً
كفى مفخراً شيخ الأباطح أنه

أئمة أعدل الكتاب أولي الأمر
شعوري ويزهوفي مآثره شعري
تزان به البطحاء في البر والبحر
له شهدت في ملتقى الحرب بالنصر
تضوع به الأحساب عن طيب النجر
تدرّع يوم الزحف بالباس والحجر
دوين سداه الغمر ملتطم البحر
وقل في سنه ثالث الشمس والبدر
وقد عجزت عن سردها صاغة الشعر
تذلّ له الأبطال في موقف الكرّ
ولا كان للإسلام مستوسق الأمر
لهم وثبات من يعوق إلى نسر
نبي الهدى إذ جاء يصدع بالأمر
أبو حيدر المندوب في شدة الضرّ

(١) أحد شعراء الغدير يأتي ذكره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله .

وصلّى عليه الله ما هبّت الصبا بريّائنا شيخ الأباطح في الدهر

وقال العلامة الحجة شيخنا الأوردبادي^(١) :

بشيخ الأبطحين فشا الصّلاحُ
براه الله للتوحيد عضباً
وعمّ المصطفى لولاه أضحى
نضال الدين منه صفيح عزم
وأشرع للهدى بأساً مريعاً
وأصحر بالحقيقة في قريض
صريخة هاشم في الخطب لكن
أخوال الشرف الصراح أقام أمراً
فلاعابٌ يدنّسه ولكن
فعلم زانه خلق كريم
ومنه الغيث إمّاعم جذب
مناقب أعتى البلغاء مدحاً
وصفوا القول إنّ أبا عليّ
ولكن لابنه نصبوا عداءً
فنالوا من أبيه وما المعالي
وضوء البدر أبلج لا يوارى
(وهبني قلت : إنّ الصبح ليل)
فدع بمتاهة التضييل قوماً

فذا شيخ الأباطح في هداه
أبو الصيد الأكارم من لوي
تصافقه الإمامة والنجاح
مقاديم جحاجة وضاح

(١) من شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى .

لهم كأبيهم إن جال سهم
وقال العلامة الأوحـد الشيخ محمد تقي صادق العاملي من قصيدة يمدح بها
أهل البيت عليهم السلام :

بسيـف عليّ قد أشيدت صـروحـه	كما بأبيه قام قدماً بناؤه
أبو طالب أصل المعالي ورمزها	ومبدأ عنوان الهدى وانتهاؤه
توحد في جمع الفضائل والنهي	وضم جميع المكرمات رداؤه
وتنحط عنه رفعة هامة السهى	ويأرج في عرف الخزامى ثناؤه
حمى الخائف اللاجي ومربع أمنه	وكعبة قصد المرتجي وغناؤه
تحلق في جمع المكارم نفسه	ويسموبه للنيرين إبلاؤه
أصاخ إلى الدين الحنيف ملئياً	لدعوته لما أتاه نداؤه
وباع بإعزاز الشريعة نفسه	فبورك قدراً بيعه وشرائه

وقال العلامة الشريف المجلل السيّد علي النقي اللكهنوي (١) :

زهت أم القرى بأبي الوصي	غداة غدا يذود عن النبي
وقام بنصرة الإسلام فرداً	يراغم كل مختال غوي
يذب عن الهدى كيد الأعادي	بأمضى من ذباب المشرفي
وأبصر رشده من دين طاهها	فجاهرفيه بالسـرّ الخفي
وآمن بالإله الحق صدقاً	بقلب موحد برّ تقي
بني للسؤدد العربي صرحاً	محاطاً بالفخار الهاشمي
تلقي الرشـد عن آباء صدق	توارثه صفيّاً عن صفي
كأنّ الأمّهات لهم أبت أن	تلدن سوى نبيّ أو وصي
فكان على الهدى كأبيه قدماً	ولم ييرح على النهج السوي
وكان به رواء الشـرع بدءاً	وتمّ بنجـله الزاكي علي

وقال العلامة الفاضل الشيخ محمد السماوي (٢) من قصيدة نشرت في آخر

(١) أحد شعراء الغدير يأتي في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله .

(٢) أحد شعراء الغدير يأتي ذكره إن شاء الله . توفي رحمه الله في يوم الأحد ٢ محرم سنة

كتاب الحجة ص ١٣٥ مطلعها :

فؤادِيْ بِالْغَادَةِ الْكَاعِبِ
كَأَنِّيْ بِدَائِرَةٍ مِنْ هَوَى
بَلِيَتْ بِمَنْ ضَرَبَتْ خَدْرَهَا
بَحِثِ الصَّفَاحِ وَحَيْثُ الرِّمَا
لَهَا مَنَعَةٌ فِي ذَرَى قَوْمِهَا
فَخَارَ الْأَبْيُّ وَعَمُّ النَّبِيِّ
وَأَمْنَعُ لَا يَرْتَقِي أَجْدَلُ
إِذَا الرِّافِعُ الطَّرْفُ يَرْنُو لَهُ
تَهْلُلُ طَلْعَتُهُ لِلْعِيُو
أَقَامَ عِمَادَ الْعُلَى سَامِكاً
بِمِثْلِ (عَلِيٍّ) إِلَى (جَعْفَرِ)
أَوْلُوكَ لَا زَمَعَاتِ الرِّجَا
وَمَنْ ذَاكَ عَبْدٌ مُنَافٍ يَطْوُ
حُمَى الدِّينِ فِي سَيْفِهِ فَاَنْبَرِي
وَأَمِنْ بِاللَّهِ فِي سِرِّهِ
وَصَدَّقَ (أَحْمَدُ) فِي وَحْيِهِ
فَكَمْ بَيْنَ مَخْفٍ لِتَصْدِيقِهِ
لِنَعْمٍ مَلَاذِ الْهَدْيِ وَالتَّقَى
وَمَعْتَصَمِ الدِّينِ فِي مَكَّةَ
وَمَانِحِ حَوْزَةِ أَهْلِ الْهَدْيِ
فَلَوْلَا مَا طَفَقَ (المصطفى)
وَلَمْ يَعْشَبِ الشَّرْكَ مُسْتَظْهِراً

غَدَا كُرَّةً فِي يَدِي لِاعْبِ
فَمَنْ طَالَعَ لِي وَمَنْ غَارَبَ
بِمَنْقَطَعِ النَّظَرِ الصَّائِبِ
حَ فَمَنْ مَشْرِفِيَّ إِلَى رَاغِبِ
كَأَنَّ أَبَاهَا (أَبُو طَالِبِ)
وَشَيْخَ الْأَبَاطِحِ مِنْ غَالِبِ
إِلَى ذُرْوَةٍ مِنْهُ أَوْ غَارِبِ
يَعُودُ بِتَنْحِيَةِ النَّاصِبِ
نَ كَمَا جَرَّدَ الْغَمْدَ عَنْ قَاضِبِ
بِأَرْبَعَةٍ كَالسَّنَا الثَّاقِبِ
وَمِثْلِ (عَقِيلِ) إِلَى (طَالِبِ)
لَ مِنْ قَالِصِ الذَّيْلِ أَوْ سَاحِبِ
لَ عَلَى رَاجِلٍ ثُمَّ أَوْ رَاكِبِ
بِمَكَّةَ مَمْتَنِعِ الْجَانِبِ
لَأَمْرِ جَلِيٍّ عَلَى الطَّالِبِ
وَقَامَ بِمَا كَانَ مِنْ وَاجِبِ
وَأَخْرَجَ مَبْدَأَ لَهُ كَاذِبِ
وَمَنْتَجِعِ الْوَفَادِ الرَّاعِبِ
إِذَا الدِّينَ مِنْفَرِدَ الصَّاحِبِ
مَدَى الْعَمْرِ مِنْ وَثْبَةِ الْوَاثِبِ
يُنَادِي عَلَى الْمَنْهَجِ السَّالِحِ
بِیَوْمِ يَضِيقُ عَلَى الْعَائِبِ

وللبحثة الفاضل صاحب التأليف القيمة الشيخ جعفر بن الحاج محمد النقدي^(١) من قصيدة ذكرها في كتابه (مواهب الوهاب في فضائل أبي طالب)

(١) من شعراء الغدير يأتي تفصيل ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله . ارتحل إلى =

المطبوع في النجف الأشرف في ١٥٤ صفحة مطلعها :

برق ابتسامك قد أضاء الوادي وحيأخذودك فيه ريُّ الصادي
قوله :

مهماتراكت الخطوب فإنها
عبد المناف الطهر عمُّ محمد
غيث المكارم ليث كل ملّة
شيخ الأباطح من بصارم عزمه
دانت لديه المكرمات رقابها
جدُّ الأئمّة شيخ أمة أحمد
سيف له المجد الأثيل حمائل
داعي النور للرشد في عصره
وله قريش كم رأت من معجز
كرضاعه خير البريّة أحمداً^(١)
وبشارة الأسد الهصور بنجله
وكلامه بالوحي قبل صدوره
وبيوم مولد أحمد إخباره
وله على الإسلام من سنن غدت
كفل النبيّ المصطفى خير النور
ربّه طفلاً واقتفاه يافعاً
ولأجله عادى قريشاً بعدما

تجلى متى بأبي الوصي أنادي
الطاهر الآباء والأجداد
غوث المنادي بدرأفق الناد
بلغ الأنام لخطّة الإرشاد
وإليه ألقى الدهر فضل قياد
ربع الأمانى مربع الوفا
وله الفخار غداً حليّ نجاد
لا يعرفون الناس نهج رشاد
عرفوه فيه واحد الأحاد
وقبول دعوته لسقي الوادي^(٢)
وشفائه بدعا النبيّ الهادي^(٣)
وله انفجار الأرض إذ هو صادي
عن حيدر الكرار بالميلاد^(٤)
للمسلمين قلائد الأجياد
ورعى الحقوق له بصدق وداد
وحماه كهلاً من أذى الأضداد
سلكو سبيل الغي والإفساد

= رحمة ربّه الودود يوم السبت ٨ محرم سنة ١٢٨٠ بالكاظمية ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف .

(١) أخرج حديث هذه المكرمة شيخنا ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي ص ٣٤٤ .

(٢) راجع ما أسلفناه صفحة ٣٤٥ .

(٣) يوجد حديثه في غير واحد من كتب الفريقين .

(٤) راجع ما مرّ في صفحة ٣٤٨ ، ٤٠٠ .

ورآهم متعاضدين ليقتلوا
فسطا بعزم ناله من معشر
وانصاع يفدي أحمداً في نفسه
وأقام ينصره إلى أن أصبحت
أفديه من صاد لواء للهدى
قد كان يعلم أنه المختار من
ولقد روى عن أنبياء جدوده
وعلا به عيناً على كل الوري
: (إن ابن أمة النبي محمداً
راعى فيه قرابة موصولة
يا والد الكرار والطيار وال
كم معجز أبصرته من أحمد
من لصق أحجار ومزق صحيفة
لا فخر إلا فخر السامي الذي
إن المكارم لورأت أجسادها
شكر الإله فعالك الغر التي
لله هممتك التي خضعت لها
لله هيبتك التي رجفت بها
لله كفك كم بها من معدم

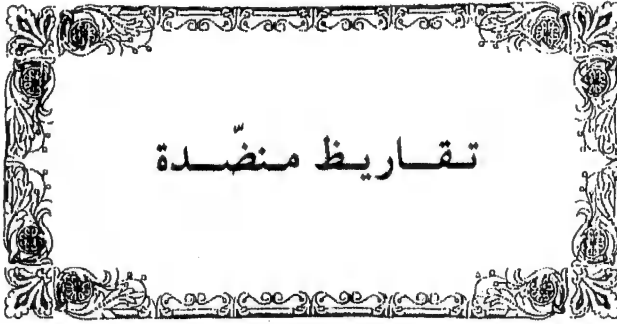
خير البرية سيد الأمجاد
شم الأنوف مصالت أنجاد
والجاء والأموال والأولاد
تزهو شريعته بكل بلاد
يحمي لأفصح ناطق بالضاد
رب السماء عميد كل عماد
فيه حديثاً واضح الإسناد
إذ قال فيه بمطرب الانشاد
عندي يفوق منازل الأولاد^(١)
وحفظت فيه وصية الأجداد
أطهار أبناء النبي الهادي
باهلت فيه معاشر الحساد
ونزول أمطار ونطق جماد^(٢)
فقتت به أبصار أهل عناد
عين رأتك الروح للأجساد
فرحت بها أملاك سبع شداد
من خوف بأسك شامخ الأطواد
أعداء مجدك عصابة الإلحاد
أحييت في الإصدار والأيراد

وله قصيدة من ٤٣ بيتاً يمدح بها شيخ الأباطح أبا طالب سلام الله عليه توجد
في كتابه مواهب الوهاب ص ١٥١ مستهلها :

(١) راجع ما أسلفناه ص ٣٨٢ .

(٢) أشار شاعرنا (النقدي) بهذا البيت إلى أربع مكرمات لرسول الله ﷺ شاهدها شيخ الأبطح أبو طالب ، مرّ حديثها صفحة ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٤٤٠ .

بالله يا قاصد الأطلال في العلمِ سلمت سلم على سلمى بذي سلم
 ههنا نجعجع بالقلم عن الإفاضة في القول ، لأن نطاق الجزء
 ضاق عن التبسط فنرجىء تكملة البحث إلى أوليات
 الجزء الثامن إن شاء الله تعالى
 وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



أتانا شعر كثير في تقريظ الكتاب من الأساتدة والشعراء نظراء العلامة الشيخ قاسم محيي الدين ، والنطاسي المحنك ميرزا محمد الخليلي مؤلف كتاب - معجم أدباء الأطباء - والخطيب الهاشمي السيد علي مؤلف كتاب - محمد بن الحنفية - والفاضل الفذ الشيخ علي السماوي ، والخطيب المغفور له الشيخ محسن أبي الحب الحائري طاب ثراه ، والأستاذ الفاضل الشيخ أسد حيدر النجفي ، ونحن نشكر الجميع ونرجى ذكر قريضهم إلى تراجمهم الآتية في شعراء القرن الرابع عشر إن شاء الله تعالى ، ونقتصر الآن - مشفوعاً بالشكر - على ما جاءت به قريحة العلوي الشاعر السيد رؤوف جمال الدين ، وشاعر أهل البيت المكشّر الشيخ محمد رضا الخالصي ، والأستاذ عبد الصاحب الدجيلي صاحب كتاب شعراء العراق - قال السيد آل جمال الدين :

١ - بنت الحقيقة في كتاب الغدير :

بنت الحقيقة أسفرت عن وجهها	ما بين أسطره وشع سناها
أبدت محياها الجميل وقبلة	كانت غياها باطل تغشاها
تلك الحقيقة في «الغدير» فحيها	إن كنت ذا عقل وخذ بهداها
كانت محجبة يشق حصولها	واليوم قد برزت لمن يهواها

أعظم (بمن) في جهده أبداها
هدماً فلم يفلح بهدم بناها
تبَّألهم من جهلهم معناها
سفهاً. وهل تخفى ذكاء ضيائها؟
أنواره أو بدعة أحيائها
في ذمَّة الوجدان أو يرضاها
جذلانة في فعل من والها
عن حبها أو يعشقن سواها
في نصرها لا يحذرن عداها
أجراً فنال الفوز في إحيائها
كانت محجَّبة كشفت غطاها
أين الهدى ثاوي أين عماها
يبقى مدى الأعوام لا يتناها
دار النعيم تفوز في سكنائها

برزت برغم (حسودها) وضاءة
كم معولٍ للحقدِ رامَ بناءها
سبعون ألفاً ضيَّعوا ميثاقها
سدلوا عليها الستر من أحقادهم
ويل التعصُّب كم به حقُّ خبت
لا منصفٌ يعطي الحقيقة مالها
بنت الحقيقة في علو مقامها
يهوي الحقيقة منصفاً لا ينثني
مثل (ابن أحمد) من غدا متجاهراً
بذل النفس لوجهها لا ينبغي
إيهاً حليف الحقِّ كم من بدعة
أظهرتها بين الملاكي يعرفوا
ذاك (الغدير) وقد تضمَّن معجزاً
فاهناً بذكر لا يزول وفي غدٍ

٢ - وقال الشيخ الخالصي :

بسعيه المشكور ما بين الوري
رتلها في الناس من أبصرا
يطفح حتى أخجل الأبحرا
حاز العلي والمجد والمفخرا
مادحه ماعاش أو أكثرا
الشاعر إن عمراً ماعمرا
وكلماً في القلب قد أضمر
والحق للنظار قد أسفرا

إنَّ (الأميني) شام من مضى
آيات فضل الله قد فصلت
عيلم علم لم يزل مدّه
لله مفضل بتأليفه
لا يبلغ المعشار من فضله
ولا يوفي الكيل في مدحه
لا خيب الرحمن أماله
قد أزهق الباطل إرشاده

* * *

فيه من اللؤلؤ ما أبهر

غديره السادس بحر طمي

أصبح منهج الهدى نيراً
 كمثل ما حرّرق دحرّاً ؟
 واللّه (عصر النور) قد عَطَّرَا
 شممت من أوراقه عنبراً
 عن سير الماضين قد أخبرا
 إلّا لعينيه به أسهرا
 بعدو يأتي بالهدى شعرا
 وما يليه بعده أن أرى
 جامع المفضال بين الوري
 ما بلّت السحب أديم الثرى
 وللخفايا بيننا مظهر
 أشرق وجه الشرق مستبشرا
 وكان بالتمويه قد ستر
 أصبح من قد ضلّ مستبصرا
 أبدع واللّه بما أصدر

سفر حوى أسرار قدس بها
 من ذا الذي ممن قضى قبله
 روضة آداب بأزهارها
 وكلّما قلبت أوراقه
 كتاب تاريخ لأهل الحجى
 ما سرّح الطرف به كامل
 أسأل ربّي أن يريني الذي
 وثامن الأجزاء من بعده
 وأتحف اللّه بنعمائه
 دامت أياديه وأيامه
 أدامه اللّه لنا مرجعاً
 لله من فذ بأنواره
 أوضح للضلال نهج الهدى
 أصدر أسفاراً بإصدارها
 لله من مجتهدي قد

٣ - وقال الأستاذ الدجيلي :

سديد الرأي منقطع القرين
 لتلقى الناس بالدرّ الثمين
 لذاك دُعيت بالحبر «الأميني»
 تضمّ به البحور من الفنون
 سرى لينير في دنيا ودين
 جدير بالخلود مدى القرون

الأحييت من فذ ضليع
 تغوص على المعاني الغرّ فرداً
 تحدّثنا - وأنت بنا أمين -
 كتابك في الغدير (غدير خم)
 وما يوم «الغدير» سوى شعاع
 تمرّ به القرون وما سواه

الفهرس

الموضوع	الصفحة
كلمة المؤلف	٥
كتاب الإمام شرف الدين حول الكتاب	٨
خطاب السيد الحكيم حول الكتاب	١٠
كتاب بولس سلامة حول الكتاب	١٢
شعراء الغدير في القرن التاسع	١٥
غديرية ابن العرندس الحلّي	١٧ - ٢٣
ما يتبع غديرية ابن العرندس	٢٣
حديث كسر أمير المؤمنين الأصنام	٢٤ - ٢٨
ترجمة ابن العرندس وشعره	٢٨ - ٣٨
غديرية ابن داغر الحلّي	٣٩ - ٤٢
ترجمة ابن داغر وشعره	٤٢ - ٤٧
غديرية الحافظ البرسي الحلّي	٤٨
ترجمة الحافظ البرسي الحلّي	٤٩ - ٥٥
شعر الحافظ البرسي الحلّي	٥٥ - ٨٣
المغلاة في الفضائل	٨٤ - ٨٨

الموضوع	الصفحة
الغلو في أبي بكر	٨٨
وصمات الانتخاب في بدء بدئه	٩٨-٩٠
رواة الخطبة الشقشقية	١٠٣-٩٩
فضائل أبي بكر الماثورة	١١٢-١٠٤
ملكات الخليفة ونفسياته	١١٣-١١٢
الخليفة في نادي الخمر	١١٤
نادي الخمر في دار أبي طلحة	١١٨-١١٥
الآراء في تاريخ تحريم الخمر	١١٩
الخليفة في الإسلام	١٢٠
نبوغ الخليفة في علم التفسير	١٢١
رأي الخليفة في الكلالة	١٢٦-١٢٢
تقدّم الخليفة في السنة	١٢٦
نظرة في أحاديث الخليفة	١٣٤-١٢٧
غاية جهد الباحث	١٣٤
كثرة أحاديث السنة الشريفة	١٤٠-١٣٥
رأي الخليفة في الجدة	١٤٠
رأي الخليفة في الجدّتين	١٤١-١٤٠
بناتنا بنوهنّ أبنائنا	١٥٠-١٤٢
رأي الخليفة في قطع يد السارق	١٥٠
رأي الخليفة في الجدّ	١٥٢-١٥١
رأي الخليفة في تولية المفضول	١٥٢
الخلافة عند الشيعة إمرة إلهية	١٥٧-١٥٣
الخلافة عند أهل السنة وكلمات أعلامها فيها	١٦٢-١٥٧
ما تنعقد به الإمامة والكلمات فيه	١٦٦-١٦٣
رأي الخليفة الثاني في الخلافة	١٦٦
نظرة في خلافة جاء بها القوم ووصمات الأهواء فيها	١٦٧

الموضوع	الصفحة
أفضليّة مولانا أمير المؤمنين	١٧٤
رأي الخليفة في القدر	١٧٨-١٧٥
رأي الخليفة في الضحية	١٧٨
ردّة بني سليم	١٧٨
حرق الخليفة الفجائية	١٨٠
رأي الخليفة في قصّة مالك	١٨١
نظرة في قضية مالك	١٨٥
غارة خالد على بني جذيمة	١٩٠
ثلاثة وثلاثة وثلاثة	١٩٤
ثلاثة فعلها الخليفة وندم عليها	١٩٩-١٩٤
ثلاثة تركها الخليفة وندم عليها	٢٠٠-١٩٩
ثلاثة ودّ الخليفة السؤال عنها	٢٠٣-٢٠٠
تحريف أو تحفّظ على كرامة	٢٠٣
سؤال يهوديّ أبا بكر	٢٠٤
وفد النصارى وأسؤلتهم	٢٠٤
الغلوّ في علم أبي بكر	٢٠٦
مظاهر علم أبي بكر	٢٢٤-٢١٠
التمسك بالأفانك	٢٢٧-٢٢٤
شجاعة الخليفة	٢٢٧
أبو بكر أشجع الصحابة	٢٢٨
نظرة في حديث العريش	٢٢٩
إحتجاب أبي بكر عن مواقف الحرب	٢٣٠
حجاج بالعريش وكلمة الجاحظ	٢٣٥
كلمة الإسكافي في رد الجاحظ	٢٣٦
الغريق يتشبث بكل حشيش	٢٤١
تفلسف في شجاعة أبي بكر	٢٤٤-٢٤٢

الموضوع	الصفحة
ثبات الخليفة على المبدأ	٢٤٧-٢٤٤
تهالك الخليفة في العبادة	٢٤٧
قصة الكبد المشوي والنظرة فيها	٢٤٧
تبرز الخليفة في الأخلاق	٢٥١
كاد الخير أن يهلكا	٢٥١
كان أبو بكر سبباً	٢٥٢
حديث : الخليفة حلیم قریش	٢٥٥
ماتت فاطمة وهي وجداء على أبي بكر	٢٥٥
صلاة أبي بكر على فاطمة	٢٥٦
إعتذار الخليفة إلى الصديقة	٢٥٧
كلمة الجاحظ	٢٥٨
كلمة قارصة لابن كثير	٢٦٠
حديث : فاطمة بضعة مني	٢٦٧-٢٦٠
أحاديث الغلو أو قصص الخرافة	٢٦٨
حديث : الشمس على العجلة فيه توصل بأبي بكر الشمس	٢٧١-٢٦٨
حديث التوصل بلحية أبي بكر	٢٧١
اللحية في الجنة	٢٧٤-٢٧٣
تقدم شهادة أبي بكر على جبرائيل	٢٧٥
اسم أبي بكر في خاتم النبي (ص)	٢٧٨-٢٧٦
عرض جنة أبي بكر	٢٧٩
الله يستحي من أبي بكر	٢٧٩
كرامة دفن أبي بكر	٢٨١
جبرائيل يسجد مهابة من أبي بكر	٢٨٣
قصة فيها كرامة لأبي بكر	٢٨٥
لا يموت رافضي إلا مسخ خنزيراً	٢٨٨
أبو تمام مسخ خنزيراً في قبره	٢٨٨

الموضوع	الصفحة
أبو بكر شيخ يُعرف والنبي شاب لا يعرف	٢٩٠
تأويل كون النبي شاباً	٢٩١
حل مشكلة يُعرف ولا يُعرف	٢٩٤
الأنصار في البيعتين	٢٩٥
النقباء من الأنصار	٢٩٦
الأنصار في البيعة الثانية	٢٩٧
نبأ الهجرة	٢٩٨
أبو بكر أسن من النبي (ص)	٣٠٣
إسلام أبي بكر قبل ولادة علي	٣٠٤
نظرة في روايات إسلام أبي بكر	٣١٤-٣٠٦
أبو بكر أسن أصحاب النبي	٣١٤
أربعون صحابياً أسن من أبي بكر	٣٢٠-٣١٥
أبو بكر في كفة الميزان	٣٢١
توسل الشمس بأبي بكر	٣٢٥-٣٢٣
كلبة من الجن مأمورة	٣٢٥
هبة أبي بكر لمحبيه من أعماله	٣٣٠-٣٢٧
أبو بكر في قاب قوسين	٣٣٠
الدين وسمعه وبصره	٣٣١
أبو بكر ومنزلته عند الله	٣٣٣
روايات مكذوبة في حب أبي بكر	٣٣٣
النبي مؤيد بالشيخين	٣٣٦
الأشباح الخمسة وخلقها	٣٣٦
الكلمات التي تلقاها آدم من ربه	٣٣٧
توسل عمر بالعباس	٣٣٨
كلمة القصيمي في التوسل	٣٤١
أبو بكر خير أهل السماوات والأرض	٣٤٢

الموضوع	الصفحة
ثواب النبي وأبي بكر	٣٤٤
حب أبي بكر وشكره	٣٤٤
أبو بكر في كفة الميزان	٣٤٥
ما أسلم أبو مهاجر إلا أبو بكر	٣٤٧
المهاجرون الذين أسلم أبواهم	٣٥٠
إسلام أبي قحافة والد أبي بكر	٣٥١
الروايات الواردة في أبي قحافة	٣٥٢
نظرة في حديث إسلام أبي قحافة	٣٥٧-٣٦١
إسلام أم الخير أم أبي بكر	٣٦٦-٣٦٦
أبو بكر وأبواه في القرآن	٣٦٨-٣٦٦
آية في أبي بكر وأبيه	٣٦٨-٣٦٩
الغاية للقاله	٣٦٩
أبو طالب وشعره المعرب عن إيمانه	٣٧١-٣٨٢
أبو طالب ومواقفه المشكورة	٣٨٢
سفر أبي طالب إلى الشام	٣٨٢
إستسقاء أبي طالب بالنبي (ص)	٣٨٦
أبو طالب في مولد أمير المؤمنين	٣٨٧
بدء أمر النبي وأبو طالب	٣٨٨
أبو طالب وفقده النبي (ص)	٣٨٩
أبو طالب في بدء الدعوة	٣٩٢
قول أبي طالب لأمر المؤمنين	٣٩٦
قول أبي طالب لجعفر	٣٩٧
أبو طالب وحنوه للنبي (ص)	٣٩٨
أبو طالب وابن الزبير	٣٩٩
أبو طالب وقريش	٤٠٠
أبو طالب وصحيفة قريش	٤٠٣

الموضوع	الصفحة
وصية أبي طالب عند موته	٤٠٧
وصية أبي طالب لبني أبيه	٤٠٨
حديث عن أبي طالب	٤٠٩
ما يروى عن آل أبي طالب وذويه في إيمانه، وهو عشرة أحاديث	٤١٠-٤١٩
الكلم الطيب عن النبي وآله	٤١٩-٤٢٢
قصارى القول في أبي طالب	٤٢٣-٤٢٥
ما أسنده إليه من لاث به	٤٢٦
الإجماعات عن أعلام الشيعة	٤٢٦
أربعون حديثاً في أبي طالب	٤٢٨
الكتب المؤلفة في أبي طالب	٤٤٤-٤٤٧
قصائد في مدح أبي طالب	٤٤٨-٤٥٤
التقاريط المنضدة	٤٥٥-٤٥٧
الفهرس	٤٥٨